أبو علي مسكويه الرازي

تجارب الأمم

حقّقه وقدّم له

الدكتور ابو القاسم امامي

الجزء الخامس

دار سروش للطباعة والنشر
طهران ١٣٧٧ ش ١٩٩٨ م

أبو علي مسكويه الرازي
(۳۲۰-٤۲۱)

تجارب الأمم

حققه وقدم له
الدكتور ابو القاسم امامي

الجزء الخامس

دار سروش للطباعة والنشر
طهران ۱۳۷۷ ش ۱۹۹۸م

ابن مسکویه، احمدبن علی، ۳۲۰؟ - ۴۲۱ق.
تجارب الامم/ ابوعلی مسکویه الرازی؛ حققه و قدم له ابوالقاسم امامی.-- طهران: دارسروش للطباعة والنشر، ۱۹۸۷م. = ۱۴۰۷ق. = ۱۳۶۶-
ج.
بها: ۱۸۰۰ ریال (ج. ۱)؛ بهای هرجلد متفاوت.
ISBN 964-435-331-5 (set) :
ISBN 964-435-327-7 (v. 4)
فهرستنویسی براساس اطلاعات فیپا (فهرستنویسی پیش از انتشار).
عربی.
پشت جلد لاتینی‌شده: Miskawayh. Tajarib al-umam (experiences of nations).
کتابنامه.
جلد پنجم (چاپ اول: ۱۳۷۷)؛ بها: ۱۶۰۰۰ ریال (جلد شمیز)، ۱۹۳۰۰ ریال (جلد زرکوب).
ISBN 964-435-328-5 (v. 5)
۱. اسلام -- تاریخ -- متون قدیمی تا قرن ۱۴. ۲. تاریخ جهان -- متون قدیمی تا قرن ۱۴. ۳. ایران -- تاریخ -- متون قدیمی تا قرن ۱۴. الف. امامی، ابوالقاسم، ۱۳۱۳ - ، مصحح. ب. صدا و سیمای جمهوری اسلامی ایران. انتشارات سروش. ج. عنوان.

۹۰۹/۰۹۷۶۷۱ DS۳۵/۶۳/الف۱۳۶۵۳
۱۳۶۶
کتابخانه ملی ایران *م۶۶-۹۳۴



طهران، شارع الاستاذ مطهّری، مفترق الدکتور مفتّح بناية جام‌جم، رقم ۲۲۸

مرکز التوزیع: مجمّع سروش الثقافی، المعاونيّة التجاريّة، رقم التليفون ٦٤٠٤٢٥٥

العنوان: تجارب الأمم (المجلد الخامس).

المؤلّف: أبو علي مسکویه الرازی.

تحقيق: الدکتور ابوالقاسم امامی.

تنضيد الحروف و الاخراج: دارالبصائر للخدمات الثقافية.

الطبعة الأولى: ۱۳۷۷ ش / ۱٤۱۹ ق / ۱۹۹۸ م.

عدد النسخ: ۳۰۰۰ نسخة.

طبع هذا الكتاب بجميع مراحل الطبع في مطابع دار سروش للنشر.

شابک: ٥ ـ ۳۲۸ ـ ٤۳٥ ـ ۹٦٤ (جلد پنجم) ISBN: 964 - 435 - 328 - 5(VOL. 5)

شابک: ٥ ـ ۳۳۱ ـ ٤۳٥ ـ ۹٦٤ (دورهٔ ۷ جلدی) ISBN: 964 - 435 - 331 - 5 (7VOL.SET)



تجارب الأمم



بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

الحَمدُ للهِ واهبِ العقلِ

ودخلت سنة أربع وثمانين ومائتين[1]

قدوم رسول عمرو بن الليث برأس ابن هرثمة

وفيها قدم رسول عمرو بن الليث برأس رافع بن هرثمة فى المحرّم. فأمر المعتضد برفعه ونصبه فى الجانب الشرقىّ، ثمّ تحويله إلى الجانب الغربىّ إلى الليل، ثمّ ردّه إلى دار السلطان.[2]

أمور قام بها المعتضد

وفى هذه السنة عزم المعتضد على لعن معاوية بن أبى سفيان على المنابر، وأمر بإنشاء كتاب يُقرأ على الناس.

فخوّفه عبيد الله بن سليمان ذلك وقال:

ـ «إنّ العامّة تضطرب.»

---

١. أسقط ايمدروز من ابتداء هذا الجزء، أى من سنة ٢٨٤ إلى ابتداء خلافة المقتدر بالله فى سنة ٢٩٥، ما يشغل ٥٦ صفحة من صفحات الجزء الخامس من مخطوطة أياصوفيا (الأصل)، وهو يريد أن يبدأ نشر تجارب الأمم من حيث ينتهى الطبرى. فبدأ بآخر خليفة ذكر فى تاريخ الطبرى.

٢. انظر الطبرى (١٣ : ٢١٦٠).

فلم يلتفت إليه.

فكان أوّل ما ابتدأ به من ذلك أن تقدّم[١] إلى العامّة بلزوم أعمالهم، وترك الإجتماع والعصبيّة والشهادات عند السلطان، وأن لا يُسألوا عن شهادة إن كانت عندهم، ومنع القُصّاص من الجلوس على الطرقات، وعُملت بذلك نسخ قُرئت[٢] بالجانبين بمدينة السلام وفي الأرباع والمحالّ والأسواق.

ثمّ منع يوم الجمعة أهل الجانبين من أهل الحلَق والفُتيا وغيرهم من القعود في المسجد الجامع، ومنع الباعة [3] من القعود في رحابها، ونُودى في المسجد الجامع بنهى الناس عن الإجتماع على قاصّ وغيره. ثمّ نُودى في الجانبين والجامعين بأنّ الذمّة بريئة[٣] ممّن اجتمع على مناظرة أو جدل، وأنّ من فعل ذلك أحلّ بنفسه.[٤]

وتقدّم إلى من يسقى الماء وأمثالهم في الجامعين ألّا يترحّموا على معاوية ولا يذكروه.

إخراج كتاب اللعن

ثمّ تقدّم المعتضد بإخراج الكتاب الذى كان المأمون أمر بإنشائه وفيه مثالب معاوية، ولعنه بعد ذلك فأُخرج وهو كتاب طويل[٥].

فحُكى أنّ عبيد الله بن سليمان أحضر يوسف بن يعقوب القاضى وأمره أن يَعمل الحيلة في إبطال ما عزم عليه المعتضد خوفاً من فتنة تقع.[٦]

---

١. كذا في الأصل : تقدّم. في مط : يقدم. وهو خطأ.

٢. في مط : قربت. وهو خطأ.

٣. ضبط الأصل : بريّة.

٤. في الطبرى : بنفسه الضرب. (١٣ : ٢١٦٠).

٥. انظر الطبرى (١٣:٢١٦٥).

٦. انظر الطبرى (١٣ : ٢١٧٧).

فمضى القاضي يوسف فكلّم المعتضد وقال:
ـ «إنّى أخاف أن تضطرب العامّة عند سماع هذا الكتاب، وتكون لها حركة.»
فقال: «إن تحركت العامّة أو نطقت، وضعت سيفى فيها.»
فقال: «يا أمير المؤمنين فما تصنع بالطالبيّين الذين هم فى كلّ ناحية يخرجون ويميل إليهم خلق كثير ومآثرهم[١] فى هذا الكتاب، وإذا سمع الناس هذا كانوا إليهم أميل أو كانوا هم أبسط ألسنة وأثبت حجّة [4] منهم اليوم.»».
فأمسك عنه المعتضد فلم يردّ عليه جواباً ولم يأمر بعد ذلك في الكتاب بشيء.

لحوق بكر بمحمد بن زيد العلوى بطبرستان

وفيها لحق بكر بن عبد العزيز بمحمّد بن زيد العلوى بطبرستان وبدر مقيم بالجبل[٢] ينتظر أمر بكر إلى ماذا يؤول. فورد الخبر بعد زمان أنّه مات بطبرستان.

وثوب أبى ليلى على شفيع الخادم وقتله

وورد الخبر من إصبهان بوثوب أبي ليلى الحارث بن عبد العزيز على شفيع الخادم الموكّل به وقتله.

---

١. فى الأصل: وما آثرهم والتصحيح منّا بوحى من الطبرى حيث قال: ويميل إليهم كثير من الناس لقرابتهم من الرسول ومآثرهم وفى هذا الكتاب إطراؤهم. (الطبرى ١٣ : ٢١٧٨).
٢. الجبل: فى الأصل: بالحبل. وما أثبتناه عن الطبرى (١٣ : ٢١٧٨).

ذكر الخبر عن ذلك

كان أخوه عمر أخذه فقيّده وحمله إلى قلعة لأبى دُلَف بالزّز[١] وحبسه فيها وكلّ ما كان لأبى دُلَف من مال ومتاع نفيس وجوهر كان فى هذه القلعة، وشفيع مولاهم يحفظ القلعة وكلّ ما فيها[٢] ومعه جماعة من غلمان عمر وثقاته. فلمّا استأمن عمر إلى السلطان وهرب بكر عاصياً للسلطان بقيت القلعة بما فيها فى يد شفيع وأبو ليلى مقيّد مسلّم إليه.

فكلّمه أبو ليلى فى إطلاقه فأبى وقال:

ـ «لا أخون صاحبى عمر.»

فحكت جارية لأبى ليلى فى الحبس، أنّه كان معه غلام صغير يخدمه وآخر يخرج فى حوائجه ولا يبيت عنده، فأمّا الصغير فيبيت عنده. فقال أبو ليلى [5] لغلامه الذى يدخل ويخرج فى حوائجه:

ـ «احتل لى فى مِبرد كيف شئت.»

ففعل الغلام وأدخله فى شىء من طعامه. وكان شفيع يجىء فى كلّ ليلة إذا أراد أن ينام إلى البيت الذى فيه أبو ليلى، حتّى يراه، ثمّ يقفل عليه باب البيت هو بنفسه ويمضى فينام وتحت فراشه سيف مسلول. وكان أبو ليلى قد سأل أن تُدخَل إليه جارية، فأُدخلت إليه جارية صغيرة السن.

فذُكر عن دَلفاء[٣] جارية أبى ليلى عن هذه الجارية الصغيرة أنّها قالت: برد أبو ليلى مسمار قيده، حتّى كان يخرجه من رجله إذا شاء ويردّه.

---

١. بالزّز. كذا فى الأصل. وما فى الطبرى: بالدّز (الطبرى ١٣: ٢١٨٠). والزّز ناحية بهمذان مشهورة (مراصد الإطلاع).

٢. فيها. فى الأصل: فيه. والتصحيح منّا.

٣. فى الأصل: دلفا. بدون الهمزة. والضبط من (الطبرى ١٣: ٢١٨١).

قالت: وجاء شفيع عشيّة من العشايا إلى أبي ليلى فقعد معه يحدّثه، فسأله أبو ليلى أن يشرب معه أقداحاً، ففعل. ثمّ قام الخادم لحاجته، فأمرنى أبو ليلى ففرشت فراشه فجعل عليه ثياباً فى موضع الإنسان من الفراش، وصيّره كهيئة الرجل النائم وغطّاه، وأمرنى أن أقعد عند رجل ذلك الشىء المعمول من الثياب كأنّى أُغمّزه[1]. وقال:

ـ «إذا جاء شفيع لينظر إليّ فقولي: هو نائم. ليقفل الباب على عادته، ويظنّ أنّى فى الفراش.»

ثمّ خرج أبو ليلى واختفى فى موضع فيه [6] متاع فى صُفّة فيها باب هذا البيت، وجاء شفيع فنظر إلى الفراش وسأل الجارية عن خبر أبى ليلى، فأخبرته أنّه نائم وأقفل الباب. فلمّا[2] نام الخادم ومن معه فى الدار التى فى القلعة خرج أبو ليلى، فأخذ السيف من تحت فراش شفيع وضربه به حتّى برد. ووثب الغلمان الذين كانوا حوله نياماً فزعين، فاعتزلهم أبو ليلى والسيف بيده، وقال لهم:

ـ «أنا أبو ليلى وقد قتلت شفيعاً ولئن تقدّم إليّ واحد منكم لأقتلنّه، وأنتم آمنون، فاخرجوا من هذه الدار حتّى أكلّمكم بما أريد.»

ففتحوا باب القلعة واجتمع كلّ من كان فى القلعة فكلّمهم ووعدهم بالإحسان وأخذ عليهم الأيمان. فلمّا أصبح نزل ووجّه إلى الأكراد وأهل الرموم[3] فجمعهم وفرّق فيهم مالاً وخرج مخالفاً على السلطان.

ثمّ مضى إلى إصبهان، فواقعه عيسى النّوشَرى، فأصاب أبا ليلى سهم فى

---

١. أُغَمّزه: أجسّه وأكبسه لأختبره.

٢. فى مط: «فامّا» بدل «فلمّا»، وهو خطأ.

٣. الرموم. كذا فى الأصل. وفى مط: الزوم. وفى الطبرى (١٣ : ٢١٨٢): الزموم. وفى حواشى الطبرى: الدمور.

حلقه فنحره، فسقط إلى الأرض، وانهزم أصحابه فحُمل إلى إصبهان.

ودخلت سنة خمس وثمانين ومائتين

خروج صالح بن مدرك على الحاجّ

وفيها خرج صالح بن مُدرك على الحاجّ فى جماعة من طيّ بالأجفر[١] فى المحرّم. فحاربه الجنّى[٢] [7] وكان أمير القافلة فهزمه الأعراب وظفروا بالقافلة فأخذوا جميع ما فيها وأخذوا جماعة من النساء الحرائر. وبلغ قيمة ما أخذوا من الناس ألفى ألف دينار.

حمل رأس أبى ليلىٰ إلى بغداد

وحُمل رأس أبى ليلى المقتول بإصبهان إلى بغداد، فاستوهبه أخوه عمر من المعتضد، فوهبه له، فدفنه، وخُلع على عمر[٣] فى هذا اليوم.

ورود الخبر بوفاة ابن عيسى

وفيها ورد الخبر بوفاة محمّد بن عيسى بن شيخ، وقام ابنه أحمد[٤] بن محمّد بن عيسى بما كان فى يد أبيه[٥] بآمد على سبيل التغلّب. فخرج إليه المعتضد قاصداً لحربه.

١. الأجفر. كذا فى الأصل والطبرى (١٣ : ٢١٨٣). ما فى مط : بالأحفى.
٢. الجنّى. كذا فى الأصل ومط. فى الطبرى (١٣ : ٢١٨٣) : الحىّ. وفى حواشيه : حبى، الحبى.
٣. على عمر. كذا فى الأصل. ما فى مط : ابن عمر.
٤. فى مط : محمد بن محمد.
٥. فى مط : ابنه.

هارون بن خُمارُوية يوجّه رسلاً إلى المعتضد

وفيها وجّه هارون بن خمارُوية بن أحمد ومن معه رسلاً إلى المعتضد، يلتمسون مقاطعتهم على ما فى أيديهم من مصر والشام، ويسألونه إجراء هارون على ما كان يجرى عليه أمر أبيه.(١) فردّ المعتضد رسله مع رسول له بمشافهات وشروط.

ودخلت سنة ستّ وثمانين ومائتين

توجيه محمد بن أبى الساج ابنه إلى بغداد رهينةً

وفيها وجّه محمّد بن أبى الساج ابنه المعروف بأبى المسافر إلى بغداد رهينة، بما ضمن له من الطاعة والمناصحة. فقدم فى المحرّم منها ومعه هدايا والمعتضد غائب. [8]

وكان المعتضد فى السنة المتقدمة قد حمل إليه الخِلَع وكتب الولاية على ما كان تغلّب عليه من بلاد أذربيجان.

وصول المعتضد إلى آمِد

وفيها وصل المعتضد إلى آمِد، فأناخ بجنده عليها وأغلق محمّد بن أحمد بن شيخ أبواب مدينة آمد وعلى من فيها من أشياعه. ففرّق المعتضد جيوشه حولها وحاصرهم وذلك لأيّام بقيت من شهر ربيع الأوّل.

ثمّ جرت بينهم حروب، ونصب أهل آمد على سورهم المجانيق، ونصب المعتضد عليها المجانيق وتراموا بها.

---

١. فى مط: يجرى عليه مراتبه. فى الطبرى (١٣:٢١٨٥): يجرى عليه أبوه.

وفى يوم السبت لإحدى عشرة بقيت من جمادى الأولى، توجّه[١] محمّد بن أحمد بن شيخ فى هذا اليوم ومن معه من أصحابه وأوليائه، فوصلوا إلى المعتضد فخلع عليه وعلى رؤساء أصحابه وانصرفوا إلى مضرب قد أُعدّ[٢] لهم، وتحوّل المعتضد من معسكره إلى منازل ابن عيسى بن شيخ ودوره، وكتب بذلك كتاباً إلى مدينة السلام.

ورود كتب هارون بن خُمارُوية إلى المعتضد

ووردت كتب هارون بن خمارُويه يبذل أعمال قنّسرين والعواصم ويحمل إلى بيت المال بمدينة السلام فى كلّ سنة أربعمائة وخمسين ألف دينار، ويسأل أن يجدّد له ولاية مصر والشام، وأن يوجّه المعتضد بخادم من خدمه إليه بذلك. فأجابه إلى ما [9] سأل وتسلّم المعتضد أعمال قنّسرين والعواصم من أصحاب هارون، وارتحل نحو الرقّة، وخلّف ابنه عليّاً بآمد مع جيوش ضمّهم إليه، ليضبط الناحية وأعمال قنّسرين والعواصم وديار ربيعة ومُضر. وكان كاتب عليّ بن المعتضد يومئذٍ الحسين بن عمرو النصرانى، وأمر المعتضد بهدم سور آمد فهُدم.

موافاة هديّة من عمرو بن الليث من نيسابور

وفيها وافت هديّة عمرو بن الليث من نيسابور. فكان مبلغ ما أنفذه أربعة آلاف ألف درهم وعشرين من الدوابّ بالسروج واللُجم المغرقّة بالجلال المشهّرة وكسوة وطيب وبُزاة.

---

١. ما فى الأصل: وجّه. والتصحيح من مط.
٢. ما فى الأصل: أُحدّ، ورجّحنا ما فى مط: أُعدّ.

ظهور أبي سعيد الجنّابي بالبحرين على مذهب القرامطة

وفيها ظهر أبو سعيد الجنّابي بالبحرين على مذهب القرامطة فاجتمع إليه القرامطة والأعراب. فقوى أمره وكثر عيثه وأظهر أنّه يريد البصرة. وكتب عامل البصرة إلى المعتضد بذلك، فكتب إليه بعمل سور على البصرة فقُدِّرت النفقة عليه أربعة عشر ألف دينار، فأمر ببنائه.(١)

ودخلت سنة سبع وثمانين ومائتين

غلظة أمر القرامطة

وفيها غلظ أمر القرامطة بالبحرين وأغاروا على نواحي هجَر وقَرب بعضهم من نواحي البصرة. وولّى المعتضد العبّاس بن عمرو الغنوي اليمامة والبحرين ومحاربة [10] أبي سعيد الجنّابي والقرامطة وضمّ إليه زهاء ألفي رجل فشخص العبّاس إلى البصرة ومنها إلى البحرين واليمامة.(٢)

أسر عمرو بن الليث الصفّار

وفيها ورد الخبر على المعتضد بأنّ إسماعيل بن أحمد أسر عمراً الصفّار واستباح عسكره.(٣)

---

١. انظر الطبرى (١٣: ٢١٨٨).

٢. انظر الطبرى (١٣: ٢١٩٢).

٣. انظر الطبرى (١٣: ٢٢٠٣).

ذكر الخبر عن ذلك

كان عمرو سأل المعتضد أن يولّيه ما وراء النهر، فولّاه ذلك، ووجّه إليه وهو بنيسابور بالخلع واللواء، فخرج عمرو لمحاربة إسماعيل بن أحمد، فكتب إليه إسماعيل:

ـ «إنّك قد وُلّيت دنيا عريضة، وإنّما فى يدى ما وراء النهر وأنا فى ثغر، فاقنع بما فى يدك واتركنى بهذا الثغر.»

فأبى إجابته، فذكر له أمر نهر بلخ وشدّة عبوره فقال:

ـ «لو شئت أن أسكره ببِدر الأموال وأعبره لفعلتُ.»

فلمّا يئس إسماعيل من انصرافه عنه جمع من معه من الجند والتُنّاء(١) والدهاقين وعبر النهر إلى الجانب الغربى. وجاء عمرو فنزل بلخ وأخذ إسماعيل عليه النواحي فصار كالمحاصَر، وندم على ما فعل وطلب المحاجزة، فأبى إسماعيل عليه ذلك. فلم يكن بينهما كثير قتال حتى هُزم عمرو فولّى هارباً ومرّ بأجمة فى طريقه [11] قيل له: إنّها أقرب. فقال لعامّة من معه:

ـ «امضوا فى الطريق الواضح.»

ومضى فى نفر يسير فدخل الأجمة، فوحلت دابّته ولم يكن له فى نفسه حيلة. ومضى من معه ولم يلووا عليه، وجاءت أصحاب إسماعيل فأخذوه أسيراً.

وبلغ المعتضد خبرهما فمدح إسماعيل وذمّ عمراً.

---

١. التُنّاء: المقيمون.

ورود الخبر بهروب وصيف

وفيها ورد الخبر على المعتضد بأنّ وصيفاً خادم ابن أبى الساج هرب من برذعة[١] ومضى إلى ملطية مراغماً لمحمّد بن أبى الساج فى أصحابه. وكتب إلى المعتضد يسأله أن يولّيه الثغور ليقوم بها فكتب المعتضد إليه: يأمره أن يصير إليه، فتباطأ، وكان رسله بحضرة المعتضد.

فذُكر أنّ المعتضد أمر بتقرير الرسل ليخبروه عن السبب الذى من أجله فارق وصيف صاحبه ابن أبى الساج وقصد الثغور فأقرّوا بالضرب.

وذكروا أنّه فارقه على مواطأة بينه وبين صاحبه على أنّه إذا استقرّ فى موضعه الذى هو به لحق به صاحبه فصارا جميعاً الى مصر وتغلّبا عليها، وشاع ذلك فى الناس وتحدّثوا به.

وفيها وُلّى حامد بن العبّاس أعمال فارس الخراج والضياع، وكانت فى يد العبّاس بن عمرو الغنوى.

خروج العباس بن عمرو الغنوى

وفيها خرج العبّاس بن عمرو الغنوى[12] عن البصرة بمن ضُمّ إليه من الجند مع من خفّ معه من مطوّعة البصرة نحو أبى سعيد الجنّابى، فلقيتهم طلائع أبى سعيد، فخلّف العبّاس سواده وسار نحوهم، فلقى أبا سعيد وأصحابه مساء، فتناوشوا ثمّ حجز الليل بينهم، فانصرف كلّ فريق منهم إلى موضعهم.

فلمّا كان الليل انصرف من كان مع العبّاس من الأعراب والمطوّعة وأصبح

---

١. فى مط: بردعة (بالدال المهملة).

العبّاس، فغادى القرامطة الحرب، فاقتتلوا قتالاً شديداً.

ثمّ إنّ صاحب ميسرة العبّاس حمل في زهاء مائة من أصحابه على ميمنة أبي سعيد، فوغلوا فيهم فقُتل هو وجميع من معه، وحمل الجنّابي وأصحابه على العبّاس فانهزم أصحابه واستأسر العبّاس وأُسر من أصحابه زهاء سبعمائة رجل، واحتوى الجنّابى على ما فى عسكر العبّاس.

فلمّا كان الغد من يوم الوقعة أحضر الجنّابى من أُسر من أصحاب العبّاس، فقتلهم جميعاً ثمّ أمر بحطب فطُرح عليهم وأحرقهم.

وصار الجنّابي إلى هجَر وآمن أهلها وانصرف فلّ العبّاس يريدون البصرة ولم يكن أفلت منهم إلّا القليل بغير أزواد. فخرج إليهم جماعة من البصرة بنحو من أربعمائة راحلة عليها [13] الأطعمة والكُسَى والماء فخرج عليهم بنو أسد فأخذوا تلك الرواحل بما عليها، وقتلوا جماعة ممّن كان مع تلك الرواحل ممّن أفلت من أصحاب عمرو، فاضطربت البصرة لذلك اضطراباً شديداً وهمّوا بأن ينتقلوا عنها وخافوا هجوم القرامطة عليهم.

ثمّ وردت على السلطان خريطة من الأُبلّة بموافاة العبّاس بن عمرو فى مركب من مراكب البحر، وأنّ أبا سعيد أطلقه وخادماً له.[١]

ثمّ ورد العبّاس بن عمرو مدينة السلام وصار إلى دار المعتضد بالثريّا. فذُكر أنّه بقى عند الجنّابى أيّاماً بعد الوقعة ثمّ دعا به فقال:

ـ «أتحب أن أطلقك؟»

قال: «نعم.»

قال: «امض وعرّف الذى وجّه بك ما رأيت.»

وحمله على رواحل وضمّ إليه قوماً من أصحابه وحمّلهم ما يحتاجون إليه

١. أنظر الطبرى (١٣:٢١٩٧).

من الزاد والماء وأمر الرجال الذين وجّههم معه أن يردّوه إلى مأمنه فساروا به إلى بعض سواحل[1] البحر فصادف به مركباً فحمله حتّى صار إلى الأبلّة فخلع عليه المعتضد وصرفه إلى منزله.

فتحدّث القاضي أبو الحسين محمّد بن عبد الواحد الهاشمي قال[2]: سمعت العبّاس بن عمرو الغنوى يقول: لمّا أسرنى أبو سعيد الجنّابي القرمطى وكسر العسكر الذى كان أنفذه [14] المعتضد لقتاله وجُعلت أسيراً في يده، يئست من الحياة. فإنّى يوماً على ذلك إذ جاءنى رسوله فأخذ قيودى وغيّر ثيابى وأدخلنى إليه فسلّمت وجلست فقال:

ـ «أتدرى لم استدعيتك؟»

قلت: «لا.»

قال: «أنت رجل عربى ومن المحال أن أستودعك أمانة فتخفرها ولا سيما مع مَنّى عليك بنفسك.»

فقلت: «هو كذلك.»

قال: «إنّى فكّرت فى قتلك فلم أر فيه طائلاً وفى نفسى رسالة إلى المعتضد لا يجوز أن يؤدّيها غيرك فرأيت إطلاقك وتحميلك إيّاها فإن حلفت لى إنّك تؤدّيها سيّرتك إليه.»

فحلفت له. فقال:

ـ «تقول للمعتضد: يا هذا لم تخرق[3] هيبتك وتقتل رجالك وتُطمع أعداءك فى نفسك بإنفاذ الجيوش إلىّ، وإنّما أنا

---

١. فى مط: رواحل، وهو خطأ.

٢. لم نجد لهذا الخبر وللرسالة الآتية ذكراً فى الطبرى، فى حوادث هذه السنة: ٢٨٧.

٣. فى مط: تحرق (بالحاء المهملة).

رجل فى فلاة لا زرع عندى ولا ضرع، ولا لى بلد وقد رضيت بخشونة العيش والأمن على المهجة والعزّ بأطراف الرماح.

ـ «وانظر فإنّى ما اغتصبتك بلداً كان فى يدك ولا أزلت سلطانك عن عمل جليل ومع هذا فوالله لو أنفذت إلىّ جيشك كلّه ما جاز أن تظفر بى ولا تنالنى. لأنّى رجل نشأت فى هذا القشف فتعوّدته أنا ورجالى، فلا مشقّة علينا فيه ونحن فى أوطاننا مستريحون [15] وأنت تنفذ جيشك من الحموش[١] والثلج والرياحين والندّ ثمّ يجيئون من مسافة بعيدة وطريق شاقّ وقد قتلهم السفر قبل قتالنا، وإنّما غرضهم أن يبلوا عذراً فى قتالنا ومواقعتنا ساعة ثمّ يهربون. فإن حققوا مع ما قد لحقهم من وعثاء السفر وشدّة الجهد كان أكبر أعوانى عليهم، فما هو إلّا أن حققت عليهم حتّى ينهزموا،

ـ «وتقول وأكثر ما يقدرون عليه أن يجيئوا فيستريحوا ثمّ تكون عدّتهم كثيرة وبصيرتهم قويّة، فحينئذٍ لا تكون لى بهم قِبل فأنهزم، فلا يقدر جيشك أن يتبعونى إلّا مسافة قريبة، فما هو [إلّا][٢] أن أبعد عشرين فرسخاً أو ثلاثين وأجول فى الصحراء شهراً أو شهرين، ثمّ أكبسهم على غرّة حتّى أقتل جميعهم. وإن لم يتمّ لى هذا وكانوا متحرزين فما يمكنهم أن

---

١. لم نتأكّد من صحّة قراءة الكلمة. ما فى مط: الحوش، أو الحبوش (باهمال الثانى).

٢. زيادة منّا يوحى من السياق.

يطوفوا حولى وخلفى فى البرارى ولا يتبعنى الطلب فى البوادى.

ـ «ثمّ لا يحملهم البلد فى المقام ولا الزاد إن كانوا كثيرين، فلابدّ أن ينصرف الجمهور ويبقى الأقلّ فهم قتلى سيوفى أوّل يوم نلتقى فيه. هذا إن سلموا من وباء هذه الناحية ورداءة ماءها وهواءها الذى نشأوا فى غيره وضدّه.

ـ «ففكّر فى هذا ونحوه وانظر هل يفىء [16] تعبك وتغريرك بعسكرك وجيشك وإنفاقك الأموال وتجهيزك الرجال وتكلّفك هذه الأخطار بطلبى وأنا مع هذا خالى الذرع منها سليم النفس والأصحابِ من جميعها. فأمّا هيبتك فتنخرق، وأمّا الأطراف فتنتقض، وأمّا الملوك من الأعداء فتتجاسر. ثمّ لا تظفر من بلدى بطائل ولا تصل إلى حال ولا مال. فإن اخترت بعد هذا محاربتى فأقدم على بصيرة وأنفذ من شئت واضطرب كيف أحببت، وإن أمسكت فذاك إليك.»

قال: ثمّ جهّزنى وأنفذ معى عشرة من أصحابه إلى الكوفة، فسرت منها إلى الحضرة ودخلت على المعتضد[1] فتعجّب من سلامتى، وسألنى عن خبرى سؤالاً حفيّاً فقلت:

ـ «أخبرك يا أمير المؤمنين سرّاً.»

فتشوّق إليه وخلا بى. فلم أزل أقصّ عليه الخبر وهو يتمعّط[2] غيظاً

١. فى مط: المعتصم، وهو سهو من الكاتب.

٢. فى مط: يتمغط (بالغين المعجمة).

حتّى ظننت أنّه سيسير إليه بنفسه وخرجت من بين يديه، فما رأيته بعد ذلك ذكره بحرف.

ورود الخبر بقتل محمد بن زيد العلوىّ

وفيها ورد الخبر على السلطان بأنّ محمّد بن زيد العلوى قُتل.[١]

ذكر مقتله

ذُكر أنّ محمّد بن زيد العلوى لمّا اتصل به أسرُ إسماعيل بن أحمد عمرو بن الليث، خرج في جيش [17] كثيف نحو خراسان طامعاً فيها، ظنّاً منه أنّ إسماعيل لا يتجاوز عمله الذى كان يتولّاه وأنّه لا دافع له عن خراسان إذ كان عمرو قد أُسر ولا عامل للسلطان بها.

فلمّا صار إلى جرجان، واستقرّ بها كتب إليه يسأله الرجوع إلى طبرستان وترك جرجان فأبى ذلك محمّد بن زيد فندب[٢] إسماعيل له محمّد بن هارون خليفة كان لرافع، وضمّ إليه جيشاً كثيفاً. فشخص نحو ابن زيد فالتقيا على باب جرجان فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهزم عسكر محمّد بن هارون.

ثمّ رجع محمّد بن بكر وقد انتقضت صفوف العلوى فانهزم عسكر محمّد بن زيد وقُتل منهم بشر كثير وأصابت محمّد بن زيد ضربات وأُسر ابنه زيد، وحوى محمّد بن هارون عسكره. ثمّ مات محمّد بن زيد من تلك الضربات وحُمل ابنه إلى إسماعيل. ودخل محمّد بن هارون جرجان ثمّ شخص إلى طبرستان.

---

١. انظر الطبرى (١٣: ٢٢٠٠).

٢. في مط : بدر.

ودخلت سنة ثمانٍ وثمانين ومائتين

ذكر حوادث حدثت فيها

وفيها توفّى محمّد بن أبى الساج فاجتمع غلمانه وجماعة أصحابه فأمّروا عليهم ديوداذ بن محمّد واعتزلهم يوسف بن أبى الساج مخالفاً لهم.

وفيها جىء بعمرو بن الليث. وذُكر أنّ إسماعيل بن أحمد خيّره بين المقام عنده وبين توجيهه إلى باب أمير المؤمنين، فاختار توجيهه. فوجّهه [18] وأرسل المعتضد برسول إسماعيل مع رسوله وحمل معه إليه بَدَنَةً(١) وتاجاً وسيفاً من ذهب مركّب على جميع ذلك الجواهر وهدايا وثلاثة آلاف ألف درهم يفرّقها فى جيوش خراسان. وقيل كان المال عشرة آلاف ألف وجّه بعض ذلك من بغداد وكتب بباقيه على عمّال الجبل وأُمروا أن يدفعوا ذلك إلى الرسل.

وفيها أوقع يوسف بن أبى الساج وهو فى نفر يسير بابن أخيه ديوداذ، فهزم عسكره وبقى ديوداذ فى جماعة قليلة فعرض عليه يوسف بن أبى الساج المقام معه فأبى وقال:

ـ «أمضى إلى باب السلطان.»

فجعل يسايره مدّة ويسأله المقام معه، فأبى وأخذ طريق الموصل حتّى وافى بغداد.

ودخلت سنة تسع وثمانين ومائتين

انتشار القرامطة بسواد الكوفة

وفيها انتشر القرامطة بسواد الكوفة فوجّه إليهم شُبل غلام أحمد بن محمّد

---

١. البدَنة: قميص لا كُمّين له.

الطائى فشخص إليهم فظفر بجماعة منهم وظفر برئيس لهم يُعرف بابن أبى القوس[١] فوجّه به وبهم فدعا به المعتضد وساءله ثمّ أمر به فقُلعت أضراسه ثمّ خُلّع مُدّت إحدى يديه ببكرة وعُلّق فى الأخرى صخرة وتُرك على حاله تلك ثلاثة ساعات ثمّ قُطعت يداه ورجلاه [19] من غد هذا اليوم وضُربت عنقه وصُلب.

سياسة المعتضد فى الشيخ
والمرأة المغصوبة والرجل الغاصب

ومن سياسة المعتضد التى تُستفاد منها تجربة ما حدّث به أبو الحسين محمّد بن عبد الواحد الهاشمى أنّ شيخاً من التجار كان له على بعض القوّاد مال جليل، فماطله ثمّ جحده. قال: فعملت على التظلّم إلى المعتضد لأنّى كنت تحمّلت عليه وتظلّمت إلى عبيد الله بن سليمان فلم ينفعنى ذلك فقال لى بعض إخوانى:

- «علىّ أن آخذ المال لك ولا تحتاج إلى الظلامة إلى الخليفة، قم معى الساعة.»

قال: فقمت معه فجاء بى إلى خيّاط فى سوق الثلاثاء وهو جالس يخيط ويقرأ القرآن فى مسجد. فقصّ عليه قصّتى، فقام معنا. فلمّا مشيت تأخّرت وقلت لصديقى:

- «إنّك قد عرّضت هذا الشيخ ونفسك وإيّاى لمكروه عظيم.»

قال: «كيف؟»

قلت: «لأنّه قد استخفّ بى مراراً وبجماعة من شفعائى مراراً كثيرة ولم

---

١. فى الطبرى (١٣: ٢٢٠٦): ابى فوارس. وفى حواشيه: أبى الفوارس.

يلتفت إلى مثل فلان وفلان ولا إلى الوزير، وأخاف أن يصفعنا صفعاً[١] وجيعاً ويطردنا.»

فضحك الرجل وقال:

ـ «لا عليك، امشِ واسكت.»

فجئنا إلى باب القائد فحين رآه غلمانه أعظموه وأرادوا تقبيل يده فمنعهم، وقالوا:

ـ «ما جاء بك أيّها الشيخ فإنّ صاحبنا راكب؟»

فقال: «أدخل وأجلس إلى أن [20] يحضر.»

فبادروا إلى الإذن له وأجلسوه فى أرفع موضع. فقويت نفسي وجاء الرجل، فلمّا رأى الخيّاط أعظمه إعظاماً شديداً وقال:

ـ «لا أنزع ثيابى حتّى تأمر بأمرك.»

فخاطبه فى أمرى فقال:

ـ «والله ما عندى إلّا خمسة آلاف درهم.»

فسأله أن يأخذها فى الوقت ويأخذ رهناً بباقى ماله إلى أن تجيئنى غلّتى. فبادرت إلى الإجابة فأحضر الدراهم وخرجنا. فلمّا بلغنا موضع الخيّاط طرحت المال بين يديه وقلت:

ـ «يا شيخ إنّ الله قد ردّ هذا المال علىّ لسعيك وبركتك. فأحبّ أن تأخذ من المال نصفه أو ثلثه حتّى تطيب نفسى.»

فقال: «ما أسرع ما كافأتنى على الجميل بالقبيح. انصرف بمالك، بارك الله لك فيه.»

فقلت: «قد بقيت لى حاجة.»

---

١. فى مط: أن يضعفنا ضعفاً. وهو تصحيف.

قال: «قل.»

قلت: «تخبرنى عن سبب طاعته لك مع تهاونه بأكثر أهل هذه الدولة؟»

فقال: «ياهذا، قد بلغت مرادك، فلا تقطعنى عن شغلى ومعاشى.»

فألححتُ عليه.

قال: «أنا رجل أَؤُمُّ وأقرأ[١] فى هذا المسجد منذ أربعين سنة، ومعاشى من هذه الخياطة، وكنت منذ دهر قد صلّيت المغرب، وخرجت أريد منزلى، فاجتزتُ برجل تركىّ كان فى هذه الدار وقد تعلّق بامرأة مجتازة وكانت جميلة، وأدخلها إلى داره وهى تستغيث وليس أحد يغيثها.» [21]

قال: «فرفقت بالتركىّ وسألته تركها، فضرب رأسى بدبّوس وشجّنى وشتمنى، ويئست من المرأة وخلاصها، وصرت إلى المنزل وغسلت الدم وشددت الشجّة واستروحت، وخرجت أصلّى العشاء الآخرة. فلمّا فرغنا قلت لمن حضر: قوموا معى إلى عدوّ الله، هذا التركىّ، لننكر عليه ولا نبرح حتّى نخرج المرأة. فقاموا معى وجئنا وصحنا على بابه فخرج إلينا فى عدّة من غلمانه، وقصدنى من بين الجماعة فضربنى ضرباً مبرّحاً كدت أتلف منه. فحملنى الجيران إلى منزلى وعالجنى أهلى ونُوّمت فلم أنم إلى نصف الليل. فقلت فى نفسى هذا قد شرب إلى الآن ولا يعرف الأوقات، فلو أذّنت لوقع له أنّه الفجر، فلعلّه يطلق عن المرأة. وكانت المرأة لمّا تعلّق بها قالت: إنّ زوجى قد حلف بطلاقى ألّا أبيت عن منزلى وأعظم ما علىّ أن أطلّق وأبين منه فطمعتُ أن تلحق المرأة بمنزلها قبل الفجر وتسلم من أحد المكروهين. فخرجت متحاملاً حتّى صعدت المنارة، فأذّنت وجلست أتطلّع منها إلى الطريق أرقب خروج المرأة، فإن خرجت وإلّا أقمت الصلاة لئلا يشكّ فى

---

١. فى مط: أقرئ.

الصبح ويخرجها. فما مضت إلّا ساعة فإذا الشارع قد امتلأ خيلاً ورجلاً ومشاعل وشموعاً وهم يصيحون:

ـ «من هذا [22] الذى أذّن الساعة، أين هو.»

ففزعت وسكتّ ثمّ قلت أخاطبهم لعلّى أستعين بهم على إخراج المرأة. فصحت من المنارة:

ـ «أنا أذّنت.»

فقالوا: «انزل فأجب أمير المؤمنين.»

فقلت: قد دنا الفرج، ونزلت فإذا بدر مع الجماعة فحملنى وأدخلنى إلى المعتضد. فلمّا رأيته هبته وارتعدت فسكّن منّى وقال:

ـ «ما حملك على أن تغرّ المسلمين بأذانك فى غير وقته فيخرج ذوو الحاجة فى غير حينها، ويمسك المريد للصوم فى وقت قد أتيح[1] له الإفطار، وينقطع العسس عن الطوف والحرس؟»

فقلت: «يؤمننى أمير المؤمنين لأصدق؟»

قال: «أنت آمن.»

فقصصت عليه قصّة التركىّ والمرأة وأريته الشجّة وآثار الضرب بى. فقال:

ـ «يا بدر، علىّ بالغلام والمرأة الساعة.»

فعُزلت فى موضع. ومضى بدر وأحضر الغلام والمرأة فسألها المعتضد عن الصورة فأخبرته بمثل ما قلته. فقال لبدر:

ـ «بادر بها الساعة إلى زوجها مع ثقة من الخدم يدخلها دارها ويشرح لزوجها خبرها ويأمره عنّى بالتمسك بها والإحسان إليها.»

ثمّ استدعانى فوُقّفت، فجعل يخاطب الغلام وأنا قائم أسمع. وكان فيما

---

١. فى مط: قد أبيح له.

خاطبه به أن قال:

ـ «كم جرايتك؟»

فقال: «كذا.»

قال: «وكم عطاؤك؟»

قال: «كذا.» [23]

قال: «أفما كان لك فى جواريك وجاريك وفى هذه النعمة الواسعة كفاية عن معصية الله تعالى، وعن خرق هيبة السلطان، حتّى استعملت القِحة وتجاوزت ذلك إلى الوثوب على من أمرك بالمعروف؟»

فأُسقط الغلام في يده ولم يُجِر جواباً. فقال:

ـ «هاتوا جوالقاً وقيداً وغلاًّ ومداقّ الجصّ.»

فأُتى بها كلّها. فأدخله الجوالق وأمر الفرّاشين بدقّه، وأنا أرى ذلك كلّه، وهو يصيح. ثمّ انقطع صوته ومات. وأمر به فغُرّق فى دجلة وتقدّم إلى بدر بحمل ما فى داره، ووصلنى بألف درهم. ثمّ قال لى:

ـ «يا شيخ أىّ شىء رأيت من أجناس المنكر ولو على هذا ـ وأشار بيده إلى بدر ـ فإن لم يقبل منك، فالعلامة بيننا أن تؤذّن في هذا الوقت، فإنّى أسمع صوتك وأستدعيك وأفعل مثل هذا بمن لا يقبل منك أو يؤذيك.»

قال: فدعوت له وانصرفت.

وانتشر الخبر فى غلمان الدار والحاشية ثمّ الأولياء والجند والعامّة. فما خاطبت أحداً منهم بعدها فى إنصاف لأحد أو كفّ عن القبيح، إلّا طاوعنى ـ كما رأيت ـ خوفاً من المعتضد وما احتجت أن أؤذن فى غير وقت الأذان إلى الآن.[1]

---

١. هذه الحكاية، لا توجد فى الطبرى فى حوادث هذه السنة. انظر الطبرى (١٣: ٢٢٠٦ ـ ٢٢٥١).

خلافة المكتفى بالله

وفيها توفّى المعتضد[١] ليلة الإثنين من ربيع الآخر. وفى صبيحتها أُحضر دار السلطان عبد الحميد بن عبد العزيز [24] أبو حازم ويوسف بن يعقوب وأبو عمر محمّد بن يوسف، فتولّى غسل المعتضد محمّد بن يوسف، وتولّى الصلاة عليه يوسف بن يعقوب، وحضر الصلاة عليه الوزير القاسم بن عبيد الله وأبو حازم وأبو عمر والخدم والخاصّة.

وجلس القاسم بن عبيد الله بن سليمان فى دار السلطان، وأذن للناس، فعزّوه[٢] بالمعتضد، وهنّأوه بالمكتفى، وتقدّم فى تجديد البيعة للمكتفى بالله، ففعلوا.

وكُتب بالخبر إلى المكتفى وكان بالرقّة فتقدّم إلى كاتبه بأخذ البيعة على من فى عسكره، ووضع العطاء لهم. ففعل وشخص إلى بغداد فدخلها وكنّى بلسانه القاسم بن عبيد الله وخلع عليه.

وفى اليوم الثانى من مقدمه هذا هلك عمرو بن الليث الصفّار.

---

١. انظر الطبرى (١٣: ٢٢٠٦).

٢. فى مط: فعزروه، وهو خطأ.

هلاك عمرو بن الليث الصفّار

ذكر الخبر عن هلاكه

وكان المعتضد لمّا امتنع من الكلام عند موته أمر صافياً الحُرمي بقتل عمرو بالإشارة والإيماء، ووضع يده على عينه وعلى رقبته، أي: اذبح الأعور. فلم يفعل ذلك صافى لقرب وفاة المعتضد وكره قتله. فلمّا دخل المكتفى سأل القاسم بن عبيد الله عن عمرو:

ـ «أحيّ هو؟»

قال: «نعم.»

فسُرّ بحياته وقال:

ـ «أريد أن أحسن إليه.»

وكان عمرو يهدى إلى المكتفى ويبرّه برّاً [25] كثيراً فأراد مكافأته. فكره القاسم ذلك، ودسّ إلى عمرو من قتله.[١]

وفيها كان مقتل بدر غلام المعتضد.

مقتل بدر غلام المعتضد

ذكر السبب فى ذلك

كان سبب ذلك[٢] أنّ القاسم بن عبيد الله كان همّ بنقل الخلافة عن ولد المعتضد ـ وناظر بدراً فى ذلك بعد أن استكتمه واستحلفه. فامتنع بدر وقال:

ـ «ما كنت لأصرفها عن ولد مولاى وولىّ نعمتى.»

فلمّا علم القاسم ألّا سبيل له إلى مخالفة بدر ـ إذ كان بدر صاحب

---

١. انظر الطبرى (١٣: ٢٢٠٨).

٢. انظر الطبرى (١٣: ٢٢٠٩).

الجيش والمستولي على أمر المعتضد والمطاع في خدمه ـ اضطغنها على بدر. فلمّا حدث بالمعتضد حدث الموت، كان بدر بفارس لأنّه أُخرج إلى محاربة طاهر بن محمّد بن عمرو بن الليث، وكان طاهر قد تغلّب على فارس فعقد القاسم للمكتفي عقد الخلافة وبايع له وهو بالرقّة، لما كان بين المكتفي وبين بدر من التباعد والتباغض في حياة والده.

فقدم المكتفي، وبدر بعد بفارس. فلمّا قدم عمل القاسم في هلاك بدر حذراً على نفسه أن يطلع بدر المكتفي إذا قدم على ما كان همّ به القاسم، فوجّه المكتفي جماعة من القواد برسائل وكتب إلى القوّاد الذين مع بدر يأمرهم أن يفارقوا بدراً ويصيروا إلى حضرته وذلك في السرّ من بدر. فأوصلت [26] الكتب إليهم. ثمّ وجّه إليه بياسر خادم الموفّق ومعه عشرة آلاف ألف ليفرّقها في عطاء أصحابه للبيعة للمكتفي، فخرج بها ياسر. فلمّا كان بالأهواز وجّه إليه بدر من قبض المال منه، فرجع ياسر إلى بغداد.

ولمّا وصلت الكتب إلى القوّاد من المكتفي فارق بدراً جماعة منهم وانصرفوا عنه إلى مدينة السلام. فلمّا دخلوا بغداد وصلوا[1] إلى المكتفي وخلع على نيّف وثمانين رجلاً وأجاز جماعة من رؤساءهم كلّ واحد بمائة ألف، وأجاز قوماً بدون ذلك، وخلع على بعضهم ولم يجزه بشيء. وانصرف بدر قاصداً واسط، واتّصل الخبر بالمكتفي بإقبال بدر. فوكّل بدار بدر وقبض على جماعة من أصحابه وقوّاده فحُبسوا مثل نحرير الكبير وعريب الجبلي وغيرهما، وأمر بمحو اسم بدر من الأعلام والتِراس، وكان عليها أبو النجم مولى المعتضد بالله.

ودعا المكتفي القوّاد وقال لهم:

---

١. في الأصل: ووصلوا (بزيادة الواو). ما في مط: وصلوا، دون الواو.

ـ «لست أؤمّر عليكم أحداً. فمن كانت له حاجة فليلق الوزير، فقد تقدّمت إليه فى قضاء حوائجكم.»

وكتب بدر إلى المكتفى كتاباً على يد الرنداق[١] وحمله على الجمّازات. فلمّا وصل إلى المكتفى قبض عليه ووكّل به وأشخص جيشاً إلى واسط وقيل: إنّه قدّمهم مقدمة له.

وكان المكتفى أرسل إلى بدر [27] حين فصل من أرض فارس فعرض عليه ولاية[٢] أىّ النواحى شاء إن أحبّ إصبهان أو الرىّ أو الجبل، ويأمره بالمصير إلى أىّ موضع أحبّ من هذه النواحى مع من أحبّ من الفرسان والرجّالة، فيقيم بها والياً عليها معهم. فأبى بدر وقال:

ـ «لابدّ لى من المصير إلى باب مولاى.»

فوجد القاسم مساغاً للقول فيه وقال للمكتفى:

ـ «قد عرضنا عليه الولايات، فأبى إلّا المجىء.»

ثمّ خوّفه غائلته وحرّض المكتفى على محاربته وقال:

ـ «قد أظهر العصيان واتصل ببدر أنّه قد وكّل بداره وحُبس غلمانه.»

ـ «فأيقن بالشرّ فوجّه من تحتال فى تخليص ابنه هلال وحدره إليه. فوقف القاسم بن عبيد الله على ذلك، فأمر بالتحفّظ به، ودعا أبا خازم القاضى على الشرقيّة، وأمره بالمصير إلى بدر ولقاءه وتطييب نفسه وإعطاءه الأمان من أمير المؤمنين على نفسه وماله وولده. فقال أبو خازم:

ـ «أحتاج إلى سماع ذلك من أمير المؤمنين حتّى أؤدّيه عنه.»

فقال له: «انصرف حتّى أستأذن فى ذلك أمير المؤمنين.»

---

١. كذا فى الأصل: الرنداق. فى مط: الديدان. فى الطبرى (١٣:٢٢١١) زيدان. وفى حواشيه: زنداق، رَنداق.

٢. فى مط: عليهم واليه.

ثمّ دعا بأبى عمر محمّد بن يوسف وأمره بمثل الذى أمر به أبا خازم. فسارع إلى إجابته. ودفع القاسم إلى أبى عمر كتاب أمان عن المكتفى، فمضى به نحو بدر. فلمّا فصل بدر عن واسط ارفضّ عنه أصحابه وأكثر غلمانه [28] وصاروا إلى المكتفى فى الأمان.

وخرج المكتفى إلى مضربه بنهر ديالى ومعه جميع جيوشه فعسكر هناك ولقى أبو عمر محمّد بن يوسف بدراً بالقرب من واسط. فدفع إليه الأمان وخبّره عن المكتفى ثمّ ما قال[١] له القاسم وصاعد معه فى حرّاقة بدر، واستقرّ الأمر بين بدر وبين أبى عمر على أن يدخل بغداد سامعاً مطيعاً. وعبر بدر دجلة وصار إلى النعمانيّة وأمر أصحابه وغلمانه الذين بقوا معه أن ينزعوا[٢] سلاحهم ولا يحاربوا أحداً وأعلمهم ما ورد عليه به أبو عمر من الأمان. فبينا هو يسير إذ وافاه محمّد بن إسحاق بن كنداجيق[٣] فى شذاءة ومعه جماعة من الغلمان فتحوّل إلى الحرّاقة وسأله بدر عن الخبر فطيّب بنفسه وقال قولاً جميلاً وهم فى ذلك يؤمّرونه وكان القاسم وصّاه وقال له:

ـ «إذا اجتمعت مع بدر[٤] فى موضع واحد فأعلمنى.»

فوجّه إلى القاسم فأعلمه. فدعا القاسم لؤلؤاً أحد غلمان السلطان النجباء، فقال له:

ـ «قد ندبتك لأمر.»

فقال له:

ـ «سمعاً وطاعة.»

١. فى مط: وخبّره عن المكتفى بما قال له القاسم، كما فى الطبرى (١٣: ٢٢١٢).

٢. فى مط: أنْ ينزعوا.

٣. فى الطبرى (٣: ٢٢١٣): اسحاق بن كنداج.

٤. هنا بياض فى الأصل. وما أثبتناه عن مط والطبرى (١٣: ٢٢١٣).

قال له:

ـ «امض فتسلّم بدراً من ابن كنداجيق وجئني برأسه.»

فمضى فى طيّار حتّى استقبل بدراً ومن معه بناحية سيب بنى كوما. فتحوّل من الطيّار إلى الحرّاقة وقال لبدر:

ـ «قم.»

قال: «وما الخبر؟»

قال: «إنّه لا بأس عليك.» [29]

فحوّله إلى طيّاره ومضى به إلى جزيرة، ونحّى الناس ودعا بسيف فاستلّه. فلمّا أيقن بدر بالقتل سأله أن يمهله حتّى يصلّى ركعتين. فأمهله فصلاّهما، ثمّ قدّمه فضرب عنقه، وذلك يوم الجمعة قبل الزوال لستّ خلون من شهر رمضان. ثمّ أخذ رأسه ورجع إلى طيّاره وترك جثّته هناك فبقيت أيّاماً ثمّ وجّه عياله من أخذ جثّته سرّاً فجعلوها فى تابوت وحملوها أيّام الموسم إلى مكّة فدفنوها بها، وكان أوصى بذلك. وأعتق قبل أن يُقتل مماليكه كلّهم وتسلّم السلطان ضياع بدر ودوره ومستغلاته.

وورد الخبر على المكتفى بقتل بدر لتسع خلون من شهر رمضان، فرحل منصرفاً إلى مدينة السلام، وجيء برأس بدر، فأمر به فنُظّف ووضع فى خزانة الرؤوس. ورجع أبو عمر القاضى إلى داره حزيناً كئيباً. فتكلّم الناس فيه، وقالوا أشعاراً كثيرة. فممّا قيل فيه:

قُلْ لِقاضِى مَدينةِ المَنصُورِ ... بِمَ أحلَلْتَ أَخذَ رأسِ الأميرِ
بعدَ إعطاءه المواثيقَ والعهدَ ... وعقدَ الأمانِ فى مَنشورِ
أَينَ أَيمانُكَ الّتى شَهِدَ اللهُ ... عَلَى أنّها يَمينُ فُجورِ [30]
ياقَليلَ الحَياءِ ياأَكْذَبَ الأُمّـ ... ـةِ يا شَاهداً شَهادةَ زُورِ

لیسَ هـــذا فِــعْلَ القُــضاةِ ولا يُحسنُ أمثالَهُ وُلاةُ الجُسورِ

فى أبيات كثيرة.[١]

وفيها ظهر بالشام رجل جمع جموعاً كثيرة من الأعراب وغيرهم، فأتى بهم دمشق وبها طغج بن جفّ من قبل هارون بن خُمارُويَه بن أحمد بن طولون فكانت بينه وبين طغج وقعات وقُتل بينهما خلق كثير.

ذكر خبر القرامطة ومبدأ أمرهم ومآله[٢]

كان زُكرُويَه بن مَهرُويَه داعية لقرمط. فلمّا تتابعت من المعتضد توجيه الجيوش إلى سواد الكوفة وألحّ فى طلب القرامطة وأثخن فيهم القتل ورأى أنّه لا مدفع عن أنفسهم عند أهل السواد ولا غناء[٣] سعى فى استغواء من قرب من الكوفة من أعراب أسد وطيّ وتميم وغيرهم ودعاهم إلى رأيه وزعم أنّ من بسواد الكوفة من القرامطة يطابقونهم على أمره إن استجابوا له، فلم يستجيبوا له.

وكانت جماعة من كلب تخفر الطريق على البرّ بالسماوة فيما بين الكوفة ودمشق على طريق تدمر وغيرها. فأرسل زُكرويه [31] أولاده إليهم فبايعوهم وخالطوهم وانتموا[٤] إلى علىّ بن أبى طالب، وإلى محمّد بن

---

١. انظر الطبرى (٢٢١٥:١٣).

٢. فى الأصل وما آله. فى مط : وماله.

٣. فى مط : غنى.

٤. فى مط : وانتهوا.

إسماعيل بن جعفر، منهم،[١] وذكروا أنّهم خائفون من السلطان وأنّهم لجأوا إليهم. فقبلوهم على ذلك ثمّ دبّوا فيهم بالدعاء إلى رأى القرامطة. فلم يقبل ذلك أحد منهم إلّا الفخذ المعروفة ببنى العُلَيص ومواليهم خاصّة. فبايعوا في آخر سنة تسع وثمانين ومائتين ناحية السماوة ابن زكرويه المسمّى: يحيى والمكنّى: أبا القاسم ولقّبوه: الشيخ على مامُويَه، وزعم لهم:

أنّه أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل بن جعفر بن محمّد،

وأنّ له بالسواد والمشرق والمغرب مائة ألف تابع،

وأنّ ناقته التى يركبها مأمورة،

وأنّهم إذا اتّبعوها فى مسيرها ظفروا، وتكهّن لهم.

وانحازت إليه جماعة من بنى الإصبع، وأخلصوا له وتسمّوا بالفاطميين، ودانوا بدينهم.

فقصدهم سُبُك الديلمى مولى المعتضد بناحية الرصافة فى غربىّ الفرات وديار مضر. فاغترّوه وقتلوه وحرّقوا مسجد الرصافة. واعترضوا كلّ قرية اجتازوا بها حتّى صعدوا إلى أعمال الشام، فأناخ عليها وهزم كلّ عسكر لقيه لطُغج حتّى حصره فى مدينة دمشق. فأنفذ المصريّون إليه بدراً الكبير وواقعوهم قريباً من دمشق، فقتل يحيى بن زكرويه.

ثمّ دارت الحرب [32] على المصر فانحازت واجتمعت موالى بنى العُلَيص ومن معهم من الأصبعيين على نصب الحسين بن زكرويه أخى المقتول، وزعم لهم أنّه أحمد بن عبد الله بن محمّد، بن إسماعيل بن جعفر بن محمّد وهو ابن نيّف وعشرين سنة. فبايعوه بعد أخيه، وأظهر له شامة فى وجهه ذكر أنّها آيته. وطرأ إليه ابن عمّه عيسى فلقّبه بالمدّثّر، وعهد إليه، وذكر أنّه

١. كذا فى الأصل ومط: منهم. ما فى الطبرى (١٣:٢٢١٨) دون «منهم».

المعنىّ فى السورة التى ذكر فيها المدّثّر، وقلّد غلاماً له قتل أسرى المسلمين، ولقّبه المطوّق، وظهر على جند حمص وغيرها من أرض الشام وتسمّى بأمير المؤمنين على منابرها.

وفيها أوقع إسماعيل بن أحمد بمحمّد بن هارون بالرىّ فهزمه وكان فى ثمانية آلاف، فمضى نحو الديلم، ودخل إسماعيل الرىّ وصار ألف رجل من المنهزمة إلى باب السلطان.(١)

ودخلت سنة تسعين ومائتين

وفيها ورد كتاب علىّ بن عيسى من الرقّة يذكر فيها أنّ القرمطى ابن زكرويه وافى فى جمع كثير، فخرج إليه جماعة من أصحاب السلطان وبينهم سُبْك غلام المكتفى، فواقعوه فقُتل سُبْك وانهزم أصحاب السلطان.(٢)

ثمّ إنّ طغج بن جفّ أخرج من دمشق [33] جيشاً إلى القرمطى عليهم غلام يقال له: بشير، فواقعه القرمطى فهزم الجيش وقتل بشيراً.

ثمّ خلع السلطان على أبى الأغرّ وبعث به لحرب القرمطى بناحية الشام، فمضى فى عشرة آلاف إلى حلب. ووردت كتب التجار من دمشق إلى بغداد أنّ القرمطى قد هزم من طغج غير مرّة وقتل أصحابه إلّا القليل وأنّه بقى فى قلّة وامتنع من الخروج وإنّما تجتمع العامّة ثمّ تخرج للقتال وأنّهم قد أشرفوا على الهلكة فاجتمع التجار ومضوا إلى يوسف بن يعقوب فأقرأوه الكتاب وسألوه أن يخبر الوزير ذلك.

---

١. انظر الطبرى (١٣: -٢٢٢).

٢. انظر الطبرى (١٣: ٢٢٢٦).

وفيها قوطع صاحب طاهر بن محمّد بن عمرو بن الليث على أموال فارس، ثمّ عقد المكتفى لطاهر على أعمال فارس وخلع على صاحبه وحمل إليه الخلع مع العقد.

وفيها ورد الخبر وكتاب قُرأ في جوامع بغداد بأنّ يحيى بن زكرويه قتله المصريّون على باب دمشق بعد أن اتصلت الحروب بينه وبين جند دمشق ومددهم من أهل مصر وكسر لهم جيوشاً وقتل منهم خلقاً.

وكان يحيى هذا يدّعي النبوّة والكهانة.

خبر الحسين أخي يحيى بن زُكرُويه[١]

فلمّا قُتل يحيى انحاز أصحابه إلى أخيه الحسين بن زكرويه فطلبوا أخاه في القتلى فلم يجدوه. وكان أخوه قد سبق إليه ودعا الحسين [34] إلى مثل ما دعا إليه أخوه، فأجابه أكثر أهل البوادي وغيرهم من سائر الناس واشتدّت شوكته.

وظهر وصار إلى دمشق، فصالحه أهلها على خراج دفعوه إليه، فانصرف عنهم وسار إلى أطراف حمص فتغلّب عليها وخُطب له على منابرها، ثمّ سار إلى حمص فأطاعه أهلها وفتحوا له بابها خوفاً على أنفسهم فدخلها. ثمّ سار إلى حماة ومعرّة النعمان وغيرهما فقتل أهلها وقتل النساء والأطفال. ثمّ سار إلى بعلبك فقتل عامّة أهلها حتّى لم يبق منهم إلّا اليسير. ثمّ سار إلى سَلمية فحارب أهلها ومنعوه الدخول. ثمّ أعطاهم الأمان ففتحوا له بابها. فدخلها وبدأ بمن فيها من الهاشميين فقتلهم أجمعين، وقتل بعدهم الرجال أجمعين، ثمّ قتل البهائم، وقتل صبيان الكتاتيب، ثمّ خرج منها وليس بها عين

١. انظر الطبري (١٣:٢٢٢٥).

تطرف[١] وسار فيما حولها يقتل ويسبي ويُخيف السُبل.

وحُكيت عنه حكايات في إباحة الفروج[٢] لأصحابه، وأنّ جماعة منهم كانوا يجتمعون على مرأة واحدة إذا استحسنوها لا يتحاشون ذلك فيما بينهم.

المكتفي والتأهّب للشخوص إلى حرب القرمطيّ

ولليلتين خلتا من شهر رمضان من هذه السنة أمر المكتفي بالله بإعطاء الجند أرزاقهم والتأهّب [35] للشخوص إلى حرب القرمطي بناحية الشام، فأطلق للجند في دفعة واحدة مائة ألف دينار، وذلك أنّ أهل مصر والشام كتبوا يشكون ما لقوا من ابن زكرويه المعروف بصاحب الشامة، وأنّه قد أخرب البلاد وقتل الناس. وحكوا أشياء عظيمة ممّا لقوه منه ومن أخيه قبله وقتلهم الرجال، وأنّه لم يبق منهم إلّا عدد قليل.

فأُخرجت مضارب المكتفي فضُربت بباب الشمّاسية ومعه قوّاده وغلمانه وجيوشه.

ثمّ رحل وسلك طريق الموصل ومضى أبو الأغرّ، فنزل وادي بُطنان قريباً من حلب. فلمّا استقرّ ونزل معه جميع من معه نزع أكثرهم ثيابهم ودخلوا الوادي يتبرّدون بمائه وكان يوماً شديد الحرّ. فبينا هم كذلك إذ وافاهم جيش القرمطي صاحب الشامة وقد تقدّمهم المطوّق فكبسهم على تلك الحال، فقتل منهم خلقاً كثيراً وانتهب العسكر، وأفلت أبو الأغرّ فدخل حلب، وأفلت معه ألف رجل وكانوا عشرة آلاف.

وصار القرمطي إلى باب حلب فحاربهم أبو الأغرّ فيمن بقي معه من أصحابه وأهل البلد، فذهبوا وانصرفوا عنه بما أخذوا من عسكره من الكراع

١. في مط: تطوف.

٢. في مط: الفراج.

والسلاح والأموال والمتاع بعد حرب كانت بينهم. [36]

ومضى المكتفى بمن معه من الجيش حتّى انتهوا إلى الرقّة فنزلها وسرّح الجيوش إلى القرمطى جيشاً بعد جيش.

ثمّ ورد كتاب من بدر الحمامى صاحب ابن طولون يخبر فيه، أنّه واقع القرمطى صاحب الشامة فهزمه ووضع فى أصحابه السيف ومضى من أفلت منهم نحو البادية، وأنّ أمير المؤمنين وجّه فى إثره الحسين بن حمدان بن حمدون.

وورد كتاب آخر من البحرين من ابن بانو يذكر فيه أنّه واقع قرابة لأبى سعيد الجنّابى وولىّ عهده من بعده فهزمه وكان مقامه بالقطيف فوُجد قتيلاً بين القتلى، فاحتزّ رأسه، وأنّه افتتح القطيف فدخلها.

وفيها وجّه القاسم بن عبيد الله الجيوش إلى صاحب الشامة، وولّى حربه محمّد بن سليمان الكاتب وكان إليه ديوان الجيش، وضمّ إليه جميع القوّاد وكتب إلى من تقدّمه من القوّاد بالإنضمام إليه وأن يسمع الجميع له ويطيعوه.

ودخلت سنة إحدى وتسعين ومائتين

ولمّا توجّه محمّد بن سليمان مع جيوش المكتفى وتولّى حرب صاحب الشامة، والمكتفى بالرقّة، كتب إليه بمناهضة صاحب الشامة بمن معه فنهض إليه. [37]

ذكر مسيره وظفره بالقرمطى(١)

فلمّا صار بينه وبين حماة اثنا عشر ميلاً لقوا أصحاب القرمطى. وكان

١. انظر الطبرى (١٣:٢٢٣٧).

القرمطى قدّم أصحابه وتخلّف هو فى جماعة من أصحابه لأجل حفظ مال كان جمعه وجعل سواده وراءه. فالتحمت الحرب بين العسكرين واشتدّت، فهُزم أصحاب القرمطى فقُتلوا وأُسر منهم خلق كثير وتفرّق الباقون فى البوادي، وتبعهم السلطان.

فلمّا رأى القرمطى هزيمة أصحابه حمّل فيما قيل أخاً له يُكنّى أبا الفضل مالاً وتقدّم إليه أن يلحق بالبوادى إلى أن يظهر فى موضع فيصير إليه وركب هو وابن عمّه المسمّى: المدّثّر والمطوّق صاحبه وغلام له رومىّ وأخذ دليلاً وسار يريد الكوفة عرضاً فى البرّيّة حتّى انتهى إلى موضع يُعرف بالدالية من أعمال الفرات وقد نفد ما كان معهم من الزاد، فوجّه بعض من كان معه ليأخذ لهم بعض ما يحتاجون إليه.

فدخل الدالية المعروفة بدالية ابن طوق ليشترى ما يحتاج إليه فأُنكر زيّه وسُئل عن أمره فجمجم[1] فأُعلم المتولّى مسلحة هذه الناحية خبره، وكان يُعرف بأبى خبزة خليفة ابن كُشْمَرْد عامل [38] المكتفى بالرحبة وطريق الفرات. فركب فى جماعة وسأل هذا الرجل عن خبره وهدّده فأخبره أنّ صاحب الشامة خلف رابيةٍ هنالك فى ثلاثة نفر. فمضى إليهم فأخذهم وصار بهم إلى صاحبه. فوجّه بهم ابن كُشْمَرْد إلى المكتفى بالرقّة.

ورجعت الجيوش من الطلب بعد أن قتلوا وأسروا أكثر أولياء القرمطى وأشياعه.

وكتب محمّد بن سليمان بالفتح وكان المباشر للحرب وصاحب الظفر الحسين بن حمدان فقرّظه[2] محمّد بن سليمان فى كتاب الفتح وأثنى عليه وعلى أصحابه.

---

١. فى مط : فحمحم (بإهمال الحائين). والطبرى (١٣:٢٢٣٨) كالأصل.

٢. فى الأصل: قرطه (بإهمال الظاء). فى مط : وظفّر.

وأُدخل صاحب الشامة إلى الرقّة ظاهراً للناس على فالج وعليه بُرنُس حرير ودرّاعة ديباج وبين يديه المدّثّر والمطوّق على جملين.

رجوع المكتفى إلى بغداد بالقرمطيّ والمدّثّر والمطوّق وعاقبة أمرهم

ثمّ إنّ المكتفى خلّف عساكره مع محمّد بن سليمان وشخص هو فى خاصّته وغلمانه وشخص معه القاسم بن عبيد الله من الرقّة إلى بغداد وحمل معه القرمطى والمدّثّر والمطوّق وحمل من أُسر فى الوقعة، وذلك فى أوّل صفر من هذه السنة.

وأراد المكتفى أن يُدخل القرمطى إلى بغداد على دَقَل[١] منصوب على ظهر الفيل، فلم يمكن ذلك إلّا بهدم طاقات للأبواب التى يجتاز بها الفيل مثل باب الطاق[39] وباب الرصافة. ثمّ استسمج[٢] الهدم فعُمل حينئذٍ كرسيّ نُصب على ظهر الفيل وكان ارتفاع الكرسيّ ذراعين ونصفاً ودخل المكتفى بغداد وقدّم الأسرى بين يديه على جمال مقيّدين عليهم دراريع حرير وبرانس حرير والمطوّق وسطهم[٣] غلام ما خرجت لحيته قد جُعل فى فيه خشبة مخروطة وشُدّت إلى قفاه كهيئة اللجام، وذلك أنّه لمّا دخل الرقّة كان يشتم الناس إذا دعوا عليهم ويبصق عليهم، ففعل ذلك به ببغداد. ثمّ أمر المكتفى ببناء دكّة فى المصلّى العتيق من الجانب الشرقيّ تكسيرها عشرون ذراعاً فى عشرين ذراعاً، وارتفاعها نحو من عشرة أذرع، وبُنى لها دَرَج يُصعد إليها.

---

١. الدَقَل: خشبة طويلة تُشدُّ فى وسط السفينة ويُمدُّ عليها الشراع، وأصله الفارسى: دَكَل.
٢. فى الطبرى: استسمج، وفى حواشيه: استقبح (١٣: ٢٢٤٣).
٣. فى الطبرى (١٣: ٢٢٤٣): فى وسطهم.

وكان محمّد بن سليمان لمّا خلّفه المكتفى بالرقّة يلقط من كان فى تلك النواحى من قوّاد القرمطى وقضاته وأصحاب شرطه فأخذهم وقيّدهم وانحدر مع من معه من الجيش إلى بغداد على طريق الفرات، وأمر القوّاد الذين ببغداد بتلقى محمّد بن سليمان والدخول معه. فدخل بغداد وبين يديه الأسراء حتّى صار إلى الثريّا فخلع عليه وطوّق بطوق من ذهب وسوّر بسوارين من ذهب وخُلع على جميع القوّاد وسوّروا. [40]

ثم إنّ صاحب الشامة أخذ وهو فى الحبس سكرّجة عن المائدة التى تُدخل إليه فكسرها وأخذ شظيّة منها فقطع بها بعض عروقه من يد نفسه فخرج منه دم كثير ثمّ شدّ يده فلمّا وقف المتولّى خدمته على ذلك منه سأله :

ـ «لم فعل ذلك ؟»

فقال : «هاج بى الدم فأخرجته.»

فتُرك حتّى صلح ورجعت إليه قوّته.

ثمّ أمر المكتفى القوّاد والغلمان بحضور الدكّة التى أمر ببنائها، وخرج من الناس خلق كثير لحضورها فحضروها. فحمل الأسرى وقوم كانوا ببغداد على رأى القرامطة وقوم من الرفوع[1] من سائر البلدان من غير القرامطة، فجىء بهم على جمال ووكّل بهم على كلّ رجل إثنان. ويُقال إنّهم كانوا ثلاثمائة وستين.

وجىء بالقرمطى الحسين بن زكرويه المعروف بصاحب الشامة وابن عمّه المعروف بالمدّثّر على بغل عماريّة وقد أسبل عليهما الغشاء ومعهما جماعة من الفرسان والرجّالة. فصُعد بهما إلى الدكّة وأُقعدا، ثمّ قدّم بين يديه جماعة

---

١. فى الطبرى (١٣: ٢٢٤٥): الرفوغ (بالغين المعجمة).


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وأخلى مصر. فدخلها الخليجي فندب السلطان لمحاربة الخليجي. فاتكاً مولى المعتضد وضمّ إليه بدراً الحمّامي وجعله مشيراً[١] عليه فيما يعمل به وضمّ إليه قوّاداً وجنداً كثيراً وأمر بسرعة السير.

ودخلت سنة ثلاث وتسعين ومائتين

وفيها ورد الخبر بأنّ الخليجي المتغلّب على مصر واقع كَيَغْلَغ وجماعة من القوّاد بالقرب [44] من العريش فهزمهم أقبح هزيمة.

وفيها ورد بغداد قائد من أصحاب طاهر بن محمّد بن عمرو بن الليث الصفّار مستأمناً يُعرف بأبي القابوس مفارقاً عسكر السجزيّة مع جماعة كثيرة من أصحابه.

ذكر السبب في ذلك

كان السبب في ذلك أنّ طاهر بن محمّد بن عمرو بن الليث تشاغل باللهو والصيد ومضى إلى سجستان للصيد والنزهة فاستولى على فارس الليث بن عليّ بن الليث وسُبكرى مولى عمرو بن الليث، فدبّر الأمور والإسم لطاهر، فوقع بينهما وبين أبي قابوس خلاف، فصار إلى باب السلطان فقبله وخلع عليه وعلى جماعة معه وأكرمه. وكتب طاهر إلى السلطان يسأله ردّ أبي قابوس إليه ويذكر أنّه كان استكفاه بعض أعمال فارس، وأنّه جبى المال فخرج به معه ويسأله، إن لم يُردّ إليه، أن يحتسب له بما ذهب به من مال فارس ممّا صودر عليه. فلم يجبه السلطان إلى شيء من ذلك.

---

١. في الأصل: مسيراً (بالسين المهملة). والتصحيح من مط.

ظهور أخ للحسين بن زُكرويه صاحب الشامة

وفيها ظهر أخ للحسين بن زُكرويه صاحب الشامة فى طريق الفرات، واجتمع إليه نفر من الأعراب فسار إلى ناحية دمشق [45] على طريق البرّ، فعاث وسلك سبيل أخيه فندب للخروج إليه الحسين بن حمدان، فخرج فى جماعة من الجند. ثمّ ورد الخبر بمصير هذا القرمطى إلى طبريّة وأنّ أهلها امتنعوا عليه فحاربهم فقتل عامّة من بها من الرجال والنساء ونهبها.

وكان لهم داعية بنواحى اليمن فصار إلى مدينة صنعاء فحاربه أهلها فظفر بهم وقتلهم ولم يفلت منهم إلّا القليل وتغلّب على سائر مدن اليمن.

ثمّ إنّ زُكرويه بن مَهرُويه[1] بعد ما قُتل ابنه صاحب الشامة أنفذ صاحباً له معلّماً كان يعلّم الصبيان يسمّى: عبد الله بن سعيد ويُكنّى: أبا غانم فتسمّى: نصراً ليُعمّى أمره. فاستغوى طائفة من بطون كلب وقوم من بنى العُليص، فقصد دمشق وأحمد بن كَيْغَلَغ يحارب ابن الخليجى الذى ذكرنا أمره.

فاغتنم ذلك عبد الله وسار إلى مدينتى بُصرى وأذرعات من كور حوران والبَثَنيّة،[2] فحارب أهلها ثمّ آمنهم. فلمّا استسلموا له قتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم وأخذ أموالهم. فقصدوا طبريّة فواقعهم عامل أحمد بن كيغلغ فكسروه، ثمّ بذلوا الأمان، فلمّا سكن إليهم [46] غدروا به وقتلوه وانتهبوا مدينة الأردن وسبوا النساء والصبيان وقتلوا الرجال.

واتصل بهم مسير الحسين بن حمدان نحوهم فخرجوا نحو السماوة وتبعهم الحسين فى برّيّة السماوة وهم ينتقلون من ماء إلى ماء ويُعوِرونه حتّى انقطع الحسين عن اتباعه لعدم الماء فعاد إلى الرحبة وأسرى القرامطة إلى هيت،

---

١. انظر الطبرى (١٣:٢٢٥٦).

٢. فى مط: والسنة.

فنُهبت ربضها وقُتلت وأُحرقت وانتُهبت السفن التى فى الفرات، فأوقرت ثلاثة ألف راحلة كانت معها زهاء مائتى كُرّ حنطة ومن البَزّ والعطر والسَّقَط جميع ما احتاجوا إليه وأقاموا بها يومين. ثمّ رحلوا عنها ولمّا أصابوا ما أصابوا من الربض وتحصّن منهم أهل المدينة بسورها وندب لهم محمّد بن إسحاق بن كُنداجيق ثمّ اتبع بمونس الخازن فهرب القرامطة وكُتب إلى الحسين بن حمدان أن يقصدهم من ناحية الرحبة ليجتمع هو وابن كنداجيق على الإيقاع بهم.

فلمّا أحسّ الكلبيّون بالجند قد قصدوهم ائتمروا بينهم، فوثبوا على المسمّى: نصراً وقتلوه وتقرّبوا به إلى السلطان ورئيسهم رجل يُعرف بالذئب فأُسنيت له الجائزة وكفّ [47] عن طلب قومه فمكث أيّاماً ثمّ هرب.

فكتب السلطان إلى الحسين بن حمدان فى معاودتهم واجتثاث أصولهم. فبعث إليهم زُكرويه داعية له يُعلمهم أنّ الذئب قد نفّره عنهم وثقّل قلبه عليهم وأنّهم قد ارتدّوا عن الدين. وأنّ وقت ظهورهم قد حضر وقد بايع له بالكوفة أربعون ألفاً. وأنّ يوم موعدهم اليوم الذي ذكره الله تعالى وهو يوم الزينة[1] وأنّ زكرويه يأمرهم أن يخفوا أمرهم ويُظهروا الإنقلاع نحو الشام، ثمّ يسيروا إلى الكوفة حتّى يصبّحوها يوم النحر، فإنّهم لا يمنعون منها وأنّه يظهر لهم وينجز وعده الذى كانت رسله تأتيهم به وأن يحملوا داعيتهم وهو القاسم بن أحمد معهم. فامتثلوا أمره ووافوا باب الكوفة وقد انصرف الناس عن مصلّاهم.

وكان إسحاق بن عمران عامل السلطان بها فأوقعوا بمن لحقوه وسلبوهم وبادر الناس إلى الكوفة وتنادوا بالسلاح ونهض إسحاق بن عمران فى

---

١. س ٢٠ طه: ٥٩.

أصحابه، فدخل مدينة الكوفة من القرامطة نحو مائة فارس من الباب المعروف بباب كندة، فاجتمعت العوامّ وأصحاب السلطان [48] فرموهم بالحجارة وألقوا عليهم السُتُر فقُتل منهم جماعة وأخرجوهم عن المدينة ثمّ صافّهم إسحاق خارج المدينة وأمر أهل المدينة بالتحارس فلم تزل الحرب قائمة إلى العصر وانهزمت القرامطة وأصلح أهل الكوفة السور والخندق.

وكتب إسحاق يستمدّ السلطان فأمدّه بجماعة من القوّاد فيهم وصيف بن صوراتكين والفضل بن موسى بن بغا وجنى الصفوانى وجماعة أمثالهم، فشخصوا إلى زكرويه وخلّفوا إسحاق بن عمران بالكوفة لضبطها وصاروا إلى قريب من القادسيّة إلى موضع يُعرف بالصوان[١] وهو فى العرض، فلقيهم زكرويه هناك فصافّوه واشتدّت الحرب فكانت الدبرة فى أوّل الأمر على القرمطى. وكان زكرويه قد كمن لهم كميناً فخرج الكمين عليهم فانهزم أصحاب السلطان أقبح هزيمة ووضع القرمطى فيهم السيف فقتلوهم كيف شاءوا وصبر جماعة من غلمان الحُجر، فقُتلوا عن آخرهم بعد أن نكوا فى القرامطة نكاية عظيمة.

وأُخذ للسلطان من الجمّازات التى عليها السلاح والآلة ثلاثمائة جمّازة ومن البغال خمسمائة بغل، فقُتل من أصحاب السلطان نحو ألفىّ رجل. فقوى القرمطى ثمّ تطرّق البيادر فأخذ من الغلاّت ما حملت البغال.

ووافى قوم [49] من العرب باب الكوفة فدخلوا أبياتها وكانوا ضربوا على الداعية الذى يُقال له: القاسم بن أحمد قبّة ودعوا:

ـ «يا لثارات الحسين.»

يعنون الحسين بن زُكرويه المصلوب وشعارهم:

---

١. فى الطبرى (١٣: ٢٢٦٦): بالصوار.

ـ «يا أحمد يا محمّد.»

يعنون ابنى زكرويه المقتولين. وأظهروا أعلاماً بيضاً وقدّروا أنّهم يستغوون الرعاع بالكوفة لما أظهروه. فأسرع إسحاق بن عمران ومن معه نحوهم فدفعهم وقتل من ثبت له منهم وعاونه أهل البلد فانصرف عنهم القرامطة وما تمّت حيلتهم.

وكان زكرويه قد ظهر فى أهل قرية الصوان ينقلونه على أيديهم ويسمّونه: ولىّ الله. فلمّا رأوه سجدوا له فقال لهم:

ـ «إنّ القاسم بن أحمد أعظم الناس منّة عليهم، فإنّه ردّكم إلى الدين بعد خروجكم منه.»

وتقدّم إليهم بأن يمتثلوا أمره، فإنّه حينئذٍ ينجز مواعيده[١] ويبلّغهم آمالهم. وتلا عليهم آيات من القرآن رمزها لهم، فاغترّوا به وقويت قلوبهم وأيقنوا بالنصر وبلوغ الأمل. وسار بهم وهو محجوب عنهم يدعونه: السيّد، ولا يبرزونه لمن فى عسكره والقاسم يتولّى الأمور دونه ويمضيها على رأيه. وكان عنده أنّ أهل الكوفة وسوادها يخرجون إليه. فأعلم أصحابه ذلك وأقام نيّفاً وعشرين سنة يبثّ رسله فى السواد فلم يلحق به [50] إلّا خمسمائة رجل ممّن لحقته الشهوة بنساءهم وأولادهم.[٢]

وسرّب إليه السلطان الجنود وتسرّع إليه جماعة من القوّاد منهم جنى الصفوانىّ وبشر الأفشينى ورائق فتى أمير المؤمنين والحُجَريّة من الغلمان، فأوقعوا بالقرامطة وقتلوا جماعة من فرسانهم ورجّالتهم فأسلموا بيوتهم فانهزموا، ودخلوا البيوت وتشاغلوا بها. فعطفت القرامطة عليهم فهزموهم.

وأعظم الناس ما جرى على أصحاب السلطان بالصوان وغيرها، وأهمّ

١. فى مط: ينحرموا عنده. بدل: ينجز مواعيده.
٢. انظر الطبرى (١٣:٢٢٦٥).

السلطان أمر مصر بسبب ابن الخليجي. فأمر المكتفى بإخراج مضاربه إلى باب الشمّاسيّة ثمّ وردت خريطة من قبل فاتك يذكر أنّهم رجعوا إلى ابن الخليجي ،فكانت بينهم وقعات وحروب. وفى آخرها هُزم ابن الخليجى وقُتل أصحابه وإنّه هرب إلى مصر ودخل الفسطاط فاستتر بها عند رجل من أهل البلد، ودخل أصحاب السلطان الفسطاط فاستثاروه[١] وجمع من كان بالبلد.

فكتب إلى فاتك بحمل ابن الخليجى ومن أُسر معه إلى بغداد. ورُدّت مضارب المكتفي بالله إلى بغداد فحُمل ابن الخليجى إلى بغداد مع أحد وعشرين رجلاً على الجمال مُشهرين ببرانس ودراريع حرير. وخلع المكتفى على وزيره العبّاس بن الحسن خلعاً [51] لحسن تدبيره في هذا الفتح.[٢]

ثمّ حُمل رأس القرمطى المسمّى نصراً الذى انتهب هيت منصوباً على قناة فطيف به فى الجانبين.

ودخلت سنة أربع وتسعين ومائتين

زُكرويه وقصده قافلة الحجيج

وفيها ورد الخبر بأنّ زُكرويه بن مَهرويه القرمطى ارتحل من موضعه يريد الحاجّ. فذُكر أنّه مضى فى البرّ من جهة المشرق قريباً من الواقِصة ووافت القافلة واقِصة لسبع خلون من المحرّم. فأنذرهم أهل المنزل وأخبروهم أنّ بينهم وبين القوم أربعة أميال فلم يقيموا وارتحلوا فنجوا. فأمعنت القافلة فى السير وصار القرمطى إلى واقِصة فسألهم عن القافلة، فأخبروه أنّها لم تقم بواقِصة. فاتّهمهم بإنذارهم فقتل من العلاّفين بها جماعة وأحرق العلف وتحصّن أهلها فى حصنهم. ثمّ ارتحل نحو زُبالة وسارت العساكر فى طلب

---

١. فى مط: فاستثاروه.

٢. انظر الطبرى (١٣:٢٢٦٨).

زُكرويه مدّة ثمّ انصرفت عنه.

ومرّ زكرويه فى طريقه بطوائف من بنى أسد فأخذها معه وقصد الحاجّ المنصرفين عن مكّة وقصد الجادّة. ثمّ اعترضهم يوم الأحد لإحدى عشرة خلت من المحرّم من هذه السنة بالعقبة [52] من طريق مكّة فحاربوه حرباً شديدة فسايلهم وقال:

- «أفيكم السلطان؟»

قالوا: «نعم معنا سلطان ونحن الحاجّ.»

فقال لهم:

- «فامضوا فلست أريدكم.»

فلمّا سارت القافلة تبعها فأوقع بهم وجعل أصحابه ينخسون الجمال بالرماح ويبعجونها بالسيوف. فنفرت واختلطت القافلة وأكبّ أصحاب زكرويه على الحاجّ يقتلونهم كيف شاءوا فقتلوا الرجال والنساء وسبوا من النساء من أرادوا واحتووا على ما فى القافلة. وقد كان لقى بعض من أفلت من هذه القافلة علاّن بن كُشْمَرْد وكان فى قطعة من فرسان جيش السلطان أُعدّ لقصد القرامطة. فسأله عن الخبر فأعلمه ما نزل بقافلة الخراسانية وقال:

- «ما بينك وبين القوم إلّا قليل، والليلة أو فى غد توافى القافلة الثانية، فإن رأوا علماً للسلطان قويت نفوسهم والله الله فيهم.»

فرجع علاّن من ساعته وأمر من معه بالرجوع وقال:

- «لا أُعرّض أصحاب السلطان للقتل.»

ثمّ أصعد زكرويه ووافته القافلة الثانية والثالثة ومن كان فيها من القوّاد والكتّاب مع جماعة من الرسل تنكّبوا طريق الجادّة وكتبوا بخبر الفاسق وفعله بالحاجّ ويُعلمهم بالتحرّز منه والعدول عن الجادّة نحو واسط [53]

والبصرة أو الرجوع إلى فَيْد[١] أو المدينة[٢] إلى أن تلحق بهم الجيوش.

ووصلت الكتب إليهم فلم يسمعوا ولم يتلبّثوا، وتقدّم أهل القافلة الثانية وفيها المبارك القُمّى وأحمد بن نصر العُقيلى فوافوا الفجرة وقد رحلوا عن الواقصة وعوّروا مياهها وملأوا بركها وآبارها بجيف الإبل والدوابّ التى كانت معهم مشقّقة بطونها، ووردوا منزل العقبة لاثنتى عشرة خلت من المحرّم فحاربهم أهل القافلة الثانية.

وكان أبو العشائر مع أصحابه فى أوّل القافلة ومبارك القُمى فيمن معه فى ساقتها. فجرت بينهم حرب شديدة حتّى كشفوهم وأشرفوا على الظفر بهم، فوجد الفجرة من ساقتهم غرّة فركبوهم من جهتها ووضعوا رماحهم فى جنوب إبلهم وبطونها فطحنتهم الإبل فتمكّنوا منهم فوضعوا السيف فيهم فقتلوهم عن آخرهم إلّا من استعبدوه.

ثمّ أنفذوا إلى ما دون العقبة فوارس لحقوا من كان أفلت من السيف، فأعطوهم الأمان، فرجعوا فقتلوهم عن آخرهم وسبوا من اختاروا من النساء وحملوا الأموال والأمتعة، وقتلوا مباركاً القُمّى والمظفّر ابنه وأُسر أبو العشائر وجُمع القتلى فوضع بعضهم على بعض [54] حتّى صاروا كالتلّ العظيم ثمّ قُطعت يدا أبى العشائر ورجلاه وضُربت عنقه. وأطلقوا من النساء ما لم يرغبوا فيه وأفلت من الجرحى قوم، ووقعوا بين القتلى، فتحاملوا فى الليل ومضوا. فمنهم من مات فى الطريق ومنهم من نجا وهم قليل. وكانت نساء القرامطة مع صبيانهم يطفن فى القتلى يعرضون عليهم الماء، فمنهم من كلّمهم فأجهزوا عليه.

وكان فى القافلة زهاء عشرين ألف رجل قُتل جميعهم غير نفر يسير ممّن

١. فى مط: قيد. والضبط من الطبرى (٣: ٢٢٧١).
٢. الكلمة مطموسة فى الأصل.

قوى على العدوّ بغير زاد ومن وقع فى القتلى وهو مجروح فأفلت يعدو أو من استعبدوه لخدمتهم.

وكانت كتب الضرّابين بمصر إلى الضرّابين بالعراق فى هذه السنة ترد أنّهم يستغنون وذاك أنّ آل طولون والقوّاد المصريّين الذين شخصوا إلى مدينة السلام ومن كان فى مثل حالهم، قد وجّهوا فى حمل مالهم من مصر إلى مدينة السلام وقد سبكوا أوانى الفضّة والذهب والحلى نقاراً[١] وحُمل إلى مكّة ليوافوا مدينة السلام مع الحاجّ فحُمل فى القوافل الشاخصة إلى بغداد فذهب ذلك كلّه.

ولمّا فرغ القرمطى من الحاجّ وأخذ الأموال واستباح الحُرم، رحل من وقته من العقبة بعد أن ملأ البرك والآبار بالجيف من الناس والدوابّ. [55]

ورود خبر القافلة على السلطان

وورد الخبر بذلك على السلطان فاستعظم الناس جميعاً ذلك.

وندب السلطان أيّوب بن محمّد بن داود صاحب الخراج والضياع بالمشرق وديوان الجيش للخروج إلى الكوفة والمقام بها لإنفاذ الجيوش إلى القرمطى. فخرج وحمل أموالاً كثيرة لإعطاء الجند.

ثمّ سار زكرويه إلى زُبالة[٢] فنزلها وبثّ الطلائع أمامه ووراءه خوفاً من أصحاب السلطان المقيمين بالقادسيّة أن يلحقوه ومتوقّعاً ورود القافلة الثالثة التى فيها الأموال والتجار.

ثمّ ساروا إلى الثعلبيّة ثمّ إلى الشقوق وأقام هناك ينتظر القافلة وفيها جماعة من القوّاد: نفيس وصالح ومعه الشمسة. وكان المعتضد جعل فى

---

١. انظر الطبرى (١٣: ٢٢٧٣).

٢. فى مط: زيالة.

الشمسة جوهراً نفيساً. وكان فى القافلة جماعة من وجوه الكتّاب وغيرهم. فلمّا صار أهل هذه القافلة إلى فَيْد بلغهم خبر زُكرويه وأصحابه، فأقاموا بفَيْد أيّاماً ينتظرون تقوية لهم من قبل السلطان.

وصار زُكرويه إلى فَيْد وبها عامل السلطان، فلجأ منه إلى أحد حصنيها مع مائة رجل وشحن الحصن الآخر بالرجال. فجعل زكرويه يراسل أهل فَيْد فى أن يسلّموا عاملهم ومن فيهم من الجند وأنّهم إن فعلوا ذلك آمنهم [56] فلم يجيبوه إلى ما سأل، فحاربهم فلم يظفر منهم بشيء. فتنحّى إلى النِّباج ثمّ إلى حفر أبى موسى.

ثمّ أنهض المكتفى وصيف بن صوراتكين ومعه من القوّاد جماعة إليه، فلقيه يوم السبت لثمان بقين من شهر ربيع الأوّل. فاقتتلوا يومهم ثمّ حجز بينهم الليل، فباتوا ليلتهم يتحارسون. ثمّ عاودهم القتال فظفر بهم جيش السلطان فقتل منهم مقتلة عظيمة وخلصوا إلى زكرويه فضربه بعض الجند بالسيف، وهو مولّ على قفاه، ضربة اتصلت بدماغه. فأُخذ أسيراً وخليفته وجماعة من أقربائه وخاصّته فيهم ابنه وكاتبه وزوجته. وعاش زكرويه خمسة أيّام ثمّ مات، فشُقّ[١] ثم حُمل بهيئته. وانصرف وصيف بمن كان حيّاً فى يده من الأسرى ثم التقطت القرامطة واستأمن قوم منهم.[٢]

ودخلت سنة خمس وتسعين ومائتين

وفيها خرج عبد الله بن إبراهيم المسمعى عن إصبهان فى نحو عشرة آلاف من الأكراد وغيرهم مُظهراً الخلاف على السلطان.

وفيها توفّى أبو إبراهيم إسماعيل بن أحمد عامل خراسان وما وراء النهر

---

١. فى الطبرى (١٣:٢٢٧٥): فشقّ بطنه.

٢. انظر الطبرى (١٣: ٢٢٧٥).

وقام أحمد بن إسماعيل ابنه مقامه. [57]

وفيها عقد المكتفى بيده لواءً لأحمد بن إسماعيل وحمله إليه.

وفيها روسل المسمعى وخُوّف عاقبة الخلاف وأرعب فصار إلى باب السلطان. فرضى عنه المكتفى ووصله وخلع عليه.

وفاة المكتفى

وفيها توفّى المكتفى، فكانت خلافته ستّ سنين وستّة أشهر وتسعة عشر يوماً وله إثنتان وثلاثون سنة، ويُكنّى: أبا محمّد، وكان ربعة جميلاً رقيق اللون حسن الشعرة وافر اللحية. وامتدّت[1] علّته شهوراً ودُفن فى دار ابن طاهر.



١. وامتدت..: زيادة فى تجارب الأمم، ليست فى الطبرى (١٣: ٢٢٨٠).

خلافة المقتدر بالله

وبويع[1] جعفر بن المعتضد بالله
وهو ابن ثلاث عشرة سنة وكنيته أبو الفضل

ذكر ما جرى فى ذلك

لمّا ثقل المكتفى فى علّته فكّر العبّاس بن الحسن وهو الوزير فى من يقلّده الخلافة وترجّح رأيه، وكان يركب من داره إلى دار السلطان ويسايره واحد من الأربعة الذين يتولّون الدواوين، وهم: أبو عبد الله محمّد بن داود بن الجرّاح، وأبو الحسن محمّد بن عبدون، وأبو الحسن بن الفرات، وأبو الحسن علىّ بن عيسى.

فركب معه محمّد بن داود فشاوره العبّاس، فأشار بأبى العبّاس عبد الله بن المعتزّ بالله[2] فقرّظه[3] ووصفه.

ثمّ ركب معه فى اليوم الثانى أبو الحسن علىّ بن محمّد بن الفرات

---

١. ابتداء نشرة ايمدروز (Amedroz) من تجارب الأمم، مع العلم بأنّ المقتدر آخر خليفة جاء ذكره فى تاريخ الطبرى (١٣: ٢٢٨٠).

٢. فى مد: المعتزّ، دون «الله».

٣. وفى مط: فرضيه، بدل «فقرّضه».

فشاوره.

فقال له:

- «هذا شيء ما جرت به عادتي.» [58]

واستعفاه وقال:

- «إنّما أشاور في العمّال.»

فأظهر العبّاس غضباً وقال:

- «هذه محاجزة وليس يخفى عليك[1].»

وألحّ عليه فقال له:

- «إن كان رأى الوزير قد تقرّر على إنسان بعينه فليستخر الله ويُمضى عزمه.»

قال ابن الفرات: فعلم أنّي قد عنيت ابن المعتزّ لاشتهار الخبر به فقال لي:

- «ليس أريد منك إلّا أن تمحضني النصيحة.»

فقلت له:

- «إذا أراد الوزير ذلك فإنّي أقول: اتق الله ولا تنصب في هذا الأمر من قد عرف دار هذا ونعمة هذا وبستان هذا وجارية هذا وضيعة هذا وفرس هذا، ومَن لقي الناس ولقوه وعرف[2] الأمور وتحنّك وحسب حساب نعم الناس.»

قال: فاستعاد ذلك منّي الوزير دفعات، ثمّ قال:

- «في من تشير؟»

فقلت: «بجعفر بن المعتضد.»

فقال: «ويحك جعفر صبيّ.»

---

١. وزاد في مد: الصحيح.

٢. في مط: تعرّف.

قلت: «إلّا أنّه ابن المعتضد ولم تجيء برجل يأمر وينهي ويعرف ما لنا، وبمن يباشر التدبير بنفسه ويرى أنّه مستقلّ ولم لا تسلّم هذا الأمر إلى من يدعك[1] تدبّره أنت.»

ثمّ شاور أبا الحسن عليّ بن عيسى في اليوم الثالث واجتهد به أن يسمّي له أحداً، فامتنع وقال:

ـ «أنا لا أشير بأحد، ولكن ينبغي أن يتّقي الله وينظر للدين.»

فمالت نفس العبّاس بن الحسن إلى رأى أبي الحسن ابن الفرات [59] ووافق ذلك ما كان المكتفي عهد به من تقليد أخيه جعفر الخلافة.

فلمّا مات المكتفي آخر نهار يوم السبت الثاني عشر من ذي القعدة، نصب الوزير العبّاس جعفراً[2] في الخلافة على كراهية منه لصغر سنه. ومضى صافي الحُرمي فحدره من دار ابن طاهر. فلمّا اجتازت الحراقة التي حدر فيها وانتهت إلى [دار][3] العبّاس بن الحسن صاح غلمان العبّاس بالملاّح أن: ادخل.[4]

فوقع لصافي الحُرمي أنّ العبّاس إنّما يريد أن يدخله إلى داره لتغيّر[5] رأيه فيه وأشفق أن يعدل عنه إلى غيره، فمنع الملاّح من الدخول وجرّد سيفه وقال للملاّح:

ـ «إن دخلت رميت برأسك.»

فانحدر وجهاً واحداً إلى دار السلطان.

---

١. في مط: توغل.

٢. في مط: العباس بن جعفر.

٣. زيادة من مد.

٤. سقط من مط، من «ادخل» إلى «وقال الملاّح».

٥. في مد: لتغير.

وثمّ أمر جعفر ولقبّ: المقتدر بالله. وأطلق السلطان يد العبّاس فأخرج المال للبيعة.

وحكى القاضي أبو الحسن محمّد بن صالح الهاشمي: أنّ القاضي أبا عمر محمّد بن يوسف حدّثه أنّ العبّاس بعد إتمامه أمر المقتدر إستصباه، وكثر كلام الناس. فعمل على أن يحلّ أمره ويقلّد أبا عبد الله محمّد بن المعتمد على الله. وكان أبو عبد الله بن المعتمد حسن الفعل جميل المذاهب، فوسّط الوزير أمره بينه وبينه[١] القاضي أبا عمر وسامه اليمين، فقال [60] ابن المعتمد:

- «إن لم تصحّ نيّته لم تغن فيه اليمين وإن صحّت استغنى عنها وله الله[٢] راع وكفيل، على أني لا أغدر به ولا أنكبه.»

وكان العبّاس ينتظر بأمره قدوم بارس الحاجب غلام إسماعيل بن أحمد صاحب خراسان، فإنّه كان ورد كتابه وقدّر أنّه يستظهر به وبمن معه على غلمان المعتضد. فتمادت الأيّام بقدوم بارس ووقع بين ابن عُمرويه صاحب الشرطة ببغداد وبين أبي عبد الله محمّد بن المعتمد منازعة فاجتمعا يوماً[٣] في مجلس الوزير العبّاس بن الحسن وجرى بينهما خطاب فأربى عليه ابن عُمرويه في الكلام، ولم يكن علم بما رُشّح له، ولم يمكن أبا عبد الله أن ينتصف منه لمحله، فاغتاظ غيظاً شديداً كظمه فغُشي عليه وفُلج في المجلس. فاستدعى العبّاس عمارية[٤] وأمر بحمله فيها إلى داره، فحُمل ولم يلبث أن مات. فعمل العبّاس على تقليد أبي الحسين من ولد المتوكّل على

---

١. في مط: بين. وما في الأصل هو الصحيح.

٢. في مط: وله. دون «الله».

٣. في مد: يومئذ. بدل «يوماً».

٤. في مط: حماريه.

الله مكانه. فمات أيضاً وتمّ أمر المقتدر.

ودخلت سنة ستّ وتسعين ومائتين
وفيها كانت فتنة عبد الله بن المعتزّ
ذكر الخبر عن ذلك

كان التدبير وقع(١) بين محمّد بن داود بن الجرّاح مع الحسين بن حمدان على إزالة أمر المقتدر [61] بالله ونصب عبد الله بن المعتزّ مكانه،(٢) وواطأ على ذلك جماعة من القوّاد والكتّاب والقضاة.(٣) فركب يوماً العبّاس بن الحسين يريد بستانه المعروف ببستان الورد، فاعترضه الحسين بن حمدان وعلاه بالسيف وقتله. وكان إلى جانبه فاتك المعتضدى يسايره فصاح بالحسين منكراً عليه، فعطف عليه الحسين وقتله.

واضطرب الناس، وركض الحسين بن حمدان قاصداً إلى الحلبة مقدّراً أنّ المقتدر هناك يضرب بالصوالجة فيقتله فلمّا سمع المقتدر الضجّة بادر بالدخول إلى داره وغُلّقت الأبواب دون الحسين، فانصرف إلى الدار المعروفة بسليمان بن وهب بالمخرّم، وبعث إلى عبد الله ابن المعتزّ يُعرّفه تمام التدبير فنزل عبد الله من داره التى على الصراة وعبر إلى المخرّم، وحضر القوّاد والجند وأصحاب الدواوين وفيهم علىّ بن عيسى ومحمّد بن عبدون، وحضر القضاة ووجوه الناس سوى أبى الحسن ابن الفرات وخواص المقتدر فبايع من حضر عبد الله بن المعتزّ وخوطب بالخلافة وانعقد له الأمر ولُقّب: المرتضى بالله.

---

١. فى مد: يقع. خلافاً للأصل.
٢. سقط من مط: مكانه.
٣. سقط من مط: القضاة.

واستوزر أبا عبد الله محمّد بن داود بن الجرّاح وقلّد علىّ بن عيسى الدواوين والأصول ومحمّد بن عبدون دواوين [62][١] الأزمّة، ونفذت الكتب إلى الأمصار كلّها عن عبد الله بن المعتزّ، ووجّه إلى المقتدر بالله يأمره بالإنصراف إلى دار ابن طاهر مع والدته لينتقل هو إلى دار الخلافة. فأُجيب بالسمع والطاعة.

وعاد الحسين بن حمدان من غدٍ إلى دار الخلافة فقاتله من فيها من الخدم والغلمان والحشم ومن كان هناك من الرجّالة من وراء السور، ودفعوه عن الدار. فانصرف فى آخر النهار وحمل ما قدر عليه من ماله وحُرمه وولده، وسار بالليل إلى الموصل، ولم يكن بقى مع المقتدر من رؤساء القوّاد غير مونس الخادم ومونس الخازن وغريب الخال[٢] والحاشية.

فلمّا راسل ابن المعتزّ المقتدر بالإنصراف إلى دار ابن طاهر، قالت هذه الجماعة بعضها لبعض:

ـ «يا قوم، نسلّم الأمر هكذا، لم لا نجرّد أنفسنا فى دفع ما قد أظلّنا؟ فلعلّ الله أن يكشفه عنّا.»

فأجمع رأيهم على أن يصعدوا فى شذاآت ومعهم جماعة. ففعلوا ذلك وألبسوا الجماعة الجواشن والخوذ والسلاح وصاروا إلى دار المخرّم. فلمّا قربوا منها ورآهم من كان فيها على شاطئ دجلة قالوا:

ـ «شذاآت مصعدة من دار السلطان.»

ووقع الرعب فى قلوبهم[٣] فتطايروا [63] على وجوههم قبل أن تجرى بينهم حرب وقبل وصول الشذاآت إلى الدار. وخرج عبد الله بن المعتزّ ومعه

---

١. تأخّر الترقيم فى مد بقدر خمس كلمات، أى جاء بعد كلمة «الأصول».
٢. فى مط، وص: غريب الجمال. هو غريب الخال، أى خال المقتدر. انظر، صلة عُريب ص ٤٢.
٣. فى مط: فى صدورهم.

وزيره محمّد بن داود وحاجبه يُمْن وقد شهر يُمْن سيفه وهو ينادى:

ـ «معشر العامّة ادعوا الله لخليفتكم.»

وأخذوا طريق الصحراء تقديراً منهم أن يتبعهم الجيش ويصيروا إلى سرّ من رأى فيثبت أمرهم فلم يتبعهم أحد. فلمّا رأى محمّد بن داود نـزل عن دابّته لمّا حاذى داره ودخلها واستتر ونزل عبد الله بن المعتزّ فى موضع آخر ومشى إلى دجلة وانحدر إلى دار أبى عبد الله بن الجصّاص ودخلها واستجار به. ففرّ الناس على وجوههم ووقعت الفتنة والنهب والغارة والقتل ببغداد.

وكان محمّد بن عمرويه صاحب الشرطة فركب وقاتله العامّة لأنّه كان من أكبر أعوان عبد الله بن المعتزّ فهزموه، وقلّد المقتدر مكانه من يومه مونساً الخازن.

وكان خرج فى الوقت الذى خرج فيه ابن المعتزّ من داره أبو الحسن علىّ بن عيسى ومحمّد بن عبدون مع من خرج من دار عبد الله بن المعتزّ، واستتروا فى منزل رجل يبيع البقل، ونذر بهما العامّة، فكبسوهما وأخرجوهما وسلّموهما إلى بعض خدم المقتدر [64] المجتازين فى الطرق، فأركبهما جميعاً على بغل أُكاف[1] كان معه، ولحقهما فى الطريق من العامّة أذى شديد حتّى حصلا فى الدار ووُكّل بهما.

وقُبض فى ذلك اليوم على وصيف بن صوراتكين وخرطامش ويُمن وفاتك وجماعة ممّن كان حاضراً دار ابن المعتزّ وفيهم القاضى أبو عمر محمّد بن يوسف والقاضى أبو المثنّى أحمد بن يعقوب والقاضى محمّد بن خلف بن وكيع واعتقل الكلّ فى دار الخلافة وسُلّموا إلى مونس الخازن. ثمّ أمر بقتلهم أجمعين. فقتلهم تلك الليلة سوى علىّ بن عيسى ومحمّد بن

---

١. الأُكاف: البرذعة (= البردعة): وهى كساء يُلقى على ظهر الدابّة.

عبدون والقاضي أبو عمر والقاضي محمّد بن خلف فإنّ هؤلاء سلموا.

وزارة أبي الحسن عليّ بن محمد بن الفرات

وأنفذ المقتدر مونساً الخازن إلى دار أبي الحسن عليّ بن محمّد بن الفرات التي كان ينزلها بسوق العطش بعد أن أعطاه خاتمه وأعلمه أنّه يريد أن يستوزره. وكان ابن الفرات مستتراً بالقرب من داره. فلم يظهر له فأعيد إليه مرّة أخرى، فرفق بالجيران وأعلمهم أنّه يُستوزر فظهر له وقت العصر من ذلك اليوم وصار به إلى دار السلطان ووصل إلى المقتدر وقلّده وزارته ودواوينه وعاد إلى داره بسوق العطش. وبكّر يوم الإثنين وهو غد ذلك اليوم، فخُلع عليه خلع الوزارة وسار بين يديه [65] القوّاد بأسرهم، وخلع في ذلك اليوم على مونس الخازن بسبب تقلّده الشرطة. وأطلق ابن الفرات للجند مالاً لصلة ثانية وجدّد البيعة للمقتدر.

ذكر الخبر عن الظفر بعبد الله بن المعتزّ

صار خادم لأبي عبد الله بن الجصّاص يُعرف بسوسن إلى صافي الحُرَمي يسعى بأنّ عبد الله بن المعتزّ مستتر في دار مولاه فأنفذ المقتدر بالله صافياً الحُرمي في جماعة حتّى كبس منزل ابن الجصّاص واستخرج منه عبد الله بن المعتزّ، فحمله وحمل معه أبا عبد الله بن الجصّاص[١] إلى دار السلطان. ثمّ صودر ابن الجصّاص على مال بذله وأطلقه إلى منزله بعد أن تكفّل به الوزير أبو الحسن ابن الفرات.

وسُلّم عليّ بن عيسى ومحمّد بن عبدون إلى أبي الحسن ابن الفرات

---

١. في مط: الحصاص (بالحاء المهملة).

وناظرهما بمراسلة وصادرهما، وخفّف عن عليّ بن عيسى ونقلها على محمّد بن عبدون لعداوة كانت بينهما وقال للمقتدر:

ـ «لم يكن لهذين فى أمر ابن المعتزّ صنع وتكفّل بهما وبالقاضى محمّد بن خلف بن وكيع وخلّصهم.»

ثمّ نفى محمّد بن عبدون إلى الأهواز وأمر بتسليمه إلى محمّد بن جعفر العبرتاى ونفى عليّ بن عيسى إلى واسط بعد أن افتداه من ماله بخمسة آلاف دينار دفعها [66] إلى سوسن الحاجب واستكفّه بها عنه فإنّه كان يغرى بـه ويقول: كان مطابقاً لعمّه.

موت عبدالله بن المعتزّ وثبات أمر المقتدر

وظهر موت عبد الله بن المعتزّ فى دار السلطان ودُفع إلى أهله ملفوفاً فى زلىّ برذون[١] وتمّ ما كان فى سابق علم الله عزّ وجلّ وحكم به من ثبات أمر المقتدر وبطل اجتهاد المخلوقين وحيلهم فى إزالته.

قتل محمد بن داود

فأمّا محمّد بن داود فحكى أبو عليّ محمّد بن عليّ بن مقلة قـال: كـنّا بحضرة الوزير أبى الحسن فى يوم هو فيه مُتخلٍّ،[٢] ودخل إليه بعض غلمانه فسارّه فظهر منه غمّ شديد وإذا هو قد أُبلغ قتل محمّد بن داود وقال:

ـ «كان مع عداوته لى رجلاً عاقلاً كثير المحاسن يجمع إلى صناعته كتابة الخراج والجيش والبلاغة والفقه والأدب والشعر، وكان كـريماً سـخيّاً وقـد جرى عليه من القتل أمر عظيم.»

---

١. فى مط: برمون.

٢. فى مط: متبجل.

ثمّ لعن عليّ بن الحسين القُنّاى النصرانى وقال:

- «هو غرّ هذا الرجل، فإنّ ما كان بينه و بينه من المودّة مشهور، فخلّص نفسه وقتل صديقه.»

ذكر ما عمله القُنّاى فى أمر محمّد بن داود

كان سوسن عدوّاً لمحمّد بن داود وكذلك صافى الحُرَمى. فأغريا المقتدر بالله وقالا له: [67]

- «إنّ عليّ بن الحسين القنّاى يعرف موضعه.»

فقُبض عليه وهُدّد بالقتل فحلف أنّه لا يعرف الموضع الذى استتر فيه محمّد بن داود وإنّما تأتيه رقاعه يد[1] امرأة تجىء إلى امرأة نصرانية تجيئه بها، وضمن أنّه يحتال فى إثارته فأُطلق.

وكاتب محمّد بن داود وأعلمه أنّه قد سفر له مع سوسن فى أمر يكون به خلاصه، وأنّ ما جرى فى ذلك لا تحتمله المكاتبة، وأنّ الوجه أن يأذن له فى المصير إليه فى الموضع الذى هو فيه مستتر. فإن لم يأذن فى ذلك صاحب داره خرج متنكّراً وصار إليه.

فكتب إليه محمّد بن داود أنّه يصير إليه فى ليلة ذكرها. فمضى عليّ بن الحسين برقعته إلى سوسن وصافٍ، فأقرأهما إيّاها، فترصّدا تلك الليلة وأمرا صاحب الشرطة أن يتقدّم إلى أصحاب الأرباع وأصحاب المسالح بترصّده. فلمّا خرج تلك الليلة ظُفر به وسُلّم إلى مونس الخازن، فقتله ثمّ طرحه على الطريق، حتّى أخذه أهله فدفنوه.

---

١. كذا فى الأصل: يد. فى مد: بيد (بزيادة الباء). فى مط: على يد.

وحكى أبو عليّ ابن مُقلة وأبو عبد الله زنجي[١] الكاتب: أنّ محمّد بن داود[٢] كتب إلى ابن الفرات رقعة وصلت إليه، فلم يقدر أن يكتب الجواب بخطّه وقال لمُوصلها وكان ثقة عنده:

ـ «تقرأ عليه السلام وتقول له: ليس جرمك يسيراً [68] والعهد به قريب، والإستتار صناعة، فينبغى أن تصبر على استتارك أربعة أشهر حتّى تُنسى قصّتك، ثمّ دعنى والتدبير فى أمرك، فإنّى بإذن الله أسفر بعد هذه المدّة فى صلاحك وآخذ لك أمان الخليفة بخطّه وأقول: إنّه دخل فيما دخل فيه القوّاد وكتّابهم، وقد دعت الضرورة إلى الصفح عنهم، ولهذا بهم أسوة، وأشير عليه بما يصلح أمرك.»

فلم يصبر محمّد بن داود فجرى ما حكيته.

وحكى أيضاً ابن زنجي: أنّه كان بحضرة أبى الحسن ابن الفرات إذ كتب إليه صاحب الخبر، بأنّ متنصّحا حضر وذكر أنّ عنده نصيحة لا يذكرها إلّا للوزير، فتقدّم الوزير إلى حاجبه أن[٣] يخرج إليه ويسأله عنها. فخرج وسأله فأبى أن يخبره بها وقال:

ـ «أريد أن أشافه بها الوزير.»

قال: وكنّا بين يديه جماعة فأومأ إلينا، فقمنا وخلا به. ثمّ دعا بحاجبه العبّاس الفرغانى وقال له:

ـ «اجمع الرجال الذين برسم الدار.»

ثمّ دعا أبا بشر ابن فرحويه[٤] وقال له سرّاً:

---

١. فى مط: ونحى.
٢. وزاد فى مط: عبدالله بن داود. بدل «أنّ محمد بن داود».
٣. فى الأصل: لمن. والتصحيح من مط، كما يؤيّده مد، وسياق العبارة.
٤. كذا فى الأصل ومط: فرحويه (بإهمال الثالث) فى مد: فرجويه.

ـ «إنّ هذا الرجل تنصّح إليّ فى أمر محمّد بن داود، وذكر أنّه يعرف موضعه وأنّه بات البارحة عنده والتمس أن أنفذ معه من يسلّمه إليه، وقد بذلت على ذلك ألف دينار إن كان صحيحاً، أو نيله[1] بالعقوبة إن كان باطلاً. فصر على ذلك فاكتب [69] إليه الساعة أن ينتقل عن موضعه، فإنّى أبعث إلى مكانه من يكبسه ويلتمسه.»

ولم يزل يستعجل الحاجب فى جمع الرجال فيقول:

ـ «قد فرّقت النقباء فى طلبهم فإنّهم فى أطراف البلد منهم من ينزل فى قصر عيسى ومنهم من ينزل بباب الشمّاسية.»

ولم يزل يدافع بالأمر إلى أن عاد الجواب إلى أبى بشر بشكره، وأنّه قد انتقل من موضعه إلى غيره. فتقدّم حينئذٍ إلى المتنصّح أن يمضى إلى الموضع مع القوم، وتقدّم بالإحتياط عليه وعلى ما يليه. وكبسه بعد ذلك وحمله، فإن لم تجده فتّش الدور التى تلى الموضع، وأن يستظهر بحفظ أفواه الدروب حتّى لا تفوته الحُرَم[2] ويأخذ معه السلاليم.

فمضى العبّاس الحاجب والمتنصّح والرجال ووكّل بأفواه الدروب والدور المجاورة للموضع، ودخل الدار التى ذكرها المتنصّح فلم يجده. فقال المتنصّح:

ـ «فى هذا الموضع والله العظيم خلّفته وها هنا كان بائتاً.»

وأقبل يسير إلى موضع موضع وما عمله فيه. ثمّ التمسه فى الدار المجاورة فلم يجده. وعاد به إلى حضرة الوزير فأنكر على المتنصّح سعايته بالباطل، وأمر بحمله إلى باب العامّة وضربه مائتى مقرعة وأن يُشهر على جمل ويُنادى عليه:

---

١. فى مط: أرسله.

٢. كذا فى الأصل بالضبط. فى مط: حتى لا يفوته الحرم.

ـ «هذا جزاء من يسعى بالباطل.» [70]

وكتب إلى المقتدر وعرّفه الصورة، وأنّه كبس على محمّد بن داود عدّة دور فلم يجده، فأوقع العقوبة بالساعى حتّى لا يُقدم نظراؤه على السعاية بالباطل.

فلمّا عاد الساعى إلى داره، تقدّم بأن يحمل إليه مائتى دينار وأن يُحدر[1] إلى البصرة، وقال لنا:

ـ «قد صدق الرجل فيما حكاه وقد عاقبناه ولو لم أفعل ما فعلته، لم آمن أن يمضى إلى دار السلطان.»

وكان أبو بشر يعرف موضع محمّد بن داود بن الجرّاح وعرف الوزير موضعه فكتمه الوزير ولم يُظهره. وهذا ممّا لا يُنكر من أبى الحسن ابن الفرات مع كرمه وجلالة قدره ونبل أفعاله.

وفيها قُبض على محمّد بن عبدون وسوسن الحاجب وقُتلا

ذكر السبب فى ذلك

كان السبب فى ذلك أن سوسن الحاجب كان مع ابن المعتزّ فى تدبيره، وظنّ أنّه يقرّره على الحجبة. فلمّا عدل عنه إلى يُمن[2] استوحش وصار إلى دار السلطان. وكان سوسن يدخل مع العبّاس بن الحسن فى التدبير بحضرة المقتدر بالله. فلمّا تقلّد أبو الحسن ابن الفرات الوزارة تفرّد بالتدبير دون[3] سوسن فظهرت الوحشة بين سوسن وبين أبى الحسن [71] ابن الفرات لأجل

---

١. كذا فى الأصل ومط: أن يُحدر. فى مد: أن يجدر.

٢. فى مط: يمن.

٣. تفرّد بالتدبير دون: كذا فى مط ومد. وفى الأصل غموض.

ذلك. وذاع الخبر بصحة عزم سوسن على الفتك بابن الفرات بمواطأة عدّة من الغلمان الحجريّة على ذلك، ودبّر أن يكون الوزير محمّد بن عبدون، وأشار بذلك على المقتدر بالله. وبذل على ذلك مالاً عظيماً، وأنفذ بُنيّ بن نفيس[1] إلى الأهواز لإحضار محمّد بن عبدون بغير موافقة ابن الفرات وأظهر بُنيّ أنّه إنّما أنفذ لأخذ أموال كانت مودعة للعبّاس بن الحسن بالبصرة.

ولم يصل محمّد بن عبدون إلى واسط حتّى ظهر الخبر لابن الفرات. فقرّر ابن الفرات في نفس المقتدر أنّ سوسناً عمل على الإيقاع به أوّلاً ثمّ به، وأنّه كان من أكبر أعضاد عبد الله بن المعتزّ، وإنّما خالفه أخيراً لما علم أنّه قد استحجب غيره. وواقف[2] المقتدر على القبض عليه فقبض عليه وقتله من يومه. وكان المتولّي لذلك تكين الخاصّة وكان تكين هذا مرشّحاً للحجبة ومدبّراً لها.

ثمّ أنفذ الوزير إلى محمّد بن عبدون من أزعجه في الطريق واعتقله في دار السلطان وصادره مصادرة مجدّدة، ثمّ سُلّم إلى مونس الخازن فقتله.

وقلق أبو الحسن عليّ بن عيسى لذلك وهو بواسط، فكتب إلى الوزير كتاباً يحلف فيه أنّه على قديم عداوته لمحمّد بن عبدون، إلّا أنّه لا يدع الصدق من فعله، وأنّ محمّد بن عبدون لم يكن ليسعى [72] على دم نفسه بتضمّنه الوزارة، بل كان راضياً بالسلامة بعد فتنة عبد الله بن المعتزّ، وأنّ سوسناً عمل ذلك بغير رأيه ولا موافقته، وسأل في أمر نفسه أن يبعده إلى مكّة ليسلم من الظنّة ولينسى السلطان ذكره.

فأجابه ابن الفرات إلى ذلك وأخرجه من واسط إلى مكّة على حال جميلة. فشخص إليها على طريق البصرة.

---

١. كذا في الأصل. في مط: وأنفذ بني أبي قيس.

٢. في الأصل: واقف. والواو الزائدة هي من مط.

وكتب عليّ بن عيسى هذا الكتاب مقدّراً أن يتخلّص به محمّد بن عبدون من القتل، ويسلم هو. فوقاه[١] الله في نفسه بجميل نيّته، وحضر أجل محمّد بن عبدون، فلم ينفعه اجتهاد عليّ بن عيسى في خلاصه.

استقرار أمر المقتدر
وتفويضه الأمور إلى أبي الحسن بن الفرات

ولمّا استقرّ أمر المقتدر بالله في الخلافة فوّض الأمور إلى أبي الحسن ابن الفرات فدبّرها أبو الحسن كما يدبّرها الخلفاء. وتفرّد المقتدر على لذاته متوفّراً واحتشم الرجال واطّرح الجلساء والمغنين وعاشر النساء فغلب على الدولة الحُرم والخَدم فما زال أبو الحسن يُنفق الأموال من بيت مال الخاصّة ويبذّر تبذيراً مفرطاً إلى أن أتلفها.

ومن محاسن ابن الفرات أنّه افتتح أمره بإخراج أمر المقتدر بمكاتبة العمّال في جميع النواحي بإفاضة العدل في الرعيّة وإزالة الرسوم الجائرة عنهم وإخراج أمره لجماعة [73] بني هاشم بجارٍ[٢] ثمّ أخرج أمره بزيادة جميعهم ثمّ أخرج أمره بالصفح عن جميع من كان خرج عن طاعته ووالى ابن المعتزّ وإلحاقهم في الصلة بمن لم تكن له جناية وتلطّف في أمر الحسين بن حمدان وإبراهيم بن كيغلغ حتّى رضي المقتدر عنهما وقلّدهما الأعمال وفعل ذلك بابن عمرويه.

ذكر التدبير الصواب في ذلك

إنّه عرّف المقتدر بالله أنّه متى عاقب جميع من دخل في أمر ابن المعتزّ

١. كذا في الأصل: فوقاه. في مط ومد: فوقاه.
٢. في الأصل: بجاز. ما في مط مهمل تماماً. في مد: بجارٍ.

فسدت النيّات وكثر الخوارج وممن يخشى على نفسه فيطلبون الحيل للخلاص بإفساد المملكة، وأشار بإحراق جميع الجرائد التى وجد فيها أسماء المتابعين[١] لابن المعتزّ فاستجاب إلى ذلك، وأمر ابن الفرات بتغريق الجرائد فى دجلة ففعل ذلك وسكن الناس وكثر الشاكرون.

ذكر ما جرى فى أمر القاضى أبى عمر

كان القاضى يوسف بن يعقوب شيخاً كبير السن يلزم ابن الفرات ويبكى بحضرته ويسأله تخليص ابنه أبى عمر من القتل. فيذكر له أبو الحسن أنّه لا يتمكّن من ذلك إلّا بإطماع المقتدر بالله فى مال جليل من جهته. فبذل أبوه أن يفقر نفسه وابنه طلباً للحياة. فسأل [74] ابن الفرات المقتدر بالله الصفح عنه وأطمعه فى ماله ومال ولده. فسلّمه المقتدر إليه فصادره على مائة ألف دينار، واعتقله فى ديوان بيت المال ليؤدّى المال. فأدّى أكثره ودخل فيما أدّاه وديعة. قيل إنّها كانت عنده للعبّاس بن الحسن، مبلغها خمسة وأربعون ألف دينار فلمّا أدّى تسعين ألف دينار أمر ابن الفرات بإطلاقه إلى منزله وترك له العشرة الآلاف الدينار وأمره بملازمة منزله وأن لا يخرج منه.

ذكر خيانة واتفاق سيئ اتّفق فيه

كان سليمان بن الحسن بن مخلد متحقّقاً بأبى الحسن ابن الفرات ومدلّاً[٢] بأحوال كانت بين أبيه وبين والد الوزير أبى جعفر محمّد بن موسى بن الفرات. وكان سليمان يختصّ لذلك بأبى الحسن ابن الفرات. ووجد أبو الحسن كتباً فى البيعة لعبد الله بن المعتزّ بخطّ سليمان لتحقّقه كان بمحمّد بن

١. فى مط: المبايعين.
٢. فى مط: وملا بأحوال.

داود بن الجرّاح وللقرابة بينهما فلم يظهر أبو الحسن ذلك للمقتدر ولا ذكره، ونوّه باسم سليمان وقلّده مجلس العامّة رئاسة.

ثمّ إن سليمان جنى على نفسه بالسعي لأبي الحسن أحمد بن محمّد بن عبد الحميد في الوزارة، وعمل في ذلك نسخة بخطّه عن نفسه إلى المقتدر بالله [75] يسعى فيها بأبي الحسن وبأمواله وضياعه وكتّابه وأسبابه وكانت الرقعة في كمّه ودخل دار ابن الفرات وهي معه وقام ليصلّي صلاة المغرب مع جماعة من الكتّاب في دار ابن الفرات، فسقطت الرقعة من كمّه وظفر بها الصقر بن محمّد الكاتب لأنّه كان يصلّي إلى جنبه. فأقبل بها مبادراً إلى الوزير من وقته، فقبض عليه وأحدره في زورق مطبق إلى واسط، ووكّل به وصودر وجرى على طبعه وشاكلته، فأحسن إليه وقلّده.

وفيها كوتب أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان في قصد أخيه الحسين ومحاربته وأُمدّ بالقاسم بن سيما في أربعة آلاف، فاجتمعا ولقيا الحسين فانهزما وانحدر إبراهيم بن حمدان لإصلاح أمر أخيه الحسين، فأُجيب إلى ما التمس. وكتب للحسين أمان وصار إلى الحضرة ونزل في الصحراء من الجانب الغربي ولم يدخل دار السلطان، وقلّد أعمال الحرب بقم وحُملت إليه الخلع. فلبسها ونفذ إلى قم وانصرف عنها العبّاس بن عمرو.

وفيها قدم بارس غلام إسماعيل بن أحمد صاحب خراسان في أربعة آلاف غلام أتراك وغيرهم وصار إلى بغداد مستأمناً وكان مولاه اتبعه إلى الريّ مُظهراً الإستيحاش من قبول السلطان غلامه. فكاتبه [76] ابن الفرات بما سكّن منه حتّى عاد إلى خراسان وقلّد بارس دار ربيعة فأنفذه إليها وقلّد يوسف بن أبي الساج أعمال أرمينية وأذربيجان وعقد له عليها وضمّنه إيّاها بمائة ألف وعشرين ألف دينار في كلّ سنة محمولة إلى بيت مال العامّة بالحضرة، فسار من الدينور إليها.

ودخلت سنة سبع وتسعين ومائتين

وفيها أُدخل طاهر ويعقوب ابنا محمّد بن عمرو بن الليث بغداد أسيرين في قبّة على بغل وقد كشف جلالها وهما بين يدى أبى الفضل عبد الرحمان بن جعفر الشيرازى كاتب سُبْكَرى المتقلّد فارس ووصل إلى حضرة المقتدر ووصلا معه بعد أن حُلّت قيودهما وخلع على عبد الرحمن بن جعفر ورُتّب فى الفوج الأوّل وركب عبد الرحمان فى الخلع وأُنزل فى دار فى مربعة الخُرّسى[١] وحُبس طاهر ويعقوب فى دار السلطان.

وكان سُبْكَرى متغلّباً على فارس. فلمّا قدم عبد الرحمن كاتبه قرّر أمر سُبكرى مع السلطان على شيء يحمله عن فارس، ثمّ عاد إلى صاحبه. فورد الخبر بعد ذلك بأنّ الليث بن علىّ خرج من سجستان وقصد فارس، فدخلها وخرج سُبكرى، فنُدب مونس الخادم للشخوص [77] إلى فارس وخُلع عليه، وسار فوجد سُبكرى برامهرمز واجتمع مع مونس وسار بمسيره وسار الليث إلى أرجان ليلقى مونساً.

ذكر عجلة واتفاق سيّئ

ثمّ إنّه بلغ ليثاً أنّ الحسين بن حمدان قد سار من قم إلى البيضاء فخاف أن تؤخذ منه شيراز. فوجّه أخاه مع قطعة من جيشه إلى شيراز ليحفظها وأخذ هو دليلاً يدلّه على طريق مختصر قريب إلى البيضاء ليوقع بالحسين بن حمدان. فأخذ به الدليل فى طريق الرجّالة وهو طريق صعب ضيق لا يحمل الجيوش، فلقى فى طريقه مشقّة عظيمة حتّى تلفت دوابّه وتلف رجاله فقتل

١. فى مط: الحرشى وجلس طاهر. بدل «الخُرّسى وحبس طاهر».

الدليل وعدل عن الطريق فخرج إلى خوابذان[١] وقد وصل إليها مونس. فلمّا أشرف الليث على عسكر مونس قدّر أنّه عسكر أخيه الذى أنفذه إلى شيراز. فكبّر أصحابه فخرج إليه مونس فأوقع به وأخذه أسيراً. فلمّا حصل فى يده أشار عليه قوّاده بالقبض على سُبكرى. فلم يفعل وألحّ عليه أصحابه فأظهر القبول منهم وقال:

ـ «إذا صار إلينا فى غدٍ قبضنا عليه.»

وكان سُبكرى كلّ يوم يركب من مضربه إلى مونس. فيسلّم [78] عليه. فوجّه إليه مونس سرّاً وعرّفه ما أشار عليه قوّاده وأشار عليه بالمسير إلى شيراز والإسراع. ففعل سُبكرى بما أشار به. فلمّا أصبح وتعالى النهار قال:

ـ «يا قوم ما جاءنا سُبكرى اليوم فوجّهوا إليه وتعرّفوا خبره.»

وعاد الرسول وعرّفه أن سُبكرى قد سار إلى شيراز من أوّل الليل. فعاد باللوم على قوّاده وقال لهم:

ـ «من جهتكم شاع الخبر وبلغه فاستوحش.»

وسار مونس ومعه الليث راجعاً إلى مدينة السلام. وانصرف الحسين إلى قم.

ذكر تدبير فاسد وما آل إليه

لمّا حصل سُبُكَرى بشيراز كان معه قائد يقال له القتّال، فضرّبه على كاتبه عبد الرحمن بن جعفر وأعلمه أنه فى جنبة[٢] السلطان وأنّه قد أحلف قوّاده كلّهم للسلطان وأخذ له البيعة عليهم، وليس يتعذّر عليه متى شاء أن يُورد كتاباً من السلطان بالقبض عليه. ففزع سُبكرى من هذه الحال وقبض على

١. ما فى مط مهمل تماماً.

٢. فى مط: فى حيّة السلطان.

عبد الرحمن بن جعفر واستكتب مكانه رجلاً يعرف بإسماعيل بن إبراهيم البمّى،[١] فحمله إسماعيل هذا على الخلاف وقال له:

- «قد انصرف عنك عسكر السلطان وليس يمكنه أن يعود إليك سريعاً، فاربح ما كنت تحمله إلى السلطان وأصلح أمورك [79] وأرض جندك، ثمّ تنظر.»

واحتال عبد الرحمن بن جعفر من محبسه حتّى كتب إلى ابن الفرات بخبره وما جرى عليه وبخلاف سُبْكَرى على السلطان. فكتب ابن الفرات إلى مونس وقد صار إلى واسط كتاباً يقول فيه:

- «إن كنت فتحت فقد أغلقت، وإن كنت قد أسرت فقد أطلقت، ولا بدّ من أن تعود فتحارب سُبكرى.»

فعاد مونس إلى الأهواز وأخذ سُبكرى فى ملاطفة مونس ومهاداته ومسألته أن يبذل للسلطان عن أعمال فارس وكرمان زيادة على ما كان مقاطعاً عليه القاسم بن عبيد الله في أيّام المكتفي بالله، فإنّه كان مقاطعاً على أربعة آلاف ألف. ففعل مونس ذلك وبذل عنه سبعة آلاف ألف، فلم يرض بذلك ابن الفرات. فلم يزل يزيد ألف ألف حتّى بلغ تسعة آلاف ألف خالصة للحمل، وذُكر أنّ باقى الإرتفاع يحتاج إليه سُبكرى لإعطاء الجند بفارس وكرمان وأعلمه كثرة المؤن هناك. فأقام ابن الفرات على أنّه لا يقنع إلّا بثلاثة عشر ألف ألف فأشار مونس على سُبْكَرى بأن يقارب السلطان والوزير، فأبى سُبْكَرى أن يزيد على عشرة آلاف ألف شيئاً. فاغتاظ الوزير من تماتن سُبكرى، واتّهم مونساً بالميل إليه. [80]

---

١. فى مط: التيميّ.

ودخلت سنة ثمان وتسعين ومائتين

ذكر ما جرى على سُبْكَرى من الأسر

ثمّ إنّه عدل إلى إنفاذ وصيف كامَه[١] مع عدّة قوّاد من مدينة السلام، وإنفاذ محمّد بن جعفر العبرتاى معهم وعوّل عليه فى فتح فارس.

وكتب إلى مونس: أنّه لا يثق بأحد سواه فى حفظ الليث، وأنّ سبيله أن يوافى به إلى مدينة السلام ويدع أكثر قوّاده وأصحابه مع محمّد بن جعفر بالقرب من نواحى فارس، لئلاّ ينجذبوا بأسرهم إلى بغداد قبل أن يتقرّر الأمر مع سُبكرى فى مال المفارقة، فيطمع سُبْكَرى فى السلطان.

فخرج مونس عن الأهواز وكتب الوزير حينئذٍ إلى محمّد بن جعفر العَبَرْتاى والقوّاد بالمبادرة إلى شيراز مع جماعة من بالأهواز من القوّاد، وانضمّ إليه وصيف كامَه،[٢] ثمّ أمدّه بسيما الخزرى وفاتك المعتضدى ويُمن الطولونى.

فلمّا تكامل الجيش لمحمّد بن جعفر سار إلى سُبْكَرى وواقعه على باب شيراز فانهزم سُبْكَرى إلى بمّ وتحصّن بها، وتبعه إلى هناك فهزمه أيضاً، ودخل مفازة خراسان وأسر القتّال.

وورد الكتاب بالفتح، فخلع السلطان على الوزير عند ذلك، وقلّد محمّد بن جعفر العَبَرْتاى فُتيحاً خادم الأفشين أعمال الحرب والمعاون بفارس وكرمان وكان يميل إلى فُتيح [81] لحسن وجهه.

وفيها ورد كتاب أحمد بن إسماعيل صاحب خراسان بفتحه سجستان وأسره محمّد بن علىّ بن الليث.

---

١. كامَه: كذا فى الأصل ومط ومد.

٢. فى مد: كامَه.

ثمّ ورد كتابه بأسره سُبكَرى، فكتب إلى أحمد بن إسماعيل بحمل سُبكرى ومحمّد بن علىّ بن الليث إلى الحضرة.

فلمّا كان فى شوّال من هذه السنة أُدخل سُبْكَرى ومحمّد بن علىّ بن الليث مُشهَّرين على فيلين. فخُلع على الوزير ابن الفرات، ثمّ على المرزبانى خليفة صاحب خراسان، وحُمل مع الرسل الذين حملوا سُبْكَرى ومحمّد بن علىّ بن الليث هدايا وخلع وطيب وجواهر إلى صاحب خراسان.

وفيها ورد الخبر بوفاة العَبَرْتاى ثمّ بوفاة فُستيح،[1] وقلّد عبد الله ابن إبراهيم المِسمَعى أعمال المعاون بفارس.

وفيها غرقت فاطمة القهرمانة فى طيّارها تحت الجسر فى يوم ريح عاصف وكانت زوّجت ابنتيها من بُنَىّ بن نفيس وقيصر،[2] فحضرا جنازتها وحضرها خلق من القوّاد والقضاة، وجعلت السيّدة مكانها أمّ موسى الهاشميّة قهرمانة، فكانت تؤدّى رسائلها ورسائل المقتدر إلى ابن الفرات.

ودخلت سنة تسع وتسعين ومائتين

القبض على الوزير ابن الفرات

وفيها قُبض على الوزير ابن الفرات، ووُكّل بداره، وهُتك حُرمه أقبح هتك، ونُهبت داره [82] ودور كتّابه وأسبابه. وافتتنت بغداد ونُهب الناس.

وكان مونس الخازن يلى شرطة بغداد وتحت يده برسمها تسعة آلاف فارس وراجل. فكان يركب إذا اشتدّت الفتنة وزاد النهب فيسكن الناس ويكفّ النهب هيبة له. فإذا نزل من ركوبه عادت الحال إلى ما كانت عليه. فلقى الناس من ذلك شدّة شديدة ثلاثة أيّام بلياليها ثمّ سكنت الفتنة.

---

١. فى مط: قبيح.
٢. فى مط: فنصر.

فكانت مدّة وزارة أبى الحسن ابن الفرات هذه الأولى ثلاث سنين وثمانية أشهر وثلاثة عشر يوماً.

وزارة أبى على محمد بن عبيدالله بن يحيى بن خاقان

وقلّد أبو علىّ محمّد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان الوزارة، وذلك فى ذى الحجّة سنة تسع وتسعين ومائتين.

فقلّد أصحاب الدواوين ورتّبهم فى مجالسهم وردّ مناظرة أبى الحسن ابن الفرات وأسبابه وكتّابه إلى أبى الحسن أحمد بن يحيى بن أبى البغل، وقلّده ديوان المصادرين وديوان الضياع العبّاسيّة وديوان زمام الفراتيّة.

استتار أصحاب ابن الفرات

واستتر من أصحاب ابن الفرات أبو علىّ محمّد بن علىّ بن مقلة وأبو الطيب الكلوذى وأبو القاسم هشام وأبو بشر ابن فرجويه[1] وقبض على الباقين ونُهبت دورهم وهُدمت، واعتقل هؤلاء الباقون وناظرهم أحمد بن أبى البغل وعذّبهم وناظر ابن الفرات، غير أنّه [83] لم يمكّن من إيقاع مكروه به ومكّن من جميع أسبابه وكتّابه.

ذكر ما دبّره ابن أبى البغل وانعكاسه عليه

كان أبو الحسن بن أبى البغل مبعداً فى أيّام ابن الفرات بإصبهان، فلمّا افتتنت بغداد وقلّد أخوه مناظرة ابن الفرات وأسبابه سفر أخوه لمّا تمكّن من

١. كذا فى الأصل ومد: فرجويه. فى مط: فرحويه (بالحاء المهملة).

ملاقاة أمّ موسى فى الوزارة وبذل فيها مالاً جليلاً يثيره ويوفّره. فأطمع المقتدر فى ذلك فأرجف له بها وكاتبه أخوه بالإسراع إلى الحضرة ونفذ إليه أبو بكر أخو أمّ موسى، فخاطبه قوم بالوزارة فى طريقه، وتلقّاه القوّاد وغيرهم عند ورود بغداد.

فركب أبو علىّ الخاقانى فى عشيّة من العشايا إلى دار السلطان والتمس الإذن فى الوصول فأذن له وأوصل إلى المقتدر بالله فوصف له:

أنّ الأمور قد اضطربت، والأموال قد تأخّرت، والدنيا قد خربت بكثرة الأراجيف به. لأنّ ابن أبى البغل يذكر أنّه قد استُحضر للوزارة.

فخاطبه المقتدر بجميل، وأذن له فى إبعاد ابن أبى البغل وأخيه عن الحضرة. فقبض عليهما وأبعدهما وتنكّرت أمّ موسى القهرمانة للوزير أبى علىّ الخاقانى، فخافها وأشفق أن تفسد عليه أمره. فأرضاها بأن قلّد أبا الحسين منها[١] [84] أعمال الخراج والضياع بإصبهان، وقلّد أبا الحسن أخاه أعمال الصلح والمبارك.[٢]

الخاقانى يناظر ابن الفرات

وكتب الوزير بإطلاق أبى الهيثم العبّاس بن ثوابة وكان معتقلاً بالموصل وكان ابن الفرات نقله إليها فى نكبة محمّد بن عبدون لقرابة بينهما، وكان ابن ثوابة هذا يكتب لمحمّد بن ديوداذ وكان من الموصوفين بالشرّ، فورد بغداد فى سنة ثلاثمائة وقلّده الوزير أبو علىّ الخاقانى ديوان المصادرين والضياع العبّاسيّة والفراتيّة، وردّ إليه مناظرة أبى الحسن ابن الفرات وأسبابه وكتّابه. فأسرف ابن ثوابة فى إيقاع المكروه بهم وعذّبهم بأنواع العذاب، فجرت بينه

١. فى مط: أبا الحسن منهما. فى مد: فى مد: أبا الحسين منهما. وفى الأصل: منها.
٢. فى الأصل إعمال وغموض. فى مط: المبارك.

وبين أبى الحسن ابن الفرات مناظرات هاتر في بعضها ابن الفرات وشتمه بحضرة أمّ موسى، فردّ عليه ابن الفرات أقبح ردّ، وشتمه أغلظ شتيمة، ونسبه في نفسه إلى كلّ حال قبيحة.

فراسل ابن ثوابة المقتدر بأنّ ابن الفرات لم يقدم على هذا إلّا لشدة بطره وكثرة أمواله واستأذن فى معاقبته، فبسط يده عليه فقيّده وغلّه وألبسه جبّة صوف، وأقامه فى الشمس مدّة أربع ساعات فكاد يتلف. فأنهى بدر الحُرَمى فى حاله إلى المقتدر، فأنكرها وأمر بنقله إلى بعض الحُجر التى فى يد زيدان [85] القهرمانة للحُرم الخواصّ، وأحسن إليه ورفّهه. وذلك بعد أن حلف له ابن الفرات بأغلظ يمين بأنّه لم يبق له مال ولا ذخيرة ولا متاع فاخر إلّا وقد أقرّ به وقت مناظرة إبن أبى البغل. فقبل المقتدر بالله قوله ومنع ابن ثوابة من مناظرته.

ابن الفرات مشاوراً

ثمّ صار المقتدر بعد ذلك يشاور ابن الفرات فى الأمور ويقرأه رقاع الوزراء إليه ويجيبهم عنها برأيه ثمّ كثرت السعايات بأبى علىّ الخاقانى وتمكّن أبو القاسم ابن الحوارى.

ذكر فساد تدبير الخاقانى لأمر الوزارة

كان أبو علىّ الخاقانى متشاغلاً بخدمة السلطان ومراعاةِ أعداءه، لا يقرأ الكتب الواردة عليه ولا النافذة، واعتمد على ابنه أبى القاسم عبد الله، وقلّده مع العرض على الخليفة خلافته على الأعمال والتنفيذ للأمور. وكان ابنه هذا متشاغلاً بالشراب، إنّما يراعى أمر القوّاد والجيوش والولايات للعمّال ويدع ما سوى ذلك، وكان قد نصب لقراءة الكتب الواردة أبا نصر مالك بن الوليد،

ولقراءة الكتب النافذة أبا عيسى يحيى بن إبراهيم المالكى.

وكانت لأبى علىّ الخاقانى وابنه الجوامع بما يرد وينفذ، فلا يقرأها أحد منهم [86] إلّا بعد فوت الأمر الذى وردت فيه الكتب، وتبقى الكتب بالحمول والسفاتج فى خزانتهما، لا تفضّ ولا يُعرف حال ما فيها. ففسدت الأمور بولاية أبى علىّ الخاقانى وضاعت.

وكان يقلّد فى أسبوع واحد الكورة عدّة من العمّال، حتّى قيل: إنّه قد قلّد أعمال ماه الكوفة فى مدّة عشرين يوماً سبعة من العمّال، واجتمعوا فى خان بحلوان وقلّد أعمال قردى وبريدى[1] خمسة من العمّال اجتمعوا فى خان بُعكْبَرا فى يوم واحد وسبب ذلك ارتفاق أولاده وكتّابه من العمّال الذين يولّونهم. فسُطِّرت الأحاديث وحُفظت له النوادر.

وأطلق يده بالتوقيعات وفى الزيادات والنفل والإثبات[2] يوقّع بذلك هو وابناه وبنان ويحيى بن إبراهيم المالكى وأحمد ومحمّد ابنا سعيد.

وكان أبو علىّ الخاقانى يتقرّب إلى قلوب الخاصّة والعامّة، فمنع خدم السلطان ووجوه القوّاد أن يترجموا رقاعهم بالتعبّد، ويتقرّب إلى العامّة بأن يصلّى معهم فى المساجد التى على الطرق، فكان إذا رأى جمعاً من الملّاحين أو غيرهم من العامّة يصلّون فى مسجد على الشط قدّم طيّاره وصعد وصلّى معهم. فاتّضعت الوزارة بأفعاله وذلّت.

وكان [87] إذا سأله إنسان حاجة دقّ صدره وقال:

- «نعم وكرامة.» فسُمّى: دقّ صدره.

وضاقت الأموال فقصّر فى إطلاق أموال أصحاب التفاريق والقوّاد القدماء ومن يجرى مجراهم، فشغبوا عليه وقصدوا المصلّى فأقاموا فيه وأخرجوا

١. ليس الأصل واضحاً تماماً. فى مط: قردى و يد يدى. فى مد: قردى بزيدى.
٢. فى مط: والنقل الأثاث. فى الأصل: والنفل والإثبات.

معهم أكثر القوّاد واستفحل أمرهم وبسطوا فيه ألسنتهم.

فأمره المقتدر بإطلاق أرزاقهم فاعتذر بقصور الأموال ونقصان الإرتفاع، وذكر أنّ الأموال المستخرجة من ابن الفرات وأسبابه قد حصلت فى بيت مال الخاصّة، وأنّه ليس يُنفذ له صاحب بيت مال الخاصّة أمراً فيها، فأمر بإخراج خمسمائة ألف دينار من بيت مال الخاصّة لينفق فى الجند المشغّبين.

وقلّد ديوان البريد بمدينة السلام والإشراف على الوزير وعلى الجيش وأصحاب الدواوين والقضاة وأصحاب الشرطة شفيع اللؤلؤىّ[1].

فلمّا رأى ابن ثوابة ضعف أمر الوزير تقرّب إلى المقتدر برقاع أوصلتها أمّ موسى يذكر فيها أنّه يستخرج من العمّال أموالاً جليلة أهملها الخاقاني، وذكر أنّه يستخرج من محمّد بن علىّ الماذرائى وأخيه إبراهيم وحدهما سبعمائة ألف دينار. فخرج الأمر إلى الخاقانى بتقوية يد ابن ثوابة، ففعل ذلك [88] واستخرج أموالاً بالعسف، وتغلّب على الأمور، وكان يصرف عمّالَ الوزير ولّى من يرى، وتوصّل الأشرار إلى كتب الرقاع على يد أمّ موسى إلى المقتدر يخطبون[2] الأعمال ويتضمّنون الأموال. فخرج الأمر إلى الخاقانى بتقليدهم ذلك، فانتشر أمره وشاركه الأشرار فى النظر واستخرجوا الأموال من كلّ وجه بكلّ عسف.

وكان حامد بن العبّاس قد تضمّن أعمال واسط ونواحيها أربع سنين فعمل الكتّاب له عملاً وحصّلوا عليه فى كلّ سنة مائتين وأربعين ألف دينار وألفين وأربعمائة كُرّ بالمعدّل شعيراً للكراع فى كلّ سنة يستوفى منه مع المال الذى ذكرنا مبلغه. وإنّما كان حامد ضمن على عبرة السنة المتقدّمة وزيادة يسيرة، وكان التقصير والإضاعة والتخليط يقع من الخاقانى.

---

١. فى مد: اللؤلؤىُّ (بضمّ الياء) والفتح أوجه.

٢. فى مط: يحطون.

وذلك أنّ الخاقانى كان يتقلّد فى أيّام عبيد الله بن سليمان وما بعدها إلى وقت استتاره فى أيّام وزارة ابن الفرات الأولى أعمال البريد والمظالم والخرائط بماسبذان. فلمّا ولى الوزارة تحيّر لقلّة الدربة ونقصان المعرفة بالأعمال، فشرع مونس فى تقليد علىّ بن عيسى.

ودخلت سنة ثلاثمائة [89]

يرتأى المقتدر فى إعادة ابن الفرات إلى الوزارة

ولمّا رأى المقتدر بالله اضطراب الأمور وفساد التدبير وانتقاض المملكة، شاور مونساً الخادم، وعرّفه أنّ الصورة تقود إلى ردّ أبى الحسن ابن الفرات وتقليده الوزارة.

وكان مونس مستوحشاً من ابن الفرات لأمور حكينا بعضها فى حكاية أمره مع سُبْكَرى وتقريره أمر فارس ونقض ابن الفرات عليه.

فقال مونس للمقتدر بالله:

ـ «إنّه يقبح أن يعلم أصحاب الأطراف أنّ السلطان صرف وزيراً ثمّ اضطُرّ إليه وردّه بعد شهور من صرفه، ثمّ لا ينسبون ذلك إلّا إلى المطمع فى ماله فقط.»

وقال: إنّ كتّاب الدنيا الذين دبّروا المملكة دواوينها منذ أيّام المعتضد بالله، هما ابنا الفرات، وأبو العبّاس منهما قد مات، وتقلّد الآخر الوزارة إلى أن صُرف عنها، ومحمّد بن يزداذ[1] ومحمّد بن عبدون وقد قُتلا فى فتنة ابن المعتزّ، وعلىّ بن عيسى بن داود بن الجرّاح، ولم يبق من يصلح لتدبير المملكة غيره.

---

١. كذا فى الأصل: يزداذ. وصححه فى مد بـ«داود»، وهو ساقط من مط.

ووصفه بالثقة والأمانة والديانة والنزاهة والصيانة والصناعة.

فأمره المقتدر بانفاذ يلبق إليه ليحمله إلى الحضرة، وأظهر للخاقانى أنّه يحضره ليستخلفه لابنه عبد الله على الدواوين.

وكان الخاقاني يقول في مجلسه:

ـ «إنّى قد كتبت بحمل علىّ بن عيسى [90] إلى الحضرة لأستخلفه لعبد الله.»

فلمّا كان يوم الإثنين لعشر خلون من المحرّم سنة إحدى وثلاثمائة ركب الخاقانى إلى دار السلطان، فقُبض عليه وعلى ابنيه عبد الله وعبد الواحد وأبي الهيثم ابن ثوابة ويحيى بن إبراهيم المالكى وأحمد ومحمّد ابنى سعيد الحاجبين وبُنان وسعيد بن عثمان النقّاط واعتُقلوا في يد نذير الحُرمى. وكان سعيد بن عثمان النقّاط أحد من سعى للخاقانى في الوزارة، فقضى حقّه بأن قلّده أعمالاً كثيرة جليلة.

وفى هذه السنة صُرف عبد الله بن إبراهيم المِسمَعى عن أعمال المعاون بفارس وتقلّدهما بدر الحمامى وكان بدر يتقلّد أعمال المعاون بإصبهان فنُقل إلى أعمال فارس وكرمان وقُلّد مكانه علىّ بن وهسوذان الديلمى.

ودخلت سنة إحدى وثلاثمائة

وزارة أبي الحسن علىّ بن عيسى الوزارة

وفيها تقلّد أبو الحسن علىّ بن عيسى الوزارة وقت قدومه من مكّة وخُلع عليه، وركب من دار السلطان إلى داره، وركب معه مونس الخادم وغريب الخال وسائر القوّاد والغلمان، وسُلّم إليه في يوم الخلع محمّد بن عبيد الله الخاقاني وابناه، وجميع من سمّيتهم [91] فيما تقدّم، فصادرهم مصادرات قريبة الأمر، واستخرج منهم جميع ما صادرهم عليه.

ثمّ أطلق الخاقانى إلى منزله، ووكّل به فيه، وصان حُرمه أتمّ[١] صيانة، وأوقع بأبى الهيثم ابن ثوابة مكروهاً.

ثمّ صار ينظر فى أمر الأعمال فى دار الوزارة بالمخرّم يبكّر إليها فى كلّ يوم، ويعمل فيها إلى آخر أوقات صلاة العشاء الآخرة ثمّ ينصرف إلى داره.

وكتب إلى كلّ واحد من العمّال بما جرت العادة به من تشريف أمير المؤمنين إيّاه بالخلع، وردّ أمر الدواوين والمملكة إليه، ويقرّرهم على مواضعهم ويأمرهم بالجدّ والإجتهاد فى العمارة، ويقول فى آخر كتابه:

ـ «وهذا عنفوان السنة وأوّل الإفتتاح ووقت حموم الخراج، ولست أعلم ما يجب أن أطالبك به فاذكرَه وأخاطبك عليه، ولكنّى آمرك أن تحمل صدراً من المال يتوفّر مقداره، وتنفذ الرسائل بذلك مع الجواب عن كتابى هذا عند نظرك فيه وتكتب إلىّ بشرح الحال فى أمور نواحيك وتنفذ موافقة تقف عليها وبها على موقع أثرك فيها ومخائل تدبيرك فى توفيرها وتثميرها، وتتوقف عن إمضاء التسبيبات وما يجرى مجراها إلى أن ترد عليك كتبى وتوقيعاتى فى استماراتك[٢] [92] عمّا يكون عملك عليه، وتمكّن فى نفسك أنّه لا رخصة عندى ولا هوادة فى حقّ من حقوق أمير المؤمنين أغضى عنه، ولا درهم من ماله أسامح فيه ولا تقصير فى شىء من أمور العمل أصبر لقريب أو بعيد عليه، ولا تكون بإظهار أثر جميل فى ذلك أشدّ عناية منك بانصاف الرعيّة والعدل عليها ورفع صغير المؤن وكبيرها عنها، فإنّى أطالبك بذلك كما أطالبك بتوفير حقوق السلطان وتصحيحها وصيانة الأموال وحياطتها. وتابع كتبك بما يكون منك وقتاً وقتاً لأعرفه إن شاء الله.»

وقلّد بعد ذلك الدواوين جماعة وعزل جماعة، وفعل مثل ذلك بالعمّال،

---

١. فى مط: أىّ صيانة.

٢. فى مط: فى استنماء رأيك. فى مد: فى استبار رأيك. والرسم فى الأصل لا يحتمل ذلك.

ونظر إلى من تعوّد اقتطاع الأموال السلطانية، وإقامة مروّات نفسه منها، وقصر فى العمارة، واعتمد غيره، فعزل أمثال هؤلاء.

ثمّ عمر الثغور والبيمارستانات وأدرّ الأرزاق لمن ينظر فيها وأزاح علل المرضى والقوّام، وعمر المساجد الجامعة، وكتب إلى جميع البلدان بذلك ووقّع إلى العمّال به، وكتب إلى العمّال فى أمر المظالم كتاباً نسخته:

«بسم الله الرحمن الرحيم، سبيل ما يرفعه إليك كلّ واحد من المتظلمين قبل النوروز من مظلمته، ويدّعى أنّه تلف بالآفة من غلّته، أن تعتمد في كشف حاله على أوثق ثقاتك[١] [93] وأصدق كفاتك حتّى يصحّ لك أمره، فتزيل[٢] بالظلم فيه، فترفعه وتضع الإنصاف موضعه، وتحتسب من المظالم بما يوجب الوقوف عليه حسبه، وتستوفي الخراج بعده، من غير محاباة للأقوياء ولا حيف على الضعفاء، فاعمل فيما رُسم لك ما يظهر ويذيع ويشتهر ويشيع، ويكون العدل به على الرعيّة كاملاً، والإنصاف لجميعهم شاملاً، إن شاء الله.»

وكتب فى إسقاط مال التكملة بفارس كتاباً وفى جميع ما يشبه ذلك كتباً مشهورة مستحسنة.

فساس أبو الحسن عليّ بن عيسى الدنيا أحسن سياسة، ورسم للعمّال

١. فى مط: أوثق ثقلك.
٢. فى الأصل: فيزيل. والتصحيح من مط.

الرسوم[١] الجميلة وأنصف الرعيّة، وأزال السنن الجائرة، ودبّر أمر الوزارة والدواوين وسائر أمور المملكة بكفاية تامّة، وعفاف وتصوّن وديانة، ونظر فى المظالم وأبطل المكس بمكّة، والتكملة بفارس وسوق بحر بالأهواز، وجباية الخمور بديار ربيعة فبانت بركته على الدنيا، وعمر البلاد وتوفّر الإرتفاع، واستقام أمر السلطان وعادت هيبة الملك، وصلح أمر الرعيّة.

ثمّ أسقط علىّ بن عيسى الوزير أكثر ما زاده الخاقانى فى وزارته فى دواوين الجند وإقطاعاتهم، وكانت هذه الزيادة قد لحقت القوّاد وسائر أصناف الجند، ولحقت الخدم والحاشية [94] وجميع الكتّاب والمتصرّفين، وكانت كثيرة.

فلمّا أسقطها عاداه أكثر الناس وشنّعوا عليه بالضيق والشحّ وقطع الأرزاق، وإنّما اضطرّ إلى ذلك لمّا رأى نفقات السلطان زائدة على دخله زيادة مفرطة تحوج إلى هدم بيوت الأموال وصرفها فى نفقات يستغنى عنها.

مناظرة بين على بن عيسى وابن الفرات

وحكى ثابت بن شيبان[٢] عن علىّ بن عيسى أنّه قال: كنت عملت عملاً لإرتفاع المملكة وما علىّ من الخرج، فكان الخرج زائداً على الدخل بشىء كثير، فقال لى ابن الفرات يوماً بعد صرفه إيّاى وقد أُخرجت إليه فى دار السلطان ليناظرنى:

ـ «أبطلتَ الرسوم وهدمت الإرتفاع»

فقلت له:

ـ «أىّ رسم أبطلتُ؟»

---

١. فى مط: الرسولة الجميلة.

٢. كذء فى مط: سنان. وما فى الأصل ومد: شيبان، والرواية موجودة فى كتاب الوزراء: ٣٢٣.

قال: «المكس بمكة والتكملة بفارس.»

فقلت: «وهذا وحده أبطلت؟ وقد أبطلت أشياء كثيرة فمنها ومنها -وعددت أشياء مبلغ جميعها خمسمائة ألف دينار فى السنة- ولم أستكثر هذا المقدار في جنب ما حططته عن أمير المؤمنين من الأوزار وغسلت به عن دولته من الدرن والعار. ولكن انظر مع ما حططت وأبطلت إلى ارتفاعى وارتفاعك ونفقاتى ونفقاتك.»

قال ثابت: فقلت: [95]

- «فبأىّ شىء أجابك؟»

فقال: «خرج الخادم ففرّق بيننا قبل أن يجيب.»

قال: وحدّثنى أحمد بن محمّد بن سمعون وكان ينظر فى أعمال النهروانات، قال:

- «مسحنا على الناس غلّاتهم فإذا بعض التُنّاء قد ذهب إلى باب الوزير علىّ بن عيسى ونحن لا نعلم، فتظلّم أنّا زدنا عليه فى مساحة قراح له. فلم نشعر بشىء إلّا وقد جاءنا عامل يعرف بابن البدّال ومعه فوج[1] من مسّاح بادوريا وفرسان ورجّالة، فلم نشكّ فى أنّه صارفٌ لنا. فقال لى صاحبى: أحبّ أن تتلقاه وتتنسّم الخبر. ففعلت وتلقيته وعرفت خبر المتظلّم، فعرّفت صاحبى ذلك، فقال لى:

- «لا تدرى كيف جرى أمر مساحته؟»

فقلت: «لا.»

قال: «فاخرج حتّى توافق وتجتهد.»

قال: فخرجت ومعى مسّاح البلد الذين مسحنا بهم واستقصيت معهم، وما

---

١. فى مط: نوح.

زلت ألطف إلى أن تقرّرت المساحة، وكنّا مسحنا القَراح باثنين وعشرين جريباً فخرجت مساحته احدى وعشرين جريباً وقفيز، فاحتججت بأنّ القَراح مسح وفيه غلّة قائمة ومسح فى هذا الوقت بعد الحصاد، وليس بمنكر أن يكون بين[١] المساحتين فى الحالتين هذا المقدار وانصرف ابن البدّال.[٢]
[96]

وورد عليه كتاب علىّ بن عيسى بالصواعق فى الإنكار والتوعّد، بأنّه إن وقف على أنّ أحداً من الرعية حيف عليه فى معاملة أو مساحة فعل وصنع.

قال: فما جسرنا أن نستقصى على أحد فى معاملة، فلمّا كان فى السنة القابلة زاد الإرتفاع فى العشرة ثلاثة لأنّ الخبر انتشر بالعدل وقيل: قد رُفع الحيف والظلم فنشط الناس للإزدياد من العمارة وفعل مثل ذلك فى المظالم.

وحكى ابن المشرف أنّ بعض عمّال بادوريا طالب بالخراج وبقايا عليهم وحبس أهله فصبروا على الحبس فقيّدهم فصبروا على القيد ولم يجسر أن يوقع بهم خوفاً من علىّ بن عيسى، فكتب بحضرتهم إلى علىّ بن عيسى يُضرّبه عليهم غاية التضريب ويقول:

- «إنّ هؤلاء قوم يُدلّون بالجلد، وعليهم أموال وقد ألطّوا وصبروا على الحبس والقيد، ومتى لم تطلق اليد فى تقويمهم واستخراج المال منهم كسروه وتأسّى بهم أهل السواد فبطل الإرتفاع والوزير أعلى عيناً وما يراه[٣].»

قال القوم: فجزعنا وخفنا أن يطلق يده فينا فيتلفنا لما كان فى نفسه علينا، وهممنا بأن نذعن له. ثمّ اجتمع رأينا على التوقّف إلى أن يرد الجواب. قال: فورد وإذا هو قد وُقّع بخطّه على ظهر الرقعة:

---

١. بين، سقطت من مط.
٢. فى مط: البقال.
٣. فى مط: والوزير عبثا وما يراه.

ـ «الخراج ـ عافاك الله ـ دين وليس يجب فيه غير الملازمة فلا تتعدّ [97] ذاك إلى غيره، والسلام.»

قالوا: ففرّج عنّا وأدّينا الصحيح منّا علينا. فلمّا كانت السنة القابلة زاد ارتفاع بادوريا فى العشرة اثنين وزرعنا حتّى السطوح ثقة بالعدل والإنصاف.

تزوير توقيعات الوزير المصروف

ولمّا صُرف أبو علىّ الخاقانى عن الوزارة أكثر الناس التزويرات عليه وعُرضت توقيعاته على علىّ بن عيسى، فأنكرها وجمعها وأنفذ بها إلى أبى علىّ الخاقانى وقال:

ـ «أنظر فى هذه التوقيعات وعرّفنى الصحيح منها والباطل الذى زوّر عليك.»

واتفق[1] أن حضر رسوله وأبو علىّ الخاقانى يصلّى. فوضع الرسول التوقيعات بين يدى أبى القاسم ابنه وأدّى الرسالة. فأخذ أبو القاسم يميّزها ويفرد الصحيح منها، فأومأ إليه أبوه بالتوقّف فتوقّف. فلمّا فرغ من الصلاة أخذها فتصفّحها، ثمّ خلطها ودفعها إلى الرسول وقال:

ـ «تقرأ على الوزير السلام وتعرّفه أنّ هذه التوقيعات كلّها صحيحة وأنا أمرت بها فما رأيتَ أن تُمضيه أمضيتَهُ وما رأيت إبطاله أبطلتَهُ.»

فلمّا انصرف الرسول قال لابنه:

ـ «يا بُنَيّ، أردت أن تبغضنا إلى الناس بلا معنى ويكون الوزير قد التقط الشوك بيدك؟ نحن قد صُرفنا فلم لا تتحبّب إلى الناس بإمضاء كل ما زوّر علينا، فان أمضاه كان الحمد لنا والضرر عليه، وإن أبطله كان الحمد لنا والذمّ

---

١. فى مط: واتفقوا.

له.»

فاستحسن الناس هذا الفعل [98] من أبي عليّ، إلّا أنّ عليّ بن عيسى تذمّم إلى الخلق من الخاصّة والعامّة والحاشية بإسقاطه[١] الزيادات التى صارت عند أصحابها كالأصول واطّراحه النفقات التى تعود بتمزيق الأموال بغير فائدة، فتقلت وطأته وكره الناس أيّامه وقصدوا التشنيع عليه، وثلبوه عند المقتدر بالله، وسعى قوم لأبى الحسن ابن الفرات في الوزارة.

القبض على الحسين بن منصور الحلّاج بالسوس

وفى هذه السنة قُبض على الحسين بن منصور الحلّاج بالسوس، وأُدخل بغداد مشهّراً على جمل،[٢] وكان حُمل إلى عليّ بن أحمد الراسبى، فحمله عليّ إلى الحضرة، فصُلب وهو حيّ، وصاحبه وهو خال ولده معه فى الجانبين جميعاً، وحُبس الحلّاج وحده فى دار السلطان وظهر عنه بالأهواز وبمدينة السلام أنّه ادّعى أنّه إله وأنّه يقول بحلول اللاهوت فى الأشراف من الناس.

حوادث أخرى

وفيها أطلق الوزير أبا عليّ الخاقانى وأزال عنه التوكيل.

وفيها مات عليّ بن أحمد الراسبى بدور الراسبى، وتقدّم مونس الخادم بمشورة عليّ بن عيسى لقبض أمواله، وكتب إلى النعمان بن عبد الله بالمصير إليه والإجتماع معه على ذلك. فكتب أنّه حصّل منها نحو ألف ألف دينار.

وفيها خُلع على الأمير أبى العبّاس بن المقتدر بالله، وقُلّد أعمال الحرب

١. فى مط: بانتقاصه.

٢. فى مط: مشتهراً على الجمل.

بمصر والمغرب واستُخلف [99] له على مصر مونس الخادم.

وقُلّد الأمير على ابن المقتدر بالله الصلات وأعمال المعاون والأحداث والحرب بكور الرىّ ودنباوند وقزوين وزنجان وأبهر والطرم.

وفيها ورد الخبر بقتل[١] إسماعيل بن أحمد صاحب خراسان على شاطئ نهر بلخ، قتله غلمانه، وقام مقامه أبو الحسن نصر ابنه. فنفذ العهد إليه من المقتدر بالله والكتاب بتقليده خراسان مكان أبيه.

قتل أبي سعيد الجنّابى

وفيها ورد الخبر بأنّ خادماً لأبى سعيد الجنّابى الحسن بن بهرام المتغلّب على هَجَر قتله. ثمّ إنّ ذلك الخادم خرج بعد قتله مولاه، فدعا رجلاً من رؤساء أصحابه وقال:

ـ «السيد يدعوك.»

فلمّا دخل قتله وما زال يفعل ذلك بواحد واحد إلى أن قتل أربعة من الرؤساء. ثمّ دعا بالخامس فأحسّ الخامس بالقتل، فصاح وأطلع النساء عليه وصِحْنَ. فقُبض على الخادم قبل أن يقتل الخامس. وقتل الخادم وكان صقلابيا وقد كان أبو سعيد عهد إلى ابنه سعيد فلم يضطلع بالأمر فغلبه أخوه الأصغر أبو طاهر سليمان بن الحسن.

وقد كان القرامطة وافوا إلى باب البصرة فى سنة تسع وتسعين ومائتين، وكان المتقلّد لأعمال المعاون بالبصرة محمّد بن إسحاق بن كُنداجيق وكان يوم جمعة والناس فى الصلاة، فصاح صائح: [100]

ـ «القرامطة القرامطة.»

---

١. وزاد فى مد: أحمد بن.

فخرج إليهم الموكّلون بالباب فوجدوا فارسين قد نزل أحدهما عند الميل، فنظر إليه البوّابون جالساً متّكئاً قد وضع إحدى رجليه على الأخرى والآخر بإزائهم فصاحوا به، وبدر إليه رجل من الخَوَل، فطعنه القرمطى وقتله وتراجعوا، فبكى أخوه فقالوا له:

- «ارجع فجرّ برجله وخذه لعنكما الله.»

قالوا: «ومن أنتما؟»

قالوا: «نحن المؤمنون.»

ثمّ تنحّى فحبا حتّى أخذ أخاه ودخلوا فأغلقوا الباب، وركب ابن كنداجيق بمن معه من الجيش حتّى صار إلى الموضع فنظر الديذبان عند صهاريج الحجّاج إليهم فقالوا:

- «إنّهم نحو ثلاثين فارساً.»

فخرج إليهم عطارد ابن شهاب العنبرى وخواصّه وغلمان من شحنة البصرة والمطوّعة، فقُتل أكثرهم ولم ينجُ منهم إلّا من هرب قبل المعاينة، وسلبوهم ولم يتركوا عليهم شيئاً إلّا السراويلات بغير تكك ثمّ ضربوهم ضربات قبيحة ورجع ابن كنداجيق وغلّق الباب وجنّه الليل.

فلمّا أصبح لم ير منهم أحداً، فكتب إلى ابن الفرات ـ وكان هو الوزير فى الوقت ـ يستنجده، فأمدّه بمحمّد بن عبد الله الفارقى فى جيش كثيف وقائد من الرجال يُعرف بقوروبه، وجعفر الزّرنجى فى نفر من الرجالة معونة لابن كنداجيق.

علىّ بن عيسى الوزير والقرامطة

فلمّا تقلّد أبو الحسن [101] علىّ بن عيسى الوزارة شاوره المقتدر فى أمر القرامطة فأشار بمكاتبة أبى سعيد الحسن بن بهرام الجنّابى، فتقدّم إليه

بمكاتبته وإنفاذ الكتاب على يدى من يرى، فكتب كتاباً طويلاً جدًّا يذكّرهم بالله ويدعوهم إلى الطاعة ويقول فى آخره:

ـ «إنّ أمير المؤمنين جعل كتابه هذا ظهريًّا[١] عليك وحجّة من الله بيّنة فيك، وقاطعاً لعللك، وباباً يعصمك إن صدقت عمّا أراده من الخير بك، وعظمت النعمةُ فيما بذله من العهد لك.»

ونفذ الرسل، فلمّا وصلوا إلى البصرة انتهى إليهم قتل أبى سعيد، فتوقّفوا عن المسير وكاتبوا الوزير علىّ بن عيسى بذلك واستطلعوا رأيه، فعاد الجواب إليهم بالمسير إلى أولاده ومن قام بعده مقامه، فتمّموا المسير وأوصلوا الكتاب وأدّوا الرسالة، فأجابوا عن الكتاب وأطلقوا الأسرى الذين تكلّم فيهم الرسل، وعاد بهم الرسل إلى بغداد.

ودخلت سنة إثنتين وثلاثمائة

وفيها قُبض على أبى عبد الله الحسين بن عبد الله المعروف بابن الجصّاص الجوهرى وأُنفذ إلى داره جماعة حتّى حملوه إلى دار السلطان فأخذ منه من المال والجوهر ما قيمته أربعة آلاف[٢] [102] وكان هو يدّعى أكثر من ذلك بكثير ويتجاوز فى ذلك عشرين ألف ألف دينار وأكثر.

وفيها خرج الحسين بن علىّ العلوى[٣] وتغلّب على طبرستان ولُقب الداعى فوجّه إليه أخو صعلوك جيشاً فلم يثبتوا له وانصرفوا فعاد العلوى إليها.

---

١. فى الأصل: ظهريًّا. والصواب «ظهيراً» كما جاء فى حواشى مد.

٢. والمبلغ كان ستّة آلاف الف دينار. انظر، صلة عريب، ص ٤٨. وربما سقط من الأصل: «ألف». ومط هنا ناقصة.

٣. هو الأطروش. انظر، صلة عريب: ٤٧.

ودخلت سنة ثلاث وثلاثمائة

خروج الحسين بن حمدان عن طاعة السلطان وما كان من عاقبته

وفيها ورد الخبر بأنّ الحسين بن حمدان قد خالف وخرج عن طاعة السلطان. وكان مونس الخادم غائباً قد أُخرج إلى مصر لمحاربة العلويّ صاحب المغرب[١] لمّا قصد مصر في نيّف وأربعين ألفاً.

فندب له الوزير عليّ بن عيسى رائقاً الكبير وخلع عليه، وكتب إلى مونس يعرّفه الخبر ويأمره بالمسير إلى ديار مُضَر إذا انصرف من مصر، وأن يجذب معه أحمد بن كيغلغ وعليّ بن أحمد بن بسطام والعبّاس بن عمرو ليصلح الديار فيزيل الإختلال ويحفظ الثغور وخاصّة الخزرية منها. فقد كان جرى على حصن منصور من قصد الروم إيّاه وسبيهم كلّ من كان في نواحيه أمر عظيم لتشاغل الناس بالحسين بن حمدان عن الغزاة الصائفة.

ولمّا صار رائق إلى الحسين بن حمدان أوقع به الحسين، فصار رائق إلى مونس واتصلت [103] كتب عليّ بن عيسى الوزير إلى مونس بالإسراع نحو الحسين، فجدّ مونس في المسير، ولمّا قرُب من الحسين جاءه مروان[٢] كاتب الحسين وجرت بينه وبينه خطوب، كتب بها مونس إلى عليّ بن عيسى، وذكر أنّ مروان أوصل إليه كتاباً من الحسين يتضمّن خطاباً طويلاً قد افتتحه وختمه وكرّر القول في فصوله:

- «إنّ السبب في خروجه عمّا كان عليه من الثقة والطاعة عدول الوزير

---

١. هو المهدي أبو القاسم عبيدالله. انظر حواشي مد.

٢. في الأصل: مَروَن (بالضبط) فقرئ في مد: «هرون» ثم: هارون (دون توجيه) فأثبتناه «مروان» كما يُقرأ من رسم الأصل.

ـأيّده الله ـ عمّا كان عليه فى أمره إلى ما أوحشه وأنّه لم يف له بضمانات ضمنها له.»

وذكر أنّه قد اجتمع له من قبائل العرب ورجال العشيرة ثلاثون ألف رجل، وأنّه سأل الرسول عمّا حمله الحسين من الرسالة إليه، فذكر أنّه يسأله المقام بحرّان إذ كانت تحمل عسكره، وأن يكاتب الوزير ـأعزّه الله ـ فى أمره ويسأله صرفه عمّا يتقلّده من الأعمال، وتركه مقيماً فى منزله وتقليد أخيه ديار ربيعة، وأنّه عرّفه أنّ هذا متعذّر غير ممكن، إذ كانت كتب الوزير متّصلة إليه بالإنجذاب، وأنّ مخالفته غير جائز وأنّه لا يدع الكتاب فيما سأل، ولا يثنيه ذلك عمّا رسمه الوزير ـأعزّه الله ـ فإن عزم على اللقاء فبالله يستعين على كلّ من خالف السلطان ـأعزّه الله ـ وجحد نعمته وإن انقاد للحقّ وسلك سبيله وصار [104] إليه فنزع عمّا هو عليه كان ذلك أشبه به، وإن أبى وأقام على حاله من التعزّز والمخرقة لقيه بمضر بأسرها، وصان رجال السلطان مع وفور عددهم عن التعرّض لطغامه، لا لنكول عنه منه، لكن لاستهانته بأمره، وأنّه وكّل بكاتبه هذا المترسّل عنه، وأنّه لا يأذن له فى الإنصراف إلّا بعد أن يعرف خبر الحسين.

ثمّ وردت الأخبار برحيل مونس حتّى نزل بإزاء جزيرة بنى عمر ورحيل الحسين نحو أرمينية مع ثقله وأولاده وأمواله.

ثمّ انفلّ عسكر الحسين وصاروا إلى مونس أوّلاً أوّلاً.

وورد كتاب مونس بأنّه قد صار إليه من أقرباء[1] الحسين وغلمانه وثقاته ووجوههم سبعمائة فارس، وأنّه خلع على أكثرهم ونفد ما كان معه من الخلع والمال، وأنّه فى احتيال باقى ما يحتاج إليه.

---

١. كذا فى الأصل: أقرباء: فى مد: أمراء (خلافاً للأصل).

ثمّ ورد كتابه بأسر الحسين بن حمدان وجميع أهله وأكثر من صحبه، وقبض على أملاك بنى حمدان بأسرهم ودخل مونس ومعه الحسين وابنه بغداد.

فلمّا كان بعد يومين حُمل الحسين من باب الشمّاسية إلى دار السلطان مصلوباً على نِقْنِق،[١] منصوباً بأعلى ظهر فالج[٢] وابنُه مشهور على جمل آخر والبرانس على رؤوسهما، وسار بين يديه الأمير أبو العبّاس ابن المقتدر بالله، [105] والوزير أبو الحسن علىّ بن عيسى، والأستاذ مونس الخادم وأبو الهيجاء عبد الله بن حمدان وإبراهيم بن حمدان وسائر القوّاد والجيش والفيلة، فلمّا وصلوا إلى دار السلطان وقف الحسين بين يدى المقتدر بالله، ثمّ أمر بتسليمه إلى زيدان القهرمانة وحُبس عندها فى دار السلطان.

وشغّب الرجّالة والحجرية بعد حصول الحسين بن حمدان، وأحرقوا اصطبل الوزير وطالبوه بالزيادة فى أرزاقهم، فزيد بكلّ غلام ثلاثة دنانير فى كلّ شهر من شهورهم، وزيد الرجّالة كلّ راجل[٣] نصف وربع دينار فى كلّ شهر، فسكن الشغب.

وقُبض على أبى الهيجاء عبد الله بن حمدان وجميع أخوته وحُبسوا فى دار السلطان. وكان هرب ابن للحسين[٤] بن حمدان فى جماعة من أصحابه وبلغت هزيمته آمد، فأوقع بهم الجزرى وقتل ابن الحسين وجماعة من أصحابه، وحُملت رؤوسهم إلى الحضرة وصُلب قوم من أصحاب الحسين بن حمدان.

---

١. نِقْنِق: كذا فى الأصل ومط: نقنق.
٢. كذا فى الأصل: فالح (بالحاء المهملة). فى مط ومد: فالج.
٣. كذا فى الأصل: راجل. فى مط ومد: «ا
٤. فى مط: ابو الحسين، بدل «ا

ودخلت سنة أربع وثلاثمائة

غلام وهسوذان يقتل أحمد بن سياه

وفيها لقى بإصبهان غلام لعلىّ بن وهسوذان الديلمى وكان يتقلّد أعـمال المعاون بها أحمد بن سياه عامل الخراج بها، أنفذه صاحبه إليه فى حاجة، واتفق أنّه لقيه وهو [106] راكب، فكلّمه فى الحاجة، فاشتدّ ذلك على أحمد بن سياه، وقال له:

ـ «يا مؤاجر تخاطبنى فى حاجة على ظهر الطريق؟»

فانصرف الغلام إلى مولاه محفظاً، وحدّثه بما جرى، فقال له:

ـ «صدق فيما قال، ولولا أنّك مؤاجر لضربت رأسه بالسيف لمّا خاطبك بذلك، فعاد الغلام ووجد أحمد بن سياه منصرفاً فعلاه بالسيف وقتله، فأنكر السلطان ذلك عليه وصرف علىّ بن وهسوذان لأجل ذلك من إصبهان بأحمد بن مسرور البلخى، فاستأذن علىّ بن وهسوذان فى الإنصراف إلى بلد الديلم، فأذن له، ثمّ سأل بعد ذلك فى أمره مونس الخادم فرضى عنه وأقام بنواحى الجبل.

وفيها قدم محمّد بن علىّ بن صعلوك مدينة السلام وهو ابن عمّ صاحب خراسان مستأمناً فخلع عليه.

زَبْزَبٌ على السطوح

وحيلة للسلطان

وفيها فى فصل الصيف تفزّعت العامّة من حيوان كانوا يسمّونه الزَّبزب،[1]

---

١. فى الأصل ومط: الرَّبرب (بالرائين المهملتين. فى مط ومـد: الزِّبـزب (بـالإعجام). والزبـزب: دابّة كالسنّور، أى الهرّ. والرّبرب: قطيع من بقر الوحش.

ذكروا أنّهم يرونه فى الليل على سطوحهم، وأنّه يأكل أطفالهم. قالوا: وربّما قطع يد الإنسان إذا كان نائماً، أو ثدى المرأة فيأكله. وكانوا يتحارسون طول الليل ولا ينامون ويتزاعقون ويضربون الطسوت والصوانى والهواوين ليفزّعوه.

وارتجّت بغداد لذلك، حتّى أخذ السلطان حيواناً غريباً أبلق، كأنّه من كلاب الماء، وقال:

- «هو الزّبزب، وإنّه صيد.»

فصُلب [107] على نِقْنِقٍ عند الجسر الأعلى، وبقى مصلوباً إلى أن مات. فلم يغن ذلك إلى أن انبسط القمر، وتبيّن للناس أنّه لا حقيقة لما توهّموه، فأمسكوا. إلّا أنّ اللصوص وجدوا فرصتهم بتشاغل الناس فى سطوحهم، فكثُرت النقوب.

الوزير يصلّى على جنازة شارٍ على أنّها جنازة ابن الفرات

وفيها تقرّر عند أبى الحسن علىّ بن عيسى الوزير أنّه قد سعى لابن الفرات فى الوزارة وتحققه، فاستعفى منها، ولم يُعفه المقتدر، وأظهر فى دار السلطان أنّ ابن الفرات عليل شديد العلّة.

واتفق أن مات الشارى الذى كان محبوساً فى دار السلطان، والتدبير فى أمر الشراة[1] أن يكتم موت من يؤخذ منهم، ممّن تسميه الشراة إماماً، فإنّه ما دام حيّاً فليس ينصبون إماماً غيره، فإن صحّ عندهم موته نصبوا غيره. فأُظهر فى دار السلطان أنّ ابن الفرات مات، وكُفّن الشارى وأُخرجت جنازته على أنّها جنازة ابن الفرات، وصلّى عليه الوزير علىّ بن عيسى، ثمّ انصرف

١. الشُّراة: الخوارج.

إلى منزله متوجّعاً وقال لخواصه:

ـ «اليوم ماتت الكتابة.»

ثمّ مضت الأيّام ووقف عليّ بن عيسى من جهات كثيرة على تمام السعى لابن الفرات، وأنّه حيّ، فقال لخواصّه:

ـ «ليس ينبغى للإنسان أن يتحدّث بكلّ ما يسمعه.»

صرف علي بن عيسي عن الوزارة

وكان يضجر في أوقات من سوء [108] أدب الحاشية والمطالبة بالمحالات، واستعفى من الوزارة ويخاطب المقتدر فى ذلك، فينكر عليه استعفاءه.

إلى أن اتفق يوماً أن صارت إليه أمّ موسى القهرمانة فى آخر ذى القعدة من سنة أربع وثلاثمائة لتواقفه[١] على ما يطلق فى عيد الأضحى للحرم والحاشية، وكان عليّ بن عيسى محتجباً، فلم يجسُر سلامة حاجبه عليه أن يستأذن لها فصرفها صرفاً جميلاً. فغضبت من ذلك وعلم عليّ بن عيسى بحضورها وانصرافها، فأمر أن تُلتمس ويُعتذر إليها لترجع، فأبت أن تعود، وصارت إلى المقتدر والسيّدة، فأغرت به وتخرّصت عليه الأحاديث، فصرفه المقتدر بالله وقبض عليه غداة الإثنين لثمانٍ خلون من ذى الحجّة سنة أربع وثلاثمائة عند ركوبه إلى دار الخلافة، ولم يعرض لشيء من أملاكه وضياعه وضياع أسبابه، ولا لأحد من أولاده، واعتقل عند زيدان القهرمانة.

فكانت مدّة وزارته هذه ثلاث سنين وعشرة أشهر وثمانية وعشرين يوماً.

---

١. كذا فى الأصل: لتواقفه. فى مط: لتوافقه.

وزارة أبي الحسن عليّ بن محمّد
ابن الفرات الثانية

وفيها تقلّد أبو الحسن الوزارة والدواوين لثمانٍ خلون من ذى الحجّة، وخُلع عليه وصار [109] إلى داره بالمخَرّم[١] التى كان أُقطعها فى وزارته الأولى، وكتب إلى الأطراف والبلدان عن المقتدر بالله بخبر إعادته إلى الوزارة على نسخة أنشأها أبو الحسين محمّد بن جعفر بن ثوابة، وفى فصل منه:

- «ولمّا لم يجد أمير المؤمنين غنى عنه ولا للملك بُدّاً منه، وكان كتّاب الدواوين على اختلاف أقدارهم وتفاوت ما بين أخطارهم مقرّين برئاسته معترفين بكفايته متحاكمين إليه إذا اختلفوا واقفين عند غايته إذا استبقوا مذعنين بأنّه الحُوّل القُلّب المحنّك المجرّب العالم بدرّة المال كيف تُحلب ووجوهه كيف تُطلب، انتضاه من غمده، فعاد ما عُرف من حدّه، فنفّذ الأعمال كأن لم يغب عنها، ودبّر الأمور كأن لم يخلُ منها. ورأى أمير المؤمنين ألاّ يدع سبباً من أسباب التكرمة كان قديماً جعله له إلاّ وفّاه إيّاه، ولا نوعاً من أنواع المثوبة والجزاء كان أخّره عنه إلاّ حباه به وآتاه.»

فخاطبه بالتكنية وكان وكان.

وقبض ابن الفرات على أسباب عليّ بن عيسى واخوته وكتّابه وجميع

---
١. فى مط: المحرم (بالحاء المهملة).

عمّاله بالسواد وبالمشرق والمغرب، وصادرهم سوى أبي الحسين وأبي الحسن إبني أبي البغل، فإنّه أقرّهما على ما كانا يتولّيانه من أعمال إصبهان والبصرة، لعناية أمّ موسى [110] بهما. وقبض على أبي عليّ الخاقاني وتتبّع أسبابه، وألزم جميعهم مصادرة ثانية أدّوها. وطالب العمّال المصروفين بالمصادرة وأن يظهروا المرافق ويؤدّوها، ونصب ديواناً للمرافق، وكان ضمن للمقتدر ووالدته من هذه الجهة كلّ يوم ألفاً وخمسمائة دينار، وكانت تُنسب إلى مال الخريطة. فكان يحملها ولا يمكنه الإخلال بها وكان منها للمقتدر في كلّ يوم ألف دينار، وللسيّدة في كلّ يوم ثلاثمائة وثلاثة وثلاثون ديناراً، وثلث، وللأميرين أبي العبّاس وهارون ابني المقتدر في كلّ يوم مائة وستّ وستّون ديناراً وثلثاً.

وكان ابن الفرات قد اتّسع بما كان استسلفه[1] عليّ بن عيسى من الخراج، فإنّه قد كان جبى قطعة منه قبل الإفتتاح وابتدأ بذلك قبل صرفه بعشرة أيّام، وأعدّ المال في بيت المال لينفقه في العيد في إعطاء الحشم والفرسان والأتراك، فقويت نفس ابن الفرات به وانضاف إلى ذلك جملة عظيمة راجت له من مال المصادرات والضمانات، وأموال سفاتج وردت من فارس وإصبهان ونواحي المشرق في درج كتب بحُمول كتبت على أنها تصل إلى عليّ بن عيسى، فأطلق جميع ذلك في الفرسان والحشم والخدم ومهمّ النفقات.

وكان الغالب [111] على أمر الدواوين والأعمال في أيّام وزارة ابن الفرات هذه من بين سائر كتّابه أبو بشر عبد الله بن فرجويه، وكان السبب في ذلك أنّه سلم من النكبة وقت القبض على ابن الفرات في الدفعة الأولى، واستتر

---

١. في مط: استلفه.

مدّة وزارة الخاقانى وعلىّ بن عيسى، وواصل بعد ما مضت سنة واحدة من وزارة علىّ بن عيسى مكاتبة ابن الفرات على يد عيسى المتطبّب، وكان ابن الفرات يجيبه عن رقاعة ويرسم له ما يكاتب به المقتدر عن نفسه، فى معايب علىّ بن عيسى وكتّابه وعمّاله، وأنّه ليس يصادر أحداً من عمّاله ويقول:

ـ «لا أخوّن عاملاً بعد أن ائتمنته.»

ويذكر تأخّر أرزاق الولد والحُرم والحشم، حتّى إنّه اقتصر بالولد والحُرم على جارى ثمانية أشهر فى السنة، والخدم والحشم بستّة أشهر من السنة، واقتصر بالفرسان من مائة وخمسين ألف دينار تُطلق لهم فى الشهر على خمسين ألف دينار.

وكان المقتدر يواقف ابن الفرات على تلك الرقاع، فيعرّفه أنّ ابن فرجويه خَبِر بالأمور، وأنّه صادق فى كلّ ما ذكره فيهم المقتدر بصرف علىّ بن عيسى، فإذا شاور مونساً فى ذلك أشار عليه أن لا يفعل. ووصف علىّ بن عيسى بالديانة والأمانة.

فلمّا خرج مونس إلى مصر لمحاربة العلوى [112] صاحب المغرب، تمكّن ابن فرجويه من الجدّ فى السعى على علىّ بن عيسى، وكان غريب الخال ونصر الحاجب يدفعان عن علىّ بن عيسى لمّا غاب مونس. فلمّا تبيّن ابن[1] فرجويه دفع غريب ونصر عن علىّ بن عيسى، كتب رقعة بخطّه إلى المقتدر، يذكر فيها أنّه إن صرف علىّ بن عيسى عن الوزارة، وقلّد مكانه علىّ بن محمّد ابن الفرات، أطلق للولد والحُرم والحشم ولمن بالحضرة من تفاريق الفرسان مثل ما كان يطلقه فى أيّام وزارته الأولى على التمام

---

١. كذا فى الأصل ومط: ابن. فى مد لابن.

والكمال والإدرار، وأن[١] يوفّر بعد ذلك من مال مصادرات العمّال ومال مرافقهم والاستثبابات في النواحي في كلّ شهر من شهور الأهلّة خمسة وأربعين ألف دينار.

فواقف المقتدر ابن الفرات على هذه الرقعة، فذكر أنّ جميع ما تضمّنته صحيح، وبذل خطّه بضمانه جميع ذلك. فكانت هذه الرقاع من أكبر أسباب التحاقه على ابن فرجويه في وزارته هذه واختصاصه به.

واتفق له مع ذلك أنّ ابن الفرات أودع على يده عند جماعة من التجار والكتّاب أموالاً جليلة، ولم يقرّ ابن الفرات بما كان أودعه ابن فرجويه، لأنّه لم يكن يعرف أسماء من أودع ذلك عنده. فلمّا عاد إلى الوزارة استخرج له ابن فرجويه جميع ما كان أودعه له من غير [113] أن يذهب له شيء منه.

وكان أبو عليّ بن مقلة متعطّلاً في أيّام وزارة الخاقاني، وعليّ بن عيسى ملازماً منزله واستتر أيّام الخاقاني، ثمّ آمنه عليّ بن عيسى، فلزم منزله فشكر له ابن الفرات واختصّ به لهذه الحال.

ذكر ما جرى من ابن أبي الساج عند تداول الوزارة الأيدي الكثيرة

لمّا وقف يوسف بن أبي الساج على الخبر في صرف عليّ بن عيسى عن الوزارة، وكان مقيماً بأذربيجان ومتقلّداً أيّام وزارة ابن الفرات الأولى أعمال الصلاة والحرب والمعاون والخراج والضياع العامّة بأرمينية وأذربيجان، ومقاطعاً على مال يحمله في كلّ سنة عنها إلى بيت المال بالحضرة، وكان يزيح العلّة في ذلك المال مدّة أيّام وزارة ابن الفرات الأولى. فلمّا ولي أبو

١. أن: تبدو زائدة. وهي موجودة في كلّ من الأصل ومط.

عليّ الخاقانى الوزارة ثمّ عليّ بن عيسي، طمع فأخّر أكثر المال الذى كان يقاطع عليه، واجتمع له من ذلك ما قوى به وحمله على العصيان.

ذكر ما دبّره ابن أبي الساج
واحتال به

أظهر أنّ عليّ بن عيسى أنفذ إليه اللواء والعهد عن المقتدر بالله بتقليده أعمال الحرب [114] بالريّ وقزوين وأبهر وزنجان قبل صرفه عن الوزارة، وسار مبادراً إليها. فلمّا قَرب منها انصرف عنها محمّد بن عليّ صعلوك،[١] وهرب إلى نواحي خراسان، وكان محمّد بن عليّ هذا متغلّباً على هذه النواحي، ثمّ قاطع عن الضياع والخراج مقاطعة خفيفة ولم يف بذلك أيضاً.

فلمّا وقف ابن الفرات على ما فعله ابن أبي الساج أنهى ذلك إلى المقتدر، ثمّ ورد كتاب ابن أبي الساج بعد أيّام يعتدّ بما فعله من إخراج محمّد بن عليّ صعلوك عن الريّ وما يليها، ويبشّر السلطان بفتحه هذه النواحي، ويصف أنّه لمّا ورد عليه العهد واللواء من جهة عليّ بن عيسى سار إليها فرزقه الله الفتح والنصر. فاغتاظ المقتدر بالله من ذلك وتقدّم إلى ابن الفرات بمواقفة عليّ بن عيسى على ما كتب به ابن أبي الساج، فأخرجه من محبسه[٢] ورفق به وخاطبه بجميل وقال له:

- «قد يجوز أن تكون دبّرت بهذا الفعل على صعلوك وهذا غير منكر.»

فحلف أنّه ما ولّاه ولا أنفذ إليه لواء ولا عهداً وقال:

- «لابدّ للواء والعهد أن يُنفذ مع خادم من خدم السلطان، أو قائد من قوّاده. وهؤلاء الخدم والقوّاد بين أيديكم، سلوهم عن ذلك، ولديوان الرسائل

---

١. فى مط: عليّ بن معلوك.

٢. فى مط: مجلسه.

[115] كاتب يتقلّده بكتب العهود والولايات، سلوه هل كتب بشيء؟»

فأخذ منه ابن الفرات خطّاً بما حكاه وعرضه على المقتدر بالله فازداد المقتدر غيظاً على ابن أبي الساج.

وكتب ابن الفرات عن المقتدر بالله وعن نفسه إلى ابن أبي الساج في هذا المعنى أغلظ كتب وتوعّده، وأنفذ إليه من الحضرة لمحاربته خاقان المُفلحي، وضمّ إليه الرجال، وأنفذ بعده عدّة من القوّاد مدداً له وأنفق الأموال فيهم. وكان فيهم مثل محمّد بن مسرور[١] البلخي وسيما الخزري ونحرير الصغير وجماعة أمثالهم. فواقعه ابن أبي الساج وهزمه وأسر جماعة من أصحابه وأدخلهم مُشهّرين إلى الريّ.

وقدم مونس الخادم من الثغر، فندب لحرب ابن أبي الساج وشخص إليه، وكُتب إلى جميع القوّاد في طريقه بالإنضمام إليه واستأمن إليه أحمد ابن عليّ صعلوك[٢] فأحسن قبوله، وصرف خاقان المُفلحي عمّا كان إليه من أعمال الجبل، وقلّد مكانه نحرير الصغير.

واتصلت كتب ابن أبي الساج يلتمس الرضا عنه ويبذل سبعمائة ألف دينار عن أعمال الخراج والضياع بكورة الريّ وما يليها خالصة، سوى أرزاق الأولياء في تلك الأعمال، وسوى النفقات [116] الراتبة. فلم يجبه المقتدر بالله إلى ما التمس فكتب يبذل أن يقيم بالريّ متقلّداً أعمال المعاون والحرب بها فقط حتّى ينفذ السلطان إلى تلك النواحي من يتقلّد أعمال الصلاة والخراج والضياع والأحكام والبريد والخبر والخرائط والصدقات. فأقام المقتدر على أنّه لو بذل كلّ بذل لما أقرّه على الريّ يوماً واحداً لإقدامه على أن سار إليها بغير أمر.

---

١. كذا في الأصل ومط. في مد: سرور.

٢. في مط: عليّ بن صعلوك.

فلمّا رأى ابن أبى الساج هذه الحال انصرف عن الريّ وأعمالها بعد أن أخربها وجبى مالها لسنة أربع وثلاثمائة فى مدّة قريبة، وقلّد مونس الريّ وقزوين وصيفاً البكتمرّى، ورضى ابن أبى الساج بأن يجدّد له العهد والولاية للأعمال التى كانت إليه أوّلاً. وأشار ابن الفرات بقبول ذلك منه وضمن أن يلزمه بهذا السبب حمل جملة من المال إلى بيت المال يحسن موقعها، فعارض ذلك نصر الحاجب وابن الحوارى وقالوا:

ـ «لا يجوز أن يَقَرَّ على أرمينية وأذربيجان إلّا بعد أن يرد الحضرة ويطأ البساط.»

ونسبوا ابن الفرات إلى مواطأته، فأقام المقتدر على أنّه لابدّ من محاربته، أو يرد الحضرة، وكتب إلى مونس بالتعجّل إليه لمحاربته. [117]

فلمّا رأى ابن أبى الساج أنّ دمه على خطر، حارب مونساً بسراة من بلد أذربيجان فانهزم مونس إلى زنجان، وقتل من قوّاد السلطان سيما، واستأسر ابن أبى الساج جماعة من قوّاد مونس فيهم هلال بن بدر، وأدخلهم إلى أردبيل مُشهرين وأقام مونس بزنجان يجمع ليوسف، وهو مع ذلك يكاتبه ويراسله. وابن أبى الساج يلتمس منه الصلح ومونس لا يقبل منه إلّا المصير إلى الحضرة.

وكان ابن أبى الساج أبقى على مونس لمّا انهزم حتّى سلم فى ثلاثمائة غلام، ولو أراد ابن أبى الساج لأسره فكان مونس يشكر[١] ابن أبى الساج على هذه الحال.

فلمّا كان فى المحرّم بعد ذلك فى أيّام وزارة حامد بن العبّاس واقع مونس يوسف بن أبى الساج الوقعة الأخرى بأردبيل، فأسر يوسف وبه

---

١. فى مط: يشكو.

ضربات، وانصرف به مونس إلى بغداد. فلمّا كان سنة سبع وثلاثمائة حُمل يوسف بن أبي الساج على جمل من باب الشمّاسية وأُدخل بغداد مُشهراً، على رأسه بُرنُس وبين يديه الجيش إلى أن وصل إلى دار السلطان ووُقّف بين يدي المقتدر، ثمّ حُبس في دار السلطان في يد زيدان القهرمانة، ووسّع عليه ثمّ خُلع على مونس وطوّق وسوّر [118] وخُلع على جماعة من قوّاده وزيد الرجّالة نصف دينار لكلّ واحد في الشهر.

ولمّا بعد مونس من أذربيجان وأنكفأ راجعاً إلى مدينة السلام ومعه يوسف بن ديوداذ[١] غلب سُبك غلام يوسف عليها، فأنفذ مونس إليه محمّد بن عبد الله الفارقي وقلّده البلد، وكان في حدود أرمينية، فسار إلى سُبك وحاربه فانهزم الفارقي وصار إلى بغداد وتمكّن سُبك من البلد. ثم كتب إلى السلطان يسأل أن يقاطع عن الناحية، فأُجيب وفورق[٢] على أن يحمل في كلّ سنة مائتين وعشرين ألف دينار، وأنفذت إليه الخلع والعقد ولم يف بما وُوقف عليه.

وكان مونس لمّا ظفر بيوسف بن أبي الساج وقبل انصرافه عن أذربيجان قلّد بن وهسوذان أعمال الحرب بالريّ ودنباوند[٣] وقزوين وزنجان وأبهر وسلّمها إليه وجعل أموالها له ولرجاله، وقلّد أحمد بن عليّ صعلوك أعمال المعاون بإصبهان وقم وجعل مال الخراج والضياع بقم وساوة له ولرجاله، مبلغه في كلّ سنة أكثر من مائتي ألف دينار.

ثمّ وثب أحمد بن مسافر صاحب الطَرم على ابن أخيه عليّ بن وهسوذان وهو معه مقيم بناحية قزوين فقتله على فراشه [119] وهرب في الوقت إلى

١. في مط: ديوداذاد.
٢. في مط: فأجيب بورق.
٣. كذا في الأصل ومط: دنباوند. جاء في مد: ديناوند، وهو خطأ.

بلده وكان أحمد بن علىّ أخو صعلوك مقيماً بقم، فسار منها إلى الرىّ ودخلها فأنكر عليه السلطان فعله، وقلّد وصيف البكتمرى أعمال علىّ بن وهسوذان وقلّد محمّد بن سليمان صاحب الجيش أعمال الخراج والضياع وكوتب أحمد بن علىّ بالإنصراف إلى قم، ففعل.

ثمّ جرت بينه وبين محمّد بن سليمان وحشة، فأظهر الخلاف وصرف عمّال الخراج والضياع عن قم، وأخذ فى الإستعداد للمسير إلى الرىّ.

وكوتب نحرير الصغير وهو متقلّد همذان بالمسير إلى الرىّ والإجتماع مع وصيف البَكْتِمُرى ومحمّد بن سليمان على دفع أحمد بن علىّ. وسار أحمد بن علىّ إلى باب الرىّ فواقعوه، وانهزم وصيف ونحرير إلى همذان، وقتل محمّد بن سليمان فى الوقعة، وحصلت الرىّ فى يد أحمد بن علىّ، فشرع فى إصلاح ما بينه وبين السلطان وعُنى به نصر الحاجب فقاطع عن أعمال الخراج بالرىّ ودنباوند وقزوين وزنجان وأبهر على مائة وستّة وستين ألف دينار محمولة فى كلّ سنة إلى الحضرة، وقُلّد الناحية، وقُلّد محمّد بن خلف النيرمانى الضياع بهذه النواحى وأُخرج أحمد بن علىّ عن قم فقُلّد من نظر فيها.

ونعود إلى حديث ابن الفرات. [120]

لمّا تبيّن الوزير أبو الحسن ابن الفرات عداوة نصر الحاجب وأبى القاسم ابن الحوارى وشفيع اللؤلؤى ونسبهم إيّاه إلى مواطأة ابن أبى الساج على العصيان عاداهم ومنعهم أكثر حوائجهم وصرف نصراً وشفيعاً عن أكثر أعمالهم.

وكان ابن الفرات قلّد أبا علىّ ابن مقلة كتابة نصر الحاجب، ثمّ استوحش أبو علىّ ابن مقلة من ابن الفرات لأجل استخدامه سعيد بن إبراهيم التسترى،

فذكر لنصر أنّ ابن الفرات قد استخرج من ودائعه التى سلمت له خمسمائة ألف دينار بعد أن حلف فى وقت نكبته أنّه ما بقيت له وديعة لم يقرّ بـها، فذكر نصر للمقتدر ذلك ليغيظه على ابن الفرات وغرّ نصر وابن الحوارى أبا علىّ ابن مقلة وأطمعاه فى الوزارة ليستخرجا ما عنده من أخبار ابن الفرات التى يضرّبون بها المقتدر عليه، حتّى ظهر الأمر فى ذلك واشتهر وكثرت به الأراجيف، فذهب أبو الخطّاب ابن أبى العبّاس ابن الفرات إلى عمّه فشرح له ما يتحدّث به الناس فقال له:

ـ «إن شككت فى أبى علىّ ابن مقلة مع تربيتى له ورفعى[1] منه شككت فى ولدى وفيك.»

ثمّ تبيّن ابن الفرات بعد ذلك صحة ما نُسب إلى ابن مقلة وأطـلع [121] أباعلىّ ابن مقلة على بعض ما وقع إليه من الخوض فى أمره على طـريق التعجّب ليصرفه عمّا شرع فيه، فاستوحش أبو علىّ منه وخاف معاجلته إيّاه بالنكبة، فجدّ فى السعى عليه واعتصم بنصر الحاجب.

ودخلت سنة خمس وثلاثمائة
ورود رسولين لملك الروم بهدايا وألطاف كثيرة التماساً للهدنة

وفيها ورد رسولان لملك الروم إلى مدينة السلام على طريق الفرات بهدايا عظيمة وألطاف كثيرة يلتمسان الهدنة.

وكان دخولهما يوم الإثنين لليلتين خلتا من المحرّم، فأُنزلا فى دار صاعد بن مخلد، وتقدّم أبو الحسن ابن الفرات بأن يُفرش لهما ويُعدّ فيه كـلّ مـا

---

١. ويحتمل أن يقرأ: ودفعى، كما قرئ فى مد.

يحتاجان إليه من الآلات والأواني وجميع الأصناف، وأن يُقام لهما ولمن معهما الأنزال الواسعة والحيوان الكثير والحلاوة، حتّى يتّسع بذلك كلّ من معهما. والتمسا الوصول إلى المقتدر بالله ليبلّغاه الرسالة التى معهما.

فأُعلما أنّ ذلك متعذّر صعب لا يجوز إلّا بعد لقاء وزيره ومخاطبته فيما قصد إليه وتقرير الأمر معه والرغبة إليه فى تسهيل الإذن على الخليفة [122] والمشورة عليه بالإجابة إلى ما التمسا.

فسأل أبو عمر عدىّ بن عبد الباقى الوارد معهما من الثغر أبا الحسن ابن الفرات الإذن لهما فى الوصول إليه فوعده بذلك فى يومٍ ذكره له.

وتقدّم الوزير بأن يكون الجيش مصطفّاً من دار صاعد إلى الدار التى أُقطعها بالمخرّم، وأن يكون غلمانه وحده وخلفاء الحجّاب المرسومين بداره منتظمين من باب الدار إلى موضع مجلسه، وبُسط له فى مجلس عظيم مذهّب السقوف فى دار منها يعرف بدار البستان بالفرش الفاخر العجيب، وعُلّقت الستور التى تشبه الفرش واستزاد فى الفرش والبسط والستور ما بلغ ثمنه ثلاثين ألف دينار، ولم يبق شىء تجمّل[1] به الدار ويفخّم به الأمر إلّا فُعل، وجلس على مصلّى عظيم من ورائه مسند عال والخدم بين يديه وخلفه وعن يمينه وشماله، والقوّاد والأولياء قد ملأوا الصحن، ودخل إليه الرسولان فشاهدوا فى طريقهما من الجيش وكثرة الجمع ما هالهما.

ولمّا دخلا دار العامّة أجلسهما الحاجب فى رواقها والرجال قد امتلأت بهم الدار، ثمّ أخذ بهما فى ممرّ طويل من وراء هذا الرواق حتّى أخرجهما إلى صحن البستان، ثمّ عدل بهما إلى المجلس الذى كان [123] الوزير جالساً فيه، فشاهدا من بهاء المجلس والفرش الذى فيه وكثرة الجمع منظراً

١. فى مط: تحمل.

عجيباً جليلاً.

وكان معهما أبو عمر بن[١] عبد الباقى يترجم عنهما ولهما.

وحضر نزاد بن محمّد صاحب الشرطة فى جميع رجاله فأقيما بين يدى الوزير أبى الحسن ابن الفرات، فسلّما وترجم لهما، ابن عبد الباقى ما قالا فأجابهما بما ترجمه لهما ورغبا إليه، فى إيقاع الفداء ومسألة المقتدر بالله الإجابة إليه فأعلمهما أنّه يحتاج إلى مخاطبته فيما ذكراه، ثمّ العمل فيه بما يرسمه، والتمسا منه إيصالهما إليه فوعدهما به.

وأُخرجا من بين يديه وأُخذ بهما فى الطريق الذى دخلا منه وعادا إلى دار صاعد والجيش منتظم طول الطريق بأحسن زىّ وأكمل هيأة. وكان زيّهما دراريع ديباج ملكيّة ووقايات وفوق الوقايات قلانس ديباج محدودة الرؤوس.

وخاطب ابن الفرات المقتدر بالله فى إيصالهما إليه، وواقفه على ما يجيبهما به، وتقدّم إلى سائر الأولياء والقوّاد وسائر أصناف الجند بالركوب إلى دار السلطان، وأن يكونوا منتظمين للمظّهر من دار صاعد إلى دار السلطان.

فركبوا ووقفوا فى الطريق على هذا الترتيب [124] فى الزىّ الحسن والسلاح التامّ، وتقدّم بأن تُشحن رحاب[٢] الدار والدهاليز والممرّات بالرجال والسلاح وأن يُفرش سائر القصر بأحسن الفرش ولم يزل يراعى ذلك حتّى فرغ من جميعه.

ثمّ أنفذ إلى الرسولين بالحضور، فركبا إلى الدار على الظهر وشاهدا فى طريقهما من الجيش وكثرته وحسن زيّه وتكامل عدّته أمراً عظيماً. ولمّا

---

١. فى مط: أبو عمران عبد الباقى.

٢. فى مط: رحات.

وصلا إلى الدار أُخذ بهما في ممرّ يفضي إلى صحن من تلك الصحون، ثمّ عُدل بهما إلى ممرّ آخر، وأخرجا منه إلى صحن أوسع من الأوّل، ولم تزل الحجّاب يخترقون بهما في الصحون والممرّات حتّى كلاّ من المشي وانبهرا. وكانت تلك الصحون والممرّات محشوّة بالغلمان والخدم.

إلى أن قَربا من المجلس الذي فيه المقتدر بالله والأولياء وقوف على مراتبهم، والمقتدر جالس على سرير مُلكه، وأبو الحسن ابن الفرات واقف بالقرب منه، ومونس الخادم، ومن دونه من الخدم وقوف عن يمينه ويساره.

فلمّا دخلا إلى المجلس قبّلا الأرض ووقفا حيث استوقفهما نصر الحاجب، وأدّيا إليه رسالة صاحبهما في الفداء، ورغبا إليه في إيقاعه فأجابهما الوزير عنه بأنّه يفعل ذلك رحمة للمسلمين ورغبة في فكّهم وإيثاراً لطاعة الله عزّ وجلّ [125] وخلاصهم، وأنّه ينفذ مونساً لحضور ذلك.

ولمّا خرجا من حضرته خُلع عليهما مطارف خزّ مذهّبة وعمائم خزّ، وخُلع على أبي عمر أيضاً وانصرف على الظهر معهما والجيش على حاله منتظم للفداء.

فتأهّب لذلك وابتيع من التمس الرسل ابتياعه من الروم المطلوبين وأُطلق له وللقوّاد الشاخصين معه من بيت المال بالحضرة مائة ألف وسبعون ألف دينار. وكُتب إلى العمّال في طريقه بإزاحة علّته فيما يلتمسه. وحمل إلى كلّ واحد من الرسولين عشرون ألف درهم صلة لهما. وخرجا مع مونس ومعهما أبو عمر وتمّ الفداء في هذه السنة على يد مونس.

وفيها أُطلق أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان وإخوته من الحبس في دار السلطان وخلع عليهم خلعة الرضا.

وفيها مات العبّاس بن عمرو الغنوي، وكان متقلّداً أعمال الحرب والمعاون

بديار مضر.[١] فقلّد مكانه وصيف البكتمرى فلم يضبط العمل فقلّد مكانه جنّى الصفوانى فضبطه أحسن ضبط.

ودخلت سنة ست وثلاثمائة

القبض على ابن الفرات وانتهاء وزارته الثانية

وفيها قُبض على الوزير أبى الحسن ابن الفرات وكانت مدّة وزارته هذه الثانية سنة واحدة [126] وخمسة أشهر وتسعة عشر يوماً.

ذكر السبب فى ذلك

كان السبب الظاهر فى صرف ابن الفرات عن وزارته هذه الثانية، أنّه أخّر إطلاق أرزاق الفرسان الذين مع القوّاد واحتجّ بضيق الأموال، لأجل ما احتيج[٢] إليه من صرفها إلى محاربة ابن أبى الساج، وأيضاً لأجل نقصان الإرتفاع بأخذ يوسف مال الريّ، فشغب الفرسان فى أوّل سنة ستّ وثلاثمائة شغباً عظيماً، وخرجوا إلى المصلّى. والتمس ابن الفرات من المقتدر بالله إطلاق مائتى ألف دينار من بيت مال الخاصّة ليضيف إليها مائتى ألف دينار ينفق فى الفرسان، فغلظ ذلك على المقتدر وراسله بأنّه قد كان ضمن له أن يقوم بسائر النفقات على رسمه كان فى وزارته الأولى، وبحمل ما ضمن حمله إلى حضرته مفرداً، وأنّه لم يظنّ أنّه يقدم عليه بطلب مال. فاحتجّ ابن الفرات بما ذكرته فلم يسمع حجّته وتنكّر له.

وكان عبد الله بن جُبير لمّا أقام فى وزارة علىّ بن عيسى بواسط، وقد عرف مقدار ارتفاع أعمالها وما يحصل لحامد بن العبّاس من الفضل على

١. فى مط: بديار مصر.

٢. فى مط: احتج.

الضمان، شرح ذلك لابن الفرات [127] وبيّن له وجوهه لمّا عاد إلى بغداد وعند عوده إلى مجلس الأصل فى ديوان السواد. فعظم ذلك فى نفس ابن الفرات. فلمّا أتى على ذلك مدّة استأذن ابن جُبير ابن الفرات في أن يُكاتب حامداً فى بعض ما كان أنهاه إليه من ضمان حامد، فأذن له فيه إذناً ضعيفاً فكتب من مجلسه ـ وهو مجلس الأصل فى ديوان الخراج ـ إلى حامد وأجاب حامد وتردّدت بينهما مكاتبات فى هذا المعنى.

وتبع ذلك كتب بشر بن عليّ، وهو خليفة حامد، يعتب على ابن جُبير لما كان يتكلّم به فى مجلسه، فاستوحش حامد من ذلك وتخوّف أن يكون ما يظهره ابن جُبير عن مواطأة الوزير ابن الفرات ولشيء قد عرفه من نيّته، فأنفذ من يسفر له فى الوزارة ويخاطب له نصراً الحاجب، فسعى له فى ذلك وعُرّف نصر سعة نفس حامد وضمن له تصحيح أموال جليلة من جهة ابن الفرات وأسبابه، وراسل أيضاً السيّدة فى هذا الباب.

ووافق ما سعى له فيه وما بذله له سوء رأى نصر فى ابن الفرات وتخوّفه منه والإضاقة التى عرضت فى الوقت حتّى طلب ما طلب، فتمّ لحامد ما قدّره بما اجتمع من هذه الأحوال. فروسل حامد بالخروج إلى الحضرة من واسط [128] وأن يكتب كتاباً بخروجه على أجنحة الطير.

فلمّا وقف عليه المقتدر أنفذ نصراً الحاجب وشفيعاً المقتدرى فقبضا على ابن الفرات وعلى ابنه المحسّن وموسى بن خلف وعيسى بن جُبير وسعيد بن إبراهيم التسترى وأمّ ولد له وابنها منه، وحُملوا إلى دار السلطان فاعتُقل أبو الحسن ابن الفرات وحده فى يد زيدان القهرمانة واعتقل الباقون فى يد نصر.

ووصل حامد إلى مدينة السلام وأقام ليلته فى دار الحجبة من دار السلطان، وتحقّق به أبو القاسم ابن الحوارى. وجلس حامد يتحدّث، فبان للقوّاد وجميع خواصّ المقتدر حدّته وقلّة خبرته بأمر الوزارة.

وحُدّث المقتدر بذلك فاستدعى أبا القاسم ابن الحواري وعاتبه على مشورته به، فوصفه ابن الحواري باليسار العظيم وباستخراج الأموال وهيبته عند العمّال ونُبل النفس وكثرة الغلمان. وكان مع حامد لمّا قدم أربعمائة غلام يحملون السلاح فيهم عدّة يجرون مجرى وجوه القوّاد وأكابر أصحاب السلطان.

وأشار ابن الحواري على المقتدر في عرض كلامه بإطلاق عليّ بن عيسى وتقليده الدواوين بأسرها ليخلف حامداً عليها فامتنع المقتدر من ذلك إلّا بعد أن يلتمسه حامد [129] منه، فأحتال ابن الحواري على حامد وقال له:

ـ «التمس ذلك من المقتدر إذا وصلت إلى حضرته وعظّم عليه أمر الأعمال والدواوين وحوائج الحاشية وخوّفه من سوء أدبهم[١] وصوّر لحامد أنّه إن لم يفعل ذلك فُعل مراغمة له.»

وحلف أنّه ناصح له. فلمّا وصل حامد إلى المقتدر بالله وتقلّد وزارته قبّل الأرض بين يديه، وبعقب ذلك سأله إطلاق عليّ بن عيسى والإذن له في استخلافه على الدواوين والأعمال.

فقال له المقتدر بالله:

ـ «ما أحسب عليّ بن عيسى يجيب إلى ذلك ولا يرضى أن يكون تابعاً بعد أن كان متبوعاً رئيساً.»

فقال حامد بحضرة الناس:

ـ «لم لا يستجيب إلى ذلك وإنّما مثل الكاتب مثل الخيّاط يخيط ثوباً قيمته ألف دينار ويخيط ثوباً بعشرة دراهم.»

فضحك الناس منه.

---

١. في مط: من سوادهم. بدل «من سوء أدبهم».

وزارة حامد بن العباس

ولمّا خُلع على حامد خلع الوزارة صار إلى دار الوزارة بالمخرّم، فنزلها وجلس فيها للتهنئة ولم يقرّر شيئاً من الدواوين فتركها مختومة ذلك اليوم، وتحقّق به أبو عليّ بن مقلة واختصّ به واستحضر حامد أبا عبد الله زنجيّ الكاتب فألزمه داره وردّ إليه مكاتبة العمّال عنه على رسمه مع ابن الفرات. وتحقّق بجميع الأمور ابن الحوارى [130] وصار هو السفير بين حامد وبين المقتدر بالله، وكتب عن المقتدر إلى جميع أصحاب الأطراف وعمّال المعاون بخبر تقليده حامداً الوزارة، أنشأ ذلك أبو الحسن محمّد بن جعفر بن ثوابة. ثمّ قرّر حامد وعليّ بن عيسى أمر الدواوين على اتفاق منهما جميعاً ثمّ ابتدأ بعد ذلك يغيّر ما رأى تغييره.

وكان عليّ بن عيسى في أوّل أيّام وزارة حامد بن العبّاس يحضر دار حامد في كلّ يوم دفعتين[١] مدّة شهرين، ثمّ صار يحضر في كلّ أسبوع دفعة واحدة ثمّ سقطت منزلة حامد عند المقتدر بالله أوّل سنة سبع وثلاثمائة وتبيّن هو وخواصّه أنّه لا فائدة في الإعتماد عليه في شيء من الأمور، فتفرّد حينئذٍ أبو الحسن عليّ بن عيسى بتدبير سائر أمور المملكة، وأبطل حامداً فصار لا يأمر في شيء بتّة حتّى قيل فيه:

هذا وزيرٌ بلا سَواد وذا سَوادٌ بلا وزير

فلمّا رأى حامد بن العبّاس نفسه لا يأمر ولا ينهى ولا يزيد على لبس السواد والركوب في أيّام المواكب إلى دار السلطان، فإذا حضر لم يُدخله المقتدر في شيء من التدبير، وكان الخطاب كلّه مع عليّ بن عيسى، شرع

---

١. في مط: مرفقين.

فى تضمّن أعمال الخراج والضياع [131] والخاصّة والعامّة المستحدثة العبّاسيّة والفراتيّة بالسواد والأهواز وإصبهان، وتردّدت بينه وبين علىّ بن عيسى فى ذلك بحضرة المقتدر مناظرات إلى أن تضمّن هذه الأعمال.

فضمّن حامد أبا علىّ أحمد بن محمّد بن رستم إصبهان بزيادة مائة ألف دينار في كلّ سنة على ما كان يرتفع به على يده ويد ابن أبى البغل ويد أحمد بن سياه، ولمّا زال ضمان حامد عقد علىّ بن عيسى على أبى علىّ ابن رستم إصبهان بهذه الزيادة ثمّ شرح أبو الحسين ابن أبى البغل عظيم ما يرتكب[1] أبو علىّ ابن رستم من الظلم لأهل إصبهان، فبحث عنه علىّ بن عيسى حتّى تحقّقه، فاستشار ابن أبى البغل فأشار بعقد الضمان على صاحبين له كانا يتولّيان له بإصبهان مدّة تقلّده إيّاها وهما أبو مسلم محمّد بن بحر وأبو الحسين أحمد بن سعد. فعقد ذلك عليهما بثمانين ألف دينار زيادة وحطّ من جملة المائة الألف عشرين ألفاً، ليكون فى ذلك ترفيه للرعيّة، وسلّم إليهما ابن رستم.

ولمّا تبيّن حامد اتّضاع[2] حاله عند المقتدر ورأى أنّه لا يأمر ولا ينهى فى شيء من أمر المملكة استأذن فى العود إلى واسط ليدبّر أمر ضمانه الأوّل، فأذن له [132] المقتدر فى ذلك وأقام بواسط وله إسم الوزارة فقط.

ذكر ما عامل به حامد بن العبّاس علىّ بن محمّد بن الفرات وأسبابه

ركب حامد بن العبّاس وعلىّ بن عيسى ثالث يوم تقلّد حامد الوزارة إلى

---

١. فى مط: ما يركب.
٢. فى مط: اقطاع.

المقتدر ووصل الناسُ ووصلا[١] إليه، والتمس حامد الإذن لرجل من الجند وذكر أنّه وجده قبل تقلّده الوزارة وأقرّ له بأنّه كان رسول ابن الفرات إلى يوسف بن أبي الساج في العصيان، فأحضره كتاباً منسوباً إلى ابن أبي الساج من ابن الفرات فغلظ ذلك على المقتدر واغتاظ على ابن الفرات وأقبل على أبي عمر القاضي وقال له:

ـ «ما عندك في هذا الفعل من ابن الفرات؟»

قال له:

ـ «يا أمير المؤمنين لئن صحّ أنّه أقدم على هذا الفعل لقد سعى في إفساد أمر المملكة.»

ثمّ أقبل بعده على أبي جعفر ابن البهلول القاضي فقال له:

ـ «ما عندك في هذا؟»

قال له:

ـ «عندي أنّ الله عزّ وجلّ قد أمر بالتثبّت ونهى عن قبول قول الفاسق.»

ثمّ ناظر ابن البهلول الرجل مناظرة أدّت إلى أنّه كذب، فأقرّ الرجل بالكذب فيما ادّعاه فسُلّم الرجل إلى صاحب الشرطة وأمر بضربه مائة سوط، فضُرب [133] وحُبس في المطبّق ثمّ نُفي إلى مصر.

ثمّ إنّ حامداً وعليّ بن عيسى أحضرا أبا عليّ الحسين بن أحمد المادرائي مناظرة ابن الفرات في دار السلطان، فكاشف الحسين بن أحمد المادرائي ابن الفرات بأنّه حمل إليه في وزارته الأولى أربعمائة ألف دينار من مال المرافق بأجناد الشام وإنّ أبا العبّاس بن بسطام وأبا القاسم ابنه بعده حملا إليه ثمانمائة ألف دينار من مال الاستثناء والمرافق بكور مصر حساباً في كلّ

١. قرئ الكلمة في مد: ودخلا. في مط: ووصلا، كما أثبتناه.

سنة مائتى ألف دينار.

وحضر المناظرة القضاة والكتّاب وجلس المقتدر بحيث يسمع ما يجرى ولا يراه أحد واحتجّ ابن الفرات بأن قال:

ـ «إنّ هذا العامل قد تولّى أعمال مصر والشام فى أيّام وزارة علىّ بن عيسى وقد اعترف بأنّ هذه أموال واجب استخراجها وادّعى أنّه حمل بعضها إلىّ حيث كان متقلّداً أعمال أجناد الشام وأنّ ابنى بسطام حملا إلىّ ما ذكره.»

وقد ولى علىّ بن عيسى الوزارة مدّة أربع سنين وليس يخلو هذا المال من أن يكون حمله إلى علىّ بن عيسى فهو واجب عليه أو لم يحمله فهو واجب على هذا العامل فى نفسه.

ثمّ قد اعترف أنّه قد جبى فى أيّام وزارتى الأولى ما قال وهو أربعمائة ألف دينار [134] وادّعى حملها إلىّ فصار مقرّاً على نفسه ومدّعياً علىّ وأنا أقول إنّه كاذب فى ادّعائه علىّ وحكم الله تعالى ورسوله والفقهاء معروف فى أمثاله. فأسمعه حامد ما يكره وشتمه شتماً قبيحاً، فقال له ابن الفرات:

ـ «أنت على بساط السلطان وفى دار المملكة وليس هذا الموضع ممّا تعرفه من بيدر تقسمه[1] ولا هو مثل أكّار تشتمه ولا عامل تلاكمه.»

ثمّ أقبل على شفيع اللؤلؤى وقال له:

ـ «يجب أن تكتب عنّى بما أقوله إلى مولانا، أيّده الله: إنّ حامداً إنّما حمله على الدخول فى الوزارة وليس من أهلها أنّى أوجبت عليه أكثر من ألف ألف دينار من فضل ضمانه أعمال واسط وجدّدتُ فى مطالبته بها فقدّر بدخوله فى الوزارة أن يفوز بذلك الفضل وبما يُحصّله مستأنفاً وقد كان ينبغى

---

١. فى مط: من بيدر يقسمه.

له وهو وزير أمير المؤمنين أن يدع ضمان أعمال واسط حتّى يتبيّن أمُربح هو أم مُخسر[١] فيدبّره أبو الحسن عليّ بن عيسى فإنّه لا يشكّ أحد فى بعد ما بينه وبين حامد فى الصناعة والإحتياط. فأمّا وهو وزير وهو ضامن فهذا أوّل خيانته واقتطاعه.»

فأمر حامد بن العبّاس أن تُنتف لحيته فلم يمتثل أحد أمره، فوثب هو بنفسه إليه وجذب لحيته.

وكان [135] الخطاب قد انتهى أن بذل الحسين بن أحمد المادرائى خطّه بخمسمائة ألف دينار سلّم إليه ابن الفرات. وكان ذلك قبل شتيمة حامد له ومدّ يده إلى لحيته. وكان حامد أحضر أبا عليّ ابن مقلة وواقفه على أن يواجه ابن الفرات بأنّه قد استخرج من ودائعه التى كتمها فى وزارته خمسمائة ألف دينار فلم يُبرز أبو عليّ صفحته لابن الفرات وراسله حامد فى المجلس أن[٢] يفى بوعده ويواقفه فى وجهه فقال أبو عليّ:

ـ «أنا أكتب خطّى بذلك فأمّا أن أواجه ابن الفرات فلا أفعل.»

فغلظ ذلك على حامد وتنكّر لابن مقلة منذ هذا اليوم.

وكان عليّ بن عيسى لا يزيد على أن يكلّم ابن الفرات فى مواضع الحجّة بكلام جميل وحامد مشغول بالسفه والشتم. وكان ابن الحوارى يرى ابن الفرات أنّه متوسّط بينه وبين حامد وتبيّن فى خطابه أنّه متحامل على ابن الفرات ولمّا سمع المقتدر شتم حامد لابن الفرات و[٣]وقف على مدّ يده إلى لحيته أنفذ خادماً[٤] أقام ابن الفرات من مجلسه وردّه إلى محبسه، فقال عليّ

---

١. فى مط: أيربح، أم يخسر.
٢. تكررت «أن» فى الأصل.
٣. فى مط: وقف (دون الواو).
٤. كذا فى الأصل: خادماً. وفى مط: حامداً.

بن عيسى وابن الحوّارى لحامد:

ـ «قد جنيت علينا بما فعلته بابن الفرات.»

وكان الحسين بن أحمد المادرائى بعد مكاشفته لابن الفرات قال له:

ـ «إن تأدّى إلى المصادرة [136] تحمّلت عنك خمسين ألف دينار.»

فلمّا خرج من المجلس قال له نصر الحاجب وعليّ بن عيسى وابن الحوارى:

ـ «دخلت لتناظر الرجل فلم تبرح حتّى بذلت له مرفقاً وصانعته.»

فقال لهم:

ـ «أدخلتمونى إلى رجل قال لي بعضكم لمّا دخلت إليه: أنظر لمن تخاطب. وقال آخر: أنظر بين يديك. وقال آخر: الله الله فى نفسك. فلم أجد شيئاً أقرب إلى الصواب ممّا فعلته بعد أن سمعت كلامه.»

فمن جميل ما عمله ابن الفرات أنّه لمّا تقلّد بعد هذا الوقت الوزارة وهى وزارته الثالثة قبض على ابن الحسين بن أحمد[١] المادرائى وهو أكبر أولاده فأخذ خطّه بخمسة[٢] وعشرين ألف دينار كانت واجبة عليه من مال السلطان ولم يطالبه بها واعتقله إلى أن وافى أبوه الشام، فذكّره ابن الفرات ما كان بذله من الخمسين الألف الدينار التى تحمّلها عنه وقال له:

ـ «قد كنت مخيّراً أن تفعل وأن لا تفعل وإنّما وعدت وعداً وهذه رقعة بخطّ ابنك بخمسة وعشرين ألف دينار وهى واجبة عليه حاصلة قِبله ولا حجّة له ولا لك فيها وقد رددتها عليك مكافأة لك على ما بذلت.

وقد كان أنفذ أبو أحمد بن حمّاد لمناظرة ابن الفرات بحضرة شفيع اللؤلؤى وغيره فافتتح ابن حمّاد الخطاب بأن قال:

---

١. سقط من مط «بن أحمد».

٢. فى مط: بخمس.

ـ «إنّ [137] الوزير والرئيس أدام الله عزّهما يقولان لك: أصدق نفسك فقد وصل إليك من ضياعك وغلاّتك في كلّ سنة ألف ألف ومائتا ألف دينار ومن وجوه ارتفاقاتك مثلها وهذا مال عظيم، فاكتب خطّك بألف ألف دينار معجّلة تقدّمها إلى أن يُنظر في أمرك حتّى تسلم نفسك وإلّا سُلّمت إلى من يعاملك بما يعامل به مثلك من الخونة الذين دبّروا على المملكة فقد صحّ عند السلطان أنّك كاتبت ابن أبي الساج وأمرته بالعصيان.»

فقال له ابن الفرات:

ـ «قد كان ينبغي أن يشغلك أمرك وما عليك في نفسك عن تحمّل الرسائل قد تصرّفت لعليّ بن عيسى أربع سنين واقتطعت أموالاً، فلمّا نظرت في الأمر استترت عنّي وكتبت إليّ مَن تصرّف مكانك باستدراكات عليك وارتفاقات لك كثيرة والكتب بأعيانها في ديوان السلطان محفوظة.»

فأقبل شفيع على ابن حمّاد فقال له:

ـ «لست من رجال ابن الفرات، فقم إلى ابنه المحسّن فناظره.»

فقام وأخذ خطّ المحسّن بثلاثمائة ألف دينار. ثمّ ناظر موسى بن خلف وسأله عن ودائع ابن الفرات وأمواله فقال له موسى:

ـ «ما له عندي وديعة ولا أعرف أخبار ودائعه ولا [138] له على يدي مال ولا وليت له عملاً سلطانياً وإنّما كنت أنظر في نفقات داره.»

وكان موسى بن خلف شيخاً كبيراً قد أتت عليه نحو تسعين سنة وكان مع ذلك عليلاً به ذَرب لا فضل فيه[1] للمكروه فشتمه ابن حمّاد. وكان يتردّد بعد ذلك إلى أصحاب ابن الفرات ويناظرهم فلا يرتفع له شيء. وكان علّق المحسّن بفرديد من حبل الستارة فلم يصح له من جهته شيء. فلمّا رأى

---

١. في مط: درب لا فصل فيه. وفي مد: لا فضل له (خلافاً للأصل).

ذلك استعفى منهم فأُعفى وأُحضر حامدٌ موسى بن خلف فقال له:

ـ «دُلّ على أموال ابن الفرات فإنّك تعرفها ولا تحوج إلى مكروه يقع بك.»

فقال له: «أحلف بما شئت من الأيمان إنّى لا أعرف شيئاً من ودائعه.»

فأمر بصفعه فصُفع إلى أن سأل علىّ بن عيسى فيه وأشار إلى الغلمان بالكفّ. ثمّ عاوده حامد بالمكروه مرّات حتّى أحضره ليلة بين يديه وضربه حتّى مات تحت الضرب فقيل له:

ـ «إنّه قد تلف[١].»

فقال: «اضربوه.»

فضُرب بعد موته سبعة عشر [سوطاً][٢] فلمّا علم بموته أمر بجرّ رجله، فجُرّ وتعلّقت أذنه فى زرّ عتبة الباب فانقلعت وحُمل إلى منزله ميتاً. واستحسن من فعل موسى بن خلف ووفائه أنّه كان يقف على أموال مودعة لصاحبه عند جماعة فلم يقرّ عليه [139] إلى أن تلف.

وأحضر حامد المحسّن وطالبه فذكر المحسّن أنّه لا يقدر على أكثر من عشرين ألف دينار فأمر بصفعه فصُفع فرأى على رأسه شعراً كثيراً فقال:

ـ «هذا لا يتألم بالصفع، هاتوا من يحلق شعره.»

فأُخرج من بين يديه فحُلق شعره ثمّ أُعيد[٣] إليه فصفعه حتّى كاد يتلف وذلك بين أيدى جماعة كثيرة، فشفع إليه علىّ بن عيسى وسأله أن يقتصر منه على خمسين ألف دينار، فحلف أنّه لا يقنع منه بدون سبعين ألف دينار، فبذل خطّه بها وألبسه جبّة صوف وعذّبه ألواناً ثمّ سلّمه إلى أبى الحسن

---

١. فى مط: أتلف.

٢. زدناه كما زيد فى مد.

٣. كذا فى الأصل: أعيد. وفى مط: اعتد.

الثعبانى فأدّى ستين ألف دينار بعد أن استماح الناس وأسعفه علىّ بن عيسى بعشرة آلاف درهم وأقام شهوراً كثيرة يستميح الناس حتّى صحّح ما بذل خطّه به وكثرت الشفاعات فيه فردّه حامد إلى منزله.

وجهد حامد فى أن يسلّم إليه ابن الفرات فقال المقتدر:

ـ «أنا أسلّمه إليك وأوكّل به خادماً يحفظ نفسه.»

فقال حامد:

ـ «إذا علم ابن الفرات أنّه يُحرس من المكروه تساتَنَ.»

فقال المقتدر:

ـ «أنا أسلّمه[١] إلى علىّ بن عيسى أو إلى شفيع اللؤلؤى فإنّى أثق بهما.»

وكان المقتدر يروّى[٢] فى أمر ابن الفرات فتارة تشره نفسه إلى [140] المال وتارة يكره أن يتلف فى يد حامد. فعرفت زيدان القهرمانة هذه الحالة من المقتدر وأعلمتها ابن الفرات. فأظهر ابن الفرات أنّه رأى أخاه أبا العبّاس فى النوم ووصّاه وقال له:

ـ «أدّ المال فإنّ القوم ليس يريدون نفسك وإنّما يريدون مالك.»

وأنّه قال:

ـ «قد أدّيت إليهم جميع مالى.»

وأنّ أخاه أجابه بأن قال[٣]:

ـ «لم تؤدّ إليهم المال الفلانى.»

فقلت: «إنّ معظم ذلك لورثتك.»

فقال: «أدّه فإنّا جمعناه من أسلافهم وادّخرناه لمثل هذا اليوم.»

---

١. أسلّمه: كذا فى الأصل. وما فى مط: أصله.

٢. يروّى فى أمر ابن الفرات: العبارة سقطت من مط، ولا بدع.

٣. فى مد: قال له: بزيادة «له» على الأصل.

ثمّ كتب إلى تاجرين بحمل ما عندهما وهو سبعمائة ألف دينار إلى حضرة المقتدر. وكتب إلى أبى بكر ابن قرابة بشيء آخر وإلى ابن إدريس الحمّال بشيء آخر. فأنفذ المقتدر رقاعه إلى حامد وعليّ بن عيسى فغلظ ذلك عليهما ويئسا معهما[١] من تسلّم ابن الفرات وقال عليّ بن عيسى وابن الحوارى لحامد:

ـ «أيّ شيء عندك فيما فعله ابن الفرات؟»

فقال حامد:

ـ «هذا من إقبال مولانا أمير المؤمنين.»

فقال له عليّ بن عيسى:

ـ «هذا لا شكّ فيه كما قال الوزير، أيّده الله، ولكن ما أشكّ أنّ ابن الفرات ما فعل هذا حتّى توثّق بنفسه ولا سمح بهذا المال العظيم عفواً بغير مكيدة[٢] وقد كان يجوز أن يقنع[٣] منه [141] ببعضه إلّا لشروعه في تضمّن أنفسنا وأحوالنا.»

فقال حامد وابن الحوارى:

ـ «هذا لا شكّ فيه.»

ثمّ تشاغل حامد وعليّ بن عيسى باستحضار من عليه المال وأوصلوا إليهم رقاع ابن الفرات فاعترفوا بصحّته سوى ابن قرابة فإنّه قال فى عشرة آلاف دينار كان أودعه إيّاها:

ـ «قد كان أودعنى[٤] هذا المال ثمّ ابتاع منّى فى أوّل سنة ستّ وثلاثمائة

---

١. فى مد: معها (تغييراً للأصل).

٢. فى مط: عفواً بغير تعيين مكروه. بدل «عفواً بغير مكيدة».

٣. فى الأصل: يقنع (بشيء من التعويض) فى مط أيضاً: يقنع. فى مد: يقع.

٤. فى مط: أوجعنى، بدل «أودعنى».

عنبراً ومسكاً كثيراً أهدى أكثره إلى المقتدر بالله واليسير منه لنفسه ومعى توقيعاته بخطّه بتواريخ أوقاته.»

واستدعى أن يجمع بينه وبين ابن الفرات فأنفذه حامد إلى دار السلطان وأوصله مفلح إلى ابن الفرات حتّى ذكر له ذلك فصدّقه وقال له:

ـ «لا تلمنى على ما كتبت به فقد كنت أنسيت ما جرى فيه ولعمرى لقد كنت جعلت مال الوديعة محسوباً لك فى ثمن العطر.»

وكتب ابن الفرات خطّه بصحة ما قاله ابن قرابة فسُلّمت الدنانير لابن الفرات وكان هذا الفعل من ابن قرابة أوكد أسباب تحقّقه فيما بعد ذلك بابن الفرات. وقد كان ابن الفرات أودع القاضى أبا عمر مالاً لابنه الحسن بن دولة فلحقت أبا عمر رهبة شديدة من حامد لبسطه يده على القضاة والشهود [142] فاعترف أبو عمر القاضى أنّ لابن الفرات عنده وديعة لمّا سأله حامد هل عنده وديعة. فأمر بإحضاره فأحضره وأدّاه وبلغ ذلك ابن الفرات فتنكّر لأبى عمر.

فحكى أنّ أبا بكر ابن قرابة قال: لمّا خلع على ابن الفرات للوزارة الثالثة كنت أوّل من لقيه فى دهليز الحجبة المتصل بباب الخاصة فقال:

ـ «يا با بكر تقرّب أبو عمر بوديعتى وعرّضنى[١].»

قال: فقلت:

ـ «الوزير أيّده الله صادق فمن أخبره؟»

فأومأ إلى زيدان القهرمانة وأن القاضى أبا عمر عرف تنكّر الوزير له. ووصل إلى منزله وقت العشاء الآخرة فإذا بأبى عمر وابنه جالسين فى مسجد على[٢] بابه فأكبر ذلك ونزل إليهما فحلفا عليه أن يدخل إلى منزله

---

١. فى مط: وغرضى.

٢. على: سقطت من مط.

ودخلاه بدخوله فقالا له:

ـ «خبر المجلس عندنا، فما الذى ترى؟»

فقال لهما:

ـ «إزالة الإعتذار والإحتجاج وردّ المال.»

فاستجابا، وكان مبلغ المال ثلاثة آلاف دينار وسألاه التسكين عنهما لئلا يعاجلا فبكّر ابن قرابة إلى ابن الفرات، فقال له:

ـ «قد جاءنى أبو عمر القاضى وابنه قَلِقَين، وذكرا أنّ المال بحاله.»

فقال:

ـ «الحمد لله ربّ العالمين.»

فلمّا كان فى اليوم الثانى من ذلك حمل أبو بكر الثلاثة الآلاف الدينار فى برنيّة[١] كانت ضُمّنت الوديعة فلمّا رآها ابن الفرات عجب [143] وأمر بتسلّمها:

وعدنا إلى خبر حامد فى وزارته

ولمّا رأى حامد وعلىّ بن عيسى تمكّن ابن الحوارى من المقتدر بالله خرج توقيعُ حامد بخطّ علىّ بن عيسى بتقليد ابن الحوارى جميع أعمال الاعطاء[٢] فى العساكر لسائر نواحى المغرب من حدّ هيت إلى آخر حدود مصر، وأن يقام له من الرزق مثل ما كان يقام لجميع من كان ينظر فى ذلك فى آخر أيّام وزارة ابن الفرات الثانية، وأن يقلّد ابنه ـ وكانت سنّه فى الحال نحو عشر سنين ـ ويجرى عليه ما مبلغه فى الشهر مائة وخمسون دينار وقلّد ابنه هذا بيت مال الاعطاء بالحضرة بحقّ الأصل بجارى مائة وثمانين

١. الكلمة مهملة تماماً فى مط.

٢. كذا فى الأصل: الاعطاء.

ديناراً فى الشهر واستخلف له عليه المعروف بقاطرميز الكاتب.

وزاد بعد ذلك اختصاص ابن الحوارى وخدمته له فى خلواته وكان يشاوره فى أموره فقُلّد أعمالاً أخر وأجرى عليه واستخلف له عليها. فكان يصل إليه مال عظيم ولا يباشر شيئاً من الأعمال ولا يدرى ما يجرى فيها.

وصرف نزار عن الشرطة بمدينة السلام وقلّد نُجح الطولونى واستخلف عليها وأقام فى الأرباع فقهاء يعمل أصحاب الشرط فى أمر الجناة بما يفتون به فى أمرهم فضعفت هيبة الشرطة بذلك واستلان(١) اللصوص والعيّارون جانب نُجح [144] فكثرت الجراحات والفتن وتفاقم الأمر فى التلصّص وكان العيّارون يقولون:

أُخْرُجْ ولا تُبالي ما دامَ نُجْحٌ والي.

ودخلت سنة سبع وثلاثمائة

كان غرض حامد فى الضمانات على النواحى التى ذكرناها تفرّد علىّ ابن عيسى بتدبير المملكة وإبطاله أمر حامد. فتضمّن حامد بهذه النواحى ليكون له بالحضرة أمر ونهى وليوفّر من هذه الأعمال ما يبطل به السوق التى قامت لعلىّ بن عيسى عند المقتدر بالكفاية والعفاف. وإنّما لم يدخل أعمال فارس فى ضمانه لأنّها كانت فى ضمان أبى القاسم ابن بسطام وكان النعمان يشير على حامد بترك الدخول فى الضمان فإنّه زعم أنّه تسقط هيبته عند الناس ويصير علىّ بن عيسى المطالب له بالأموال والمتحكّم عليه.

وكان أبو عيسى أخو أبى صخرة قديم الصداقة لحامد وكان يشير عليه بالضمان ليتبيّن أثره وأن يتضمّن بعبرة سنى علىّ بن عيسى خاصّة ليكون ما

---

١. فى مط: واستيلاء.

يثيره ـ وهو شيء كثير وافر ـ استدراكاً على عليّ بن عيسى. فمال حامد إلى هذا الرأى وخاطب عليّ بن عيسى بحضرة المقتدر وقال له:

ـ «قد تفرّدت بتدبير الأمور دونى وليس ترى أن تشاورنى فى شيء تعمله ولابدّ من صدق أمير المؤمنين. فقد أضعت بالسواد والأهواز وإصبهان أربعمائة [145] ألف دينار فى كلّ سنة وأنا أضمن هذه الأعمال أربع سنين بعبرة المحمول والمسبّب[١] فى سنى وزارتك وزيادة أربعمائة ألف دينار فى كلّ سنة.»

فأجابه عليّ بن عيسى بأنّه لا يستصوب تضمينه هذه الأعمال لأنّ مذهبه فى خبط[٢] الرعيّة وإحداث السنن وضرب الأبسار معروف ومن عمل بهذه السيرة فهو لا محالة يوفّر سنة أو أكثر ثمّ تخرّب خراباً لا يتلافى فى سنين فيُبطل الإرتفاع ويسيء الذكر. فتخاصما خصومة طويلة فقال المقتدر:

ـ «هذا توفير من حامد ولا يجوز تركه فإن ضمنت أنت هذه النواحى بما ضمنه حامد ضمّنتك.»

فقال عليّ بن عيسى:

ـ «أنا كاتب ولست بعامل وحامد أولى بالضمان لا سيّما وقد بذل ما بذل راغباً والأثر فى ذلك يا أمير المؤمنين، لأنّى قد عمرت البلدان لرفقى بالرعيّة وتقليدى من العمّال من أزال المؤن عنهم، وسنة سبع قد تناهت عمارتها وليس يقدر أن يقول إنّه يتضمّنها ليستزيد فى عمارتها لأنّ أيّام العمارة قد انقضت منذ مدّة.»

فأمر المقتدر بعقد الضمان على حامد وأخذ خطّه به فخرجا.

وتقدّم عليّ بن عيسى إلى أصحاب الدواوين بإخراج العبر من دواوينهم

---

١. ما فى الأصل نصف مطموس. وما أثبتناه هو من مط. فى مد أيضاً: المسبّب.

٢. فى مط: خبط الرعية.

بعبر السنين القريبة لأنّها أوفر [146] فأخرج عبرة المحمول والمسبّب مع مال النفقات الراتبة فى نواحى السواد والأهواز لسنة من ثلاث سنين أولاهن سنة ثلاث وأخراهن[١] سنة خمس وثلاثمائة ـ ثلاثة وثلاثين ألف ألف درهم. وأخرج عبرة الضياع الخاصّة والمستحدثة والعبّاسيّة والفراتيّة للمحمول والمسبّب ثمانية آلاف ألف درهم وثمانمائة ألف درهم وأخرج عبرة مال إصبهان مع النفقات الراتبة بقسط سنة واحدة من ثلاث سنين ستّة آلاف ألف وثلاثمائة[٢] ألف درهم تصير الجميع لسنة واحدة ثمانية وأربعين ألف ألف درهم ومائة ألف درهم والزيادة التى بذلها حامد وهى عن قيمة أربعمائة ألف دينار خمسة آلاف ألف وثمانمائة ألف درهم مبلغ الجميع ثلاثة وخمسون ألف ألف وتسعمائة ألف درهم.

والتمس حامد بن العبّاس من المقتدر بالله أن يأمر بتسليم جماعة من الكتّاب إليه ليوليهم كتابته على ديوان ضمانه واختار عبيد الله بن محمّد الكلواذى وأحمد بن محمّد بن زريق وغيرهما. فتقدّم المقتدر بإجابته إلى ما سأله بعد أن عقد علىّ بن عيسى عليه الضمان باسم صاحبه محمّد بن منصور وأخذ خطّ حامد بتضمّنه عنه ما عقده باسمه واعتمد حامد بن العبّاس على عبيد الله بن محمّد الكلواذى فكان ينظّم الأعمال التى يخرجها كتّاب حامد ويتولّى الموافقة عن [147] حامد فى دار السلطان ويرفق فى المناظرة ويستعمل الحجّة فقط.

واعتمد علىّ بن عيسى على الصقر بن محمّد في مناظرة كتّاب حامد، فكان حامد إذا حضر لا يزيد على الشتم والسبّ لعلىّ بن عيسى وذكره بالقبيح فى نفسه وأسلافه واستعمل فى ذلك ما فضح به المملكة وشاع فى

---

١. فى مط: أخواهنّ، وهو تصحيف.
٢. فى مط: ستّمائة ألف.

الخاصّ والعامّ الخبر به ثمّ أصلح المقتدر بينهما بحضرته.

وأسرف عليّ بن عيسى في الإلحاح على حامد في حمل المال واحتاج حامد إلى أن يستأذن في الخروج إلى الأهواز فأذن له وذكر أبو القاسم الكلواذى أنّه يضعف عن مقاومة عليّ بن عيسى عند غيبته، فنصب حامد صهره أبا الحسين محمّد بن أحمد ابن بسطام للنيابة عنه في دار السلطان عند المناظرة ولإعزار[١] الكلواذى ليستوفى حجّته وظهرت في ذلك الوقت صناعة الكلواذى وكفايته وصحة عمله فكان ذلك من أكبر أسباب نباهته.

وجرى خلاف كثير بين كتّاب حامد وبين كتّاب عليّ بن عيسى يطول ذكرها، ورضي حامد بوساطة النعمان فيها وكتب بذلك وتوسّط النعمان وقرّر الأمر من سائر أبواب الخلاف على مائة ألف دينار بقسط سنة واحدة.

وكتب ابن بسطام والكلواذى إلى حامد وهو [148] بالأهواز بصورة ما تقرّرت عليه الحكومة، فدبّر حينئذٍ حامد في ذلك تدبير الشيوخ المجرّبين. فكتب إلى المقتدر كتاباً وأنفذ مع غلام له فأوصل نصر الكتاب مختوماً إلى المقتدر فوجده قد ذكر فيه أنّه لم يدخل في هذا الضمان لاستجلاب فائدة لنفسه ولا للربح على السلطان وإنّما أراد أن يبيّن عن خبرته بالأعمال وحفظ الأموال وقبح آثار عليّ بن عيسى فيما تولّاه قديماً وحديثاً وأنّه كان بذل زيادة أربعمائة ألف دينار في كلّ سنة، وأنّه لمّا صار بالأهواز لاحت له زيادة مائتي ألف دينار في سنة سبع على أربعمائة ألف دينار، فوفّر ذلك وكتب كتابه بخطّه حجّة عليه لينضاف ذلك إلى الزيادة الأولى ويثبت في الدواوين.

فسُرّ المقتدر بذلك وأمر بتقوية يد حامد وأن يقتصر بعليّ بن عيسى على

---

١. لم نتأكّد من صحّة القراءة. ما في مط مهمل دون أيّ نقط. وقرئ في مد: اغرار. والنقطة في الأصل على الراء بفاصلة غير معتادة. والإعزار: الإعانة.

النظر فى حوائج القوّاد والحاشية والإحتياط فيما يُطلق من الأموال فى النفقات فإنّه بذلك أبصر من حامد، وبإفراد حامد بجباية الأموال والنظر فى النواحى.

وخاف علىّ بن عيسى أن تقوى يد حامد فيسلّم إليه. واتفق بعقب ذلك أن تحرّكت العامّة ثمّ الخاصّة بسبب زيادة السعر وشغبوا [149] شغباً عظيماً متصلاً أشفى به المُلك على الزوال وبغداد على الخراب. فادّعى كتّاب حامد وأسبابه ومن يميل إليه أنّ علىّ بن عيسى حمل العامّة وأكثر الخاصّة على الشغب لأنّ السعر لم يكن زاد زيادة توجب ما خرجوا إليه وإنّما بلغ الخبز الحوارى ثمانية أرطال بدرهم.

ذكر ما اضطرب لأجله أمر حامد بن العبّاس حتّى فُسخ ضمانه

تجمّع الناس وقوم من أماثل العامّة فتظلّموا من زيادة السعر وضجّوا فى وجه علىّ بن عيسى لمّا ركب، ثمّ نهب العامّة دكاكين الجماعة من الدقّاقين ببغداد ثمّ اجتمعوا إلى باب السلطان فضجّوا.

فتقدّم المقتدر إلى ابن الحوارى بأن يكتب إلى حامد بأن يبادر إلى الحضرة[١] وينظر فى أمر الأسعار فيزيل التربّص ببيع الغلاّت لتنحطّ الأسعار، فنفذ الكتاب بذلك فخرج حامد من الأهواز وأنفذ المقتدر ماهر[٢] الخادم لاستعجاله.

وخرج أصحاب الدواوين والقوّاد لتلقّيه وخرج نصر وابن الحوارى فتلقّياه وخرج علىّ بن عيسى فتلقّاه، ووصل إلى المقتدر بالله فخاطبه بجميل وعرّفه

---

١. فى مد: الحضور (تغييراً للأصل).

٢. فى مط: ما هو.

إحماده إيّاه على ما وفّره وأمر بأن يُخلع عليه فخُلع عليه وحُمل على شهرىّ وانصرف إلى منزله. [150]

وتحرّك الجند لغد[١] ذلك اليوم فى دار السلطان وضجّوا لارتفاع السعر، وتحرّكت العامّة فى المساجد الجامعة ببغداد وكسروا المنابر وقطعوا الصلاة بعد الركعة الأولى واستلبوا الثياب ورجموا بالآجرّ وكثرت الجراحات واجتمع منهم فى المسجد الجامع الذى فى دار السلطان عدد كثير على نصر الحاجب فوثبوا عليه ورجموه بالآجرّ.

ثمّ صاروا في ذلك اليوم إلى دار حامد بن العبّاس فأُخرج إليهم غلمانه فرموهم بالآجرّ والنشّاب وقُتل خلق من العامّة فحُملوا على الجنائز وشنّعوا بهم،

ووجّه حامد جماعة من غلمانه ومعهم ديوداذ بن محمّد وهو ابن أخى يوسف بن أبى الساج، فدخلوا المسجد الجامع بالجانب الغربى على دوابّهم فقتلوا جماعة وقُتل أيضاً من الجند عدّة وبات الناس ليلة السبت على صورة قبيحة من الخوف على أنفسهم وأموالهم وحُرمهم وضعف صاحب الشرطة عن مقاومتهم لكثرة من تجمّع من العامّة.

فلمّا أصبحوا يوم السبت صار من العامّة عدد كثير إلى الجسور فأحرقوها وفتحوا السجون ونهبوا دار صاحب الشرطة ودار غيره، فأنفذ المقتدر جماعة من الغلمان الحجرية [151] فى شذاءات عدّة لمحاربة العامّة وركب هارون بن غريب[٢] الخال فى جيش عظيم إلى باب الطاق فأحرق مواضع وتهارب العامّة من بين يديه إلى المسجد الجامع بباب الطاق ووكّل هارون بباب المسجد وقبض على جميع من وجده ولم يفرّق بين المستور والعيّار وحملهم

---

١. قرئ الأصل فى مد: بعد.

٢. فى مط: عريب الخال.

إلى مجلس الشرطة فضرب بعضهم بالسوط وبعضهم بالدرّة وقطع أيدى قوم عُرفوا بالإفساد.

ثمّ ركب يانس[١] الموفقى يوم الأحد فسكّن الناس ونادى فيهم وزالت الفتنة، ثمّ ركب حامد فى طيّاره يريد دار السلطان فقصده العامّة ورجموه بالآجرّ، فأمر المقتدر شفيعاً المقتدرى بالركوب لتسكين العامّة، فركب وسار فى الجانب الغربى وفيه كانت الفتنة، فسكّن الناس ثمّ قبض على جماعة من العامّة فضُرب بعضهم بالسوط وقُطعت أيدى قوم عُرفوا بالرجم.

وضجّت الرجّالة المصافية[٢] فى دار السلطان من زيادة السعر فتقدّم المقتدر بالله بفتح الدكاكين والبيوت التى لحامد وللسيّدة والأمراء أولاد الخليفة والوجوه من أهل الدولة وبيع الحنطة بنقصان خمسة دنانير فى الكرّ وبيع الشعير بحسب ذلك وبمطالبة التجار والباعة أن يبيعوا بمثل هذا [152] السعر فركب هارون بن غريب ومعه إبراهيم بن بطحاء المحتسب فسُعّر الكُرّ المعدّل بخمسين ديناراً وتقدّم إلى الدقّاقين بذلك فرضى العامّة وسكنوا وانحلّ السعر.

فسخ الضمان عن حامد بن العبّاس

وخرج توقيع المقتدر إلى حامد بن العبّاس بفسخه عنه الضمان لأجل الفتنة وضجيج العامّة من زيادة السعر وتوقيع إلى علىّ بن عيسى بأن يدبّر هو الأعمال بالسواد والأهواز وإصبهان ويقلّدها[٣] العمّال من قبله وأن يكتب عنه كتاباً إلى العامّة يُقرأ فى الشوارع والأسواق ثمّ على المنابر بأنّه قد زال

---

١. ما فى مط: مهمل من دون نقط.

٢. فى مط: المصافة.

٣. قرئ الأصل فى مد: وتقليدها.

ضمان حامد بن العبّاس وحُظر على جميع الوجوه والقوّاد والغلمان أن يتضمّنوا بشيء من الأعمال. وكتب حامد إلى عمّاله بالإنصراف من الأعمال وتسليمها إلى عمّال عليّ بن عيسى وانخزل حامد بن العبّاس لذلك.

ودخلت سنة ثمان وثلاثمائة

وفيها ورد الخبر من مصر بحركة الفاطمى إليها فأُخرج مونس الخادم إليها.

وفيها خُلع على أبى الهيجاء عبد الله بن حمدان وقُلّد طريق خراسان والدينور وخُلع على أخويه أبى العلاء وأبى السرايا.

وفيها ورد رسول أخى صعلوك(١) بالمال والهدايا فخُلع [153] عليه.

ودخلت سنة تسع وثلاثمائة

وفيها وردت الكتب وقُرأت على المنابر بهزيمة المغربى واستباحة عسكره.

وفيها لُقّب مونس: المظفّر، وأنشئت(٢) الكتب به عن المقتدر بالله إلى أمراء النواحى وعُقد له على مصر والشام.

وفيها دخل رسول صاحب خراسان برأس ليلى بن النعمان الديلمى الذى خرج بطبرستان.

وفيها اشتهر أمر الحلاّج واسمه الحسين بن منصور حتّى قُتل وأُحرق.

---

١. والعبارة فى مط: وفيها وصل أخى صعلوك (بتغيير وإسقاط).

٢. فى مط: وأنبئت.

ذكر خبر الحسين بن منصور الحلاّج
وما آل إليه أمره من القتل والمثلة

إنتهى إلى حامد بن العبّاس في أيّام وزارته أنّه قد موّه على جماعة من الحشم والحجّاب وعلى غلمان نصر الحاجب وأسبابه وأنّه يُحيي الموتى وأنّ الجنّ يخدمونه فيُحضرونه ما يشتهيه وأنّه يعمل ما أحبّ من معجزات الأنبياء. وادّعى جماعة أنّ نصراً مال إليه وسعى قوم بالسمرّي وببعض الكتّاب وبرجل هاشميّ أنّه نبيّ الحلاّج وأنّ الحلاّج إله ـ عزّ[1] الله وتعالى عمّا يقول الظالمون علوّاً كبيراً.

فقُبض عليهم وناظرهم حامد فاعترفوا بأنّهم يدعون إليه وأنّه قد صحّ عندهم أنّه إله يُحيي الموتى وكاشفوا الحلاّج بذلك [154] فجحده وكذّبهم وقال:

ـ «أعوذ بالله أن أدّعي الربوبيّة والنبوّة وإنّما أنا رجل أعبد الله عزّ ذكره وأُكثر الصوم والصلاة وفعل الخير ولا غير.»

واستحضر حامد بن العبّاس أبا عمر القاضي وأبا جعفر ابن البهلول القاضي وجماعة من وجوه الفقهاء والشهود واستفتاهم في أمره. فذكروا أنّهم لا يفتون في قتله بشيء إلى أن يصحّ عندهم ما يوجب عليه القتل وأنّه لا يجوز قبول قول من ادّعى عليه ما ادّعاه ـ وإن واجهه ـ إلاّ بدليل وإقرار منه.

فكان أوّل من كشف أمره رجل من البصرة تنصّح فيه وذكر أنّه يعرف أصحابه وأنّهم متفرّقون في البلدان يدعون إليه وأنّه كان ممّن استجاب له ثمّ

---

١. في مط: أعز الله.

تبيّن مخرقته ففارقه وخرج عن جملته وتقرّب إلى الله بكشف أمره.

واجتمع معه على هذه الحال أبو عليّ هارون بن عبد العزيز الأوارجى[١] الكاتب الأنبارى وقد كان عمل كتاباً ذكر فيه مخاريق الحلاّج وحيله فيه وهو موجود فى أيدى جماعة والحلاّج حينئذٍ مقيم فى دار السلطان موسّع عليه مأذون لمن يدخل إليه وهو عند نصر الحاجب.

وللحلاّج إسمان: أحدهما الحسين بن منصور والآخر محمّد بن أحمد الفارسى، وكان استهوى [155] نصراً وجاز عليه تمويهه وانتشر له ذكر عظيم فى الحاشية فبعث به المقتدر إلى علىّ بن عيسى ليناظره فأُحضر مجلسه وخاطبه خطاباً فيه غلظة فحُكى أنّه تقدّم إليه وقال له فيما بينه وبينه:

- «قف حيث انتهيت ولا تزد عليه شيئاً وإلّا قلبت عليك الأرض.»

وكلاماً فى هذا المعنى. فتهيّب علىّ بن عيسى مناظرته واستعفى منه ونُقل حينئذٍ إلى حامد بن العبّاس.

الحلّاج وبنت السّمرىّ

وكانت بنت السمرّى صاحب الحلاّج قد أُدخلت إلى الحلاّج وأقامت عنده فى دار السلطان مدّة وبعث بها إلى حامد ليسألها عمّا وقفت عليه من أخباره وشاهدته من أحواله.

فذكر أبو القاسم بن[٢] زنجى[٣] أنّه حضر دخول هذه المرأة إلى حامد بن العبّاس وأنّه حضر ذلك المجلس أبو علىّ أحمد بن نصر البازيار من قبل أبى

---

١. فى مط: الأوراحى (بالحاء المهملة).

٢. فى الأصل ومط: ابوالقاسم الزّنجى. وفى المواطن الآتية: ابوالقاسم بن زنجىّ، فوحّدنا الضبط. وهو يوافق ما فى صلة عريب: ٨٨، ٩١.

٣. الزنجى: كذا فى الأصل ومط. فى مد: زنجى.

القاسم ابن الحوارى ليسمع ما تحكيه. فسألها حامد عمّا تعرفه من أمر الحلاّج، فذكرت أنّ أباها السمرّى حملها إليه وأنّها لمّا دخلت إليه وهب لها أشياء كثيرة عدّدت أصنافها.

قال أبو القاسم: وهذه المرأة كانت حسنة العبارة عذبة الألفاظ مقبولة الصورة فكان ممّا أخبرت عنه أنّه قال لها:

ـ «قد زوّجتك من سليمان ابنى وهو أعزّ أولادى علىّ [156] وهو مقيم بنيسابور وليس يحلو أن يقع بين المرأة والرجل[١] كلام أو تنكر منه حالاً من الأحوال وأنت تحصلين عنده وقد وصّيته[٢] بك فإن جرى منه شيء تنكرينه فصومى يومك واصعدى آخر النهار إلى السطح وقومى على الرماد والملح الجريش[٣] واجعلى فطرك عليهما واستقبلينى بوجهك واذكرى لى منه ما تنكرينه منه، فإنّى أسمع وأرى.»

قالت: وأصبحت يوماً وأنا أنزل من السطح إلى الدار ومعى ابنته وكان قد نزل هو فلمّا صرنا على الدرجة بحيث يرانا ونراه قالت لى ابنته:

ـ «اسجدى له.»

فقلت لها:

ـ «أو يسجد أحد[٤] لغير الله؟»

قالت: فسمع كلامى لها فقال:

ـ «نعم، إله فى السماء وإله فى الأرض.»

قالت: ودعانى إليه وأدخل يده فى كمّه وأخرجها مملوءة مسكاً ودفعه

---

١. فى مط: الزوج، بدل «الرجل».

٢. فى مط: قصته.

٣. فى مط: وملح العريش.

٤. أحد: الكلمة سقطت من مط.

إليّ ثمّ أعادها ثانية إلى كمّه وأخرجها مملوءة مسكاً ودفعه إليّ وفعل ذلك مرات ثمّ قال :

ـ «واجعلى هذا فى طيبك فإنّ المرأة إذا حصلت عند الرجل احتاجت إلى الطيب.»

قالت : ثمّ دعانى وهو جالس فى بيت على بوارى فقال :

ـ «ارفعى جانب البارية من ذلك الموضع وخذى ممّا تحته ما تريدين.»

وأومأ إلى زاوية البيت فجئت إليها ورفعت البارية فوجدت تحتها الدنانير مفروشة [157] ملء البيت. فبهرنى ما رأيت من ذلك. فأُقيمت المرأة وحصلت فى دار حامد إلى أن قُتل الحلاّج.

الجدّ فى طلب أصحاب الحلاّج

وجدّ حامد فى طلب أصحاب الحلاّج وأذكى العيون عليهم وحصل فى يده منهم حيدرة والسمرّى ومحمّد بن علىّ القُنَّاى[1] والمعروف بأبى المغيث الهاشمى. واستتر ابن حمّاد وكبس منزله فأخذت منه دفاتر كثيرة وكذلك من منزل محمّد بن علىّ القنّاى فكانت مكتوبة فى ورق صينى وبعضها مكتوب بماء الذهب مبطّنة بالديباج والحرير مجلّدة بالأدم الجيّد. ووجد فى أسماء أصحابه ابن بشر وشاكر. فسأل حامد من حصل فى يده من أصحاب الحلاّج عنهما فذكروا أنّهما داعيان له بخراسان.

قال أبو القاسم بن زنجى : فكتبنا فى حملهما إلى الحضرة أكثر من عشرين كتاباً فلم يرد جواب أكثرها. وقيل فيما أجيب عنه منها : إنّهما يطلبان ومتى حصلا حُملا، ولم يُحملا إلى هذه الغاية.

---

١. فى مط : القناى.

وصاياه للدُّعاة إليه

وكان في الكتب الموجودة له عجائب من مكاتبات أصحابه النافذين إلى النواحى وبوصيته إيّاهم بما يدعون إليه الناس وبما يأمرهم به من نقلهم من حال إلى حال أخرى ومرتبة إلى مرتبة حتّى يبلغوا الغاية القصوى وأن يخاطبوا [158] كلّ قوم على حسب عقولهم وأفهامهم وعلى قدر استجابتهم وانقيادهم وجوابات لقوم كاتبوه بألفاظ مرموزة لا يعرفها إلّا من كتبها ومن كُتبت إليه.

كلام غريب من غلام حامد فى الحلّاج

وحكى أبو القاسم بن زنجى قال: كنت أنا وأبى يوماً بين يدى حامد إذ نهض من مجلسه وخرجنا إلى دار العامّة وجلسنا فى رواقها وحضر هارون بن عمران الجهبذ بين يدى أبى ولم يزل يحادثه فهو فى ذلك إذ جاء غلام حامد الذى كان موكّلاً بالحلّاج وأومأ إلى هارون بن عمران أن يخرج إليه فنهض مسرعاً ونحن لا ندرى ما السبب، فغاب عنّا قليلاً ثمّ عاد وهو متغير اللون جدّاً فأنكر أبى ما رأى منه فسأله عن خبره فقال:

- «دعانى الغلام الموكّل بالحلّاج فخرجت إليه فأعلمنى أنّه دخل إليه ومعه الطبق الذى رسمه أن يُقدّم إليه فى كلّ يوم فوجده قد ملأ البيت بنفسه فهو من سقفه إلى أرضه وجوانبه حتّى ليس فيه موضع. فهاله ما رأى ورمى بالطبق من يده وعدا مسرعاً وأنّ الغلام ارتعد وانتفض وحُمّ.

فبينا نحن نتعجب من حديثه إذ خرج إلينا رسول حامد وأذن فى الدخول إليه فدخلنا وجرى حديث الغلام فدعا به وسأله عن خبره فإذا هو محموم، وقصّ [159] عليه قصّته فكذّبه وشتمه وقال:

ـ «فزعتَ من نيرنج الحلاّج ـ وكلاماً فى هذا المعنى ـ لعنك الله اعـزب عنّى.»

كيف حلّ دم الحلاّج

فانصرف الغلام وبقى على حالته من الحمّى مدّة طويلة. ثمّ وجد حامد كتاباً من كتبه فيه:

ـ «إنّ الإنسان إذا أراد الحجّ فلم يمكنه أفرد فى بيته بناء مربعاً لا يلحقه شيء من النجاسات ولا يتطرّقه أحد. فإذا حضرت أيّام الحجّ طاف حـوله وقضى من المناسك ما يُقضى بمكّة، ثمّ يجمع ثـلاثين يـتيماً ويـعمل لهـم أسرى[1] ما يمكنه من الطعام ويُحضرهم ذلك البيت ويقدّم لهم ذلك الطـعام ويتولّى خدمتهم بنفسه، ثمّ يغسل أيديهم ويكسو كـلّ واحـد مـنهم قـميصاً ويدفع إلى كلّ واحد سبعة دراهم أو ثلاثة دراهم ـ الشكّ من أبى القاسم بن زنجى ـ وإنّ ذلك يقوم له مقام الحجّ.»

قال: وكان أبى يقرأ هذا الكتاب فلمّا استوفى هذا الفصل التفت أبو عمر القاضى إلى الحلاّج وقال له:

ـ «من أين لك هذا.»

قال: «من كتاب الإخلاص للحسن البصرى.»

قال له أبو عمر:

ـ «كذبت يا حلال الدم.»

قد سمعنا كتاب الإخلاص للحسن البصرى بمكّة وليس فيه شـىء ممّا ذكرت. فكلّما[2] قال له أبو عمر: «يا حلال الدم» قال له حامد:

---

١. الأسرى: الأسخى. من قولهم: سرا، أى كان سريّاً، أى صاحب مروءة وسخاء.

٢. فكلّما: كذا فى الأصل ومط: وقرئ فى مد: فكما.

ـ «أكتب ما قلت.»

فتشاغل أبو عمر بخطاب الحلاّج فلم يَدَعْهُ حامد يتشاغل [160] وألحّ عليه إلحاحاً لم يمكنه معه المخالفة، فكتب بإحلال دمه وكتب بعده من حضر المجلس. فلمّا تبيّن الحلاّج الصورة قال:

ـ «ظَهرى[١] حمىً ودمى حرامٌ وما يحلّ لكم أن تتأوّلوا علىّ بما يبيحه. اعتقادى الإسلام، ومذهبى السنّة، ولى كتب فى الورّاقين موجودة في السنّة، فالله الله فى دمى.»

كتاب القوم وجواب المقتدر

ولم يزل يردّد هذا القول والقوم يكتبون خطوطهم حتّى كمل الكتاب بخطوط من حضر فأنفذه حامد إلى المقتدر بالله.

فخرج الجواب:

ـ «إذا كان فتوى القضاة فيه بما عرضت فأحضره مجلس الشرطة واضربه ألف سوط، فإن لم يمت فتقدّم بقطع يديه ورجليه، ثمّ اضرب رقبته وانصب رأسه وأحرق جثّته.»

فأحضر حامد صاحبَ الشرطة وأقرأه التوقيع وتقدّم إليه بتسلّم الحلاّج وإمضاء الأمر فيه. فامتنع من ذلك، وذكر أنّه يتخوّف أن يُنتزع من يده. فوقع الإتفاق على أن يُحضر بعد العتمة[٢] ومعه جماعة من غلمانه وقوم على بغال يجرون مجرى الساسة[٣] ليُجعل على بغل منها ويُدخل فى غمار القوم. وأوصاه بأن لا يسمع كلامه. وقال له:

---

١. فى مط: طهرى. وضبط العبارة من الأصل.

٢. فى مط: المعتمد بدل «العتمة»!

٣. فى مط: الثلة، بدل: الساسة.

ـ «لو قال لك: أُجرى لك دجلة والفرات ذهباً وفضّة فلا ترفع عنه [161] الضرب حتّى تقتله كما أُمرت.»

تنفيذ أمر المقتدر في الحلّاج

ففعل محمّد بن عبد الصمد صاحب الشرطة ذلك وحمله تلك الليلة على الصورة التى ذُكرت وركب غلمان حامد معه حتّى أوصلوه إلى الجسر وبات محمّد بن عبد الصمد ورجاله حول المجلس.

فلمّا أصبح يوم الثلاثاء لستّ بقين من ذى القعدة أُخرج الحلّاج إلى رحبة المجلس واجتمع من العامّة خلق كثير لا يُحصى عددهم وأمر الجلّاد بضربه ألف سوط فضُرب وما تأوّه ولا استعفى.

قال: فلمّا بلغ ستمائة سوط قال لمحمّد بن عبد الصمد:

ـ «ادعُ بى إليك فإنّ عندى نصيحة تعدل عند الخليفة فتح قسطنطينية.»

فقال: «قد قيل لى إنّك ستقول هذا وما هو أكثر منه، وليس إلى رفع الضرب عنك سبيل.»

فسكت حتّى ضُرب ألف سوط ثمّ قُطعت يده ثمّ رجله ثمّ يده ثمّ رجله[١] ثمّ ضُرب عنقه وأُحرقت جثّته ونصب رأسه على الجسر، ثمّ حُمل رأسه إلى خراسان.

وادّعى أصحابه أنّ المضروب كان عدوّاً للحلّاج ألقى شبهه عليه. وادّعى بعضهم أنّه رآه وخاطبه فى هذا المعنى بجهالات لا يكتب مثلها. وأحضر الورّاقون وأحلفوا أن لا يبيعوا شيئاً من كتب الحلّاج [162] ولا يشتروها.

---

١. ثم يده ثمّ رجله، جاء فى الأصل أيضاً بالتكرار. وليس هذا من خطأ الناسخ. بل للتعبير عن ترتيب القطع. وحذف التكرار فى مد ظنّاً أنّه تكرار زائد.

ودخلت سنة عشر وثلاثمائة

إطلاق يوسف بن أبى الساج والعقد له على أعمالٍ

وفيها أطلق يوسف بن أبى الساج بمسألة مونس المظفّر من الحبس وشفاعته ثمّ حُمل إليه مال وكسوة ثمّ وصل إلى المقتدر بالله وكان ركب فى سواد فقبّل البساط ثمّ يد المقتدر وخلع عليه خلع الرضا وحمل على فرس بمركب ذهب.

ثمّ جلس المقتدر فى دار العامّة بعد أيّام وعقد له على أعمال الصلاة والمعاون والخراج والضياع بالرى وقزوين وأبهر وزنجان وأذربيجان وركب معه مونس المظفّر ونصر الحاجب وشفيع ومفلح وجميع من بالحضرة من القوّاد والغلمان وكانت الدار قد شحنت له بالرجال والسلاح واحتشد له.

واستكتب يوسف بن أبى الساج محمّد بن خلف النيرمانى وقوطع عن الأعمال التى تقلّدها على خمسمائة ألف دينار محمولة فى كلّ سنة على أنّ عليه القيام بمال الجيش الذى فى هذه الأعمال والنفقات الراتبة. وخلع على وصيف البكتمرى وعلى طاهر ويعقوب ابنى محمّد بن عمرو بن الليث.

من بعض حوادث السنة

وفيها قلّد نازوك الشرطة ببغداد وخُلع عليه وعُزل عنها محمّد بن عبد الصمد وخُلع عليه وعُزل عنها محمّد بن عبد الصمد وخُلع على وصيف البكتمرى خلعة أخرى [163] وضمّ إلى يوسف بن أبى الساج وشخص يوسف بن أبى الساج إلى عمله على طريق الموصل، فلمّا وصل إلى أردبيل وجد غلامه سُبك قد مات.

وفيها وصل إلى بغداد هدية أبى زنبور الحسين بن أحمد المادرائى من

مصر وفيها بغلة معها فُلُوّ[١] وكان يتبعها ويرتضع منها وغلام طويل اللسان يلحق طرف أرنبته.

وفيها قُبض على أمّ موسى القهرمانة وعلى أختها وأخيها

ذكر السبب في ذلك

كان السبب في ذلك أنّ أمّ موسى زوّجت بنت أخيها أبي بكر أحمد بن العبّاس من أبي العبّاس بن محمّد بن إسحاق بن المتوكّل على الله، وكان من أولاد الخلفاء النجباء وكانت له نعمة حسنة ظاهرة وكان حسن المروءة واللبسة والدوابّ والمراكب. وكان صديقاً لعليّ بن عيسى حتّى قيل: إنّه كان يرشّحه للخلافة.

فلمّا وقعت المصاهرة بينه وبين أمّ موسى أسرفت فيما نثرت من المال وفيما أنفقت على دعوات دعت فيها الصغير والكبير من أهل المملكة في بضعة عشر يوماً. فتمكّن أعداؤها من السعي عليها ومكّنوا في نفس المقتدر بالله ووالدته السيدة أنّها إنّما صاهرت ابن المتوكّل ليزيلوا المقتدر بالله عن [164] الخلافة وينصبوا فيها ابن المتوكّل.

فتمّت النكبة عليها وسُلّمت إلى ثُمْل القهرمانة مع أختها وأخيها. وكانت ثمل موصوفة بالشر لأنّها كانت قهرمانة أحمد بن عبد العزيز بن أبي دُلَف وكان أحمد يسلّم إليها من يسخط عليه من جواريه وخدمه فاشتهرت بالقسوة والسرف في العقوبات.

واستخرجت ثُمْل منها ومن أختها وأخيها أموالاً عظيمة وجواهر نفيسة ومن الثياب والكسوة والفرش والطيب ما يعظم مقداره حتّى نصب عليّ بن عيسى لذلك ديواناً وسمّاه: ديوان المقبوضات عن أمّ موسى وأسبابها، أجرى

---

١. كذا في الأصل: فلوّ. ما في مط مهمل. والفُلُوّ: ولد الجحش والمهر والبغل في سنّ سنة.

فيها أمر ضياعهم وأملاكهم وقلّده أبا شجاع المعروف بابن أخت أبى أيّوب أبى الوزير وقلّد الزمام عليه أبا عبد الله اليوسفي الكاتب. ويقال: إنّه حصل من جهتهم نحو ألف ألف دينار.

ولمّا قبض على أمّ موسى صرف علىّ بن عيسى ابن أبى البغل عن أعماله بفارس وقلّدها أبا عبد الله جعفر بن القاسم الكرخى وصادره. ثمّ لمّا تقلّد ابن الفرات الوزارة الثالثة كتب إلى الكرخي بتجديد مصادرة ابن أبى البغل واعتقاله.

ذكر وفاة محمد بن جرير الطبرى

وفيها توفّى محمّد بن جرير الطبرى وله نحو تسعين سنة، ودُفن ليلاً، لأنّ العامّة اجتمعت ومنعت من دفنه نهاراً، وادّعت عليه الرفض [165] ثمّ ادّعت عليه الإلحاد.

وفيها دعا المقتدر مونساً المظفّر فشرب بين يديه وخلع عليه خلع منادمة وكانت مثقلة بالذهب.

ودخلت سنة إحدى عشرة وثلاثمائة

وفيها صُرف حامد بن العبّاس عن الوزارة وعلىّ بن عيسى عن الدواوين.

ذكر صرف حامد وعلىّ بن عيسى وردّ الوزارة[١] إلى ابن الفرات

كانت لذلك أسباب كثيرة منها أنّ حامداً شرع[٢] فى تضمن علىّ بن

---

١. هى الوزارة الثالثة لابن الفرات.

٢. فى مط: أنّ حامداً اسر.

عيسى لمّا فُسخ ضمانه لتلك الأعمال والبلدان التى ذكرناها وبذل أن يقوم بالأمور ويدبّر الأعمال. وكان الذى حمله على ذلك ما كان يبلغه من عزم المقتدر بالله على تقليد ابن الفرات لمّا كثر ضجيج الحاشية من علىّ بن عيسى لتأخيره عنهم أرزاقهم وأرزاق الحُرم والولد، واقتصر بالخدم والحاشية والفرسان على البعض من استحقاقاتهم وحطّ من أرزاق العمّال شهرين فى كلّ سنة ومن أرزاق المنفقين وأصحاب الأجناد والبُرُد[1] والقضاة أربعة أشهر فزادت عداوة الناس له وخشى حامد بن العبّاس من ابن الفرات لمّا سلف [166] منه إليه ولما عامل به ابنه المحسّن وسائر كتّابه وأسبابه.

فأمره المقتدر أن يكتب رقعة بخطّه بما يضمنه ويبذله وبتسمية من يقلّده الدواوين، ففعل حامد ذلك وعرض المقتدر بالله رقعته على ابن الفرات وهو فى حبسه وشرح له أمره.

فقال ابن الفرات:

ـ «لو اجتمع مع حامد بن العبّاس الحسن بن مخلد وأحمد بن إسرائيل وسائر من شهر بالكفاية لما كان موضعاً لتدبير المملكة ولا لضبط أعمال الدواوين وأنّه إن قُلّد ذلك انخرقت الهيبة وزالت الحشمة وإن علىّ بن عيسى على تصرّف أحواله أقوم منه وأعرف بالأعمال والتدبير.»

ثمّ إنّه قال:

ـ «أنا أتضمّن خمسة أضعاف ما ضمنه حامد إن أعاده ومكّنه ممّا يريد.»

فوعده المقتدر بذلك. وكان حامد مقيماً ببغداد لا يُدخل نفسه فى شىء من الأمور ولا يزيد على أن يحضر فى أيّام المواكب وينصرف. وضجر حامد من مقامه ببغداد لقبح حاله فى الذلّ، ولأنّه افتضح بما كان يعامله به علىّ

١ـ ما فى الأصل: البَرد، بفتح الباء. والبُرُد جمع البريد.

بن عيسى فى توقيعاته، وذلك أنّه كان يوقّع إلى كتّاب الوزير حامدٍ وإلى كتّاب الدواوين إذا ذكره بما لا صبر له عليه، وكان يوقّع:

ـ «ليطالب جهبذ الوزير ـ أسعده الله ـ بحمل وظيفة واسط».

ـ «وليكتب إلى الوزير ـ أسعده الله ـ بأن يبادر بحمل شعير الكراع».

[167]

وإذا تظلّم إليه متظلّم من أعمال حامد وعمّاله وقّع على ظهر رقعة:

ـ «هذا ممّا ينظر فيه الوزير، أسعده الله.»

وذكر علىّ بن عيسى أنّه يحتجّ فى ذلك برسم قديم كان للوزراء. فاستأذن حامد المقتدر فى الخروج إلى واسط والمقام بها لينظر فى أمور ضمانه بنواحيها فأذن له وخرج.

ومنها[١] ما جرى من أمّ موسى وما ذكرناه من خبرها وما تحدّث به الناس من أمر ابن المتوكّل وأنّ ابن الحوارى دبّر ذلك لميل أمّ موسى إليه وكشفها له أسرار الخلافة.

وكان بعض أسباب ابن الفرات طرح رقعة فى دار المقتدر فيها بيت شعر:

يُهْنيكَ يُهْنيكَ هذا   يا ديكَ دارِ الخليفة[٢]

ولم يُذكر فى الرقعة غير هذا البيت وهى أبيات فاحشة ليست فيها أصلح من هذا البيت، وتعمّد أن جُعلت الرقعة فى ممرّ الخليفة إلى دار حُرمة له. فقرأ المقتدر الرقعة وقبحت عنده صورة ابن الحوارى جدّاً واعتقد فيه ذلك اليوم استحلال دمه وسفكه ونكبة أمّ موسى، ويُظنّ أنّ هذا البيت كان من أوكد أسباب نكبتها ونكبته.

ومنها أنّ مفلحاً الأسود كان شديد التحقّق بالمقتدر مثابراً على خدمته ثمّ

---

١. فى مط: وفيها.

٢. فى مط: ناديك دار الخلافة.

عظم أمره حتّى [168] أُقطع الإقطاعات ومُلّك الضياع الجليلة ووقعت بينه وبين حامد مماحكة وذكر مفلح حامداً بالقبيح وقال حامد:

ـ «لقد هممت أن أشترى مائة خادم أسود وأسمّى كلّ واحد منهم مفلحاً وأهبهم لغلمانى.»

فحقد مفلح ذلك عليه ووقف على ذلك المحسّن وعلى ما يشبه ذلك، فوجّه إلى كاتب مفلح واجتمع معه وضمن له الأعمال والأموال والولايات حتّى عقد حالاً بينه وبين مفلح.

تضريب من ابن الفرات عند المقتدر

وكتب المحسّن رقعة إلى المقتدر بالله على يد مفلح يذكر فيها أنّه إن سلم منه حامد وعلىّ بن عيسى ونصر الحاجب وشفيع اللؤلؤى وابن الحوارى وأمّ موسى وأخوها والمادرائيون استخرج منهم سبعة آلاف ألف دينار، وكان أبو الحسن ابن الفرات لا يقصّر وهو فى الحبس فى التضريب على هؤلاء وإطماع المقتدر فيهم.

وكان من طريف ما عمله وعجيبه أن راسل المقتدر يوماً على يدى زيدان القهرمانة يلتمس منه قيمة اثنى عشر ألف دينار أو هذا المقدار دنانير بعينها لشىء من أمره، فتذمّم المقتدر مع ما أخذه من أمواله أن يمنعه. فحملها إليه، ثمّ سأله أن يَدخل إليه إذا اجتاز بموضعه ليُلقى إليه شيئاً لا تحتمله المكاتبة ولا المراسلة، وكان المقتدر كثيراً [169] ما يدخل إليه ويشاوره فدخل إليه. فلمّا رآه ابن الفرات قام وأخذ الكيس الذى فيه الدنانير، ففتحه وفرّغه بين يديه وقال له:

ـ «يا أمير المؤمنين قد عرّفتك أن أموالك تنتهب وتضيّع وتقضى بها الذمامات. ما تقول فى رجل واحد يرتزق فى كلّ شهر من شهور الأهلّة هذا

المقدار من مالك وهو اثنا عشر ألف دينار؟»

فاستعظم المقتدر ذلك واستهوله وقال:

- «ويحك، من هذا الرجل؟»

قال له: «عليّ بن محمّد ابن الحوارى، وهذا سوى ما يصل إليه من المنافع لمكانه منك وموضعه من الإختصاص بك، وسوى ارتفاع ضياعه وسوى المرافق التى تصل إليه من الأعمال التى يتولاّها وسوى وسوى.»

وردّ الدنانير إلى المقتدر بالله وقال:

- «إنّما أردت أن تشاهد ما يُصنع بك وتراه بعينك فليس الخبر كالمعاينة.»

فقام المقتدر بالله وقد عظم عنده أمر ما يجرى واعتقد لابن الحوارى غاية المكروه.

خرج المحبوس وزيراً

فلمّا اجتمعت هذه الأسباب قوى عزم المقتدر على ردّ الوزارة إلى ابن الفرات. فلمّا كان يوم الخميس لتسع[1] بقين من شهر ربيع الآخر وقد انحدر علىّ بن عيسى إلى دار السلطان قُبض عليه وحُبس عند زيدان القهرمانة فى الحجرة التى كان فيها ابن الفرات، فأُخرج منها [170] ابن الفرات ليقلّد الوزارة.

ابن الفرات يتحدّث فى أيّام وزارته الثانية

قال أبو محمّد علىّ بن هشام: كنت حاضراً مع أبى مجلس أبى الحسن

---

١. فى مط: لسبع.

ابن الفرات فسمعته يتحدّث فى وزارته الثانية قال:

ـ «دخل إلىّ أبو الهيثم العبّاس بن محمّد بن ثوابة الأنبارى فى محبسى[١] من دار المقتدر بالله فطالبنى أن أكتب خطّى بثلاثة عشر ألف ألف دينار.»

فقلت: «ما جرى قدر هذا على يدى للسلطان فى طول ولايتى فكيف أصادر على مثله؟»

فقال: «إنّى حلفت بالطلاق أن تكتب خطّك بذلك.»

فكتبتُ بثلاثة عشر ألف ألف من غير أن أذكر ما هى أو ضماناً فيها. فقال:

ـ «فاكتب ديناراً لتبرّئنى من يمينى.»

فلمّا كتبت ديناراً ضربت عليه وأكلت الرقعة وقلت:

ـ «قد برئت عن يمينك ولا سبيل لك إلى غير هذا.»

فاجتهد جهده فلم أجبه إلى شىء، فلمّا كان من الغد دخل إلى الحبس ومعه أمّ موسى فطالب بذلك وأسرف فى سبّى وشتمى ورمانى بالزنا، فحلفت بالطلاق والعتاق والأيمان المغلظة أنّى ما دخلت فى شىء من محظور هذا الجنس منذ نيّف وثلاثين سنة وسُمْتُهُ[٢] أن يحلف بمثل ذلك إنّ غلامه القائم على رأسه لم يأته فى ليلته تلك. فأنكرت أمّ موسى هذه الحال وغطّت وجهها حياءً منه.

فقال لها ابن ثوابة:

ـ «هذا إنّما تبطره الأموال التى وراءه، ومثله فى ذلك [171] مثل المزيّن مع كسرى والحجّام مع الحجّاج بن يوسف، فاستأمرى السادة فى إنزال المكروه به حتّى يذعن بالأموال.»

---

١. فى مط: فى مجلس.
٢. سُمْتُهُ: كذا فى الأصل. وفى مط: شتمه. سامَهُ الأمْرَ: كلّفه إيّاه.

قال أبو الحسن: يعني بالسادة المقتدر ووالدته وخالته وخاطف ودستنبويه أمّ ولد المقتدر[١] لأنّهم إذ ذاك يدبّرون الأمر معاً لحداثة المقتدر.

قال ابن الفرات: فمضت أمّ موسى ثمّ عادت فقالت لابن ثوابة:

- «يقولون لك قد صدقت ويدك مطلقة فيه وكنتُ في حجرة ضيّقة وحرّ شديد فأمر بكشف البوارى حتّى صرتُ في الشمس ونُحّي الحصير من تحتي وأُغلقت أبواب البيوت حتّى حصلت في الشمس ثمّ قيّدني بقيد ثقيل وألبسني جبّة صوف قد نُقّعت في ماء الأكارع وغلّني بغلّ وأُقفل باب الحجرة وانصرف فأشرفت على التلف. فلمّا مضت نحو أربع ساعات إذا صوت غلمان مجتازين في الممرّ الذى فيه الحجرة التي أنا فيها محبوس.»

فقال لى الخدم الموكّلون:

- «هذا بدر الخادم الحُرمي وهو لك صنيعة.»

فاستغثت به فصحت:

- «يا أبا الخير، الله الله فيّ، لك مكان من السادة ولى عليك حقوق، وقد ترى حالى والموت أسهل عليّ ممّا أنا فيه.

فخاطِب السيّدة[٢] وذكّرهم حرمتى وخدمتى فى تثبيت دولهم إذ خذلهم الناس وافتتاحى [172] البلدان المنغلقة وإثارتى الأموال المنكسرة فإن كان ذنبي يوجب القتل فالموت أروح.»

فرجع إليهم فخاطبهم ورقّقهم ولم يبرح حتّى حُلّ الحديد كلّه عنّي ثمّ أذنوا فى إدخالى الحمّام وأخذ شعرى وتغيير لباسى وتسليمى إلى زيدان وترفيهى فجاءنى مبشّراً بذلك فلم يبرح حتّى فعل جميع ذلك وقال:

- «يقولون لك: لن ترى بعدها بؤساً.»

---

١. لعلّ الصحيح: المعتضد، كما أشار إليه مد.

٢. كذا فى الأصل ومط: السيّدة. ولعلّ الصحيح: السادة، كما اقترح فى مد.

ذكر الخبر عن وزارة أبى الحسن ابن الفرات الثالثة

وتقلّد أبو الحسن علىّ بن محمّد بن الفرات الوزارة الثالثة فى ذلك اليوم وخُلع عليه واستدعى المقتدر بالله المحسّن ابنه من منزله بسوق العطش فخلع عليه مع أبيه[١] ولم يوصل المقتدر بالله إليه فى ذلك اليوم أبا القاسم ابن الحوارى وظهر أولاد ابن الفرات وأسبابه واستتر بعض أسباب حامد وقبض المحسّن فى طريقه على جماعة من أسباب حامد.

وكان أبو علىّ ابن[٢] مقلة يتقلّد لعلىّ بن عيسى زمام السواد طول أيّام وزارة حامد، فلمّا تقلّد ابن الفرات هذه الوزارة تجلّد ولم يستتر وصار إليه وظهر من إعراض ابن الفرات عنه ما غضّ منه ولم يقبض[٣] عليه للمودّة التى بينه وبين [173!] ابن الحوارى فلمّا قبض بعد ذلك على ابن الحوارى قبض عليه.

وانتقل ابن الفرات إلى داره الأولى التى بالمخرّم وركب إليه ابن الحوارى ليهنّئه فأطال عنده وآنسه ابن الفرات وشاوره وخلا به فتحقّق به وأظهر السرور بولايته مع ما يبطنه من الخوف الشديد منه.

وكان أسباب أبى القاسم ابن الحوارى قد أشاروا عليه بالإستتار وقالوا له:

ـ «إنّ المقتدر بالله لم يأذن لك عند تقليده ابن الفرات مع علمه بالعداوة بينكما إلّا لسوء رأيه فيك.»

فقال ابن الحوارى:

---

١. فى مط: ابنه.

٢. فى مط: وكان علىّ بن مقلة، بإسقاط «أبو».

٣. فى مط: ولم يقض عليه المودّة.

ـ «لو كان كذلك لقبض عليّ قبل تقليد ابن الفرات.»

فلمّا كان يوم الإثنين ركب ابن الفرات وركب ابن الحوارى إلى دار السلطان فأُذن لابن الفرات ولم يؤذن لابن الحوارى فاستوحش ابن الحوارى.

ثمّ صرف الأمر إلى ابن الفرات وقد كان شرط على ابن الفرات أن يجريه على رسمه في وزارته الثانية، فإنّه لم يكن يصل مع ابن الحوارى ظاهراً وإنّما كان يصل سرّاً. فلمّا خرج ابن الفرات من عند المقتدر بالله وانفرد دخل إليه ابن الحوارى فأقبل عليه وشاوره في جميع أموره وقال:

ـ «قد غبتُ عن مجارى الأمور منذ خمس سنين وأنت عارف بها وأريد أن تعاضدنى وتستعمل ما يَلزمك بحقّ المودّة.»

فتلقّى ابن الحوارى [174] قوله بالشكر وإظهار المناصحة وأنشأ ابن الفرات معه حديثاً طويلاً ونهض قبل أن يستتمّه[1] ونزل إلى طيّاره وأنزل معه ابن الحوارى وأحمد بن نصر البازيار ابن أخيه ومحمّد بن عيسى صهره وعليّ بن مأمون الإسكافى كاتبه وعليّ بن خلف النيرمانى.

وكان أخوه محمّد بن خلف مصاهراً له وأظهر لجماعتهم الإكرام والإختصاص وما زال يضاحكهم إلى أن حصل فى داره. ثمّ أسرّ إلى العبّاس الفرغانى حاجبه بأن يقبض على ابن الحوارى وجميع أسبابه، فقبض عليهم واعتقلهم فى حجرة الدار واستحضر ابن الفرات فى الوقت شفيعاً اللؤلؤى فأنفذه إلى دار ابن الحوارى ليحفظها من النهب وضمّ إليه جماعة من الفرسان والرجّالة وأمر بمعاملته بالجميل فى مطعمه ومشربه وأُفردت له دار واسعة وفُرشت بفرش نظيف وأفرده عن كتّابه ومن يأنس به وراسله ابن الفرات فى

---

١. فى مط: فتفرّدت.

المصادرة وتوسّط ابن قرابة بينهما.

وكان ابن قرابة متحققاً بابن الفرات وشديد الأنس بابن الحوارى، فتقرّرت[١] مصادرته بعد خطاب كثير على سبعمائة ألف دينار في نفسه دون كتّابه وأسبابه واشترط إطلاق أحمد بن نصر البازيار لينصرف في أداء مال التعجيل [175] وهو مائتان وخمسون ألف دينار فأُطلق وأزيل التوكيل[٢] عن دار ابن الحوارى وأسبابه وسُلّم جميعها إلى أحمد بن نصر.

وأمر ابن الفرات بكبس مواضع فيها أسباب حامد وكتّابه فأثارهم، وكان المحسّن يسرف في المكروه الذى يوقعه بمن يحصل في يده منهم حتّى إنّه أحضر ابن حمّاد الموصلى وأخذ خطّه بمائتى ألف دينار وسلّمه إلى مستخرجه. فصفعه المستخرج صفعاً عظيماً فلم يرضَ المحسّن ذلك وأخرجه إلى حضرته وصفعه على رأسه حتّى خرج الدم من أنفه وفمه ومات ولم ينكره المقتدر وقد كان أشفق المحسّن من إنكاره وخافه خوفاً شديداً.

فلمّا كان بعد أيّام أنفذ المقتدر إلى المحسّن خِلَعَ منادمته وأجرى عليه من الرزق كلّ شهر ألفى دينار زيادة على رزق الدواوين. فضرى المحسّن على مكاره الناس وأسرف المقتدر في استصابة أفعاله إلى أن بلغ الأمر فيه إلى أن غنّى الجوارى بحضرته:

أَحْسَنَ المُحسِّنُ أَحْسَنْ

وكان استتر أبو الحسين محمّد بن أحمد بن بسطام صهر حامد بن العبّاس فاستخرجه واستخرج منه ستين ألف دينار وأخذ خطّه بمائتى ألف دينار بعد مكروه غليظ وغضبه على خادم يُعرف بموج[٣] كان مشهوراً بالميل [176]

---

١. في مط: فتفرّدت.

٢. في مط: التوكيد.

٣. كذا في الأصل ومط: موج. في مد: مرج.

إليه وقبض على جماعة فأخذ خدمهم وغلمانهم الرُوقة وأوقع بهم المكاره.

ذكر الخبر عن قبض الوزير ابن الفرات على حامد بن العبّاس

كان المقتدر قد شرط على ابن الفرات أن لا ينكب حامداً وأن يناظره على ما يجب عليه من فضل الضمان فإذا وجب عليه شيء بقول الكتّاب والقضاة أخذ بعضه وقال:

ـ «قد خدمنى ولم يأخذ منّى إلّا رزق سنة واحدة وشرط علىّ أن لا أسلمه لمكروه ولا أدع عليه حقّاً.»

فاضطُرّ ابن الفرات إلى إقراره على أعمال واسط وخاطبه بأجلّ دعاء، ثمّ عمل له الأعمال واستقصى عليه الحجّة وخرّج عليه أموالاً عظيمة وكاتب أصحابه بمطالبته والإلحاح عليه فإن تقاعد بها وُكّل به من يطالبه بالمال الواجب عليه للمصالح والبذور إذ كان ممّا لا سبيل إلى تأخيره، فإنّ أمير المؤمنين ليس يأذن فى تضمينه مستأنفاً.

فأظهر صاحب الوزير ابن الفرات هذا الكتاب فى مجلسه وبلغ حامداً[1] الخبر فى الوقت فأظهر بواسط أن كتاب المقتدر ورد عليه يأمر فيه بالمسير إلى بغداد وخرج من واسط مع جميع كتّابه وحاشيته ورجّالته وحمل معه من الفرش والآلات والكسوة جميع ما كان يُخدم به بعد أن احتاط [177] فى أمواله وأمتعته الفاخرة وأودعها عند ثقاته بواسط وضرب عند خروجه بالبوقات وأجلس غلمانه وحاشيته بأسرهم فى الزواريق والسُميريّات وبادر بخبره على أيدى الفيوج[2] وعلى أجنحة الطير إلى ابن الفرات وقاد دوابّه

---

١. فى الأصل: حامد (من دون الالف).

٢. الفيوج: جمع فَيْج، فارسىٌّ معرّب، أصله الفارسىّ «پيك»، وأصبح بالإنجليزية: «page». الفيج:

ودوابّ حاشيته. وأصحابه على الشطّ فوصل خبره إلى ابن الفرات فاستشار ابنه المحسّن ومن يختصّه فيما يعمل به فأشاروا عليه بأن يبادر إلى المقتدر ويُقرئه[١] كتاب حامد ففعل ذلك.

وقال المقتدر:

ـ «ما وقفت على ما عمله حامد ولا كتبت بشيء ممّا ادّعاه عليّ.»

فقال ابن الفرات:

ـ «فإن كان كذلك فالصواب أن يُنفذ نازوك فى جمع من الغلمان الحجريّة والفرسان والرجّالة بعضهم فى الماء وبعضهم فى الظهر حتّى يقبض على حامد وأسبابه.»

فأذن له فى ذلك فانصرف ابن الفرات إلى داره وأنفذ نازوك وتقدّم إليه بالمبادرة حتّى يقبض على حامد وعلى أسبابه حتّى لا يفوته أحد منهم. فسار نازوك وأخطأ بأن قبض عنى أوّل من لقيه من أسباب حامد وعلى دوابّه وغلمانه وبلغ حامداً خبره فاستتر من الطريق ونهب أسباب نازوك بعض ما كان مع القوم [178] من الأمتعة واستظهر نازوك على الكتب والحسبانات والأعمال وصار بالجميع إلى الحضرة.

فأمر المقتدر بتسليم جميع الكتب والأعمال إلى ابن الفرات وفرّق الأمتعة فى خزائنه والدوابّ فى اصطبلاته، ووجد ابن الفرات فى الكتب المحمولة إليه عجائب من كتب من تقرّب إليهم فقبض عليهم، وكان حين ورد كتاب حامد بالمسير من واسط واستظهر بالتوكيل بجهبذه إبراهيم الذى كان بالحضرة.

←

رسول السلطان الذى يسعى على رجليه.

١. يقرئه: كذا فى الأصل ومط. وغُيّر فى مد إلى «ويقرأه» وليس بصحيح.

فلمّا تمّ قبض نازوك على أسباب حامد أمر ابن الفرات هشاماً بالرفق بهذا الجهبذ مرّة وبالغلظة أخرى ويسأل عن ودائع حامد. ففعل هشام به ذلك فأقرّ عفواً أنّ لحامد عنده مائة ألف دينار عيناً ثمّ حلف على أنّه ليس عنده لحامد ولا لأحد من أسبابه وديعة غيرها. فآمنه ابن الفرات على نفسه وأن لا يسلّمه[١] إلى المحسّن ولم يطلع ابن الفرات المقتدر بالله على خبر هذه المائة الألف إلّا بعد أن تسلّم[٢] حامداً.

وانتشر الخبر في رجب أنّ حامداً إنّما استتر لأنّ المقتدر كتب إليه ينكر خروجه من واسط على تلك الحال التي خرج عليها ويأمره أن يستتر ويوافي بغداد حتّى يتوثّق منه ويأخذ خطّه بما بذل أن يضمن [179] به ابن الفرات والمحسّن وكتّابهما وأسبابهما ليسلّم الجماعة إليه فاستتر المحسّن والفضل والحسين والحسن أولاد أبي الحسن ابن الفرات وحُرمهم وأكثر الكتّاب ولم يبق في دار ابن الفرات من كتّابه الذين يحضرون مجلسه إلّا أبو القاسم ابن زنجي وحده.

وكانت مدّة سعادة حامد قد انقضت فصار إلى دار السلطان في زيّ الرهبان ومعه يونس خادمه وصعد إلى دار الحجبة[٣] التي فيها نصر الحاجب فاستأذن له فارس بن رُنداق[٤] على نصر وقال:

- «حامد بن العبّاس قد حضر الباب وهو يستأذن على الاستاذ.»

فقال:

- «قل له يدخل.»

---

١. في مط: يسأله، بدل «يسلّمه».

٢. في الأصل ومط: يسلّم.

٣. في مط: دار الحجبة.

٤. في مط: ريداق.

فلمّا دخل قال له قبل أن يجلس:

ـ «إلى أين جئت؟»

قال: «جئت بكتابك.»

فقال له:

ـ «فإلى ها هنا كتبت إليك أن تجيء.»

ولم يقم له، واعتذر إليه أنّه تحت سخط الخليفة، ووجّه نصر إلى مفلح يسأله الخروج إليه، وكان مفلح يتولّى الإستئذان على المقتدر إذا كان عند حُرمه. فخرج مفلح وكلّمه نصر فى أمر حامد وقال له:

ـ «هو في هذا الوقت فى حال رحمة ومثلك من استعمل معه الجميل ولم يؤاخذه بما كان منه في تلك الأمور.»

ثمّ قال حامد لمفلح:

ـ «تقول لمولانا أمير المؤمنين [180] عنّى، بأنّى أرضى أن أكون معتقلاً في دار أمير المؤمنين كما اعتُقل فيها علىّ بن عيسى ويناظرنى الوزير والمحسّن والكتّاب بحضرة الفقهاء والقضاة ووجوه القوّاد، فإن وجب علىّ مال خرجت منه بعد أن أكون مالكاً لاستيفاء حججى[1] ومحروساً في نفسى ولم يمكّن المحسّن من دمى فيجازينى على المكاره التى كنت أوقعتها به فى طاعة مولانا أمير المؤمنين وهو شابّ وأنا شيخ قد بلغت هذه السنّ العالية واليسير من المكروه يتلفنى.»

فوعده مفلح بذلك ودخل على المقتدر بالله فخاطبه فى أمره بضدّ ما وعده به، فتكلّمت السيّدة فى أمر حامد وقالت:

ـ «لا يضرّ أن يُعتقل فى الدار ويُناظر حتّى تُحرس نفسه.»

---

١. كذا في الأصل ومط: حججى. فى مد: حجّتى.

فقال مفلح:

- «إن فُعل هذا لم يتمّ لابن الفرات عمل، لأنّ الأراجيف قد كثرت به وخربت الدنيا وبطلت الأموال.»

فقال المقتدر لمفلح:

- «صدقت.»

وأمره أن يخرج إلى نصر فيأمره أن يُنفذ حامداً إلى ابن الفرات. فخرج مفلح إلى نصر بذلك فأخذ نصر يطيّب نفس حامد بأن يقول:

- «لابدّ من أن تصير إلى حضرة الوزير مع ثقة لى ثمّ أردّك إلى دار أمير المؤمنين.»

فالتمس حامد من نصرٍ ثياباً يغيّر بها ما عليه من زىّ الرهبان، فامتنع مفلح من الإذن له فى ذلك وقال:

- «قد أمرنى مولاى أن أوجّه به [181] فى الزىّ الذى حضر فيه.»

فمازال نصر يشفع له حتّى أذن له فى تغيير زيّه وأنفذه مع ابن زُنداق الحاجب وبادر مفلح بإنفاذ كاتبه إلى ابن الفرات يبشّره بحصول حامد وما أمر به المقتدر من تسليمه إليه.

وكان ابن الفرات على قلق وانزعاج لمّا وقف على حصول حامد فى دار السلطان واستتر كتّابه وأولاده كلّهم. فلمّا جاءته رسالة مفلح سكن بعض السكون وصلّى الظهر وجلس وليس بين يديه غير ابن زنجى وهو ينظر فى العمل نظراً خفيفاً إلى أن ذكر بعض الغلمان أنّ طيّاراً من طيّارات الخدمة قد أقبل، ثمّ قُدّم عند درجة داره وبادر البوّابون بخبره ودخل ابن الزُنداق ومعه حامد بن العبّاس فلمّا رآه ابن الفرات قال له:

- «لم تركت عملك وجئت؟»

قال: «بكتابك جئت.»

قال: «فلم لم تقصد دارى إن كنت جئت بكتابى؟»

قال: «حُرمت التوفيق.»

ولم يزل يخاطبه بالكاف[١] من غير ذكر الوزارة. وأخرج ابن الزُندَاق رقعة نصر الحاجب إلى الوزير بإنفاذ حامد إليه فألقاها إلى ابن زنجى وقال:

ـ «اكتب بوصوله.»

فكتب وسلّم الجواب إلى ابن زُنداق فنهض من المجلس. فلمّا انصرف ضعفت نفس حامد وأقبل يخاطب ابن الفرات بالوزارة ولان كلامه وبان فيه [182] الخضوع.

وأمر ابن الفرات يحيى بن عبد الله قهرمان داره بأن يفرد لحامد داراً واسعة فى داره، ويفرشها فرشاً حسناً ويتفقّده فى طعامه وشرابه وطيبه، حتّى يُخدم[٢] بمثل ما[٣] كان يُخدم به وهو وزير، وأن يقطع له كسوة فاخرة ويجعل معه لخدمته إذا كان خالياً خادمين أسودين أعجميين، وأمره أن يؤنسه عند الأكل وأن يخدمه فى تلك الحال من الخدم والفرّاشين من يُوثق به. ففعل يحيى ذلك.

ذكر ما عومل به حامد وما عمله هو

دخل إلى حامد وقت العصر من ذلك اليوم عبد الله بن فرجويه وأحمد بن الحجّاج بن مَخلَد صهر موسى بن خلف وقد كان حامد استعمل معهما فى أيّام وزارته من المكاره ما لم يُسمع بمثله قطّ. فوبّخاه على ما فعل بهما فجحد أن يكون رآهما أو وقع بصره عليهما. فلمّا أكثرا عليه قال لهما:

---

١. الكاف: كاف الخطاب: «كَ»، مثل قوله: بكتابك جئت.

٢. فى مط: حتّى يخدمه بمثل ما كان يخدمه به وهو وزير.

٣. ما: ساقطة من الأصل، وهى موجودة فى مط ومزيدة فى مد، كما هو الصحيح.

ـ «قد أكثرتما عليّ، وأنا أجمل القول لكما. إن كان ما استعملته من الأحوال التي تصفان وما عاملت الناس به قد أثمر لي خيراً فاستعملا مثله وزيدا عليه، وإن كان قبيحاً وهو الذي أصارني إلى أن تمكّنتم منّي فتجنّبوه. فإن السعيد من وعُظ بغيره.» [183]

فذهبا وأعادا ذلك على ابن الفرات فاسترجع حامداً وقال:

ـ «ما أدفع رُجلته[١] ولا أنكر دُربته ولكنّه رجل من أهل النار يُقدم على الدماء ومكاره الناس.»

قال ثابت[٢] في كتابه في التاريخ: ومن أعجب العجب أن يقول أبو الحسن ابن الفرات هذا القول ويصدّق قول حامد ويستجيده ويقول إنّه بأفعاله القبيحة من أهل النار وهو لاينكر مع كرم طبعه وجلالة قدره وسلامة أخلاقه وإيثاره الإحسان إلى كلّ أحد على المحسّن ابنه طرائقه[٣] المنكرة وأفعاله العظيمة التي أنكرها على حامد بن العبّاس وقد زاد عليها للواحد واحداً ولا ينهاه ولا يعظه بما لحق حامداً فيرجع ويكون السعيد الذي وُعظ بغيره فإنّ من يُقدم على الله تعالى على بصيرة وبعد التنبيه والتذكير خلاف من يُقدم وهو مغترٌّ غافل.

ثمّ راسل ابن الفرات حامد بن العبّاس في الإقرار بماله بمائتي ألف دينار منها المائة التي كانت له عند إبراهيم جهبذه، لأنّه قد كان وقف على حصول هذا المال من جهة الجهبذ في يد ابن الفرات.

وأخذ المحسّن شيئاً آخر من جهة مونس خادمه إلى حضرة المقتدر بالله، وكتب إليه أنّه أخذ ذلك عفواً بغير مناظرة ولا مكروه [184] وأطمع المقتدرَ

---

١. في مط: رحلته.

٢. في مط: فأنت!

٣. في مط: طرائقه المنكرة!

من جهة حامد فی أموال كثيرة واستخرج من مونس بعد ذلك بعد مكروه كثير أربعين ألف دينار وصُودر جماعة من حاشيته بأموال أخر[١].

واستحضر ابن الفرات حامد بن العبّاس بحضرة الفقهاء والقضاة والكتّاب وناظره مناظرة طالت واستوفى حامد حججه إلى أن أخرج ابن الفرات عملاً وجده فی صناديق غريب غلام حامد. وكان هذا الغلام يتولّى لحامد بيع غلاّته فی الفُرضة، فواقف حامداً عليه وأحضر غريباً فاعترف بذلك العمل وكان حمله سهواً منه، لأنّ حامداً كان فی كلّ سنة يجمع جميع حسباناته ويغرّقها فی دجلة.

فلمّا جرى المقدار على حامد بما جرى أنسى أن يطلب من هذا الغلام هذا العمل وكان فی جملة الظهور. فكان ما ثبت فی ذلك العمل من أثمان الغلاّت لسنة واحدة خمسمائة ألف دينار ونيّفاً وأربعين ألف دينار سوى شعير الكراع المحمول إلى الحضرة.

فبان أنّ فی الضمان من الفضل أكثر من الضعف وظهر أيضاً أنّ أسعار تلك السنة الثانية فی العمل أسعار ناقصة وأنّ أسعار السنين التی بعدها بأسرها أزيد، واتّجهت حجّة ابن الفرات على حامد وأخذ ابن الفرات خطوط القضاة والكتّاب وشفيع اللؤلؤی بما ظهر من الحجّة على حامد.

وكان [185] ابن الفرات يرفق فی المناظرة ولا يُسمعه[٢] ولا يخرق به ولا يزيد على ايجاب الحجّة عليه ويدعه حتّى يستوفی منه لنفسه الحجّة. وكان المحسّن ابنه يشتمه بحضرة الناس أقبح شتم ويقول:

ـ «ليس يخرج المال منك إلاّ مثل المكاره التی كنت تجريها على الناس.»

---

١. وغيّره فی مد إلى «أخرى».

٢. فی مط: ولا يمنعه.

ويقول: «إنّى أعطى خطّى إن سُلّم منّى أن أستخرج منه ألفى ألف دينار معجّلة ويبذل دمه إن لم يف بذلك.»

ويستكفّه[١] أبوه وينهاه عن الشتم فلا ينتهى. فقال حامد:

ـ «أيّها الوزير قد أكثر من شتمى واحتملته وليس الإحتمال له وإنّما أُكرم مجلس الوزير وليس بعد الحال التى أنا فيها شيء يُخاف أعظم من القتل فلولا ما يلزمنى من توقير مجلس الوزير لرددت عليه.»

فحلف أبو الحسن لئن عاد المحسّن لشتم حامد ليستعفينّ الخليفة من مناظرته. فحينئذٍ أمسك عن الشتم ثمّ أعاده إلى المناظرة مرّات وكان يحصل فى آخره أنّه لا مال له وكان قد باع ضياعه ومستغلاته وفرشه وداره ولم يبق له حيلة.

فلمّا أعيت[٢] ابن الفرات الحيلة فيه خلا به فى دار من دور حُرمه من حيث لم يحضر معهما أحد من خلق الله ورفق به وحلف له على أنّه إن صدقه عن أمواله وذخائره لم يسلّمه إلى المحسّن ولم يُخرجه عن داره [186] وحفظ نفسه. فإمّا أقام فى داره مكرماً وإمّا خرج إلى فارس متقلّداً لها أو إلى أىّ بلد أحبّ مع خادم من خدم السلطان يحفظ نفسه، ووكّد اليمين على ذلك. ثمّ قال له:

ـ «أنت تعلم أنّك ضمنتنى من أمير المؤمنين لأسلّم إليك فافتديت نفسى بسبعمائة ألف دينار وأقررت بها عفواً من مالى حتّى سلمت منك وأنت فقد تناسيت كلّ جميلٍ فعلته وفعله أخى بك. والخليفة الآن مقيم على أن يسلّمك إلى المحسّن وهو حدث وقد أسلفته من المكاره ما لم يستعمله أحد مع وزير ولا مع ولد وزير، وأنا أرى لك أن تفتدى نفسك بمالك حتى تلحقك الصيانة

---

١. فى مط: وسكّته أبوه.

٢. فى مط: أحبّ.

من التسليم إلى المحسّن.»

ووكّد له الأيمان.

فعند ذلك ركن حامد إلى قوله ويمينه وأقرّ له من الدفائن فى البلاليع احتفرها وتولّى هو بنفسه دفن المال فيها بخمسمائة ألف دينار، وأقرّ بأنّ له عند جماعة من الوجوه والشهود نحو ثلاثمائة ألف دينار وأقرّ بأنّ له كسوة وطيباً مودعة بواسط.

فأخذ ابن الفرات خطّه بذلك وبادر بالركوب إلى المقتدر من غير أن يُحضر معه المحسّن ولا عرّفه شيئاً من الخبر.

فسرّ المقتدر بذلك ووعده أن يسلّم إليه كلّ من ضمنه من نصر الحاجب وشفيع اللؤلؤى وغيرهما وأشار ابن الفرات [187] بإنفاذ شفيع لتسلّم هذا المال بواسط. فخرج شفيع فوجد تلك الأموال المدفونة واستخرج تلك الودائع وصار بها إلى المقتدر بالله.

ومازال حامد فى دار ابن الفرات مصوناً إلى أن توصّل المحسّن إلى المقتدر بالله علي يد مفلح، فالتمس منه أن يوقّع إلى أبيه بأن يستخلفه على سائر الدواوين وجميع أمر المملكة. فتردّد[1] مفلح برسائل من المقتدر بالله إلى أبى الحسن ابن الفرات وتنكّر ابن الفرات لابنه وجرت فيه ألوان مناظرات إلى أن خُلع علي المحسّن وركب معه أبوه والقوّاد ثمّ انصرف أبوه إلى داره ومضى المحسّن إلى داره.

ثمّ ركب المحسّن مع أبيه إلى دار السلطان وخاطب الخليفة بحضرة أبيه وقال:

ـ «قد بقيت علي حامد جملة وافرة من مال مصادرته، وإن سُلّم إليّ

---

١. فى مط: فيردّه.

استخرجت منه خمسمائة ألف دينار.»

فأمر المقتدر أبا الحسن بتسليمه إليه. فقال ابن الفرات:

ـ «قد عاهدتُه أن لا أسلّمه إليه.»

فراجع المحسّن المقتدر إلى أن أمر المقتدر أمراً لم يمكن أبا الحسن مخالفته فيه. فسلّمه إليه وحمله المحسّن إلى داره وطالبه وأوقع به مكروهاً وأقام حامد على أنّه لم يبق له مال ولا حال. فأمر بصفعه فصُفع خمسين صفعة وسقط كالمغشى عليه ومازال [188] يُصفع إلى أن تكلّم وقال:

ـ «أيّ شيء تريد[١] منّى؟»

قال: «أريد المال.»

قال: «ما بقى غير ضيعتى.»

قال: «فاكتب بوكالة لابن مُكرم ـ وكان أحمد بن كامل القاضى حاضراً ـ تقرّ فيها أنّك قد وكّلته فى بيعها.»

فكتب ذلك ووقعت الشهادةُ على حامد.

ثمّ إنّ المحسّن عامله بعد ذلك بمعاملة تجرى مجرى السُخف من إذلاله والوضع منه. ثمّ سلّمه إلى خادم له مع خمسة من الفرسان وعشرة من الرجّالة ليُحدروا به إلى واسط، ويبيع ضياعَه وأملاكه.

وشاع ببغداد أنّ حامداً طلب ليلة انحداره بيضاً فحُمل إليه وتحسّى منه وقت إفطاره عشر بيضات، وأنّ خادم المحسّن الموكّل به طرح فيه سمّاً فما استقرّ فى جوفه حتّى صاح ولحقه ذَرب عظيم ودخل واسط وهو لمآبه[٢].

فسلّمه الخادم إلى محمّد بن علىّ البزوفرى وجعله فى داره وبادر الخادم بالإنصراف، وقام حامد أكثر من مائة مجلس ولم يتغذّ إلّا بسويق السُلت.

---

١. فى الأصل: تريدين، وهو سهو. فى مط: تريدون، وله وجه من الصّحّة.

٢. فى الأصل ومط ومد: لمابه، والتصحيح منّا، أى دخل واسط وهو مشرف على الموت.

وأراد البزوفرى الإستظهار لنفسه فاستحضر القاضى والشهود بواسط وكتب كتاباً يقول فيه:

ـ «إنّ حامداً وصل إلى واسط وتسلّمه البزوفرى وهو عليل من ذرب شديد لحقه فى طريقه بين بغداد وواسط وإنّه إن تلف من ذلك الذرب فإنّما مات [189] حتف أنفه، ولا صنع للبزوفرى فى شىء من أمره.»

ووجّه بالكتاب إلى حامد فأظهر له حامد الإستجابة إلى الإشهاد على نفسه بما فيه. فلمّا دخل إليه القاضى والشهود قال لهم:

ـ «ابن الفرات الكافر الفاجر المجاهر بالرفض عاهدنى وحلف لى بأيمان البيعة والطلاق، على أنّى إن أقررت بجميع أموالى لم يسلّمنى إلى ابنه المحسّن وصاننى عن كلّ مكروه وأطلقنى إلى منزلى وولّانى أجلّ الأعمال، فلمّا أقررت له بجميع ما ملكته سلّمنى إلى ابنه المحسّن فعذّبنى بأصناف العذاب وأخرجنى مع فلان الخادم واحتال علىّ وسقانى بيضاً وطرح فيه سمّاً فلحقنى الذرب[١] ولا صنع للبزوفرى فى دمى فى هذا الوقت، ولكنّه فعل وصنع. ثمّ أخذ قطعة من أموالى وأمتعتى وجعل يحشوها فى المساور[٢] البزيون المخلقة[٣] فتُباع المسورة بخمسة دراهم وفيها أمتعة تساوى ثلاثة آلاف دينار فيشتريها هو فاشهدوا على ما شرحته لكم.»

وتبيّن البزوفرى حينئذٍ أنّه أخطأ فيما فعله.

وكتب صاحب الخبر بواسط إلى ابن الفرات بجميع ما تكلّم به حامد.

وتوفّى حامد بن العبّاس ليلة الثالثة عشر من شهر رمضان سنة إحدى عشرة وثلاثمائة. [190]

---

١. كذا فى الأصل: الذرب. فى مط: الكرب.

٢. المسور: متكأ من جلد.

٣. والعبارة فى مط: وجعل نحوها فى المساور النريون المخلفة.

ما جرى فى أمر علىّ بن عيسى وتسليمه إلى ابن الفرات

لمّا قبض المقتدر على علىّ بن عيسى وجعله فى يد زيدان القهرمانة، راسله بأن يقرّ بأمواله. فكتب رقعة يقول فيها: إنّه لا يقدر على أكثر من ثلاثة آلاف دينار.

واتفق أن ورد الخبر بدخول أبى طاهر سليمان بن الحسن الجنّابى إلى البصرة سحر يوم الإثنين لخمس بقين من شهر ربيع الآخر فى ألف وسبعمائة راجل، وأنّه وصل إليها بسلاليم نصبها بالليل على سورها وصعد إلى أعلى السور، ثمّ نزل إلى البلد وقتل البوّابين الذين على أبواب السور وفتح الأبواب وطرح بين كلّ مصراعين منها حصى ورملاً كان معه على الجمال لئلّا يمكن إغلاق الباب عليه، وأنّه لم يعرف سُبك المفلحى والى البصرة إلّا فى سحر يوم الإثنين ولم يعلم أنّه ابن أبى سعيد الجنّابى، وقدّر أنّهم أعراب. فركب مغترّاً ولقيه وجرت بينهم حرب شديدة وقُتل سُبك ووضع أبو طاهر فى أهل البصرة السيف وأحرق المِربَد وبعض المسجد الجامع ومسجد قبر طلحة ولم يعرض للقبر.

وهرب الناس إلى الكلاّء[1]، فكانوا يحاربونهم عدّة أيّام ثمّ أخذهم السيف فطرحوا أنفسهم فى الماء فغرق أكثرهم. وأقام أبو طاهر بالبصرة [191] سبعة عشر يوماً ويحمل على جماله كلّ ما يقدر عليه من الأمتعة والنساء والصبيان، ثمّ انصرف إلى بلده فأنفذ إلى ابن الفرات فى الوقت الذى ورد فيه

---

١. فى الأصل: كلّا (دون مدّ). وما فى مط دون تشديد. كلّاء: محلّة مشهورة وسوق بالبصرة (مراصد الإطلاع).

خبر القرمطى بُنىّ بن نفيس وجعفراً الزَّرنجى إلى البصرة وقُلّد محمّد بن عبد الله الفارقى أعمال المعاون بالبصرة وخُلع عليه وانحدر فى الطيّارات والشذاءات. وورد الخبر بوصوله إليها بعد انصراف أبى طاهر الجنّابى عنها فأقام فيها الفارقى رجاله وانصرف بُنىّ والزَّرنجى.

وكان بُنىّ بن نفيس أنفذ جماعة من القرامطة إلى بغداد ذُكر أنّهم استأمنوا إليه وأنّهم زعموا أنّ علىّ بن عيسى كاتبهم بالمصير إلى البصرة وأنّه وجّه إليهم فى عدّة أوقات بهدايا وسلاح فوافوا بغداد وأنهى ابن الفرات الحال فى ذلك إلى المقتدر بالله.

ذكر مناظرة ابن الفرات علىّ بن عيسى

وعرض الكتاب بعينه عليه فأمره المقتدر بإخراج علىّ بن عيسى إليه ليناظره، والجمع بينه وبين القرامطة حتّى يواجهوه بما قالوا فيه. ففعل ابن الفرات فاحتجّ علىّ بن عيسى بأن قال:

ـ «إنّه من كان فى مثل حالتى وتحت سخط السلطان كاشفه الناس بالكذب [192] والباطل لا سيّما إذا كان الوزير منحرفاً[١] ومغتاظاً.»

ثمّ أخذ ابن الفرات يخاطبه فى أمر الأعمال وكان فيما ناظره عليه أمر المادرائيين وقال:

ـ «قد كان[٢] أخذ ابن بسطام خطوطهما فى أيّام وزارتى الثانية صلحاً عمّا وجب عليهما من خراج ضياعهما بمصر والشام وما أخذاه من المرافق بها مدّة تقلّدهما فى أيّامك الأولى بألفى ألف دينار وثلاثمائة ألف دينار وأدّيا

---

١. كذا فى الأصل ومط ومد: منحرفاً. ولعله «منخرقاً».

٢. قد كان: ساقط من مد.

فى أيّامى نحو خمسمائة ألف دينار فصرفت على ابن[١] بسطام ساعة وليتَ الدواوين وقلّدت هذين العاملين المجاهرين باقتطاع مال السلطان وأنشأت إليهما كتاباً عن أمير المؤمنين أطال الله بقاءه بإسقاط ذلك بأسره عنهما، ثمّ ادّعيت أنّ أمير المؤمنين أمر بذلك وقد أنهيتُ هذه الحال إلى أمير المؤمنين أطال الله بقاءه. فقال:

- «لم آمر بشىء من هذا ولا ظنّ أنّ أحداً يقدم عليه بمثلها.»

فأجاب علىّ بن عيسى بأنّه كان فى الوقت [كاتباً][٢] لحامد بن العبّاس يخلفه على العمل، وكان أمير المؤمنين أمرنى بقبول قوله وأنّ حامداً ذكر أنّ أمير المؤمنين أمر بإسقاط هذا المال عن هذين العاملين ووقّع بذلك توقيعاً فوقّعت تحت توقيع حامد بامتثال أمره كما يفعل خليفة الوزير فيما يأمره به صاحبه.

فقال [193] ابن الفرات:

- «أنت كنت تعارض حامداً وتخاصمه أبداً فى اليسير تخرجه عليه فى عبرة ما كان ضَمِنَهُ حتّى جرى بينكما ما تحدّث به الناس. فكيف تركت أن تستأذن أمير المؤمنين فى هذا المال العظيم الجسيم؟»

فقال علىّ بن عيسى:

- «كنت فى أوّل الأمر كاتباً لحامد مدّة سبعة أشهر، ثمّ بان لأمير المؤمنين ما أوجب أن يعتمد علىّ، وكان الذى جرى من أمر المادرائيين فى صدر أيّام حامد.»

فقال له ابن الفرات:

- «فلمّا اعتمد عليك أمير المؤمنين ألّا صدقّته عن خطأ حامد فى هذا

---

١. فى الأصل: بن. وفى مط: ابن.

٢. ما بين المعقوفتين غير موجود فى الأصل، أضفناه من مط.

الباب وتلافيته ؟»

فقال: «أغضيت عن ذلك لأنّي كنت في ذي القعدة سنة ستّ أوصلت الحسين بن أحمد إلى حضرة أمير المؤمنين وأخذت خطّه في مجلسه بما عقدته عليه من ضمان أعمال الخراج والضياع لمصر[١] والشام في كلّ سنة[٢] بعد النفقات الراتبة وإعطاء الجيش في تلك النواحي وهو ألف ألف دينار في كلّ سنة خالصة للحمل إلى بيت المال لا ينكسر منه درهم واحد وذلك بعد أن أخذت خطّه بجميع ما تصرّف فيه من عطاء الجيش والنفقات الراتبة في ناحية ناحية ووقفت عليه أيضاً في كلّ سنة لما ينكسر ويتأخّر في هذه الأعمال مائة وثلاثين ألف دينار [194] وخطّه بذلك في ديوان[٣] المغرب وهذا غاية ما قدرت عليه.»

فقال ابن الفرات:

ـ «أنت تعمل أعمال الديوان منذ نشأت وقد وليت ديوان المغرب سنين كثيرة ثمّ تولّيت الوزارة ودبّرت أمر المملكة مدّة طويلة هل رأيت من يدع مالاً واجباً يؤدّي معجّلاً ويأخذ عوضاً منه مالاً مؤجّلاً يُحال به على ضمان، وهَبْكَ أغضيت كما ذكرت ورأيت ذلك صواباً في التدبير، فهل استوفيت مال هذا الضمان من هذا الضامن[٤] في مدّة خمس سنين دبّرت فيها المملكة؟»

فأجاب عن ذلك بأنّه قد كان ورد من مال الضمان للسنة الأولى جملة. ثمّ سار العلوى من أفريقية حتّى تغلّب على أكثر النواحي بمصر فنفذ مونس المظفّر إلى مصر لمحاربته فانصرف أكثر المال إلى أعطيات الجند ونفقات

---

١. كذا في الأصل: لمصر. وفي مط ومد: بمصر.
٢. في كل سنة: العبارة سقطت من مد.
٣. في الأصل: الديوان.
٤. في مط: الضمان.

العساكر وانكسر باقيه لأجل استخراج العلويّ ما استخرجه من أموال النواحى المجاورة لمصر.

فقال ابن الفرات:

- «فقد انهزم العلويّ منذ صفر سنة تسع ووجب على هذا الضامن مال سنتين كاملتين بعد هزيمة العلويّ فهل استخرجت من هذا الضامن ألفى ألف دينار؟»

فأجاب عن ذلك ما لم يُحفظ.

ثمّ قال له فى آخر خطابه:

- «فقد [195] أمر أمير المؤمنين بمطالبتك بالأموال التى جمعتها وخنته فيها فينبغى أن تقرّ بها عفواً وتصون نفسك عن المكروه.»

فقال علىّ بن عيسى:

- «لست من ذوى المال وما أقدر على أكثر من ثلاثة آلاف دينار.»

ثمّ ناظره على أموال الحاشية، فقال لعلىّ بن عيسى:

- «أنت قد أسقطت من أرزاق الحُرم والولد والحشم والفرسان الذين كنت أوفّيهم أرزاقهم على الإدرار فى أيّامى الأولى والثانية مدّة خمس سنين دبّرت فيها أمر المملكة ما يكون مبلغه فى كلّ شهر مع ارتفاع الضياع التى هى ملك خاصّة خمسة وأربعين ألفاً يكون فى السنة خمسمائة وأربعين[١] ألف دينار وفى هذه المدّة ستّة آلاف ألف دينار ولست تخلو من أن تكون احتجنتها[٢] لنفسك أو أضعتها.»

فقال علىّ بن عيسى:

- «ما استغللته من هذه الضياع، ووفّرته من أرزاق من يستغنى عنه تمّمت

---

١. فى الأصل ومط ومد: أربعون (فى كلا الموضعين).

٢. كذا فى الأصل: احتجنتها. وفى مط: احتجبتها. احتجن المال: ضمّه إلى نفسه واحتواه.

به عجز الدخل عن النفقات المسرفة حتّى اعتدلت الحال فلم أمدّ يدى إلى بيت مال الخاصّة فأمّا الخمسة والأربعون الألف الدينار التى كنت تحملها من أموال المرافق فإنّى ما استصوبتُ[1] ما استصوبتَه أنت من أخذها والإذن للعمّال فى أن يرتفقوا، بل حضرتُها ورفعتُها فلم أعرض لها، لأنّها كانت طريقاً إلى تلف أموال السلطان وظلم الرعيّة [196] وخراب البلاد، وأنت كنت تعوّل فى النفقات على ما كنت تحوّله من بيت مال الخاصّة إلى بيت مال العامّة، فترضى به الحاشية وتخرب به بيت المال.»

وتكرّر الخطاب فى هذا المعنى.

ثمّ ناظره على ما حمله إلى القرامطة من الهدايا والسلاح وما تردّد بينه وبينهم من المكاتبات مرّة والمقاربات أخرى فقال:

ـ «أردتُ استمالتهم وإدخالهم فى الطاعة وكففتهم عن الحاجّ وأعمال الكوفة والبصرة مدّة ولايتى دفعتين، وأطلقوا من الأسارى الذين كانوا من المسلمين عدّة.»

فقال له ابن الفرات:

ـ «فأىّ شىء أعظم من أن تشهد أنّ أبا سعيد وأصحابه الذين جحدوا القرآن ونبوّة النبى عليه السلام واستباحوا عُمان وقتلوا أهلها وسبوهم مسلمين وتكاتبهم بذلك وتؤخّر إطلاق أرزاق من يحفظ السور بالبصرة حتّى أخلوا بمراكزهم فدخلها القرمطى وقتل أهلها.»

فاحتجّ بحجج يطول شرحها.

فسأل نصر الحاجب والمحسّن أبا الحسن ابن الفرات أن يدعهما يخلوان به، فخلوا وأشارا عليه بالمصادرة فاستجاب إليها، وألزماه ثلاثمائة ألف دينار

---

١. كذا فى الأصل ومط: ما استصوبتُ. وفى مد: ما أستصوب.

يعجّل منها في مدّة شهر مائة ألف دينار[١] أوّلها يوم خروجه من دار السلطان إلى حيث يأمن فيه على نفسه ويصل إليه الناس. [197] فأخذ ابن الفرات خطّه بذلك وأنفذه إلى المقتدر بالله فأمضاه.

ثمّ كتب ابن الفرات كتباً عن نفسه إلى كلّ واحد من أصحاب الدواوين يذكر فيها خيانة عليّ بن عيسى وسرقته وما واجهه به وما بذله من المصادرة.

وحكى أبو الفرج ابن هشام عن ابن المطوّق أنّ أبا الحسن عليّ بن عيسى كان سأل أبا الحسن ابن الفرات أن يتجافى له عن ارتفاع ضيعته لسنة إحدى عشرة وثلاثمائة ليؤدّيه من جملة المصادرة وأنّ ابن الفرات قال له:

- «هو خمسون ألف دينار.»

فقال عليّ بن عيسى:

- «قد رضيت بعشرين ألف دينار.»

وذكر أنّه دون ذلك. فلمّا نُفى إلى مكّة وجد في ضيعته نحو الخمسين الألف الدينار[٢].

قال أبو الفرج: فسمعت الهُماني الواسطي يقول: سمعت أبا الحسن عليّ بن عيسى يوبّخ أبا عبد الله البريدي ويقول له:

- «يا با عبد الله، أما خفت الله حيث حلفت بما حلفت به ونحن مجتمعون في دار السلطان أطال الله بقاءه أنّ استغلالك واستغلال إخوتك من ضيعتكم بواسط عشرة آلاف دينار وقد وجدتُه من حساب رفعه إليّ - يعني الهُماني[٣] - ثلاثين ألف دينار.»

---

١. في مط: ألف دينار. بإسقاط «مائة».

٢. في مط: الألف الألف الدينار.

٣. في مط: اليهما في. بدل «الهماني».

فقال أبو عبد الله:

ـ «افتديتُ بسيّدنا ـ أيّده الله ـ حيث سأله أبو الحسن ابن الفرات عن ارتفاع ضيعته فلم يصدقه وساتره [198] وعلمت أنّه مع ديانته لو لم يعلم أنّ التقيّة مباحة عند من يُخاف ظلمه، لما حلف بتلك اليمين.»

فكأنّه ألقم عليّ بن عيسى حجراً.

ونعود إلى تمام خبر عليّ بن عيسى مع ابن الفرات

امتنع المقتدر من تسليم عليّ بن عيسى إلى ابن الفرات. فذكر عليّ بن عيسى أنّه لا يمكنه أن يؤدّي مال مصادرته إلّا بعد أن يخرج من دار الخليفة. وأحضره المحسّن دفعتين وطالبه ورفق به فلم يؤدِّ إلّا ثمن دار باعها فقيّده المحسّن، فلمّا رأى نصر ذلك نهض عن المجلس وطالب المحسّنُ عليّ بن عيسى فقال:

ـ «لو كنت أقدر هاهنا على أداء المال لما قُيّدت.»

فألبسه جُبّة صوف وأقام على أمره فحينئذ صفعه عشر صفعات.

فقام نازوك من المجلس، فقال المحسّن:

ـ «إلى أين تقوم؟»

فقال: «ما أحبّ أن أحضر مكروه هذا الشيخ.»

وأُعيد عليّ بن عيسى إلى محبسه، وبلغ أبا الحسن ابن الفرات ما عامل به المحسّن عليّ بن عيسى فأقلقه ذلك وقال لابنه:

ـ «قد جنيتَ علينا بما فعلته، كان يجب أن تقتصر على القيد.»

ابن الفرات يشفع لعليّ بن عيسى

ثمّ كاتب المقتدرَ بالله يشفع لعليّ بن عيسى وذكر أنّه لمّا وقف على ما

جرى عليه لحقه من الغمّ أمر لا يذكر مثلَه وأنّه لم يطعم طعاماً منذ عرف خبره، لأنّه شيخ من مشايخ الكتّاب وقد خدم أمير المؤمنين[199] وتحرّم بداره ومثله يخطئ وأمير المؤمنين أولى بالصفح. وسأل أن يُزال عنه القيد والجبّة الصوف.

فأجابه المقتدر بأنّ عليّ بن عيسى مستحقّ لأضعاف ما جرى عليه وأنّ المحسّن قد أصاب فيما عامله به، وأنّه قد شفعه فى أمره، وأمر بحلّ قيده ونزع جبّة الصوف عنه، وتقدّم بعد ذلك بتسليم علىّ بن عيسى إلى ابن الفرات ليؤدّى مال التعجيل من مصادرته.

فلمّا حُمل إليه [قال](١):

ـ «لست أحبّ أن يكون فى دارى لئلاّ يلحقه مرض وهو شيخ فيُنسب إلىّ، وأنا أسأل أمير المؤمنين أن يأذن فى تسليمه إلى شفيع.»

فقيل للمقتدر ذلك. فقال:

ـ «أنا أسلّمه إليك لأنّك الوزير فاحفظ نفسه ولا تسلّمه إلى المحسّن. فأمّا غير هذا فأنت أولى وما تراه.»

فأنفذ ابن الفرات إلى شفيع وأحضره. وأخذ ابن الفرات فى توبيخ علىّ بن عيسى وعاتبه على أمر وقوف وقّع أمير المؤمنين بردّها عليه وأنّ مالها كان ينصرف إلى أشياء يتقرّب بها إلى الله ـ عزّ وجلّ ـ وينصرف بعضها إلى ولده وغلمانه وأنّ ما فعله لا يجوز فى الدين ولا فى المروءة.

فأخذ علىّ بن عيسى يعترف بالتفريط الذى وقع منه وسأله قبول عذره، وكان المحسّن حاضراً [200] فأطنب فى توبيخه وتقريعه على هذا الباب، فأجابه بمثل ما أجاب به والده وزيادة. وقال فى عرض كلامه:

---

١. ما بين المعقوفتين ساقط فى الأصل، فأضفناه من مط.

ـ «أنا والله أستحليك[١].»

فقامت على المحسّن القيامة من هذه الكلمة وغلظت على أبيه أيضاً، فأجابه المحسّن بجواب فيه غلظة وأقبل أبوه يسكّنه ويرفق به، ثمّ قال لعليّ بن عيسى:

ـ «أبو أحمد كاتب أمير المؤمنين وصنيعته.»

وأخذ يصف محلّه منه وتفويضه إليه. وأخذ عليّ بن عيسى فى الإعتذار من تلك الكلمة. ونهض عليّ بن عيسى مع شفيع فأجلسه شفيع فى صدر طيّاره وحمله إلى داره.

وحكى أبو الحسن ابن أبى هشام أنّه كان حاضراً المجلس وأنّه رأى الحسن بن دولة ابن أبى الحسن ابن الفرات خرج فى تلك الحال، فقام له عليّ بن عيسى وقبّل رأسه وعينيه فاستكثر ذلك ابن الفرات وقال له:

ـ «لا تفعل يا أبا الحسن، هذا ولدك.»

ثمّ فتح دواته ووقّع إلى هارون بن عمران الجهبذ أن يحمل إلى أبى الحسن عليّ بن عيسى بلا دعاء ألفى دينار يستعين به على أمره فى مصادرته، وقال لابنه المحسّن:

ـ «وقّع أنت أيضاً بشىء.»

فوقّع بألف دينار، ثمّ أحضرا بشر[٢] بن هارون وكتب قبضاً لعليّ بن عيسى من مال مصادرته بهذه الثلاثة الآلاف الدينار. [201] فانصرف عليّ بن عيسى شاكراً.

ولم يقبل عليّ بن عيسى من أحد من الكتّاب معونة فى مصادرته مع بذل جماعتهم له وحملهم إليه ما أطاق كلّ واحد منهم، إلّا من ابن فرجويه وابنى

---

١. كذا فى الأصل: استحليك. فى مط: استحلّك. والمثبت فى مد: يستجليك.

٢. فى مط: بسر (بالسين المهملة).

أبى الحسن بن الفرات الفضل والحسين، فإنّه قبل من كلّ واحد منهما خمسمائة دينار وحمل إليه أبو الهيجاء ابن حمدان عشرة آلاف دينار، فردّها وقال:

ـ «لو كنت متقلّداً فارس لقبلتها منك ولكنّى أعلم أنّ هذه جميع حالك[١] وما أحبّ أن أثلمك.»

فحلف أبو الهيجاء أن لا يرجع إلى مِلكه، ففُرّقت فى الطالبيين وفى الصدقة على الضّعفى وبذل له شفيع اللؤلؤى ألفى دينار، فامتنع من قبولها وقال:

ـ «لا أجمع عليك مؤونتى ومعونتى فى مصادرتى.»

وقبل من هارون بن غريب ومن نصر الحاجب وشفيع المقتدرى.

إبعاد على بن عيسى إلى مكّة ثمّ إلى صنعاء

فلمّا أدّى علىّ بن عيسى أكثر مال مصادرته قال ابن الفرات للمقتدر:

ـ «إنّ فى مقام علىّ بن عيسى فى دار شفيع ضرراً عليه، فإنّ الأراجيف قد كثرت وإن رُدّ إلى دار السلطان زاد الإرجاف.»

والتمس الإذن فى إبعاده إلى مكّة فأذن له المقتدر فى ذلك، فأطلق ابن الفرات لما قدر[٢] له من نفقته وما يحتاج إليه سبعة آلاف درهم، فخرج إليها. ثمّ كتب ابن الفرات بإبعاده إلى صنعاء اليمن [202] فأُبعد إليها.

ابن الفرات وأسباب علىّ بن عيسى

ثمّ استخرج ابن الفرات من أسباب علىّ بن عيسى وعمّاله وكتّابه مالاً

---

١. ما فى الأصل يشبه أن يكون «حلك». وفى مط: حالك. ما فى مد: مالك.

٢. فى مط: ورد، بدل «قدر».

عظيماً بالمكاره وبسط يد ابنه فأنكر الناس أخلاقه وما كان يُعرف من كرمه ونبله.

فأمّا أبو عليّ ابن مقلة فإنّه كتب إلى أبى عبد الله محمّد بن إسماعيل [بن][١] زنجى رقعة وكانت بينهما مودّة وضمّنها أبياتاً له ما أثبتها لأنّى لم أستجدها. وكتب رقعة إلى ابن الفرات يذكّره بحرمته وقديم خدمته ويستعطفه وجعلها فى درج تلك الرقعة وسأله إيصالها فلمّا وقف ابن الفرات عليها تقدّم بحلّ قيده وتقرير مصادرته على ما ينهض به ثمّ خفّف عنه بعد ذلك وأطلقه.

فأمّا ابن الحوارى فإنّ ابن الفرات سلّمه إلى ابنه المحسّن فصفعه صفعاً عظيماً فى دفعات وضربه بالمقارع ثمّ أخرجه إلى الأهواز مع مستخرج له. فلمّا وصل إليها قتله المستخرج.

فأمّا المادرائيّان فانّه كتب بإشخاصهما، فحمل الحسين بن أحمد وهو أبو زنبور[٢] فاعتقله ابن الفرات فى داره واستحضر القضاة وأصحاب الدواوين إلى داره وحضر المحسّن وأحضروا أعمالاً عملوها لأبى زنبور وناظره ابن الفرات عليها وأخذ خطّه من الأبواب التى نوظر عليها بألفى ألف وأربعمائة ألف دينار. ثمّ استكثر [203] ابن الفرات هذا المال فقرر مصادرته على ألف ألف وسبعمائة ألف دينار وعرض خطّه بذلك على المقتدر بالله فاستصاب فعله. وتناهى ابن الفرات فى معاملته بالجميل، وكان يسترجله ويصف فهمه ويقول: إنّه ما خاطب عاملاً أفهم منه ولا أجلد، وسامه أن يواجه عليّ بن

---

١. ما بين المعقوفتين ساقط فى الأصل ومط، وأضيف فى مد أيضاً.

٢. فى مط: أبو دينور.

عيسى بأنّه أرفقه فى أيّام تقلّده ديوان المغرب وفى أيّام وزارته فاستعفاه من ذلك.

فقال له ابن الفرات:

- «فكيف واجهتنى أنا بأمره ولا تواجهه بأمرى؟»

فقال: «ما حمدت معه تلك الحالَ ولا أستحسنها إلى أحد مع الظاهر من إساءة الوزير إلىّ بتسليمه إيّاى إلى ابن بسطام وبسطِه يده علىّ فى أيّام وزارته الثانية. فكيف تستحسنون لى هذه الحال فى معاملة علىّ بن عيسى مع قديم وحديث إحسانه إلىّ.»

فأعفاه ابن الفرات من ذلك.

ثمّ قدم محمّد بن علىّ المادرائى ولم يكن تقلّد فى أيّام وزارة حامد ابن العبّاس شيئاً من الأعمال، فناظره ابن الفرات على المال الباقى عليه وعلى الحسين بن أحمد من ضمان أجناد الشام ومصر وعن حقّ بيت المال فى ضياعه[١] وهو حينئذٍ شريك للحسين بن أحمد فى الضمان فاحتجّ فى بعضه.

فقال له ابن الفرات:

- «لستَ بأفهم من الحسين وقد احتجّ بأكثر ما ذكرت [204] فلم تثبت له حجّة.»

وأخذ خطّه بلا تهديد ولا مكروه بألف ألف وسبعمائة ألف دينار، ثمّ سلّمه إلى المحسّن وكان فى داره على أتمّ صيانة، وأقام فيها يوماً واحداً. وكان المحسّن يتطاول عليه[٢] إذا حضر. ثمّ أطلقه وكان السبب فى ذلك أنّه حمل إليه مالاً جليلاً وثياباً فاخرة وجواهر نفيسة وخدماً روقةً.

---

١. كذا فى الأصل ومط: ضياعه. وما فى مد: ضمانه.

٢. فى الأصل: يتطاول عليه له. فى مط: يتطاول له.

ذكر ما دبّره ابن الفرات فى أمر مونس حتّى أبعده

كان ورد مونس من الغزو بعد أن ظفر بالروم ظفراً حسناً، فتلقّاه المحسّن ونصر الحاجب وشفيع ومفلح وسائر القوّاد ولقى المقتدر بالله، فتحدّث الناس أنّ مونساً أنكر ما جرى على الكتّاب والعمّال من المكروه العظيم من ابن الفرات والمحسّن وما ظهر من وفاة حامد بن العبّاس، وأنّ أكثر الفرسان التفاريق بالحضرة قد عملوا على الإنضمام إلى عسكر مونس المظفّر لتروج أرزاقهم.

فغلُظ ذلك على ابن الفرات وصار إلى المقتدر بالله بعد أسبوع من قدوم مونس المظفّر فخلا به وأعلمه ما عمل مونس عليه من ضمّ الرجال إليه، وأنّه إن تمّ له ذلك صار أمير الأمراء وتغلّب على أمر المملكة ولاسيّما والقوّاد [205] والغلمان منقادون له. وعظّم عليه الأمر وأغراه به إغراء شديداً. فلمّا ركب مونس المظفّر إلى دار المقتدر بالله، قال له المقتدر بحضرة ابن الفرات:

ـ «ما شىء أحبّ إلىّ من مقامك، لأنّى أجمع إلى الأنس بك والتبرّك برأيك الانتفاع بحضورك فى أمر الحضرة كلّه. ولكن أرزاق الفرسان برسم التفاريق عظيمة، وما يتهيّأ أن تطلق أرزاقهم على الإدرار ولا النصف من استحقاقهم وليس يطيعون فى الخروج إلى نواحى مصر والشام، لأنّهم يحتجّون بقصور أحوالهم عن ذلك. وقد علمت أنّ الرىّ وأبهر وزنجان متعلّقة بأخى صعلوك وكذلك أرمينية وأذربيجان بيوسف بن أبى الساج، وإن أقمت ببغداد التمس الرجال الإنضمام إليك، فإن لم أجبهم شغبوا وأفتنوا البلد، وإن

أقمت لم يَرُج[١] من مال ديار ربيعة ومُضر[٢] والشام شيء، وليس يفى مال السواد والأهواز وفارس بنفقات الحضرة ومال عسكرك. والوجه أن تخرج إلى الرقّة وتتوسّط عملك وتُنفذ عمّالك فى اقتضاء الأموال وتستخرج ما يجب على المادرائيّين من الأموال العظيمة التى بذلوا بها خطوطهم وتهابك[٣] عمّال المعاون والخراج بمصر والشام فيستقيم أمر [206] الملك.»

ورسم له الشخوص من وقته[٤] فى سائر الغلمان الحجريّة والساجيّة برسمه.

فعلم مونس أنّ هذا من رأى ابن الفرات وتدبيره وعرف شدّة عداوته له، فسأل المقتدر بالله أن يأذن له فى المقام بقية شهر رمضان حتّى يعيّد ببغداد، فأجابه إلى ذلك. فلمّا عيّد صار إلى ابن الفرات لوداعه، فقام له قياماً تامّاً فاستعفاه مونس وحلف عليه أن يجلس فى المصلّى فامتنع، وسأله مونس فى عدّة أمور فوقّع له بجميع ما التمسه وأراد القيام عند خروجه من حضرته فاستحلفه برأس الخليفة ألّا يفعل، ثمّ ودّع الخليفة وخرج إلى مضربه فى يوم مطير.

ما دبّره ابن الفرات بعد مونس فى أمر الحاشية

ولمّا فرغ ابن الفرات من مصادرة جميع الكتّاب وأخرج مونساً شرع فى القبض على نصر الحاجب وشفيع المقتدرى. فوصف للمقتدر ما فى جنب

---

١. الضبط من الأصل.

٢. ما فى الأصل يحتمل «مِصر» و «مُضَر». فى مط: مصر. وفى مد: مُضَر.

٣. كذا فى الأصل: تهابك.

٤. فى الأصل ومط: من وقته. فى مد: من رقّة.

نصر خاصّة من الأموال والضياع وكثرة ما يصل إليه من الأعمال التى يتولّاها، ثمّ من سائر وجوه مرافقه فأجابه المقتدر إلى تسليمه إليه، واتّصل الخبر بنصر فلجأ إلى السيّدة واستغاث إليها.[207]

فكلّمت ابنها وقالت له:

ـ «قد أبعد ابن الفرات مونساً عنك وهو سيفك وثقتك ويريد الآن أن ينكب حاجبك ليتمكّن منك فيجازيك على ما عاملته به من إزالة نعمه وهتك حُرمه. فليت شعرى بمن تستعين عليه إن أراد بك مكروهاً من خلعك والتدبير عليك، لا سيّما مع ما أظهر من شرّه وإقدام ابنه المحسّن على كلّ عظيمة.»

وقد كان نصر مضى إلى منزله واستظهر بتفريق ماله فى الودائع واستتره فراسلته السيّدة بالرجوع إلى داره، فوثق وعاد وهو مع ذلك شديد التذلّل لابن الفرات وابنه وابن الفرات يُعرّف المقتدر من أحواله ومن إفساده ابن أبى الساج حتّى ضيّع على الخلافة خمسة آلاف ألف دينار من ارتفاع نواحيه ما يَهمّ معه المقتدر بتسليمه إليه.

فلمّا كان فى ذى الحجّة من هذه السنة ورد الخبر على ابن الفرات بإيقاع ابن أبى الساج بأحمد بن علىّ أخى صعلوك وقتله إيّاه وأنّه أخذ رأسه وهو على حمله إلى بغداد.

فركب المحسّن إلى المقتدر والتمس من مفلح أن يوصله إليه من غير حضور نصر الحاجب فأوصله وبشّره بالفتح وأعلمه أنّ نصراً الحاجب يكره ذلك وأنّه عدوّ لابن أبى الساج وهو الذى [208] أفسده على السلطان فلذلك كتمه الخبر.

ودخلت سنة اثنتى عشرة وثلاثمائة

فلمّا كان بعد أيّام ظهر فى دار للسيّدة كان المقتدر يُكثر الجلوس فيها

عند والدته رجل أعجمى على سطح مجلس من مجالسها وعليه ثياب فاخرة وتحتها ممّا يلى بدنه قميص صوف ومعه محبرة ومقدحة وسكّين وأقلام وورق وسويق وحبل. يقال إنّه دخل مع الصُّنّاع فحصل فى الموضع وبقى أيّاماً فعطش وخرج ليطلب الماء فظُفر به وسُئل عن خبره فقال:

ـ «ليس يجوز أن أُخاطب غير صاحب الدار.»

فأُخرج إلى الوزير أبى الحسن ابن الفرات فقال له:

ـ «أنا أقوم مقام صاحب الدار فقل ما شئت.»

فقال: «ليس يجوز غير خطابه فى نفسه ومسألته عمّا احتاج إليه.»

فرفق به فلم يغن الرفق. فلمّا لم تكن فيه حيلة أخذ الخدم يقرّرونه بالضرب والعنف فعدل عن الكلام بالعربية فقال بالفارسية:

ـ «ندانُم[1].»

ولزم هذه اللفظة فلم يزل عنها فى كلّ ما يخاطب به، وأُخرج فعُوقب حتّى تلف وهو لا يزيد على:

ـ «ندانُم.»

فصُلب ولُفّ عليه حبل من قُنّبٍ ومساقة[2] ولُطّخ بالنفط وضُرب بالنار. وخاطب ابن الفرات نصراً الحاجب بحضرة [209] المقتدر فى أمر هذا الرجل، وقال له:

ـ «ما أحسبك ترضى لنفسك أن يجرى عليك فى دارك مثل هذا الذى جرى على أمير المؤمنين وأنت حاجبه وحافظ داره وما تمّ مثل هذا على أحد من الخلفاء فى قديم ولا حديث وهذا الرجل هو صاحب أحمد بن علىّ أخى صعلوك لا محالة. والدليل على ذلك أنّه أعجمى. فإمّا أن يكون أحمد

---

١. ندانُم: الضّمة من الأصل. ولا ضمّة فى مط. ندانم: لست أعرف.

٢. كذا فى الأصل ومط: مساقة. فى مد: مشاقة (بإعجام الثانى).

بن عليّ ـ قبل أن يُقتل ـ واطأك[١] حتّى أوصلته إلى هذا الموضع وإمّا أن تكون أنت دسسته ليقتلك بأمير المؤمنين لتخوّفك على نفسك منه ولأجل عداوتك لابن أبى الساج وصداقتك لأحمد بن عليّ ولأجل عظيم ما وصل إليك من أحمد بن عليّ من الأموال.»

فقال له نصر الحاجب:

ـ «ليت شعرى أدبّر على أمير المؤمنين لأنّه أخذ أموالى وهتك حُرمى أو قبض ضياعى أو حبسني عشر سنين؟»

فقال المقتدر:

ـ «لو تمّ هذا على بعض العوامّ لكان عظيماً.»

وتمكّن ابن الفرات منه واندفع عنه المكروه بما ورد به الخبر ممّا جرى على الحاجّ من القرمطي وسنشرحه فيما بعد. فشغل ابن الفرات بنفسه وقوى أمر نصر وسلم من ابن الفرات.

وفى هذه السنة ورد الكتاب بشرح الخبر فى مصير ابن أبى الساج من أذربيجان إلى الريّ ومحاربته [210] أحمد بن عليّ وحُمل رأس أحمد بن عليّ وجثّته إلى مدينة السلام.

تفريق المال على طلاّب الأدب

وفيها فرّق ابن الفرات على طلاّب الأدب مالاً وعلى من يكتب الحديث مثله. وكان السبب فى ذلك أنّه جرى حديثهم فى مجلسه فقيل لعلّ الواحد منهم يبخل على نفسه بدانق[٢] فضّة أو دونها ويصرفه إلى ثمن ورق وحبر.

---

١. فى مط: واصلك. بدل «واطأك».

٢. كذا فى مط ومد. وما فى الأصل: بدنق.

وكان ابن الفرات موصوفاً بسعة الصدر وحسن الخلق، وكان فرّق في الشعراء مالاً. فقال لمّا جرى حديث هؤلاء:

ـ «أنا أولى من عاونهم على أمرهم.»

وأطلق لهم لما يصرفونه إلى ذلك عشرين ألف درهم.»

فذُكر أنّه لم يسبق ابن الفرات إلى ذلك إلاّ ما حدّث به الضبُعي عن رجاله أنّ مسلمة بن عبد الملك أوصى عند وفاته بالثلث من ثُلثه لطلاّب الأدب وقال:

ـ «هم مجفوؤن[1].»

وكان يستعمل كلّ يوم في مطبخ ابن الفرات من لحوم الحيوان وفي دوره من الثلج الكثير ومن الأشربة التي تعرض على كلّ من دخل ومن الشمع ومن القراطيس ما لم يستعمله أحد قبله ولا بعده. وكان إذا ولي الوزارة ارتفعت أسعار الشمع والثلج والقراطيس خاصّة وإذا عُزل رخصت.

وكان أهدى إلى مونس [211] المظفّر عند موافاته من المغرب وإلى بُشرى ويلبق وإلى نازوك وغيرهم من الغلمان والخدم لمّا حضر النوروز هدايا عظيمة لم تسمح نفس أحد بمثلها وقدّر أنّهم يستكفّهم بها فلم يقع موقعه الذي أراد.

ذكر السبب في ضعف أمر ابن الفرات
بعد تناهيه في القوّة والإستقامة

اتّفق أن ورد الخبر إلى بغداد على ابن الفرات بأنّ أبا طاهر ابن أبي سعيد

---

١. في مط: محفوفون.

الجنّابى ورد إلى الهبير ليتلقّى حاجّ سنة إحدى عشرة وثلاثمائة فى رجوعهم، فأوقع[١] بقافلة فيها خلق كثير من أهل بغداد وغيرها واتّصل خبره بهم وهم بفَيْد[٢] فأقاموا حتّى فنى زاد من فيها وضاق بهم البلد فارتحلوا على وجوههم.

وأشار عليهم أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان ـ وكان إليه طريق الكوفة وطريق مكّة وبَذْرَقَة الحاجّ ـ لمّا بلغهم خبر الهجرى، أن يعدل بهم من فَيْد إلى وادى القرى لئلاّ يجتازوا بالهبير فضجّوا من ذلك وامتنعوا عليه وساروا وسار معهم ضرورة إلى الهبير.

فلمّا قربوا من الهبير عارضهم أبو طاهر ابن أبى سعيد الجنّابى وقاتلهم فظفر بهم وقتل [212] منهم خلقاً كثيراً وأسر أبا الهيجاء عبد الله بن حمدان وأحمد بن كَشْمَرْد وغرير العُمرى وأحمد بن بدر عمّ السيّدة أمّ المقتدر وجماعة من خدم السلطان وحُرمه.

وأخذ أبو طاهر جمال الحاجّ فى سائر القوافل وسبى ممّن كان فيها من اختار من النساء والرجال والصبيان وسار بهم إلى هجَر وترك باقى الحاجّ فى مواضعهم بلا زاد ولا جمال. وكانت سنّ أبى طاهر فى ذلك الوقت سبعة عشر سنة ومات أكثر من خلّف من الحاجّ بالعطش والحَفا والرُجلة.

وانقلبت بغداد وطرقها فى الجانبين وخرج النساء حفاة منشّرات الشعور مسوّدات الوجوه يلطمن ويصرخن فى الشوارع وانضاف إليهن حُرم المنكوبين الذين نكبهم ابن الفرات وذلك فى يوم السبت لسبع خلون من صفر فكانت صورة فظيعة[٣] قبيحة شنعة لم يُر مثلها.

---

١. والعبارة فى مط: ما وقع فقابله فيها..

٢. فى مط: يفيد.

٣. فى مط: فضيحة.

وتقدّم ابن الفرات إلى نازوك بالركوب إلى المساجد الجامعة في الجانبين ببغداد بسبب حركة العامّة فركب في جميع جيشه من الفرسان والرجّالة والنفّاطين حتّى سكّن العامّة.

ثمّ قدم سائق الحاجّ فشرح الصورة [213] لابن الفرات. فركب ابن الفرات آخر هذا اليوم وقد ضعفت نفسه إلى المقتدر وشرح له الحال واستدعى نصراً الحاجب وأدخله في المشاورة وتمكّن نصر من خطاب ابن الفرات بحضرة المقتدر وانبسط لسانه عليه وقال له:

ـ «الساعة تقول: أيّ شيء الرأي، بعد أن زعزعت أركان الدولة وعرّضتها للزوال بإبعادك مونساً الذي يناضل الأعداء ويدفع عن الدولة. فمن يمنع الآن هذا الرجل عن السرير ومن الذي أسلم رجال السلطان وقوّاده وحُرمه وخدمه إلى القرمطي سواك وقد ظهر الآن أمر الأعجميّ الذي وُجد في دار السلطان وأنّه إنّما كان صاحب القرمطي.»

وأشار نصر على المقتدر بمكاتبة مونس بالتعجّل إلى الحضرة، فأمر أن يُكتب بذلك. ووثبت العامّة على ابن الفرات ورجمت طيّاره بالآجرّ، وركب المحسّن من داره يريد طيّاره فرجموه وضجّت العامّة في الطرقات بأنّ:

ـ «ابن الفرات القرمطي الكبير وليس يقنعه إلّا إتلاف أمّة محمّد.»

وتحرّكت العامّة فامتنعت من الصلاة في المساجد الجامعة ذلك اليوم وارتجّت بغداد بأسرها من الجانبين. [214]

وأشار ابن الفرات بإنفاذ ياقوت إلى الكوفة لضبطها لئلاّ تردها الهَجَريّة(١) ويضمّ الغلمان الحجريّةَ ووجوه القوّاد إليه وإن كان الهجري مقيماً سار لمحاربته.

---

١. هَجَر (= الهَجَر): هي قاعدة البحرين، أو ناحية البحرين كلّها (مراصد الإطلاع).

فتقدّم المقتدر إلى ياقوت بالشخوص، وإلى ابن الفرات بإزاحة علّته فالتزم ابن الفرات له ولولديه وهما المظفّر ومحمّد وللزيادة في إقطاعهم وموائدهم ولمن ضمّ إليه أموالاً عظيمة.

وخرج ياقوت بمضربه إلى باب الكناسة، وورد الخبر على ابن الفرات بانصراف الهجري إلى بلده. فوقّع إلى ياقوت بالرجوع فرجع وبطل نفوذه إلى الكوفة.

وأصلح المقتدر بين ابن الفرات وبين نصر وأمر الجماعة بالتضافر على ما فيه الصلاح للدولة وكفاية الهجري.

دخول مونس بغداد

ودخل مونس بغداد وتلقّاه الناس فلم يتأخّر عنه أحد وركب إليه ابن الفرات للسلام عليه ولم تجر له بذلك عادة ولا لأحد قبله. فلمّا عرف مونس خبره خرج إلى باب داره وتلقّاه وسأله أن ينصرف فلم يفعل، وصعد إليه من طيّاره حتّى هنّأه بمقدمه. فلمّا خرج لينصرف خرج معه مونس إلى أن نزل إلى طيّاره. [215]

ما عامل به المحسّن المنكوبين لمّا اضطرب أمره وأمر أبيه

استوحش المحسّن بعد إيقاع الهجري بالحاجّ من المنكوبين ونظر إلى سقوط حشمته[1]. فخاف أن يظهر ما أخذه وارتفق به وما أسقطه من أداء المصادَرين وفاز به، فنصب أبا جعفر محمّد بن عليّ الشلمغاني المعروف

١. في مط: خشيته.

بابن أبى العزاقر[١] وكان هذا يدّعى من حلول اللاهوت فيه مثل ما ادّعاه الحلاّج.
وكان المحسّن قد عنى بهذا الرجل فاستخلفه بالحضرة لجماعة من العمّال وكان له صاحب يعرف بملازمته مقدام على الدماء من أهل البصرة. فسلّم المحسّن إلى صاحب ابن الفرات هذا البصرى جماعةً فيهم النعمان بن عبد الله وعبد الوهّاب ابن ما شاء الله ومونس خادم حامد وأظهر أنّه يطالبهم بما بقى عليهم من المال، فلمّا حصلوا فى يده ذبحهم كما يُذبح الغنم. وكان جماعة مستترين، فكتب ابن الفرات إليهم كتباً جميلة حتّى ظهروا، ثمّ صادرهم واستخرج منهم أموالاً كثيرة.

ذكر القبض على أبى الحسن ابن الفرات
وهرب ابنه المحسّن [216]

واشتدّ الإرجاف بابن الفرات حتّى استتر أولاده وكتّابه فراسله المقتدر على لسان نسيم.

فحكى أبو القاسم ابن زنجى أنّه كان بين يديه إذ جاءه نسيم فتقدّم إليه فأدّى الرسالة التى كانت معه، فسمعته يقول فى جوابها:

ـ «قل له: أنت تعلم يا أمير المؤمنين أنّى عاديت فى استيفاء حقوقك الصغير والكبير واستخرجت لك المال من الدنىء والشريف وبلغت غاية ما أمكننى فى تأييد دولتك ولم أفكّر فى أحد مع سلامة نيّتك وما قرّبنى منك واجتلب لى حُسن رأيك، فلا تقبل فىّ قول من يريد إبعادى عن خدمتك ويُغريك بما لا فائدة فيه ويدعوك إلى ما تُذمّ[٢] عواقبه.

---

١. فى الأصل ومط: الغواقر، وهو تصحيف. تجد ذكره فى إرشاد الأريب ١:٢٩٨ وذكر قصّة للوزير المهلّبى مع العزاقريّة بالبصرة، عند ابن الأثير فى حوادث سنة ٣٤٠ (مد).

٢. فى مط: ندم.

«وبعد فطالعي وطالعك واحد وليس يلحقني شيء ولا يلحقك مثله، فلا تلتفت إلى ما يقال، فقد علمت الخاصّة والعامّة أنّي أطلقت للرجال النافذين إلى طريق مكّة ما لم يطلقه أحد تقدّمني واخترت رؤساء الجند والقوّاد وشجعان الرجال وأزحت العلّة فى كلّ ما التُمس منّي، فحدث من قضاء الله عزّ وجلّ على الحاجّ ما قد حدث مثله في أيّام المكتفى بالله رحمه الله فما أنكره [217] على وزيره ولا ألزمه جريرته ولا أفسد عليه رأيه.»

وتكلّم فى هذا المعنى بما يشاكله وانصرف نسيم والغلمان بانصراف نسيم.

واحتدّت الأراجيف وكثرت بأبي الحسن ابن الفرات والمحسّن ابنه، وأراد المقتدر أن يسكّن منهما فكتب إليهما رقعة يحلف فيها على ما هو عليه لهما وما يعتقده من الثقة بهما، وأنّه ينبغي لهما أن يثقا بما تقرّر فى نفسه من موالاتهما وأمرهما أن يُظهرا رقعته إليهما لأهل الحضرة ويكتب بنسختها إلى جميع عمّال الحرب والخراج فى البلدان.

ثمّ ركب بعد ذلك ابن الفرات والمحسّن إلى الدار، فوصلا إلى المقتدر فى شهر ربيع الأوّل سنة اثنتى عشرة. ولمّا خرجا أجلسهما نصر الحاجب وكان راسل الغلمان الحجريّة المقتدر في القبض عليهما فدخل مفلح برسالتهم، ثمّ أشار عليه بتأخير الأمر وقال له:

ـ «إنّ صرف[1] الوزير بكلام الأعداء خطر وخطأ فى التدبير وإطماع للغلمان.»

فأمره أن يتقدّم إلى نصر بإطلاقهما ويُعرّف الغلمان أنّ الأمر يجرى فيما راسلوه على محبّتهم فتقدم مفلح وقال:

ـ «لينصرف الوزير.»

---

١. فى مط: انصرف، بدل «إنّ صرف».

فأذن نصر للوزير وابنه فى الإنصراف [218] فقام[١] ابن الفرات فى الممرّات كالمهزول حتّى وصل إلى طيّاره وكذلك ابنه المحسّن. فلمّا وصلا إلى دار الوزير دخل إليه المحسّن فسارّه سراراً طويلاً ثمّ خرج من عنده وانصرف إلى منزله وجلس فيه ساعة وتقدّم بما أراد ثمّ خرج فاستتر.

وجلس أبوه غير مكترث ينظر فى العمل وبين يديه وجوه الكتّاب وانصرفوا آخر النهار وقد تشكّكوا فيما بلغهم من صورة الأمر لمّا رأوه من نشاطه وانبساطه وجريه على رسمه فى الحديث والأنس والأمر والنهى. وتحدّث بعض خواصّه قال: سمعته يقول فى آخر الليل وهو فى مرقده يتمثّل بهذا البيت:

وأَصْبَحَ لا يَدرى وَإنْ كانَ حَازماً أَ قُدّامُهُ خَيرٌ له أَمْ وَراؤُهُ[٢]

فدلّ ذلك على سهره وتفكّره فى أمره، وجلس من الغد ينظر فى أمره.

قال أبو القاسم ابن زنجى: فبينا هو كذلك إذ وردت رقعة لطيفة مختومة فقرأها فما عرفتُ ممّن هى فى الوقت ثمّ عرفت أنّها كانت من مفلح. ثمّ وردت رقعة أخرى من رجل يجرى مجرى الجند كان ملازماً لدار السلطان. فلمّا قرأها أمسك [219] قليلاً ثمّ دعا يحيى قهرمانه فأسرّ إليه بشىء وانصرف. ثمّ صرف الناس وواعدهم البكور ونهض ابن الفرات عن مجلسه إلى دور حُرمه وتفرّق الناس.

فلمّا صرت إلى الرَّوشَن ذكرت شغلاً علىّ كان شغلنى به فانصرفت وجلست لذلك، فإذا بنازوك قد دخل عليه سيفه وبيده دبّوس وإذا بيلبق

١. فى مط: مقام.
٢. فى مط: أو مراؤه.

يتلوه وهما بخلاف ما أعهدهما[١] من الإنبساط ومع كلّ واحد منهما نحو خمسة عشر غلاماً بسلاح. فلمّا لم يجدوه في مجلسه دخلوا إلى دار حُرمه فأخرجوه منها حاسراً وأُجلس في طيّار وحُمل إلى دار نازوك وقُبض معه على ابنيه الفضل والحسين ومن وُجد من كتّابه.

ومضى نازوك[٢] ويلبق إلى مونس المظفّر وعرّفاه الخبر وكان قد خرج إلى باب الشمّاسية وأظهر أنّه خرج للنزهة، فانحدر معه هلال بن بدر وجماعة من قوّاده وذهب يلبق إلى دار نازوك وأُخرج ابن الفرات من هناك مع ولديه وأسبابه وأخرج نازوك من داره رداء قصبٍ وطرحه على رأسه لأنّه كان حاسراً. فلمّا رأى ابن الفرات مونساً أظهر الإستبشار [220] بحصوله في يده فأجلسه معه في الطيّار وخاطبه بجميل مع عتاب وتذلّل ابن الفرات وخاطبه بالأستاذيّة فقال له مونس:

ـ «الساعة تخاطبنى بالأستاذيّة وبالأمس تخرجنى على سبيل النفى إلى الرقّة والمطر يصبّ على رأسى ثمّ تذكر لمولانا أمير المؤمنين أنّى أسعى فى فساد مملكته!»

وانحدر به إلى دار السلطان وتقدّم بحمل ولديه وكتّابه إليها وتسليمهم إلى نصر. فتكاثر العامّة على ابن الفرات ومعهم أسباب المنكوبين يدعون عليه ويضجّون واجتهد مونس فى دفعهم فما قدر على ذلك ورجموا طيّار مونس لمكان ابن الفرات فيه وصاحوا:

ـ «قد قُبض على القرمطى الكبير وبقى القرمطى الصغير.»

ولمّا وصلوا إلى باب الخاصّة صعد جمع عظيم من الشميريّات لرجم ابن الفرات وولديه وكتّابه بالآجر حتّى حوربوا واحتيج إلى رميهم بالسهام وجرح

---

١. فى مط: عهدهما.

٢. فى مط: باروك.

بعضهم فانصرفوا وتسلّمهم نصر.

فكانت مدّة ابن الفرات فى هذه الوزارة الثالثة عشرة أشهر وثمانية عشر يوماً.

تسليم ابن الفرات إلى شفيع اللؤلؤىّ

ثمّ اجتمع وجوه القوّاد إلى دار السلطان وأقاموا [221] على أنّ ابن الفرات إن حُبس[١] فى دار الخلافة خرجوا بأسرهم إلى المصلّى وأسرفوا فى التهدّد. فدعا المقتدر مونساً ونصراً وشاورهما فأشارا بتسكين القوّاد وبأن يُخرَج ابن الفرات ويُسلّم إلى شفيع اللؤلؤى ويُعتقل عنده. فاستُحضر شفيع وسُلّم إليه.

ذكر توصّل أبى القاسم عبد الله بن محمّد بن عبيد الله الخاقانى إلى الوزارة

كان أبو القاسم عبد الله بن محمّد الخاقانى استتر فى أيّام وزارة ابن الفرات الثالثة وأبوه أبو علىّ شديد العلّة وقد أسنّ وتغيّر فهمه[٢] ولمّا اضطرب أمر ابن الفرات عندما جرى على الحاجّ ما جرى، سعى عليه أبو القاسم الخاقانى وعلى ابنه المحسّن وعمل لهما عملاً وسعى له فى ذلك نصر الحاجب وثمل القهرمانة وغيرهما[٣]. وكان مونس أشار بأبى القاسم الخاقانى قبل ذلك.

فقال المقتدر:

- «أبوه خرّب الدنيا وهو شرّ من أبيه ولكن نقلّد الحسين بن أحمد

---

١. فى الأصل ومط: جلس. انظر صلة عريب: ١٢٠.

٢. فى مط: ويغرفهم، بدل «وتغيّر فهمه».

٣. كذا فى الأصل ومط ومد: وغيرهما، ولعله: وغيرها.

المادرائى.»

فعرّفه مونس أنّه قد نفذ إلى مصر وأنّ استحضاره يبعد. ثمّ ساعده نصر وابن الخال [222] فى ذلك، ثمّ استحضره المقتدر وشافهه بتقليده الوزارة والدواوين وخلع عليه وركب معه مونس المظفّر وهارون بن غريب إلى داره.

ذكر ما جرى عليه أمر ابن الفرات وأسبابه بعد تقلّد أبى القاسم الخاقانى الوزارة

ذكر أبو الحسن أنّه سُلّم إلى شفيع كما ذكرنا فراسله شفيع على يد المعروف بالجَمل كاتبه، فيما يبذله من المصادرة عن نفسه ليسلم من أعدائه ومن تسليمه إلى الخاقانى وأبى العبّاس ابن[1] بعد شرّ وهو كاتب الخاقانى فأجابه ابن الفرات بأنّه لا يفعل أو يثق من المقتدر بالله فى حفظ نفسه من تسليمه إلى أحد من هذه الطبقة. وقال للكاتب الملقّب بالجَمل:

ـ «قل لصاحبك إنّى قد خلّفت فى يد هارون الجهبذ وابنه مائة ونيّفاً وستين ألف دينار حاصلة قِبلهما من المصادَرين ليعرف الخليفة ذلك ويتقدّم بحملها إلى بيت مال الخاصّة من وقته هذا حتّى لا يوهمه الخاقانى أنّه هو استخرجه ثمّ يصرفه فى النفقات التى سبيلها أن ينفق من بيت مال العامّة.»

فركب شفيع للوقت وأنهى ذلك إلى المقتدر [223] فوجّه إلى الجهبذين وكانا فى دار الخاقانى لم يكلّمهما بعد لتشاغله بالتهنئة فأحضرا واعترفا بالمال وحملاه وصحّحاه فى بيت مال الخاصّة.

وتقدّم المقتدر إلى نصر الحاجب بتسليم أولاد ابن الفرات وكتّابه وأسبابه إلى الخاقانى، فسلّمهم إليه وأخذ خطّه بتسلّمهم وسلّمهم الخاقانى إلى أبى

١ـ ابن: ساقطة فى مط. وأُبقيت فى مد أيضاً.

العبّاس ابن بعد شرّ فقيّدهم وأجلسهم على الأرض فى الحرّ الشديد ثمّ أخذ خطّ كلّ واحد من ولدى ابن الفرات بمائة ألف دينار وخطّ سعيد بن إبراهيم بمائتى ألف وخطّ أبى غانم كاتب المحسّن بمائتى ألف دينار، ووقع النداء على المحسّن وهشام وابنى فرجويه والتهديد لمن وُجدوا عنده بعد النداء بالنهب وإحراق المنازل وضرب ألف سوط. وواقف أبو الحسن شفيعاً على أن يضمن عنده مالاً إن رُدّ إلى دار السلطان ولم يُسلّم إلى أحد.

فذهب شفيع فخاطب في ذلك المقتدر فقال له المقتدر:

- «إنّ مونساً ونصراً وهارون بن غريب قد أجمعوا[١] على أنّه لا يمشى للخاقانى أمر إلّا بتسليم ابن الفرات إليه وضمن أن يستخرج منه ومن ابنه وأسبابه [224] ألفى ألف دينار.

فانصرف شفيع ووجّه إلى ابن الفرات بكاتبه يشرح الصورة له.

كلام لابن الفرات في وزارة الخاقانى

فقال هذا الكاتب وهو الملقّب بالجَمَل: كنت أدخل إلى ابن الفرات فى كلّ يوم لتفقّد أحواله. فكنت أجده أقوى الناس نفساً وأصبرهم على نوائب الدهر. قال:

ولقد سألنى: عمّن تقلّد الوزارة،

فعرّفته أنّه أبو القاسم بن أبى على الخاقانى.

فقال: «السلطان نُكب وما نكبت أنا.»

وسألنى: «عمّن تقلّد الديوان -يعنى ديوان السواد، فقلت:

- «محمّد بن جعفر بن حفص.»

---

١. كذا فى الأصل ومط: أجمعوا. فى مد: اجتمعوا.

فقال: «رُمى بحجره[١].»

وسألني: عمّن تقلّد باقى الدواوين.

فعرّفته أنّهم يحيى بن نعيم المالكى ومحمّد بن يعقوب المصرى وإسحاق بن علىّ القُنّاى. فقال:

ـ «لقد أيّد الله هذا الوزير بالكفاة.»

مناظرة ابن الفرات لاستخراج ماله

وكان المناظر لابن الفرات ابن بَعد شَر فرفق به فوعده أن يتذكّر ودائعه ويعرّفه إيّاها فعاوده بالرفق فأقرّ أنّ له عند التجّار مائة وخمسين ألف دينار.

وكان المقتدر رسم أن يكون مال مصادرة ابن الفرات وحده يحصّل فى بيت مال الخاصّة ومال مصادرة أسبابه فى بيت مال العامّة.

ولمّا [225] استُخرج ما ذكره ابن الفرات من التجّار أعاد ابن بَعد شَر مطالبة ابن الفرات، فذكر أنّه لم يبق له مال فأوقع به مكروهاً يسيراً، ولم يكن ابن الفرات ممّن يستجيب بالمكروه فتقاعد وامتنع دفعة واحدة من أداء شىء.

فمضى هارون بن غريب إلى المقتدر وعرّفه أن الخاقانى جنى على السلطان بتسليمه ابن الفرات إلى ابن بَعد شَر وأنّه كان ينبغى أن يرفق به ويداريه، فإنّه ممّن لا يستجيب بالمكروه. فتقدّم المقتدر إلى الخاقانى بأن تكون مناظرة ابن الفرات بحضرة هارون بن غريب وأن يرفق به. وكان ابن بَعد شَر قد ضيّق على ابن الفرات فى مطعمه ومشربه حتّى أنّه أدخل إليه خبز خُشكار[٢] وقثّاء وماء الهواء، فوجّه إليه بطعام واسع وشراب وثلج كثير

١. كذا فى الأصل ومط: رُمى بحجره. فى مد: بحجره رمى (بالتقديم والتأخير).
٢. فى الأصل: خُشكاز. وفى مط ومد: خشكار. وهى فارسية. خبز من دقيق غير منخول.

وفاكهة واعتذر إليه عمّا جرى وحلف أنّه لم يعلم بما عُومل به.

ثمّ إنّ الخاقانى راسله على يد خاقان بن أحمد بن يحيى برفق ومداراة بأن يقرّ بماله ولا يلاجّ السلطان فليس ذلك بمحمود. فأجابه بأن قال:

ـ «قل للوزير لست حدثاً غِرّاً فتحتال علىّ فى المناظرة. ولست [226] أقول إنّى لا أقدر على المال ولكن إذا وثقت لنفسى بالحياة فديتها بالمال. وإنّما أثق بذلك إذا كتب أمير المؤمنين بخطّه لى أماناً وشهد الوزير والقضاة بخطوطهم ويكتب لى الوزير أيّده الله أماناً بخطّه ويسلّمنى إلى أحد رجلين: إمّا مونس المظفّر وإن كان عدوّى وإمّا شفيع اللؤلؤى فإن لم يفعل ذلك فقد وطنّت[١] نفسى على التلف.»

فوجّه إليه الخاقانى:

ـ «بأنّى لو قدرت على التوثّق لك لتوثّقت، ولكن إن تكلّمت فى هذا المعنى عادانى خواصّ الدولة لأجلك، ثمّ لم تنتفع أنت بذلك وقد ردّ الخليفة أمرك إلى هارون بن غريب.»

فتواعدوا إلى دار الخاقانى بالمُخرِّم واستحضر ابن الفرات وناظره ابن بَعد شَر بحضرته فتماتن ابن الفرات. فبدأ ابن بَعد شَر يُسمعه المكروه فأنكره هارون وزَبَره[٢] وقال:

ـ «بهذا تريد أن تستخرج مال ابن الفرات؟»

وأقبل هو على ابن الفرات وداراه وخاطبه بجميل وقال له:

ـ «أنت أعرف بالأمور من كلّ من يخاطبك والخلفاء لا يلاجّهم وزراؤهم إذا سخطوا عليهم.»

فقال له ابن الفرات:

---

١. كذا فى الأصل ومط: وطّنت. فى مد: وطئت.

٢. زبرهُ: منعَهُ.

ـ «أشر عليّ أيها الأمير فإنّ من كان فى مثل حالى عزب عنه الرأى.»

فلم يزل معه فى مناظرات إلى أن أخذ [227] خطّه بمصادرة ألفى ألف دينار على أن يعجّل منها الربع وعلى أن يُحتسب له من الربع بما أدّاه وما أُخذ بعد ذلك ممّا لعلّه استُخرج من ودائعه بغير إقرار منه ويطلَق له ببيع أملاكه وما يستبيع من ضياعه وأمتعته ويُنقل إلى دار شفيع اللؤلؤى أو غيره من ثقات السلطان ويطلَق الكلوذانى ليتصرّف فى جمع أمواله ويُطلق له الدواة ليكاتب من يرى مكاتبته فأخذ هارون بن غريب خطّه بجميع ما كتب به وحمله إلى المقتدر بالله.

ذكر اتّفاق سيّئ اتّفق على المحسّن حتّى ظُفر به وصودر وقُتل

كان المحسّن استتر عند حماته حِنزابة وهى حماتهُ ووالدة الفضل بن جعفر بن الفرات فكانت تحمله كلّ يوم، بكرة إلى المقابر فى زىّ النساء وتردّه إلى المنازل التى يثق بها بالليل.

فمضت به يوماً إلى مقابر قريش فى زىّ النساء على رسمه وأمست فبعُد عنها الطريق إلى الكرخ فوصفت لها امرأة كانت معها منزل امرأة تثق بها ليس معها رجل لأنّ زوجها مات منذ سنة. فصارت حِنزابة[1] مع النسوة والمحسّن [228] إلى هناك فقالت لصاحبة الدار:

ـ «إنّ معنا امرأة لم تتزوّج بعد، وقد عادت من مأتم وضاقت عليها[2] فأفردى لها بيتاً.»

---

١. فى مط: جيرانه.

٢. كذا فى الأصل ومط ومد.

فأفردت لها[١] بيتاً فى صُفّة وأدخلت إليه المحسّن ثمّ ردّت عليه الباب وجلس النسوة مع المحسّن فى البيت. فجاءت جارية سوداء بسراج معها فوضعته فى الصُفّة وأدخلت حنزابة إلى المحسّن بسويق وسكّر وكان المحسّن قد نزع ثيابه فاطّلعت الجارية السوداء من حيث لا يشعر المحسّن ولا حنزابة فى البيت، وعلمت أنّه رجل، فانصرفت وأخبرت مولاتها.

فلمّا جنّ الليل جاءت مولاتها وطالعت البيت فرأت المحسّن وكان ذلك من نحس المحسّن وخذلان الله إيّاه، لأنّ تلك المرأة كانت زوجة لمحمّد بن نصر وكيل علىّ بن عيسى وكان المحسّن طلبه فأدخل إلى ديوانه فرأى ما يلحق الناس من المكاره بحضرة المحسّن فمات من الفزع فجأة من غير أن يكلّمه المحسّن.

فمضت المرأة فى الوقت إلى دار السلطان حتّى وصلت إلى دار نصر الحاجب وشرحت له الصورة فأنهى نصر الحاجب الخبر إلى المقتدر بالله، فتقدّم بالبعثة إلى نازوك ليركب إلى الموضع ويقبض على المحسّن.

فركب [229] نازوك من وقته إلى الموضع وكبسه وقبض على المحسّن، وضُربت الدبادب لذلك نصف الليل عند الظفر به حتّى ارتاع الناس ببغداد وظنّوا أنّ القرمطى قد كبس بغداد.

وحُمل المحسّن إلى دار الوزارة بالمخرّم وتسلّمه ابن بَعد شَر [وجرّعه][٢] فى وقته مكروهاً عظيماً وأخذ خطّه بثلاثة آلاف ألف دينار. وحضر هارون بن غريب دار المخرّم وناظر المحسّن فوعده أن يتذكّر ودائعه ويقرّ بها ولحقه فى يومين متواليين مكروه عظيم فلم يذعن بدرهم واحد وقال:

ـ «ليس يجمع بين نفسى ومالى.»

---

١. التأنيث بناءً على أنّ المحسّن مرأة.

٢. زيادة من مط.

وحضر بعد ذلك هارون بن غريب ومعه شفيع اللؤلؤى وأحضر المحسّن والكتّاب وابن بَعد شَرّ وناظر المحسّن وأوقع به مكروهاً عظيماً وقال له:

ـ «هبك لا تقدر أن تؤدّى المال الذى أُخذ خطّك به[1] لا تقدر أن تؤدّى مائة ألف دينار.»

فقال له:

ـ «بلى إذا أُمهلت وزال عنّى المكروه.»

فقال له:

ـ «نحن نمهلك فاكتب خطّك بمائة ألف دينار.»

وكتب[2] بذلك خطّه وأنّه يؤديها فى مدّة ثلاثين يوماً.

فلمّا قرأ هارون بن غريب الرقعة قال:

ـ «كأنّك ترجو أن تعيش ثلاثين يوماً.»

فخضع له المحسّن وقال له: [230]

ـ «أفعل ما يأمر به الأمير.»

قال: «اكتب بأنّك تؤدّيها فى مدّة سبعة أيّام.»

فارتجع الرقعة ليكتب بدلها. فلمّا حصلت فى يده مضغها وبلعها وامتنع أن يكتب غيرها. فقُيّد وغُلّ وأُلبس جبّة صوف وضُرب على رأسه بالدبابيس على أن يكتب ما كان كتبه فلم يكتب، فأُعيد إلى محبسه وعُذّب فيه بأنواع العذاب فلم يذعن بدرهم واحد.

الخاقانى يناظر ابن الفرات

فلمّا كان بعد ذلك حضر الأستاذ مونس ونصر الحاجب والقضاة والكتّاب

---

١. فى مط: ولا تدر، بزيادة الواو.

٢. كذا فى الأصل ومط: وكتب. وفى مد: وثبت.

مجلس الوزير الخاقانى وأُحضر أبو الحسن ابن الفرات وناظره الخاقانى ولم يكن الخاقانى من رجاله، فكاد أبو الحسن ابن الفرات أن يأكله فكان فيما قال له:

ـ «إنّك استغللت ضياعك فى مدّة أحد عشر شهراً ألف ألف دينار.»

فقال: «قد كانت هذه الضياع فى يد علىّ بن عيسى عشر سنين أيّام وزارته وأيّام وزارة حامد بن العبّاس وما ارتفع له منها إلّا أربعمائة ألف دينار فقد ادّعيت لى[1] المعجزات.»

فقال له:

ـ «أضفت حقوق ضياع السلطان إلى ضياعك.»

فقال: «الدواوين لا يمكن أن يُكتم ما فيها فتنظر فى ارتفاع النواحى السلطانية فى أيّام نظرى فيها وفى ارتفاعها أيّام علىّ بن عيسى ووزارة [231] حامد بن العبّاس ووزارة أبيك التى دبّرتها أنت حتّى تعلم هل زادت ارتفاع ضياع السلطان فى أيّامى أم نقصت.»

ونوظر فيمن قُتل وشُنّع عليه بهم فقال:

ـ «ليس يخلو من ذلك من أحد أمرين: إمّا أن يقال إنّى أنا قتلتهم فلم أغب عن الحضرة والقتل لا ينسب إلىّ والمدّعى قتله بالبعد منها، وإمّا أن يقال كتبت خطّك بقتلهم وهؤلاء أصحاب المعاون وثقات السلطان وعمّال الخراج ووجوه متصرّفى عمّال السلطان قد حكّمتُهم على نفسى.»

فقيل له:

ـ «قد قتلهم ابنك.»

فقال: «أنا غير ابنى وأنتم تناظروننى.»

---

١. فى مط: فى المعجزات.

فقال له ابن بَعد الشرّ[١]:

ـ «إذا قتل ابنك الناس فأنت قتلتهم.»

فقال له ابن الفرات:

ـ «هذا غير ما حكم الله ورسوله، فإنّه عزّ وجلّ يقول: ولا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرىٰ.[٢] وقال النبى عليه السلام لرجل من أصحابه: أهذا ابنك؟ فقال: نعم. قال: أما إنّه لا يجنى عليك ولا تجنى عليه، ومع هذا فهو فى أيديكم سلوه فإن وجب عليه قَوَد بادّعاء قتلٍ[٣] فى موضعٍ ناءٍ عنه يقال فيه إنّ غيره تولّى قتله فالحكم فى هذا معروف.»

فتحيّر القوم فى الجواب.

فقال عثمان بن سعيد صاحب ديوان الجيش لنصر الحاجب:

ـ «إن رأى الحاجب أن يقول له حيث كنت تقول لمن تطالبه: إن أدّيتَ وإلّا سلّمتك [232] إلى المحسّن، أكنت تسلّمه ليسقيه[٤] السويق والسكّر أو ليعذّبه؟ ومن أطلق التعذيب فقد أطلق القتل، لأنّ الإنسان قد يتلف بمقرعة واحدة يُضرب بها فضلاً عن غيرها.»

فخاطبه نصر بذلك فقال فى الجواب:

ـ «إنّ الخليفة أطال الله بقاءه ولّى المحسّن وأنا إذ ذاك محبوس وهو مطلق فضمن ما ضمنه وجرى ذلك على يد مفلح وتوسّطه جماعة من ثقات السلطان. ثمّ لمّا تقلّدت الأمر كنت أحبّ الرفق بالناس وإذا ناظرتهم ورفقت بهم لم يذعنوا بما يلزمهم فإذا أقاموا على الإمتناع سلّمتهم إلى من نصبه

---

١. بعد الشرّ: كذا فى الأصل. بعد الشرّ. وفى مط: بعد شرّ، كما هو فى سائر المواطن.

٢. ٦ الأنعام: ١٦٤؛ ١٧ الإسراء: ١٥؛ ٣٥ فاطر: ١٨؛ ٣٩ الزمر: ٧؛ ٥٣ النجم: ٣٨.

٣. فى الأصل: قيل. وفى مط: قبل، وكلاهما خطأ.

٤. فى مط: ليسقه.

السلطان وأمر بتسليمهم إليه.»

فقال له مونس:

- «كأنّك تحيل على الخليفة فى قتل الناس فإنّ الخليفة قال: ما أمرت بقتل أحد سوى ابن الحوارى فقط.»

ثمّ أقبل نصر عليه فقال له:

- «معى رسالة من الخليفة إليك فتسمعها وتجيب عنها.»

قال: «وما هى؟»

قال: «يقول: سلّمت إليك قوماً بمال ضمنته لى وأريد منك أحد أمرين: إمّا وفّيتنى المال أو رددت علىّ القوم.»

فقال ابن الفرات:

- «أمّا المال فقد صحّ فى بيت المال، وأمّا الرجال فما ضمنت أرواحهم ولا بقاءهم وقد تلفوا حتف آنافهم.»

فقال له مونس المظفّر:

- «هبْ[1] أنّ لك فى كلّ شىءٍ عذراً وحجّة، أىّ عذر [233] لك فى إخراجى إلى الرقّة حتّى كأنّى من العمّال المصادرين أو من أعداء دولة أمير المؤمنين؟»

قال: «أنا أخرجتك؟»

قال: «فمن أخرجنى؟»

قال: «مولاك[2] أمرنى بإخراجك.»

قال: «مولاى لم يأمر بذلك.»

قال: «معى حجّة بخطّه كتب إلىّ رقعة احتفظت بها لأنّها بخطّه يشكو

---

١. فى مط: هب لك أنّ لك.

٢. كذا فى الأصل ومط: مولاك. وفى مد: مولانا.

فيها أفعالك وقتاً بعد وقت وفتحك البلدان بالمؤن الغليظة ثمّ إغلاقك إيّاها بسوء تدبيرك وآثارك القبيحة.»

قال: «وأين الرقعة؟»

قال: «في أيديكم في جملة المهمّات التي أمرت بحفظها في السفط الخيزران المكتوب عليه بخطّي بالتحفّظ به من المهمات وفيها الأمر بإخراجك إلى الرقّة والتوكيل[1] بك حتّى تخرج.»

فأمر الخاقاني بإحضار السفط فوجده مختوماً بخاتم ابن الفرات ووجد فيه الرقعة بعينها وفيها جميع ما ذكر ابن الفرات بخطّ المقتدر فأخذها. ومضى مونس من وقته إلى المقتدر حتّى لقيه وأقرأه الرقعة فاغتاظ المقتدر على ابن الفرات غيظاً شديداً، فأمر هارون بضربه بالسوط. فمضى هارون حتّى ضرب ابن الفرات بين الهنبازين خمس درر فقط وقال له:

ـ «يا هذا أذعن بمالك.»

فأعطى خطّه بعشرين ألف دينار وقال:

ـ «هذا مالي.»

ثمّ أخرج المحسّن [234] في الوقت فضربه ضرب التلف، فلم يذعن بشيء بتّة.

فصار هارون بن غريب إلى المقتدر بالله واستعفى من مناظرة ابن الفرات وابنه وقال:

ـ «هؤلاء قوم ليس في عزمهم أن يؤدّوا شيئاً البتّة وقد استقتلوا.»

فأمر بتسليمهما إلى نازوك وبسط المكروه عليهما فأوقع نازوك بالمحسّن أنواع المكاره حتّى تدوّد بدنه ولم يبق فيه فضل لمكروه. وضرب أبا الحسن

---

١. في مط: التوكل.

ابن الفرات ثلاث دفعات بالقُلوس[١] فلم يذعن بدرهم واحد.

واستبطأ المقتدر بالله أبا القاسم الخاقانى الوزير وقال له:

ـ «ما رأيت شيئاً ممّا ضمنته من أموال ابن الفرات وابنه صحّ.»

فقال: «لأنّه لم يترك والتدبير.»

وإنّ ابن الفرات لمّا عدل به عن مناظرة الكتّاب وسُلّم إلى أصحاب السيوف يئس من الحياة فضنّ[٢] بالمال ونظر إليه ابنه فاقتدى به.»

وقال نازوك للمقتدر:

ـ «قد انتهيت بهؤلاء القوم من المكاره إلى الغاية حتّى إنّ المحسّن مع ترفه[٣] قد تدوّد بدنه وصبر بعد ذلك على مكاره عِظام لم يُسمع بمثلها وقد مضت له الآن أيّام لم يطعم طعاماً وإنّما يشرب الماء شرباً يسيراً وهو فى أكثر أوقاته مغشيّ عليه.»

فقال المقتدر بالله:

ـ «إذا كان الأمر كذلك فلابدّ من حملهما إلى دارى.»

فأظهر مونس [235] والجماعة:

ـ «إنّ الصواب فى ذلك.»

وقال الخاقانى:

ـ «قد وفّق الله[٤] أمير المؤمنين.»

وخرجت الجماعة من حضرته.

فأسرّ الخاقانى إليهم وهم بعد مجتمعون فى دار السلطان وقال:

---

١. فى مط: بالقلوس. والقَلس: حبل للسفينة ضخم.

٢. فى مط: نص. بدل «فضنّ» وهو تصحيف.

٣. فى مط: ترفهه.

٤. وزاد فى مد: رأى.

ـ «إن حُمل ابن الفرات إلى دار الخليفة بذل أسبابه[١] عنه وعن ابنه الأموال، وإذا وثق مع ذلك بالخليفة وحصل فى داره أخرج أمواله وتوثّق لنفسه ولابنه، فإذا أمن على نفسه تضمّن الجماعة وحمل الخليفة على تسليمها إليه ويطمعه فى أن يوفّر أرزاقها وإقطاعاتها وضياعها ويجمع له أموالاً جليلة خطيرة. والوجه أن يقع التجمّع من القوّاد واليمين على أنّهم إن وقفوا على أنّ ابن الفرات وابنه حُملا إلى دار الخليفة[٢] خلعوا الطاعة.»

فقال مونس:

ـ «هذا شيء إن لم نفعله لم يصفُ لنا عيش.»

وتجرّد لهذه الحال هارون بن غريب ونازوك فجمعا القوّاد ووجوه الغلمان الحجريّة وكان يلبق[٣] يستحلفهم.

ذكر مقتل أبى الحسن ابن الفرات وابنه المحسّن

ثمّ أجتمعوا بأسرهم إلى مونس ونصر وأظهروا ما فى نفوسهم. فأشار مونس بأن يلتمس القوّاد نقل ابن الفرات وابنه إلى دار مونس فإن مات المحسّن استبقى أبوه. فقال له [236] هارون بن غريب:

ـ «إذا مات المحسّن لم يصلح أن يستبقى أبوه وكيف يوثق به وقد قُتل ابنه حتّى يؤمن على المُلك؟»

ثمّ كاشفوا المقتدر بالله وقالوا بأجمعهم:

ـ «إن لم يُقتل ابن الفرات وابنه خلع الأولياء بأسرهم الطاعة.»

---

١. فى مط: اشابه، وهو تصحيف.

٢. فى مد: دار الخليفة.

٣. فى مط: بليق.

وواصل هارون بن غريب مخاطبة المقتدر في قتل هذين وقال:

- «لست آمن أن يجتمع الأولياء على البيعة لبعض بني هاشم، ثمّ لا يُتلافى الأمر.»

وأرادت الجماعة من الوزير الخاقاني التجريد في ذلك فقال:

- «لست أدخل في سفك الدماء وإنّما أشرت بألّا يُحملا إلى دار السلطان، فأمّا قتله فخطأ، لأنّه ليس ينبغي أن يُسهّل على الملوك ولا يُحسّن لهم قتل أحد، فإنّهم متى فعلوا ذلك خفّ عليهم قتل خواصّهم حتّى يأتوا عليهم بأدنى ذنبٍ وخطإٍ يكون منهم.»

فلمّا كان يوم الأحد لإثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر قُدّم إلى ابن الفرات طعامه فأمر برفعه وقال:

- «أنا صائم.»

وحضر وقت الإفطار فقُدّم إليه لمّا حضر وقت الطعام فقال:

- «لست أفطر الليلة.»

فحضر عنده من اجتهد به أن يفطر فقال:

- «أنا مقتول في غد لا محالة.»

فقيل له: [237]

- «أعيذك بالله.»

فقال: «بلى رأيت البارحة أخى أبا العبّاس رحمه الله في النوم وقال لي: أنت تفطر عندنا يوم الإثنين بعد غد وما قال قطّ في النوم[١] شيئاً إلّا صحّ وغداً الإثنين وهو اليوم الذى قُتل فيه الحسين بن عليّ صلوات الله عليه[٢].»

فلمّا كان من الغد وهو يوم الإثنين انحدر الناس إلى دار الخليفة، فلم

---

١. في الأصل: اليوم. وفي مط: النوم، كما أثبتناه.

٢. في مط: رضى الله عنهما.

يصلوا[١] فكتب هؤلاء الرؤساء بقتل ابن الفرات وابنه فأجابهم المقتدر أن:

ـ « دعونى أنظر فى ذلك.»

فكتبوا إليه: أنّه إن تأخّر قتل ابن الفرات وابنه عن هذا اليوم جرى على المملكة ما لا يتلافى.

وكتب المقتدر إلى نازوك بأن يضرب أعناقهما ويحمل رؤوسهما إلى حضرته فقال نازوك:

ـ «هذا أمر عظيم لا يجوز أن أعمل فيه بتوقيع.»

فأمر المقتدر الأستاذين والخدم بالخروج إليه برسالته بإمضاء ما كتب به فخرجوا إليه بذلك فقال:

ـ «لا أعمل على رسالة ولابدّ من مشافهة بذلك.»

وابن الفرات يراعى الخبر فلمّا قيل له إنّ الناس قد انصرفوا وإنّ نازوك انصرف إلى منزله سكن قليلاً ثمّ قيل له:

إنّ نازوك قد عاد إلى دار السلطان.

فاضطرب جداً وصار نازوك إلى دار الوزارة بعد الظهر من ذلك اليوم فجلس [238] فى الحجرة التى كان ابن الفرات معتقلاً فيها ووجّه بعجيب خادمه ومعه السودان حتّى ضرب عنق المحسّن وصار برأسه إلى أبيه فوضعه بين يديه فارتاع لذلك ارتياعاً شديداً وعُرض هو على السيف فقال لنازوك:

ـ «يا با منصور ليس إلّا السيف؟ راجع أمير المؤمنين فى أمرى فإنّ لى أموالاً عظيمة وودائع كثيرة وجواهر جليلة.»

فقال له نازوك:

ـ «قد جلّ الأمر عن هذا.»

---

١. كذا فى الأصل ومط.

وأمر به فضُربت عنقه وحُمل رأسه ورأس ابنه إلى المقتدر بالله فأمر بتغريقهما، فغُرّقا في الفرات وغُرّقت الجثتان في التمارين[١] ببغداد.

وكانت سنّ أبي الحسن ابن الفرات رحمه الله يوم قُتل إحدى وسبعين سنة وشهوراً وسنّ ابنه المحسّن ثلاثاً وثلاثين سنة.

حكم المنجّم في ابن الفرات وابنه

وقد كان حكم العاصمى المنجّم في تلك السنة أنّه يخاف فيها على ابن الفرات نكبة وتلفاً بالسيف وذكر ذلك في مولده الذى كان بين يديه. وحكم على مولد المحسّن أنّ عمره ثلاث وثلاثون سنة، فصحّ حكمه.

إطلاق القرمطىّ الحاجّ الأسرى عنده

وفى هذه السنة ورد كتاب الفارقي من البصرة يذكر أنّ كتاب أبى الهيجاء ابن حمدان ورد عليه من هجَر يذكر أنّه كلّم أبا طاهر القرمطى فى أمر من استأسر من الحاجّ [239] وسأل إطلاقهم فوعده بهم وأنّه أحصى من عنده منهم فكانوا من الرجال ألفين ومائتين وعشرين رجلاً ومن النساء نحو خمسمائة إمرأة.

ثمّ وردت الأخبار بورود قوم بعد قوم إلى أن كان آخر من ورد منهم أبو الهيجاء وأحمد بن بدر عمّ السيّدة. وقدم بقدوم أبى الهيجاء رسول أبى طاهر القرمطى يستدعي الإفراج عن البصرة والأهواز ونواحٍ أخر فأُنزل الرسول وأُكرم وأُقيمت له الأنزال الواسعة ثمّ صُرف ولم يقع إجابة إلى شيء ممّا التمس.

---

١. كذا في الأصل ومط: التمارين. في مد: الثمانين.

عدة حوادث

وفيها خُلع على نجح الطولوني ورُدّ إلى إصبهان لولاية أعمال المعاون بها.

وفيها ورد رسول ملك الروم ومعه أبو عُمير ابن عبد الباقي ووصل إلى السلطان وأوصله معه هدايا والتمس الهدنة والفداء فأُجيب إلى ذلك بعد الغزاة الصائفة وخُلع عليهما ورجع الرسول إلى بلد الروم.

وفيها خُلع على جنّى الصفواني وكان ورد من ديار مُضر واستدعى محاربة أبي طاهر القرمطي.

قدوم سليمان وابن مقلة
وعليّ بن عيسى إلى بغداد

وكان سليمان بن الحسن بن مخلد وأبو عليّ ابن مقلة مبعدين بشيراز في يد أبي عبد الله جعفر بن القاسم الكرخي. فذكر أبو عليّ أنّه كان مجتمعاً مع سليمان في دار [240] واحدة مصونين مكرمين، فورد عليه الخبر بالقبض على ابن الفرات، وكان أبو الحسن ابن أبي البغل معتقلاً في يد صارفه جعفر بن القاسم الكرخي. قال: فاطّلعت الجماعة على الخبر وكان ابن أبي البغل قد وقف على ما كان رسمه ابن الفرات والمحسّن في أمره فحين وقف على الخبر وقّع في حاشية التقويم:

ـ «وفي هذا اليوم وُلد محمّد بن أحمد بن يحيى وله إحدى وثمانين سنة.»

ولمّا وقف الكرخي على الخبر أطلق أبا عليّ ابن مقلة وسليمان بن الحسن وهنّأهما بالسلامة قبل أن يرد عليه كتاب بإطلاقهما، ثمّ ورد كتاب الخاقاني على المسمعي والكرخي بإطلاقهما ومراعاتهما حتّى لا يخرجا من

شيراز فأقام سليمان مدّة أسبوع حتّى أحكم أمره.

ودعا المسمعى جعفر بن القاسم الكرخى دعوة عظيمة وأقام على حال سرور[١] يومين متواليين، فخفى عنهما الخبر فى خروج سليمان وكان خرج فى زىّ الفيوج. فلمّا كتبا إلى الخاقانى بهرب سليمان عظُم عليه واشتدّت الأراجيف بوزارة سليمان ودخل سليمان بغداد مستتراً وأقام أبو علىّ ابن مقلة بشيراز إلى أن توصّلت زوجته إلى أسباب الخاقانى وعنى به شفيع المقتدرى وأمر الخاقانى بإطلاقه [241] والإذن له فى المصير إلى الأهواز، وكتب له بإجراء مائتى دينار فى كلّ شهر عليه ومنعه من الخروج، فأقام مدّة ثمّ أذن له فى قدوم بغداد بشفاعات الناس له[٢].

وفيها خاطب مونس المظفّر الوزير الخاقانى فى أمر علىّ بن عيسى وأن يكتب إلى أبى جعفر صاحب اليمن بالإذن له بالرجوع إلى مكّة فكتب إليه بذلك فأذن له أبو جعفر وحمل إليه طيباً وكسوة وآلات نحو خمسين ألف دينار وعاد علىّ بن عيسى إلى مكّة مع حاجّ اليمن.

فلمّا حصل بها قلّده الخاقانى بمسألة مونس الإشراف على مصر والشام. وكتب علىّ بن عيسى لمّا وصل إلى مكّه وقبل تقلّده الإشراف على مصر والشام إلى الوزير الخاقانى كتاباً يهنّئه فيه بالوزارة ويعزّيه بأبى على أبيه ويسأله صيانة أهله وولده والعناية بهم فى ضيعته ومعيشته. فأجابه الخاقانى بجواب جميل وأنّه قد رعى[٣] حقّه فى أهله وولده وحاشيته غير معتدّ عليه ولا متحمّد به.

---

١. كذا فى الأصل: سرور. وفى مط: مرور.

٢. فى مط: إليه.

٣. كذا فى الأصل ومط: يديه. وفى مد: بدنه.

ذكر الأسباب التى اتّفقت على الخاقانى حتّى صُرف عن الوزارة

كان أبو العبّاس ابن الخصيبى وقف على مكان زوجة المحسّن بنت حنزابة فسأل أن يولّى النظر [242] فى أمرها واستخراج مالها. ففُعل ذلك واستخرج منها سبعمائة ألف دينار وصحّحها فى بيت مال الخاصّة. فتمهّدت له بذلك حال جليلة عند المقتدر ورشّحه للوزارة وبلغ ذلك الخاقانى فحمل ابن بَعد شَرّ على أن بذل خطّه أنّه يستخرج من الخصيبى[١] مائة ألف دينار معجّلة وصلت إليه من مال المحسّن وزوجته زيادة على ما صحّحه من هذه الجهة.

وعرض الخاقانى الرقعة فلم تقع موقعها واتصل الخبر بأبى العبّاس الخصيبى فكتب إلى المقتدر رقعة يذكر فيها معايب الخاقانى وابنه وكتّابه وضياع الأموال وفساد التدبير وسلّمها إلى من يعرضها على المقتدر والسيّدة.

وبلغ ذلك الخاقانى واشتدّت به الأراجيف وضعفت نفسه وكان عليلاً فزادت عليه حتّى أقام شهوراً لا يقدر على أكل لحم حمل ولا طائر وكان يأكل كلّ يوم وزن أربعين درهماً خبزاً، ثمّ صار عشرين درهماً، وظهر به ورم فى يديه[٢] ورجليه ووجهه وكان يتجلّد ويركب فى كلّ شهر مرّة أو مرّتين إلى دار السلطان وينوب عنه ابنه فى أيّام المواكب.

فشغب الفرسان لطلب أرزاقهم وخرجوا إلى المصلّى فوعدوا به وتأخّر عنهم [243] فعادوا وطمعوا فى النهب.

وأشرفت بغداد على فتنة عظيمة وخرج إليهم ياقوت بتوقيع المقتدر بالله

---

١. فى مط: الحصنى.

٢. كذا فى الأصل ومط: يديه. وفى مد: بدنه.

إلى الخاقانى بإطلاق رزقة تامّة لهم وضمن ياقوت ذلك. فراسل المقتدر الوزير الخاقانى بإطلاق نفقاتهم، فذكر أنّه لا يقدر على ذلك وكان عليلاً، فعاوده برسالة يأمره فيها أن يحتال فى مائة ألف دينار ليضيف إليها مائتى ألف دينار ينفق فيهم. فأقام على أنّه لا يقدر على احتيال مائة ألف درهم وأنّ له فى توجيه مال النوبة للرجّالة ومال الغلمان الحجريّة والحشم وخلفاء الحجّاب شغلاً طويلاً. فتقدّم المقتدر بإخراج ثلاثمائة ألف دينار من بيت مال الخاصّة واعتمد على ياقوت فى تفرقتها.

وكان مونس المظفّر بواسط فاستدعاه المقتدر لمّا شغب الفرسان فوافى[1] وتلقّاه الأمير أبو العبّاس والوزير الخاقانى ونصر وسائر الأستاذين والقوّاد ولقى المقتدر فعرّفه ضيق الأموال وتبلّح الخاقانى وشاوره فى صرفه، فأشار عليه بالتوقف ليلقاه ويواقفه. فلقيه مونس فعرّفه الخاقانى أنّه لا حيلة له فى شىء يصرفه فى المهمّ واحتجّ بأنّه عليل لا فضل فيه للعمل.

فأشار مونس [244] لمّا رأى تبلّح الخاقانى الشديد باستحضار علىّ بن عيسى وتقليده الوزارة، فاستبعد المقتدر ذلك فأشارت السيدة والخالة بأبى العبّاس الخصيبى فقبض على الخاقانى واستتر ابنه عبد الوهّاب وإسحاق بن على القُنّاى وأخوه وابن بَعد شَرّ وخاقان بن أحمد بن يحيى بن خاقان وظهر الباقون.

فكانت مدّة وزارته سنة واحدة وستة أشهر.

ذكر سبب وزارة أبى العبّاس الخصيبى

واستحضر المقتدر أبا العبّاس الخصيبى وهو أحمد بن عبيد الله يوم

---

١. فى مط: فوافاه.

الخميس لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان. فقلّده الوزارة والدواوين وخلع عليه وركب معه هارون بن غريب وياقوت ونازوك وأكثر القوّاد، واستكتبت ثمل القهرمانة مكانه على ديوان ضياع السيّدة أبا يوسف عبد الرحمن بن محمّد وكان قد تاب من عمل السلطان. فلمّا أسند إليه هذا العمل الجليل كسر التوبة فسمّاه الناس المرتد، واستدرك أموالاً جليلة كان الخصيبى أضاعها، فتنكّرت ثمل للخصيبى فى الباطن.

وكان أبو العبّاس الخصيبى يواصل شرب النبيذ بالليل والنوم [245] بالنهار فى أيّام وزارته كلّها، وإذا انتبه يكون مخموراً لا فضل فيه للعمل، فردّ فضّ الكتب الواردة من عمّال الخراج والمعاون وقرائتها والتوقيع عليها وإخراجها إلى الدواوين، وقراءة الكتب النافذة والتعليم عليها إلى مالك بن الوليد، ويعمل جوامع مختصرة للمهمّ ممّا يرد وينفذ فيعرضه عليه إذا انتبه فربّما قرأه وربّما لم يقرأه فيقرأه أبو الفرج إسرائيل ويوقّع فيه على حسب رأيه.

وكانت الجوامع تعمل بخطّ أبى سعيد وهب بن إبراهيم بن طازاذ فتبقى أيّاماً بحضرته فإذا كثرت تقدّم بأن يقرأ عليه ويتقدّم بالتوقيع تحت كلّ فصل بما عنده فيه ويخرج ذلك الجامع إلى مالك بن الوليد فيبقى عنده يوماً أو يومين ثمّ يخرج إلى صاحب الديوان فيقرأه ويوقّع تحته بما يراه ويُجاب عن الكتاب من الديوان بما ينفذ إلى صاحب الديوان فيقرأه ويعلم عليه وإلى أن ينفذ الجواب ما قد تمرّدت البثوق واتسعت[1] الفتوق واحتملت الأعراب الغلاّت وحدثت الحوادث المفسدة لمعنى ذلك الكتاب.

فلمّا رأى الكلوذانى ذلك ورأى الضرر يزيد والخطأ لا يتلافى كتب إلى العمّال بأن ينفذوا نسخة لما يكتبونها إلى الوزير إليه [246] فكانوا يكتبون

---

١. فى مط: وانشقّت.

إليه نسخاً بما ينفذ منهم إلى الوزير فيوقّع علي ظهرها بما يجابون به وتخرج إليه الكتب المكتوبة عن الوزير بعد جمعة وأكثر.

وتقدّم الوزير الخصيبي إلى الحسن بن ثوّابة بأن يقرأ قصص المتظلّمين ويوقّع عنه فيها في غير يوم المظالم ويجمع القصص في يوم المظالم ويختصر ما في الرقعة فإذا قرأها وقّع بحسبه وكان أكثر أعتماده على أموال المصادرين. وكان أوّل المصادرين أبو القاسم الخاقاني واعتنق مونس أمره وذكر للمقتدر أنّه لا فضل فيه للحركة[١] وأنّه قد قرّر أمر مصادرته عن نفسه وابنه وكتّابه المختصين به على مائتي ألف وخمسين ألف دينار. فأمضى المقتدر ذلك وأنفذ خطّه به إلى الخصيبي ووضع الخصيبي، يده على العمّال والكتّاب وجازفهم[٢] فيما صادرهم عليه، فصادر جعفر بن قاسم الكرخي على مائة وخمسين ألف دينار وقبض على المالكي وعلى هشام وعليّ بن الحسين بن هندى وورثة أبي أحمد الكرخي والحسن بن أبي الحسن ابن الفرات ويحيى بن عَمْرُويَه وأبي الحسن بن مابنداذ وإسحاق بن إسماعيل النوبختي ومحمّد بن يعقوب المصري وورثة نصر بن الفتح صاحب بيت المال [247] وابن عبد الوهّاب وعبد الله بن جُبير.

وكثُرت الأراجيف بالخصيبي وأنّه مصروف عن الوزارة، لأنّه حمار لا يحسن شيئاً غير المصادرات وهو مشغول بالشرب واللعب وأنّ الأمور كلّها ضائعة والمهمّات واقفة، وأرجف بالوزارة لجماعة.

وفيها كانت وقعة أبي طاهر سليمان بن الحسن القرمطي بالكوفة وأسر قوّاد السلطان.

---

١. في مط: لا فضل للحركة.

٢. في مد: جاذمهم، خلافاً للأصل ومط.

ذكر الخبر عن دخول القرمطي الكوفة

كان جعفر بن ورقاء يتقلّد أعمال الكوفة وطريق مكّة. فلمّا شخص الحاجّ من بغداد تقدّمهم خوفاً من أبي طاهر القرمطي وكان معه ألف رجل من بني عمّه من بني شيبان، ثمّ خرج في القافلة الأولى ثمل صاحب البحر وفي قافلة الشمسة[1] جنّي الصفواني وطريف السُبكري وسياشير الديلمي. فكانت عدّة من بذرق بالقوافل من أصحاب السلطان ستة آلاف رجل[2]. فتلقاهم أبو طاهر الجنّابي وكان أوّل من لقي جعفر بن ورقاء فناوشه قليلاً، ثمّ طلع على جعفر قوم من أصحاب أبي طاهر على نُجب يقودون خيلاً فنزلوا عن النُجب وركبوا الخيل وخالطوا جعفر بن ورقاء فلم يثبت لهم وانهزم [248] بمن معه من بني شيبان فلقي القافلة وقد نزلوا من العقبة فردّهم وأخبرهم الخبر فولّوا مبادرين حتّى دخلوا الكوفة.

وتبع أبو طاهر رجال السلطان والقوافل حتّى بلغ باب الكوفة فخرج قوّاد السلطان الذين ذكرناهم، فأوقع بهم وهزمهم وأسر جنّياً الصفواني، وأقام أبو طاهر بظاهر الكوفة ستّة أيّام يدخل البلد بالنهار ويخرج بالليل فيبيت في معسكره ويحمل كلّ ما قدر على حمله. فكان في جملة ما حمل أربعة آلاف ثوب وشي وثلاثمائة راوية زيت. فلمّا حمل كلّ ما قدر عليه رحل إلى بلده.

ودخل جعفر بن ورقاء وجماعة المنهزمين إلى بغداد فتقدّم المقتدر بالله إلى مونس بالخروج إلى الكوفة لمحاربة القرمطي، واضطرب أهل بغداد اضطراباً شديداً وانتقل أكثر أهل الجانب الغربي إلى الجانب الشرقي ودخل

---

١. وفي صلة عريب (ص ١١٩): وأسر مازج الخادم صاحب الشمسة... وأخذت القرامطة الشمسة.

٢. في مط: ني ألف رجل، بدل «ستة آلاف رجل».

مونس الكوفة وقد رحل أبو طاهر الجنّابى عنها فاستخلف مونس بها ياقوتاً وسار هو إلى واسط ولم يتمّ الحجّ لأحد.

ودخلت سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة [249]

وفيها ورد الخبر بمسير(١) علىّ بن عيسى إلى مكّة حاجّاً فى هذه السنة من مصر وورد سلامة حاجبهُ بغداد ومعه سفاتج بمائة ألف وسبعة وأربعين ألف دينار وبآثار واستدراكات أثرَها. وكان الخصيبى قد أقرّ علىّ بن عيسى على ما كان إليه من الإشراف على مصر والشام.

وفيها فتح إبراهيم المسمعي ناحية القُفْص(٢) وأسر منهم خمسة آلاف إنسان وحملهم إلى فارس.

وفى هذه السنة كثرت الأرطاب ببغداد حتّى عُمل منها التمور وحُملت إلى البصرة فنُسبوا إلى البغى.

وفيها كتب ملك الروم إلى أهل الثغور يرسم لهم أداء الخراج إليه ويقول:
- «إن فعلتم ذلك طائعين وإلّا قصدتكم فقد صحّ عندى ضعفكم.»

ودخلت سنة أربع عشرة وثلاثمائة

وفيها دخل الروم ملطية فأخربوا وسبوا وأقاموا ستّة عشر يوماً.
وفيها وصل ثمل إلى عمله من الثغور عند انصرافه من بغداد.
وفيها مات أبو القاسم عبد الله بن محمّد الخاقانى وكان أُطلق إلى منزله. فلمّا ارتفعت الصرخة [250] بوفاته كُبست داره لطلب عبد الوهّاب ابنه فلم

---

١. فى الأصل: بمصير. فى مط: بمصر. والأنسب والأصحّ: بمسير.
٢. القُفْص (= القُفْس): جبل بكرمان أهله كالاكراد. يصفه صاحب المراصد بقلّة الرحمة والفساد فى الأرض.

يُوجد.

وفيها دخل أهل ملطية بغداد مستغيثين ممّا نزل بهم من الروم.

وفيها خرج أهل مكّة منها ونقلوا حرمهم وأموالهم لاتصال خبر القرمطى بهم وأنّه قريب منهم فتخوّفوا على أنفسهم وأموالهم منه.

وكتب الكلوذانى(١) إلى الخصيبى بأنّ أبا طالب زيد بن علىّ النوبندجانى قد صار يجري مجرى أصحاب الأطراف وأنّه قد تغلّب على ضياع السلطان وأنّه يلزمه ممّا استغلّه منها ثلاثة آلاف ألف درهم.

وعمل بذلك عملاً أحال فيه على ما كان كتبه أبو القاسم علىّ بن أحمد بن بسطام وقت تقلّده فارس. وكتب إلى الحسن بن إسماعيل وكان شخص ليقرّر خلافاً كان بين المسمعى والكرخى بأن يصادره على مائة ألف دينار فاستدعى الحسن بن إسماعيل أبا طالب زيد بن علىّ وأخذ خطّه بمائة ألف دينار.

ذكر تدبير سيئ دبّره الخصيبى أخرج به أكثر المماليك عن يده ولم يمكن تلافيه

دبّر الوزير أبو العبّاس الخصيبى أن يقلّد يوسف بن ديوداذ جميع نواحى المشرق ليسلّم أموالها إليه فيكون مع مال ضمانه أرمينية وأذربيجان مصروفة إلى قوّاده وجنده [251] وغلمانه، وكاتبه فى المصير إلى واسط لينفذه إلى هَجَر لمحاربة أبى طاهر الجنّابى وأشار بتكنيته وبأن يكون مونس المظفّر ببغداد ليقوى بمكانه أمر الخلافة وتعظم الهيبة فى قلوب الأعداء.

فلمّا قرب(٢) ابن أبى الساج من واسط وكان فيها مونس المظفّر رحل

---

١. فى مط: الكلواذانى.

٢. فى مط: خرب.

مونس إلى بغداد ودخل ابن أبى الساج واسط وأنفذ قبل وصوله إليها أبا علىّ الحسن بن هارون كاتبه وكان يخدمه فى خاصّ أمره على سبيل الخلافة لأبى عبد الله محمّد بن خلف النيرمانى كاتبه واختصّ به وخفّ على قلبه، فصار إلى بغداد ليواقف الخصيبى على مال رجاله وأموال الأعمال التى كانت معقودة عليه والأموال التى جعل مالها مصروفاً إلى رجاله زيادة على الأموال المتقدّم ذكرها، فإنّ الخصيبى جعل أموال الخراج والضياع بنواحى همذان وساونة ورونة وقمّ وماه البصرة وماه الكوفة والإيغارين[١] وماسبذان ومهرجانقذق لابن أبى الساج لمائدته لمحاربة الجنّابى.

فأمضى المقتدر ذلك وتقدّم بتقليده أعمال الصلاة والمعاون والخراج والضياع بسائر كور[٢] الجبل وأنفذ إليه اللواء وكنّاه. فكان يوسف يتكنّى [252] على جميع الناس إلّا على الوزير ومونس المظفّر.

والتمس الحسن بن هارون أن يجعل لابن أبى الساج مائدة مبلغها فى الشهر خمسة ألف دينار وقال:

ـ «ليس هو بدون أحمد بن صعلوك.»

وكان قد جُعلت له مائدة فى أيّام وزارة حامد بن العبّاس مبلغها ثلاثة آلاف دينار فى الشهر وجعل له عشرة آلاف دينار فى كلّ شهرين من شهور المماليك لأرزاق غلمان لا يحضرون. وسام الكتابُ الحسن بن هارون أن يشرط على نفسه أن يُنفذ السلطان مُنفقاً يُنفق أموال تلك النواحى فى رجالة غلمانه،[٣] فاستجاب إلى جميع ما طالبوه به وأعطى خطّه إلّا أمر المُنفق[٤]

---

١. الإيغاران: سُمّيا بذلك، لأنّهما أوغرا لعيسى ومَعْقِل، وهما: الكَرَج والبُرْج (مراصد الإطلاع).
٢. فى مط: كون.
٣. فى مد: رجاله وغلمانه. وما أثبتناه مطابق لما فى الأصل ومط.
٤. كذا فى الأصل: أمر المُنفق. فى مط: الأمر المنفق. وفى مد: إلّا بامر المنفق.

فإنّه زعم أنّ صاحبه لا يصوّر نفسه عند أصحاب الأطراف بصورة من لم يوثق به على مال رجاله.

ولمّا عقد لابن أبى الساج على الجبل وندب لمحاربة القرمطى عقد لصاحب خراسان على الرىّ فصار إلى الرىّ وأنفذ إليه من يخاطبه على المال الذى وُوقف على حمله من الرىّ. وصار ابن أبى الساج إلى الرىّ وحمل إليه المقتدر خلعاً سلطانيّة وسيفاً ومنطقة ذهب وخيلاً بمراكب ذهب وفضّة وطيباً وسلاحاً. [253]

ذكر الخبر عن القبض على الخصيبى وتقليد علىّ بن عيسى الوزارة

أضاق أبو العبّاس إضاقة شديدة واضطرب أمره وأشار مونس بعلىّ بن عيسى فأنفذ ضحوة نهار يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة خلت من ذى القعدة إلى الخصيبى حتّى قُبض عليه وعلى ابنه وكتّابه وحُملوا إلى دار السلطان وحُبسوا عند زيدان القهرمانة. وفُرّق بين الخصيبى وبين ابنه وحُمل باقى المعتقلين إلى دار الوزارة بالمخرّم فاعتقلوا فيها، وأنفذ نازوك وقت قبضه على الخصيبى حتّى حُفظت داره القديمة من النهب.

واستدعى المقتدر أبا القاسم عبيد الله بن محمّد الكلوذانى وأوصله إلى حضرته وعرّفه أنّه قد قلّد أبا الحسن علىّ بن عيسى الوزارة وأنّه قد استخلفه له ويقدم إليه بالنيابة عنه واستحضر سلامةَ الطولونى وتقدّم إليه بالنفوذ فى البرّيّة إلى دمشق واستحضار علىّ بن عيسى منها.

وانصرف أبو القاسم الكلوذانى من دار السلطان فى الطيّار الذى قُبض على الخصيبى إلى دار الوزارة بالمخرّم ونظر فى الأعمال وكتب إلى العمّال فى النواحى وإلى جميع الأمراء وأصحاب البُرُدِ والخبر والقضاة بما قلّد علىّ بن

عيسى من [254] الوزارة واستخلاف أمير المؤمنين إيّاه وأمر ونهى وصرف وولّى.

وظهر فى ذلك اليوم أبو علىّ ابن مقلة وأبو الفتح الفضل بن جعفر ابن حِنزابة وصارا إلى الكلوذانى وسلّما عليه.

ذكر خلافة أبى القاسم الكلوذانى لعلىّ بن عيسى وتمشيته للأمور

قد كان جمع الخصيبى عنده جميع رقاع المصادَرين وكفالات من كفل منهم وضمانات العمّال بما ضمنوا من المال بالسواد والأهواز وفارس والمغرب، وكان عنده خطّ كاتب المِسمعى عن مال فارس[١] بما يعجّله عن الزيادة فى ضمانه وهو ألف ألف درهم وخطّ سليمان بن الحسن بما استدركه على ابن[٢] عبد الوهّاب وهو أربعمائة ألف دينار وكسر، وما ضمن حمله عن أعمال الشام وهو خمسمائة ألف دينار، وخطوط ضُمّناء واسط والبصرة وطريق خراسان والنهروانات ونهر بوق والذنب الأسفل وجازر والمدينة العتيقة وغيرهم. فحفظ جميع ذلك الكلوذانى إلى أن قدم علىّ بن عيسى فسلّمه إليه.

وأدّى نُصير بن علىّ إليه مائتى ألف درهم وأحمد بن إسحاق بن زريق عشرة آلاف دينار وورد بعد أسبوع من صرف الخصيبى فَيْجٌ بكتب سليمان بن الحسن وفى درجها سفاتج [255] بثمانين ألف دينار. وورد ما كان حمله علىّ بن عيسى على الظهر من مال مصر ووصل من جهة البرجمالى من قمّ عشرة آلاف دينار ووردت من جهة أبى علىّ ابن رستم من مال الضمان

١. فى مط: على حال فارس، بدل «عن مال فارس».
٢. كذا فى الأصل ومط: ابن عبدالوهّاب. فى مد: ابنى عبدالوهّاب.

سفاتج بأربعمائة ألف درهم فكان ذلك سبب تمشيته الأمور.

واتفق الكلوذانى فى سائر المرتزقة وفى الفرسان قبل العيد ولم يزل أبو القاسم الكلوذانى يدبّر الأمور وقد تمكّنت الهيبة لعلىّ بن عيسى فى الصدور فاستعان بذلك على أمره.

وسار علىّ بن عيسى من دمشق إلى جسر مَنْبِج[١]، ثمّ انحدر فى الفرات إلى بغداد وشخص الناس فى استقباله سنة خمس عشرة، فمنهم من أبعد إلى الرقّة.

ودخلت سنة خمس عشرة وثلاثمائة[٢]

ذكر ما دبّره علىّ بن عيسى فى وزارته هذه وما جرى فى أيّامه

وصل علىّ بن عيسى إلى بغداد وبدأ بدار المقتدر ووصل إلى حضرته بعد عشاء الآخرة ومعه مونس. فخاطبه أجمل خطاب وانصرف إلى منزله ووجّه المقتدر إليه فى ليلته بكسوة فاخرة وفرش ومال يقال إنّه بقيمة عشرين ألف دينار، وخلع عليه [256] من الغد، وسار معه مونس المظفّر إلى أن بلغ داره وحلف عليه علىّ بن عيسى فنزل فى داره، وسار بين يديه هارون ابن غريب وشفيع ومفلح ونسيم وياقوت ونازوك وجميع القوّاد حتّى وصل إلى داره بباب البستان.

وكان قد ضرّب علىّ بن عيسى على هشام فتأخّر عنه واستوحش فكاتبه وونّسه حتّى حضر مجلسه ثمّ قال له:

---

١. منبج: على وزن مسجد، بلد قديم كبير واسع بينه وبين الفرات ثلاثة فراسخ، وإلى حلب عشرة فراسخ (مراصد الإطلاع).

٢. السطر ساقط فى مط.

ـ «ما مذهبي أن أذكر إساءة لأحد من الناس ولما خلّصني الله من صنعاء وعدت إلى مكّة عاهدت الله على ترك الإساءة إلى أحد ممّن سعى علىّ في ولايتي ونكبتي ووكلت جميعهم إلى الله ولك خدمة متقدّمة توجب لك[١] حقاً وعليك أضعافه فإن كنت لا ترعى ذلك فلن أدع رعايته.»

وقلّد علىّ بن عيسى الكلوذاني ديوان السواد وقال له:

ـ «هذا أجلّ الدواوين ومتى تشاغلتَ بخلافتي اختلّ وليس يقوم به أحد كقيامك.»

ثمّ نظّم الأعمال[٢] وقلّد العمّال ورتّب الدواوين واعتمد على إبراهيم بن أيّوب في إثبات أمر المال[٣] بحضرته وفي موافقة صاحب بيت المال على ما يطلقه وينفقه في كلّ يوم ومطالبته بالرُّوزْنامَجات [257] في كلّ اسبوع ليتعجّل معرفة ما حلّ وما قبض وما بقي. وكان الرسم إذا عُملت الختمة لم يرفع إلى الديوان للشهر الأوّل إلّا في النصف من الثاني.

وقلّد أبا الفتح الفضل بن جعفر بن حِنزابة ديوان المشرق، وأبا بكر محمّد بن جنّي ديوان المغرب، وأبا علىّ ابن مقلة ديوان الضياع الخاصة والمستحدثة، وأبا محمّد الحسين بن أحمد المادرائي ديوان الضياع الفراتيّة، وأبا محمّد بن روح ديوان زمام الخراج والضياع العامّة بالسواد والأهواز وفارس وكرمان وما يجري فيه.

وقلّد أبا القاسم ابن النّفاط ديوان زمام النفقات والخزائن. وأبا جعفر القمّي ديوان الدار، وأبا أحمد عبد الوهّاب بن الحسن ديوان البرّ وديوان الصدقات، وأبا الفتح محمّد بن أحمد قلنسوة ديوان زمام الجيش، ومحمّد بن عيسى

---

١. في مط: ذلك، بدل «لك».
٢. في مط: الأموال.
٣. في مط: الحال.

ديوان الحرم، وأبا يوسف ديوان الفضّ والخاتم.

وقلّد أيضاً كفاة العمّال واقتصر فى أرزاقهم على عشرة أشهر فى كلّ سنة وبأصحاب البُرُد والمنفقين على ثمانية أشهر فى كلّ سنة. وحطّ من مال الرجّالة برسم النوبة ومن مال الفرسان وجميع أرزاق من كان يرتزق بهذين الرسمين [258] من الكتّاب والتجار ومن لا يحمل السلاح. وحطّ أولاد المرتزقة الذين فى المهود وحطّ من مال الخدم والحشم وجميع أرزاق الجلساء والندماء والمغنّين والتجّار وأصحاب الشفاعات. وحطّ أرزاق غلمان وأسباب أصحاب الدواوين. ولازم النظر بنفسه فى العمل ليلاً ونهاراً والجلوس لأصحاب الدواوين فى الليل وكان يسهر أكثر الليل حتّى استقامت الأمور وتوازن الدخل والخرج.

وكان إلى أبى عبد الله البريدى فى الوقت الضياع الخاصّة ضماناً واقطاع الوزراء. وكان أبو يوسف البريدى يتولّى لعلىّ بن عيسى الخراج برامهرمز سهلها وجبلها.

شرح ما جرى بين الوزير أبى الحسن علىّ بن عيسى وبين أبى العبّاس أحمد بن عبيد الله من المناظرة

تقدّم المقتدر إلى أبى الحسن علىّ بن عيسى بمناظرة أبى العبّاس الخصيبى. فأُخرج إليه وناظره فى دار السلطان بحضرة الأستاذين والقوّاد والقضاة مناظرة جميلة وسأله عن مبلغ ما أنفق بالحضرة من بيت المال فلم يحفظه. وسأله عمّا صحّ له من مال المصادَرين وعن رقاعهم [259] بالمصادرات وعن كفالات من كفل منهم وعن ضمانات ما ضمنه عنهم. فقال:

- «أمّا المصادرات فقد صحّ لى منها فى مدّة أربعة عشر شهراً تولّيت فيها الوزارة نحو ألف ألف دينار.»

فقال له:

- «كم منها من جهة الخاقانى فإنّ أمير المؤمنين عرّفنى أنّك ضمنتهم بخمسمائة ألف دينار.»

فقال: «دفع[١] عنه مونس المظفّر.»

فردّت الجماعة قوله وقالوا له:

- «قد سُلّم إليك حتّى شُنّع عليك بأنّك سممته ثمّ أطلقته.»

ثمّ قال له علىّ بن عيسى:

- «لأىّ شىء استحضرت يوسف بن أبى الساج إلى واسط وسلّمت إليه أعمال المشرق بأسرها سوى إصبهان وكيف وقع لك أنّه يجوز أن يخرج هو مع قوم اعتادوا الجبل والمقام فيه فى طريق البرّ يقصدون طريق السواحل فى بلدان حوالى[٢] هَجَر؟»

قال: «كان عندى أنّ هذا صواب.»

فقال له:

- «فحيث فعلت ذلك لِمَ لم تقتصر على أن يعرض[٣] رجاله وغلمانه ويُجرى مال عسكره مجرى مال عسكر مونس المظفّر، فإنّه يسبّب له مال ويطلّق على أيدى منفقين من قبل السلطان ويُرفع الحساب بذلك إلى دواوين الجيش ولا يقتصرون على ديوان منها دون جميعها ولا يُزاد أحد [260] ولا يُنقل عنه من رسم إلى رسم إلّا على استقبال معروف ثمّ يُوفّر المعطون كلّ

١. فى مط: أدفع، بدل «دفع» وهو خطأ ليس فريداً من مط.

٢. فى مط: حوال.

٣. فى مط: تعرض.

شهر من التوفيرات بسبب الغُرم ولأجل سقوط من يسقط جملة من المال ولِمَ لم تترك الأعمال فى أيدى عمّال السلطان ويسبّب له عليهم مال رجاله كما يسبّب مال رجال أبى الحسن مونس المظفّر؟»

قال: «لم أفعل هذا لأنّه تكلّف من هذا الأمر عظيماً احتيج معه إلى فضل مسامحة.»

فقال له:

ـ «فلأىّ سبب ضمّنت إبراهيم بن عبد الله المسمعى أعمال فارس وكرمان؟»

فقال: «لأجل زيادة بذلها.»

فقال له:

ـ «أما علمت أنّ حفظ الأصول أولى من طلب الأرباح؟ وهَبْك رغبت[1] فى الزيادة لِمَ لم تستدعه إلى الحضرة فإذا وردها وأردت تضمينه أقام بها واستعمل على العمل خلفاءه وأقام لك الضمناء الثقات بالمال ومضى بعد ذلك.»

فقال: «إنّما رغب فى الضمان ليعمله بنفسه.»

فقال علىّ بن عيسى:

ـ «أرجو أن يسلّمه الله.»

ثمّ قال:

ـ «لم قبضت جارىَ إبنك محمّد ألفى دينار فى كلّ شهر وهو لا يقرأ كتاباً ولا يحضر ديواناً ولا يُحسن أن يعمل شيئاً؟»

قال: «سألت أمير المؤمنين له رزق المحسّن وعبد الوهّاب بن الخاقانى

---

١. فى مط: رغبة، بدل «رغبت».

[261] فأجابني إليه.»

قال: «المحسن رُبّى في الدواوين ودبّر الأمور وكان مع شرّه واستحلاله وقبح ديانته كاتباً، وابن الخاقاني كان ينوب عن أبيه ويأمر وينهى ويخدم وهو فهم وابنك لا يجرى مجرى واحد منهما فاكتب خطّك انّك تردّ ما قبضه.»

فقال: «كيف أردّ مالاً قبضه ابني وأنفقه؟»

فقال له:

ـ «على أىّ شيء أنفقه؟»

قال: «على ما ينفق مثله الأحداث.»

ثمّ سأله عن أموال المصادرين وما صحّ من جهتهم فقال:

ـ «لا أحفظه إلّا انّه ثابت في ديوان المصادرين.»

قال: «فعنه أسألك.»

قال: «هو عند هشام وإن سُئل عنه خبّر به،[1] فإنّ رقاع المصادرين والكفالات والأعمال في يده.»

فقال له:

ـ «ما سبقك أحد إلى تسليم خطوط المصادرين إلى صاحب ديوان المصادرات لأنّ سبيل الخطوط أن تكون في خزائن الوزراء محفوظة يتسلّمها وزير بعد وزير فإن كنت أردت عمارة الديوان فكان ينبغي أن تأخذ[2] الخطوط على نسختين: نسخة للديوان ونسخة تكون عندك. فلو باع صاحب الديوان رقاع المصادرين والكفالات وضمانات الضُّمناء هل كان على السلطان مضرّة [262] في هذا المال أعظم منك، وإذا كان هذا تدبيرك

١. والعبارة في مط: وإن سأل عنه خبّرته. بدل «وإن سُئل عنه خبّر به».
٢. في مط: أن أخذ.

فيما لم تكن تحسن سواه فأىّ شيء دبّرت غيره من أعمال الدواوين؟ فإمّا أن تكون خُنت الأمانة وإمّا أن لم تحسن ضبط شيء من الأعمال؟»

وكلّ ذلك يخاطبه به عن غير إسماع مكروه ولا صياح.

ثمّ قال:

ـ «غررت المملكة فضُرب النساء والحرم بالمقارع وهُتكت الستور بما فعلت من تسليمهنّ إلى الرجال فلأيّة حال سلّمت بنت جعفر بن الفرات إلى أفلح وهو رجل شاب جميل الوجه يتصنّع حتّى تزوّج بها فى حبسك[1] ولأيّة حال ضربت دولة وإنها بحضرتك، ثمّ لم ترض بذلك حتّى اعتقلت الجماعة في يد غلمانك وحجّابك عدّة شهور؟»

ثمّ قال:

ـ «ارتزقت لنفسك خمسة آلاف دينار فى الشهر يكون فى مدّة أربعة عشر شهراً سبعين ألف دينار سوى ما ارتزقه ابنك وأخذت من أقطاعك فى مدّة سنة وشهرين ما ثبت في الختمات الموجودة لجهبذك[2] فى ديوانك مائة وثمانين ألف دينار يصير الجميع مائتين وخمسين ألف دينار.»

ثمّ أخرج عملاً بخطّ علىّ بن محمّد بن رَوح بهذا المبلغ وبأنّه أنفق فى كلّ شهر من النفقات الراتبة ألفى وخمسمائة دينار تكون فى أربعة عشر شهراً خمسة وثلاثين ألف دينار [263] وفى النفقات الحادثة والصلات والمؤونة مع ثمن[3] الطيب والكسوة عشرين ألف دينار وفى ثمن عقارات أضافها إلى داره مع ما أنفقه على البناء أربعين ألف دينار وفى ثمن الهدايا فى النوروز والمهرجان إلى الخليفة وإلى الأميرين أبى العبّاس وهارون ابنيه وإلى السيدة

---

١. فى مط: جيشك، بدل «حبسك».

٢. والعبارة فى مط: ما ثبت فى الضمانات الموجودة لجندك.

٣. فى مط: الثمن الطيب.

والخالة وزيدان ومفلح خمسة وثلاثين ألف دينار. وفى ثمن بغال ودوابّ وجمال وخدم وغلمان عشرة آلاف دينار.

وفيما يحتاج إلى إنفاقه وصرفه إلى من برسم[١] دار الوزارة من خلفاء الحُجّاب والبوّابين وأصحاب الرسائل وإنزال الفرسان والرجّالة عشرين ألف دينار.»

فقال فى الجواب:

ـ «هذا عمل صحيح وليس كلّ ماأنفقته كتبته فقد كنت أصوغ لحُرمى وأولادى وأنفق نفقات أسترها عن كاتبى وما سرقت ولا خُنتُ.»

فقال له علىّ بن عيسى:

ـ «ما يقول أحد أنّك سرقت أو خُنت ولكنّك أضعت وأسأت التدبير ودخلت فيما لا تحسنه ولو أخذت أضعاف ما أخرجناه عليك لما ناظرك أمير المؤمنين فيه لاسيّما وهو منسوب إلى أرزاقك وإقطاعك ونفقات معروفة لك، وكيف نناظرك فى ذلك وما نعيش [264] ولا أحد من كتّاب أمير المؤمنين إلّا فى نعمته وإحسانه ولنا ضياع استفدناها فى خدمته وخدمة أسلافه رضى الله عنهم.»

ولم يزل يرفق به إلى أن أخذ خطّه بأربعين ألف دينار يؤدّيها فى مدّة أربعين يوماً بعد أن حلف إنّه لا يتّجه له حيلة فى غيرها. وسلّم علىّ بن عيسى رقعته بها إلى مفلح وقال له:

ـ «تعرضها على أمير المؤمنين وتقول: إنّ هذا وإن كان قد غرّ[٢] من نفسه وأضاع وأهمل فقد تحرّم بخدمة أمير المؤمنين وحلف بأيمان بيعته على أنّه غاية ما يقدر عليه وليس له ذنب وإنّما الذنب لمن غرّك منه ولم ينصحك

١. فى مط: يرسم.
٢. فى مط: غيّر من نفسه.

في أمره.»

ثمّ كتب رقعة إلى المقتدر بقبول ما بذله الخصيبي ويحمله إلى ثمل القهرمانة إلى أن يؤدّي ما فورق عليه.

ذكر ما دبّره عليّ بن عيسى من الأمور في وزارته هذه

لمّا نظر عليّ بن عيسى في الأمور وجد أهمّ ما يحتاج إليه أمر الرجّالة المصافيّة وكان مبلغ مالهم في أيّامه ثمانين ألف دينار ومال رجال مونس المظفّر وهو ستمائة ألف دينار في كلّ سنة سوى مال الرجّالة معه ومال الحجريّة برسمه فانّه يطلق [265] مع أرزاق نظرائهم.

وكان يسبّب مال رجال مونس[١] على نواح اختارها مونس فإذا أزاح العلّة فيما ذكرناه نظر بعد ذلك في أمر مال خلفاء الحجّاب والحشم والمتطبّبين والفرسان برسم التفاريق والمنجّمين والفرّاشين والطبّاخين والساسة وسائر المرتزقة من الخدم. فخرج عليّ بن عيسى يوماً من حضرة المقتدر بالله ليركب في طيّاره فوثب به الخدم والحشم بألسنتهم وثوباً قبيحاً.

وورد الخبر على عليّ بن عيسى بأنّ إبراهيم بن المسمعي اعتلّ علّة حادّة وتوفّي بالنوبندجان فأشار عليّ بن عيسى بتقليد ياقوت أعمال الحرب والمعاون بفارس وتقليد أبي طاهر محمّد بن عبد الصمد أعمال المعاون بكرمان فخُلع عليهما وعُقد لهما لواءان.

وكتب عليّ بن عيسى إلى القاسم بن دينار بالمبادرة إلى فارس وقلّده أعمال الخراج والضياع بها وقلّد ما كان إليه من أعمال الأهواز أبا الحسن

---

١. في مط: يونس.

أحمد بن محمّد بن مابنداذ وابن السلاسل.

فحكى أبو الفرج ابن هشام قال: لمّا بلغ أبا عبد الله البريدى ما تـقلّده هؤلاء من أعمال الأهواز وما حولها قال:

ـ «يقلّد هؤلاء هذه الأعمال ويُقتصر بأخى أبى يوسف على سُرّق[1] وبى على ضمان الضياع [266] الخاصّة، خذ يا أبا هشام هذا الكتاب ـ يعنى الكتاب الوارد عليه بما قلّد ـ وأعطه ابنك حتّى يمثّل عليه ويتعلّم منه الخطّ، فإنّ لطبلى صوتاً سوف تسمعه بعد أيّام.»

وكان أبو عبد الله البريدى أنفذ أخاه أبا الحسين إلى الحضرة لمّا بلغه اضطراب أمر علىّ بن عيسى ووافقه على أن يخطب له عمل الأهواز إذا تجدّدت وزارة لمن يرتفق، فإنّ علىّ بن عيسى يعفّ ولا يرتفق.

فلمّا تمّت الوزارة لأبى علىّ ابن مقلة صار أبو الحسين إلى أبى أيّوب السمسار وبذل له عشرين ألف دينار فقُلّد أخوه أبو عبد الله البريدى أعمال الأهواز سوى السوس وجنديسابور وقُلّد أبو الحسين الفراتيّة وأبو يوسف الخاصّة والأسافل على أن يكون المال فى ذمّته إلى أن يقع الوفاء لهم فوفى لهم وقبض المال.

وكتب أبو علىّ ابن مقلة فى القبض على أبى السلاسل فخرج أبو عبد الله بنفسه إلى تستر حتّى حصله وأسبابه ووجد له فى صناديقه وعند جَهْبَذه عشرة آلاف دينار فأخذها ووافقه على أن يصكّ بما كان عند الجَهْبَذ بنفقات باطلة وأخذ من كاتبه ألفى دينار ومن خليفته ثلاثة آلاف دينار [267] ومن حاجبه ألفى دينار.

وكان أبو عبد الله البريدى أحد دجّالى الدنيا وشياطينها.

---

١. فى مط: على سوق.

ثمّ كُثِّر على أبى علىّ ابن مقلة بأنّه أهّله لما لا يستحقّه فصرفه بأبى محمّد الحسين بن أحمد المادرائى وقلّده إشرافاً وقلّد الأصل جماعة من العمّال فما أحلى أبو محمّد ولا أمرّ وكان كاتبه علىّ بن يوسف وخليفته صحبته من الحضرة فبان من تجلّفه[1] وسقوطه ما صار به نكالاً وحديثاً.

وحسبك أنّ أبا عبد الله البريدى أخذ عليه الطرقات فكان كلّ ما كتب به يُؤخذ من رسله فما قُرِئَ له كتاب منذ دخل الأهواز إلى أن صُرف عنها.

ثمّ صرفه بعد ذلك أبو علىّ بأبى عبد الله البريدى وقال: ـ

ـ «اغتررت بطلّل ذلك الشيخ وما كلّ من يصلح للكتابة ينفذ فى العمالة[2].»

وعدنا إلى تمام حديث علىّ بن عيسى وما دبّره به المملكة

ولمّا أخرج إليه الإرتفاعات كان فيه مبلغ ارتفاع لضياع إقطاع الوزراء بعد نفقاتهم الراتبة مائة وسبعين ألف دينار. فكتب إلى المقتدر بأنّه غنىّ عن هذا الإقطاع وأنّه قد وفّر ماله فإنّ أمر ضيعته قد صلح وكذلك [268] وقفُه[3] بإعادته إيّاه إلى خدمته وأنّه يوفّر أيضاً رزق الوزارة وهو مع ألفى دينار أجريت لابن الخصيبى سبعة آلاف دينار فى كلّ شهر.

وكتب إليه المقتدر بالشكر وأنّه لابدّ من أن يقبض الرزق على الرسم فحلف علىّ بن عيسى إنّه لا يقبض رزقاً لهذه الخدمة لأنّ مذهبه ترك التنعّم.

---

١. فى الأصل إهمال وغموض (تخلّف، تجلّفه؟). فى مط: تخلّفه. ورُجّح فى مد: تجلّفه. وهو أنسب للسياق.

٢. الضبط فى الأصل: العُمالة، بضم العين.

٣. كذا ضُبط ما فى الأصل.

حوادث أخرى

وفيها شغب الفرسان برسم التفاريق وخرجوا إلى المصلّى فنهبوا القصر المعروف بالثريّا وذبحوا الوحش الذى فى الحائر وذبحوا البقر التى لأهل القرى التى حوله وخرج إليهم مونس وضمن لهم أرزاقهم فرجعوا إلى منازلهم.

وفيها خُلع على مونس للخروج إلى الثغر لأنّ ملك الروم دخل سميشاط وضرب فى مسجد الجامع بالنواقيس وصلّى فيه الروم صلاتهم.

وفيها ظهرت وحشة مونس المظفّر

ذكر السبب فى ذلك

كان السبب فى ذلك أنّ خادماً من خدم المقتدر بالله حكى لمونس انّ المقتدر تقدّم إلى خواصّ خدمه بحفر زُبية[1] فى الدار المعروفة بدار الشجر من دار [269] السلطان حتّى إذا حصل مونس فيها عند الوداع إذا أراد الخروج إلى الثغر، حُجب الناس وأدخل مونس وحده إلى ذلك الصحن، فإذا اجتاز على تلك الزُبية وهى مغطاة وقع فيها ونزل إليه الخدم وخنقوه ويُظهر أنّه وقع فى سرداب فمات. فامتنع مونس من دار السلطان وركب إليه جميع القوّاد والغلمان والحاشية وعبد الله بن حمدان وأخوته وأكثر العرب وخلت دار السلطان من الجند.

وقال عبد الله بن حمدان:

ـ «نقاتل بين يديك أيّها الأستاذ إلى أن تنبت لك لحية.»

---

١. الزُّبية: الحفرة تحفر لصيد السباع، أو حفيرة يُشتوى فيها ويُخبز.

فوجّه إليه المقتدر بنسيم الشرابى ومعه رقعة بخطّه إليه يحلف له فيها على بطلان ما بلغه. فصرف مونس جميع من اجتمع إليه من الجيش وأجاب عن الرقعة بما يجب فى مثل ذلك وأنّه لا ذنب له فى حضور من حضر عنده، لأنّه لم يستدعهم. وامتنع ابن حمدان من الإنصراف وحلف إنّه لا يبرح من دار مونس ليلاً ونهاراً إلى أن يركب معه إلى دار السلطان ويطمئن إلى سلامته، ولازم مونساً أياماً كثيرة.

وانضاف إلى ذلك أنّ إسحاق بن إسماعيل كان سبّب عليه مال مونس [270] ومال رجاله فبلّح[1] فيها. وكان علىّ بن عيسى متنكّراً له لأشياء بلغته عنه فى غيبته فشغب الفرسان لتأخّر أموالهم، فجدّ علىّ بن عيسى بإسحاق بن إسماعيل واعتقله وأخذ خطّه بخمسين ألف دينار من مال ضمانه واعتقل أحمد بن يحيى الجلخت كاتبه وعدّة من أصحابه حتّى استوفى ذلك، ثمّ صرفه عن أعماله وجدّ بعمّال السواد حتّى صحّ له فى مدّة ثلاثة أيّام ما أنفقه فى أصحاب مونس.

وكتب المقتدر إلى جماعة من وجوه القوّاد بأنّه قد صفح عمّا كان منهم فى نهب الثريّا وإحراقها وقُرئت عليهم فشكروا وسألوا أن يضمّ جماعة منهم ممّن اتّهم بذلك إلى مونس المظفّر لينحدر معهم إلى حضرته. فانحدر معهم ووصل إلى المقتدر بالله وقبّل الأرض بحضرته وحلف المقتدر له على صفاء نيّته وودّعه مونس.

وقرأ عليه علىّ بن عيسى كتاباً ورد عليه من وصيف البكتمرى بأنّ المسلمين عقبوا على الروم وظفروا بهم وبجميع من فى عسكرهم وقتلوا منهم وغنموا غنائم جليلة. وخرج مونس من داره إلى مضربه بباب الشماسيّة

---

١. بلّح: أعيا وعجز ولم يوجد عنده شيء.

وشيّعه الأمير أبوالعبّاس والوزير عليّ بن عيسى ونصر الحاجب وهارون ابن غريب. [271]

وورد رسول ملك الروم ومعه كتاب من وزير الملك وهو اللعثيط[١] إلى الوزير عليّ بن عيسى يلتمس فيه الهدنة.

ظهور الديلم

وفى هذه السنة[٢] ظهر الديلم، وكان أوّل من غلب على الريّ منهم بعد خروج ابن أبى الساج منها، ليلى بن النعمان ثمّ ماكان بن كاكي. ودخل هذا الرجل فى طاعة صاحب خراسان لأنّه كتب إليه واستدعاه، فمضى إليه وغلب على الريّ أسفار بن شيرويَه وكان مرداويج بن زيار أحد قوّاده.

عاقبة عسف أسفار بن شيرويه

وكان اسفار بن شيرويه لمّا غلب على قزوين ألزم أهلها مالاً جليلاً وعسفهم عسفاً شديداً وخبطهم وأحلّ بهم من تسليط الديلم[٣] على مهجهم وأموالهم واستباحتهم وتعذيب عمّالهم ما استعظمه هو فى نفسه فضلاً عن غيره، ورقّت القلوب منه وضاقت النفوس وبلغت الحناجر ويئس الناس من الحياة وتمنّوا الموت. فخرج الرجال والنساء والأطفال إلى المصلّى مستغيثين إلى الله تعالى وراغبين إليه فى كشف ضرّهم فمضى لهم يوم على ذلك. وأنهى الخبر إلى اسفار فتهاون بالدعاء.

---

١. كذا فى الأصل: اللعثيط (بإهمال العين). وفى مط: اللعيط. وفى مد: اللغثيط. (بالغين المعجمة).

٢. سنة ٣١٥.

٣. والعبارة فى مط: وخطبهم وحذّرهم من تسليط الديلم.

فلمّا كان فى اليوم الثانى خرج عليه مرداويج فواقعه وهزمه [272] فمرّ على وجهه فتبعه يومه أجمع فلم يظفر به، ولحقت أسفار مجاعة فى اليوم الثانى فأوى إلى رحى طحّان فى قرية وسأله أن يُطعمه فأخرج إليه خبزاً ولبناً، وكان يأكل وأطلّ مرداويج على الموضع فوجد آثار الحافر قد انقطع هناك، فوقف يتأمّل فرأى أكّاراً فتشبّث به وسأله عن اسفار فأنكر وأرهبه فقال له:

ـ «ما أعرفه ولكنّى رأيت فارساً قد دخل إلى هذه الرحى.»

وكبس مرداويج الموضع فوجده يأكل خبزاً فاحتزّ رأسه، وعاد إلى قزوين فسكّن أهلها وتلافاهم وأزال تلك المطالبة عنهم ووعدهم بالجميل وانصرف عنهم ووهب[1] دعاءهم.

ثمّ أنّ مرداويج ذهب فتغلّب على الرىّ وإصبهان وأساء السيرة بإصبهان خاصّة وتبسّط فى أخذ الأموال وانتهاك الحرم وطغى وجلس على سرير ذهب دونه سرير فضّة يجلس عليه من يرفع منه وأقام جنده يوم السلام عليه صفوفاً بالبعد منه.

وسام مرداويج رجاله الخسف[2] وكانوا يرهبونه رهبة عظيمة وكان يقول:

ـ «أنا سليمان بن داود وهؤلاء الشياطين.»

وكان يغضّ من الأتراك [273] غضّاً شديداً. فساءت نيّاتهم له فطلبوا كيداً يكيدونه به وتمكّنت له فى نفوس الخاصّ والعامّ البغضاء وضجروا منه وضعفت نفوس أهل مملكته فى أيّامه.

---

١. فى مط: ورهب.

٢. فى الأصل: الخشف. وما فى مط: الخسف، كما أثبتناه.

مقتل مرداويج

قال: وركب يوماً في موكب عظيم وخرج إلى الصحراء وكان ينفرد عن جيشه ويسير وسطاً لا يجسر أحد على القرب منه فكان العالم يتعجّبون منه ومن تمرّده وطغيانه إذ اشتقّ العسكر رجل شيخ لا يُعرف، على دابّة، فقال:

ـ «زاد أمر هذا الكافر واليوم تكفونه[١] قبل تصرّم النهار ويأخذه الله اليه.»

فلحقت الجماعة دهشة وتبلّدوا.

قال أبو مَخلَد عبد الله بن يحيى:

وكنت في الموكب فنظر بعض الناس إلى بعض ولم ينطق أحد منهم بحرف ومرّ الشيخ كالريح، ثمّ قال الناس:

ـ «لم لا نتبعه ونستعيده الحديث ونسأله من أين علم أو نأخذه ونمضي به إلى مرداويج لئلّا يبلغه الخبر فيلومنا على تركه.»

فركضوا يميناً وشمالاً إلى كلّ طريق وسبيل في طلبه فلم يوجد وكأنّ الأرض ابتلعته.

ثمّ عاد مرداويج ولم يلو على أحد ودخل داره ونزع ثيابه، ثمّ دخل الحمّام وأطال، وكان كورتكين قريباً منه وخصّيصه[٢] يحرسه ويراعيه في خلواته وحمّامه فأمره أن لا يتبعه وتأخّر عنه مغضباً فتمكّن منه الأتراك [274] وهجموا عليه في الحمّام فقتلوه بعد أن مانع عن نفسه وقاتل بكرنيب فضّة[٣] كان في يده، فشقّ بعض الأتراك بطنه. فلمّا خرجت حشوته ظنّ أنّه

١. تكفونه: كذا في الأصل. وفي مط: تكفر به. وفي مد: تكفنونه. وليس الأصل كذلك.

٢. في مط: وخصّصه.

٣. في مط: بكسر فضّة.

قد قتله فلمّا خرج إلى أصحابه قالوا له:

ـ «أين رأسه؟»

فعرّفهم أنّه قد شقّ بطنه. فلم يرضوا بذلك وعاوده لحزّ رأسه فوجدوه قد قام على سريرين فى الحمّام وردّ حشوة بطنه وأمسكها بيده وكسر جامة الحمّام وعاونه قيّم الحمّام وهمّ بالخروج من ذلك الموضع إلى سطح الحمّام. فلمّا رأوه كذلك حزّوا رأسه فظهر أمره بين الظهر والعصر بخروج الأتراك الذين كانوا معه إلى رفقائهم وإخبارهم إيّاهم بخبره وركوبهم إلى الإصطبلات للنهب.

وفيها ارتفع ذكر أبي جعفر بن شيرزاد
وعنى به عليّ بن عيسى.
ذكر السبب في ذلك

كان السبب فى ذلك أنّ ابن شيرزاد كان يكتب لهارون بن غريب وينظر فى جميع أموره. فأُطمع هارون فيه وقُرّف بجنايات عظيمة فقُبض عليه يوم الثلاثاء لثمان خلون من جمادى الأولىٰ سنة خمس عشرة وثلاثمائة، وسلّمه إلى خادمه [275] مونس وأمره بالتضييق عليه ومنعه من الدواة فتأخّرت رقعته عن أخيه أبي الحسن زكريّا.

وكان يكتب للخالة على ديوان ضياعها. فعرف الخالة صورة أخيه فشكت الخالة ذلك إلى السيدة فوجّهت السيدة بخادم لها إلى هارون حتّى انتزعه من يده وحمله إلى دار السلطان وتقدّمت بإطلاقه.

وخاطب هارون بن غريب عليّ بن عيسى فى أمر ابن شيرزاد وقال له:

ـ «قد كان اقترض منّى للخاقانى أموالاً كثيرة وأخذ بها تسبيبات وفاز بها وقد عمل له المؤمّل كاتبى بمال عظيم وأنا أرضى بنظر ثقة من ثقات الوزير

في العمل.»

فتقدّم الوزير علىّ بن عيسى إلى أبى يوسف كاتب السيّدة بالمصير إلى دار هارون وحضر المؤمّل وكتّابه فنظروا فى العمل.

فكان أوّل باب فيه أنّه وُجد فى دفتر من دفاتر ديوانه ثبت[١] ما قبض من التسبيبات التى سبّبها الخاقانى لابن شيرزاد من مال القروض التى اقترضها من مال هارون بن غريب.

وقد حكى فيه أنّه قبض خمسة عشر ألف دينار وأنّه لم يجد هذا المال فى ختمات الجهبذ الثابتة فى الديوان. وكان كاتب ابن شيرزاد على ذلك الديوان ابن أبى الميمون، فقال [276] ابن أبى الميمون:

- «قد صحّ فى ختمة الجهبذ ومع صاحبى خطّ الأمير بقبضه إيّاه، لأنّه حمله إلى حضرته وصرفه فى ثمن دار المحسّن التى أبتيعت[٢] من وكيل الخليفة فى وزارة أبى القاسم الخاقانى.»

فأُخرجت الختمة بعينها فوُجد ذلك فيها، ووجد محرّر هذه الختمة قد كتب هذا المال كأنّه تفصيل المال المتقدّم وكان سبيله أن يكون مُخرَجاً بارزاً عن التفصيل الأوّل. فوجد أبو يوسف ومحمّد بن جنّى الأمر على ما قال كاتب ابن شيرزاد وأخرج ابنُ شيرزاد خطّ هارون بن غريب بصحّة هذا المال منسوباً إلى تلك الجهة وأنّه أدّى فى بيت المال لثمن الدار وأُحضر قبض صاحب بيت المال به.

ثمّ نُظر فى الباب الثانى أنّ المطلق للفرسان فى عسكر هارون من مالهم فيه الربع الدراهم[٣] تساوى ستّة عشر درهماً بدينار وأنّه لم يضع الصرف من

---

١. ثبت: كذا فى الأصل. وفى مط: ثلث.

٢. فى مط: تتبعت.

٣. كذا فى مط. وما فى الأصل: الربع دراهم.

مال الرجال وأنّه يلزمه منه فى مدّة ولايته كتابةَ هارون نيّف وعشرون ألف دينار. فأخرجوا الختمات فوجدوا الجهبذ قد احتسب بما صرفه فى أعطيات الرجال ورقاً من غير أن يوضع منه شيء لِفضل الصرف. فاحتجّ كاتب ابن شيرزاد بأنّ فضل [277] الصرف فى ختمة تورَد فى أصول الأموال فى آخر باب من أبواب الأصول وهو ما يتوفّر من هذا الباب وغيره من سائر نفقات هارون بن غريب فأخرج ذلك من الختمات.

فلمّا بطل هذان البابان وهما معظم ما كان فى العمل نهض أبو يوسف ومحمّد بن جنّى وقام معهما ابن شيرزاد وأقبل عليه هارون فقال:

ـ «قد هتكني كاتبى هذا الجاهل الناقص قبّحه الله وقد جنيت على نفسى بصرفك ولكن إن تصرّفتَ لأحد فعلتُ وصنعت.»

وتهدّده.

فذهب ابن شيرزاد وشرح لعلىّ بن عيسى ذلك فصار ذلك سبباً لعناية علىّ بن عيسى به واشتهر حديثه وفاض فى الكتّاب.

وفيها ورد الخبر وكتاب الفارقى من البصرة بأنّه قد اجتاز بباب البصرة ممّا يلى البريّة جيش للقرمطى كثير العدد يقصد الكوفة فكتب المقتدر إلى مونس المظفّر يأمره بالرجوع إلى بغداد فرجع من تكريت ودخل بغداد بعد صلاة العصر بعد أن أنفذ قطعة من جيشه إلى الثغر.

وخرج ياقوت إلى مضربه بالزعفرانيّة متوجّهاً إلى عمله بفارس.

القبض على ابن أبى الساج
وتقليد الحسن بن هارون

وفى هذه السنة قبض يوسف بن أبى الساج على كاتبه [278] أبى عبد الله

محمّد بن خلف النيرمانى وقلّد مكانه أبا علىّ الحسن بن هارون وقيّد محمّد بن خلف بقيود ثقال وأخذ منه يوم قبض عليه من المال والفرش والكسوة والغلمان ما قيمته مائة ألف دينار وأخذ خطّه بخمسمائة ألف دينار مصادرة عن نفسه.

ذكر السبب فى ذلك

كان السبب فى ذلك ما استعمله بواسط من السرف فى التكبّر والتجبّر والتوسّع فى النفقات حتّى إنّه جعل فى داره بواسط فى شراب العامّة ثلاثين غلاماً وفى شراب الخاصّة عشرين غلاماً وكان يخرج من داره إلى دار صاحبه يوسف ويبكّر إليه جميع قوّاد ابن أبى الساج ورؤساء غلمانه ورؤساء العمّال ويسلّمون عليه كما يفعل الناس ببغداد بالوزراء فى أيّام المواكب.

وكان قبل ذلك فى مسير ابن أبى الساج من الرىّ إلى واسط قد لبس القباء والسيف والمنطقة إلّا أنّه لم يكن يركب إلى دار صاحبه بسواد فرقاً بينه وبين وزير السلطان واحتمله ابن أبى الساج على ذلك.

ثمّ أطمع نفسه أيّام مقامه بواسط فى الوزارة للسلطان، وتبيّن [279] عداوة نصر الحاجب لابن أبى الساج فكاتبه ووجّه إليه بمن يثق به يلتمس منه أن يشير على المقتدر بتقليده الوزارة مكان علىّ بن عيسى وضمن أن يستخرج من علىّ بن عيسى وأخيه وسليمان بن الحسن وأبى زنبور المادرائى والكلوذانى وأسبابهم ألف ألف دينار ويقوم بنفقات السلطان وأرزاق الأولياء.

سعاية

وسعى بصاحبه وقال: إنّه كان يستر عنه مذهبه فى الدين وإنّه لمّا سار

إلى واسط أنس به وانبسط إليه فكشف له أنّه يتديّن بأن لا طاعة عليه للمقتدر ولا لبنى العبّاس على الناس طاعة وأنّ الإمام المنتظر هو العلوى الذى بالقيروان وأنّ أبا طاهر الهَجَرى صاحب ذلك الإمام، وإنّه قد صحّ عنده أنّه يتديّن بدين القرامطة وإنّه إنّما صيّر العلوى متحقّقاً به وبجميع أسراره بهذا السبب، وإنّه ليس له نيّة بالخروج إلى هَجَر، وإنّه إنّما يحتال بالوعد بالخروج إلى هَجَر حتّى يتمّ له أخذ الأموال، وإنّه قال فى شهر ربيع الآخر:

ـ «أىّ شىء بقى لنا على الخليفة ووزيره من الحجّة ولم ليس تخرج إلى هجر ولا أراك تستعدّ لذلك؟»

فقال له فى الجواب:

ـ «لم لا تكون لك معرفة [280] بالأمور من فى نيّته[1] الخروج إلى هَجَر.»

وإنّه قال له:

ـ «فلم غررت السلطان من نفسك ووعدته بهذه الحال حتّى سلّم إليك جميع أعمال المشرق؟»

فأجابه بأنه يرى انتقاض الخليفة وسائر ولد العبّاس الغاصبين أهل الحقّ فرضاً لله ـ عزّ وجلّ عليه ـ وأنّ طاعته طاغية الروم أصلح من طاعته الخليفة.»

وإنّه قال:

ـ «فهبْك فعلت ذلك، ما الذى يؤمنك من القرمطى أن يوافى إلى واسط وإلى الكوفة فلا تجد بدّاً من لقائه ومحاربته؟»

فقال فى الجواب:

---

١. كذا فى الأصل: فى نيّته. وفى مط: فى بيته.

ـ «ويحك كيف أحارب رجلاً هو صاحب الإمام وعُدّة من عُدده؟»

فقال له:

ـ «فإن أراد هو حربك أى شيء تعمل؟»

فقال له:

ـ «ليس لهذا أصل، وقد ورد عليه كتاب الإمام من القيروان بأن لا يطأ بلداً[١] أكون فيه ولا يحاربنى بوجه ولا بسبب.»

وإنّه ختم القول بأن قال:

ـ «إنّى إنّما انتظر أن يقبض رجالى بأسرهم أموال سنة أربع عشرة وثلاثمائة فإذا قووا بذلك منعت أوّلاً من أعمال واسط والكوفة وسقى الفرات وأنفذت إليها العمّال، فلا بدّ للسلطان أن ينكر حينئذ ما أفعله فأكاشفه وأخطب للإمام وأُظهر [281] الدعوة وأسير إلى بغداد. فإنّ من بها من الجند قوم يجرون مجرى النساء قد ألفوا الدور على دجلة والشراب والثلج والخيش[٢] والمغنيات فآخذ نعمهم وأموالهم ولا أدع الهَجَرى يفوز بالإسم وأكون أنا سائق الدولة إلى الأمام. فإنّ أبا مسلم خرّاز النِعال لم يكن له أصل وقد بلغ ما بلغ ولم يكن معه لمّا ارتفع النصف ممّن معى. وما هو إلّا أن أظهر الدعوة حتّى قد اجتمع مائة ألف ضارب سيف.»

ويقول محمّد بن خلف:

ـ «قد صدقت أمير المؤمنين عن هذا الأمر، فإن ولّانى الوزارة انقمع ابن أبى الساج وبطل عليه تدبيره وأُخبِّب[٣] حينئذ رجاله وغلمانه: فإمّا أسروه

---

١. وفى مط: وقد ورد عليه كتاب ابن المعتز ولا يطأ بلداً» بدل «وقد ورد عليه كتاب الإمام من القيروان بأن لا يطأ بلداً».

٢. الخَيش: الرجل الدنىّ.

٣. خبّبهُ: خدعه وأفسده. يقال: «خبّب على فلان صديقه» أى أفسده عليه.

وإمّا هرب طائراً على وجهه إلى أذربيجان. فإنّى إذا تولّيت الوزارة جدّدت به فى المطالبة بالخروج إلى هَجَر فإن كاشف دبّرت عليه.»

فأنهى نصر الحاجب كلّه إلى المقتدر وعرّفه انّ محمّد بن خلف قد كتب إليه يحلف له على أنّه ما حمله على هذا الفعل إلّا الغضب للدين أوّلاً ثمّ الأنفة من أن يتمّ لهذا القرمطى على الخليفة وسائر الخاصّة والعامّة ما دبّره.

وكان الحسن بن هارون يخلف محمّد بن خلف [282] ويقف دائماً بين يديه على رجله ويخدمه كما يخدم ابن أبى الساج. فلمّا رأى اختصاصه بابن أبى الساج تنكّر له وعمل على القبض عليه وإتلافه وأظهر ذلك لأبى بكر ابن المنتاب وكان قد اختصّ به وغلب عليه. فاتّفق أن شرب ابن المنتاب مع جماعة من إخوانه بواسط وفيهم عبد الله بن علىّ الجرجرائى عامل الصلح والمُبارك، فسأله عبد الله بن علىّ أن يشكر له أبا علىّ الحسن بن هارون لما يوليه من الجميل وقال له:

ـ «تعرض لى رقعة على سيّدنا أبى عبد الله محمّد بن خلف أسأله فيها أن يعرّفه شكرى ويأمره بالزيادة فيما شكرته عليه.»

فقال له ابن المنتاب:

ـ «اتّق الله فى نفسك ولا تفعل، فإنّ أبا عبد الله على غاية التنكّر للحسن بن هارون ولن يبعد أن يقبض عليه ويبلغه[١].»

فحفظ ذلك عبد الله بن علىّ وتقرّب به إلى الحسن بن هارون.

ووقعت بين محمّد بن خلف وبين عبد الله بن علىّ مماحكة فيما سُبّب عليه لقوم يعتنى بهم محمّد بن خلف فشتمه محمّد بن خلف وهدّده وأمر بإخراجه من مجلسه على أقبح صورة.

---

١. فى الأصل: ويبلغُه (بضمّ الغين).

فاجتمع عبد الله بن عليّ والحسن بن هارون على التدبير على محمّد بن خلف ونصبا عليه أصحاب الأخبار إلى أن وقفا [283] على ما عمله في السعي في تقلّد الوزارة للمقتدر وسعايته بصاحبه. فاطلع عبد الله بن عليّ ابن أبي الساج على ذلك وتقرّب إليه فنصب يوسف بن أبي الساج أصحاب أخبار على محمّد بن خلف إلى أن وقف على أنّ خادماً له يثق به قد أنفذه دفعات إلى بغداد وأظهر أنّه إنّما ينفذه لابتياع كسوة وفرش ودوابّ وغلمان له وأنّه هو السفير بينه وبين نصر الحاجب في التدبير على ابن أبي الساج فتقدّم ابن أبي الساج إلى عبد الله بن عليّ في أخذ الطرق على هذا الخادم وإلى الحسن بن هارون بمراعاة الوقت الذي ينفذ فيه الخادم. فلمّا نفذ من واسط عرّفه الحسن ذاك فوجّه بثقاته وأمرهم أن يرصدوا الخادم في الطريق، فإذا عاد من بغداد قبضوا عليه وسلّموه إلى صاحب عبد الله بن عليّ بجَرْجَرايا.

وتقدّم إلى عبد الله بن عليّ بأن يوجّه بمن ينتظره بجرجرايا وأُنفذت الكتب التي معه إلى ابن أبي الساج فوجدها بخطّ كاتب نصر جوابات عن كتب محمّد بن خلف إليه تدلّ على إشارات ورموز وتراجم وفيها كلّ مكروه وسعي على دم[1] ابن أبي الساج وحاله وإطماع في ماله وحاله [284] وتحذير من تأخّر القبض على عليّ بن عيسى. فبادر ابن أبي الساج في إنفاذ الحسن بن هارون إلى الحضرة بكتب ورسائل إلى عليّ بن عيسى على رسمه ووجّه بتلك الكتب بعينها وقال له:

- «تقول للوزير عنّي: قد سعى هذا الرجل على دمي ودمك ودماء أصحابك وأريد أن أقبض عليه وأكثر ذنوبه عندي سعيه عليك.»

فلمّا وقف عليّ بن عيسى على جميع كتبه ورسائله تعجّب وقال له:

---

١. في مط: ذم (بالذال المعجمة).

ـ «تقول لأخي أبي القاسم: إن كنت تريد أن تفعل ذلك لتريح نفسك من هذا الرجل الخائن المستحلّ فالله يوفّقك ويحسن معونتك. وإن كنت تفعل هذا بسببي فوالله ما أشكر أحداً كما أشكر من يسعى في صرفي عن الوزارة، فالحبس والنفي أسهل ممّا أقاسيه منها.»

وزوّر عبد الله بن عليّ عن الخادم كتباً على أنّها من بغداد إلى محمّد بن خلف بأنّه: قد أحكم أكثر ما تحتاج إليه وأنّه سريع العود إلى واسط.

فسكنت نفس محمّد بن خلف إلى ذلك. وصار عبد الله بن عليّ إلى محمّد بن خلف وترضّاه وبذل له أن يحمل إليه من ماله مائة ألف درهم مرفقاً ليزول ما في نفسه عليه. فظنّ محمّد بن خلف أنّ ذلك صحيح ودعا عبد الله بن عليّ وواكله وشاربه. [285]

ولم يلبث الحسن بن هارون أن عاد من بغداد فبدأ بدار محمّد بن خلف ووقف بين يديه فقال محمّد بن خلف:

ـ «يا عاضّ[1]، قد بلغني أنّك شنّعت عليّ عند عليّ بن عيسى وذكرت له أنّي أطلب الوزارة مكانه وأنّك مع ذلك قد ضرّبت عليّ حاشية الأمير وغلمانه. ووالله يا كلب لأضربنّك خمسمائة سوط ولآخذنّ منك ثلاثين ألف دينار قد أبطرتك.»

والحسن بن هارون لا يزيد على أن يقول له:

ـ «الله بيني وبين من أغرى مولاي ومن أنا عبده وغرسه.»

ومحمّد بن خلف يشتمه إلى أن قال له:

ـ «لقيتَ الأمير؟»

فقال الحسن بن هارون:

---

١. في مط: يا عاصي.

ـ «ما لقيتُه بعد.»

فقال له:

ـ «فامض إلى لعنة الله فالقه وعدْ إليّ.»

فمضى إلى ابن أبى الساج وشرح له جميع ما وقف عليه من سعى محمّد بن خلف عليه وما خاطبه به لمّا لقيه بعد قدومه من بغداد.

فقال ابن أبى الساج لخازنه الذى يتسلّم من محمّد بن خلف الأموال المحمولة إليه التى ينفقها فى رجاله وغلمانه ونفقاته:

ـ «قد كنت أحضرتنى منذ مدّة مالاً نصفه غلّة ودراهم بهرجة[١] وخراسانيّة، وذكرتَ أنّ ابن خلف حمله إليك لتنفقه فى الأولياء [286] وغيره، وذكرت أنّ الأمر[٢] مُسرف فى فضل الصرف وأنّه كثير فعرّفنى الآن الحال فيما يحمله إليك؟»

فقال: « الذى يحمله الآن شرّ من كلّ ما تقدّم وقد أخرجتُ من مائة ألف درهم حملها اليوم ألف وخمسمائة درهم جديد وألفى درهم صحاح لا سيّئة[٣] واثنين وأربعين ألف درهم غلّة رديّة.»

وعظم عليه الأمر فى فضل الصرف فى ذلك فقال له:

ـ «فإذا حضر محمّد بن خلف العشيّة فادخل إلىّ واحمل المال كهيئته وعرّفنى أنّ جميع غلمانى ورجالى قد فسدت نيّاتهم بهذا السبب.»

ففعل الخازن ذلك. فقال ابن أبى الساج:

ـ «يا أبا عبد الله أنت تعلم أنّ هذا المال لا يجوز لأحد أن يقبض مثله وإذا فوّت رجالى شهراً وأعطيتهم مالاً جيّداً أو مقارباً للجودة كان أصلح من

---

١. فى مط: نهردية.

٢. فى مط: الأمير.

٣. فى مط: لا شبه (بإهمال ما قبل الأخير)، وفى الأصل غموض.

هذا.»

فغضب محمّد بن خلف وقال له:

ـ «ما جرّأ هذا الكلب على خطابي بحضرتك في هذا الباب إلّا لأنّه قد وقف على فساد رأيك فيّ، وإنّما أفسدك عليّ من قدّر أن يتولّى كتابتك وهو هذا العلج الحسن بن هارون وأهوِن به وبهذا الخازن وبجميع غلمانك ورجالك عليّ، وأنا عقدت لك هذه الحال وهذا الأمر [287] والآن فوالله لا نظرت في شيء من أمرك، فاعمل ما شئت.»

ونفض يده في وجهه وخرج من مجلسه. فجعل ابن أبي الساج يحلف له أن يعود فلا يفعل ويحلف إنّه لا يرجع.

فلمّا طال ذلك بينهما وبلغ أن يعطف إلى دهليز يغيب به عن عينه قال ابن أبي الساج لغلمانه:

ـ «ضعوا أيديكم في قفا الكلب اللاحد الخنزير[1] فأسمعوني صوته بالصفع.»

فصُفع نحو من مائة صفعة وأُخذ سيفه ومنطقته. واستدعى ابن أبي الساج عبد الله بن عليّ وأُحضر للوقت فوجّه به إلى دار محمّد بن خلف ليحفظها ويقبض على سائر غلمانه وأسبابه وخزائنه، وكان عبدالله بن عليّ مشهوراً بالعفاف والثّقة، وتقدّم إلى الحسن بن هارون بأن يتقلّد كتابته مكانه واستحلفه أن يدخل إلى الحجرة التي اعتُقل فيها ويقيّده بخمسين رطلاً ويلبسه قميص بايباف ففعل به الحسن بن هارون ذلك فقال له:

ـ «يا محمّد بن خلف أخبرني أغرّك أنّي أقول لك: يا مولاي؟ إنّما كنت أسخر منك، أيّنا كان أبعد غوراً وتدبيراً، أنا أم أنتَ؟»

---

١. كذا في مط ومد: الخنزير. وفي الأصل: الجنزير. واللاحد: الذي يعمل اللحد.

وأخذ الحسن بن هارون خطّه بستمائة ألف دينار بعد أن أهانه وصفعه وضربه بالمقارع، فأدّى نحو خمسين ألف دينار [288] إلى أن رحل ابن أبي الساج من واسط إلى الكوفة لمحاربة الهَجَرى وحمله معه مقيّداً وشُغل عنه بالحرب وأسر، فأفلت محمّد بن خلف.

ذكر وقعة ابن أبي الساج مع القرمطي
وما استعمله من ترك الحزم
واستهانته بالعدوّ حتّى أسر
وما اتفق عليه بعد الأسر حتّى قُتل

كتب يوسف بن ديوداذ من واسط إلى الوزير أبي الحسن عليّ بن عيسى يلتمس منه حمل مال إليه ليصرفه فيما يحتاج من إعداد الأنزال[1] والعلوفات بين واسط والكوفة ويحتجّ بأنّ أموال المشرق[2] متأخّرة عنه وأنّ الأمر ليس يحتمل مع قرب موافاة الهَجَرى بأن ينتظر ورود مال من الجبل ويقول إنّه لا يُقنعه لذلك أقلُّ من مائة ألف دينار. فعرض عليّ بن عيسى كتابه على المقتدر، فتقدّم بأن يحمل من بيت المال الخاصّة سبعون ألف دينار ويُنفذ إليه.

وورد الخبر بخروج أبي طاهر من هَجَر بنفسه يوم الأربعاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان، فنزل في الموضع المعروف بالحس وبينه وبين الاحساء مسيرة يومين وأقام به إلى يوم السبت ورحل من غد وكتب [289] السلطان إلى ابن أبي الساج بما ورد من خبره ويأمره بالمبادرة إلى الكوفة.

وكتب عليّ بن عيسى إلى عمّال الكوفة باعداد الميرة والعلوفات ليوسف.

---

١. في مط: في اعذار الأتراك.

٢. في مط: المسرف.

وسار يوسف من واسط يوم الأربعاء لليلة بقيت من شهر رمضان نحو الكوفة وعاد سلامة الطولوني منصرفاً من عنده وكان حمل إليه المال.

ولمّا قرُب أبو طاهر الهَجَرى من الكوفة أطلق جميع من كان معه من أسارى الحاجّ وهرب عمّال السلطان من الكوفة فأخذ أبو طاهر جميع ما أُعدَّ ليوسف من المِيَرِ والعلوفات وهو مائة كرّ دقيقاً وألف كرّ شعيراً وقد كان خفّ ما مع أبى طاهر من الميرة، ولحقه وأصحابه[1] شدّةٌ فقوى ومن معه بما صار إليهم. ووافى يوسف إلى ظاهر الكوفة يوم الجمعة لثمان خلون من شوّال وقد سبقه أبو طاهر إليها بيوم واحد فحال بينها وبينه.

وحُكى عن أبى طاهر أنّه قال: إنّ عسكره قرُب من عسكر يوسف فى الطريق بين واسط والكوفة، وكان يوم ضباب، فلم ير أحدهما صاحبه وانّه أحسّ به[2] ولو شاء لأوقع به.

ووجّه يوسف إلى أبى طاهر يدعوه [290] إلى الطاعة، فإن أبى فإنّ الوعد للحرب يوم الأحد.

فحكى الرسول: انّه لمّا صار إليه حُمل إلى موضع فيه جماعة متشاكلو الزىّ وقيل له:

ـ «تكلّم فإنّ السيّد يسمع.»

ولم يعرف من هو منهم. فأدّى الرسالة فأجيب بأنّه غير مستجيب لما دعاه إليه ولا لتأخير المناجرة. فكانت الحرب بينهما يوم السبت لتسع خلون من شوّال سنة خمس عشرة وثلاثمائة على باب الكوفة. فيقال إنّ ابن أبى الساج لمّا عاين عسكر أبى طاهر ووقف على عزّته أزرى عليه واحتقره[3]

---

١. فى مط: وأصابه.

٢. فى مط: وأنّه أحر به، بدل «وأنّه أحسّ به».

٣. فى مط: وأصغره.

وقال:

ـ «من هؤلاء الكلاب؟ هؤلاء بعد ساعة فى يدى.»

وتقدّم بأن يكتب كتاب الفتح قبل اللقاء تهاوناً به وزحف كلّ واحد منهما إلى صاحبه.

فلمّا سمع الهَجَرى صوت البوقات والدَّبادِب والزّعقات عن عسكر ابن أبى الساج ـ وكانت عظيمة جدّاً ـ إلتفت رجل منهم إلى رفيق له وهو يسايره فقال له:

ـ «ما هذا الزّجَل؟»

فقال له رفيقه: «فشل.»

فقال له: «أجل.» ما زاده لفظة.

ورسمُ عسكر أبى طاهر أن لا تكون فيه بوقات ولا دبادب ولا صياح.

وعبّأ ابن أبى الساج رجاله وانفرد هو مع غلمانه على عادة له فى الحرب وكان ابتداء الحرب بينهما مذ ضحوة نهار يوم السبت إلى وقت غروب [291] الشمس. وما قصّر ابن أبى الساج فى الثبات وأثخن أصحاب أبى طاهر بالنشّاب وجرح منهم خلقاً.

فلمّا رأى أبو طاهر ذلك وكان واقفاً فى عمّاريّة له مع من يثق به من أصحابه نحو مائتى فارس بالقرب من حيطان الحَيز نزل من العمّاريّة فركب فرساً له وحمل بنفسه مع ثقاته وحمل يوسف بنفسه وغلمانه عليه واشتبكت الحرب بينهما فأسر ابن أبى الساج آخر النهار وبه ضربة على جبينه بعد أن اجتهد به غلمانه أن ينصرف فامتنع عليهم وحصل أسيراً فى يد أبى طاهر مع جماعة من غلمانه بعد أن قتل من أصحابه عدد كثير وانهزم الباقون.

ولمّا أُسر يوسف وقت المغرب حُمل إلى معسكر أبى طاهر وضُربت له خيمة وفُرش له فيها ووكّل به وأحضر رجل معالج يعرف بابن السُبيعى. فقال

ابن السُبيعى هذا: لمّا دخلت إليه إلى الخيمة التى حُبس فيها وجدته جالساً وعليه دُرّاعة ديباج فضّى وجُرُبّانها[١] ولَبَّتها[٢] من ديباج أحمر وقد تلوّنت[٣] بالدم الذى سال من الضربة التى فى جبينه، ووجدت الدم قد جمد على وجهه، فالتمست ماءً حارّاً. فقال لى بعض أصحاب أبى طاهر:

ـ «والله ما ذاك عندنا، ولا عندنا ما يُسخن فيه.»

وكانوا [292] خلّفوا سوادهم بالقرب من القادسيّة وتجردوا للقتال، فغسلتُ وجهه بماء بارد وغسلت موضع الضربة وعالجته وسألنى عن اسمى وبأىّ شيء أُعرف، فذكرت له ذلك فوجدته يعرف أهلى أيّام كان بالكوفة وهو صبىّ مع أخيه الأفشين وكان يتقلّد الكوفة، فعجبت من ذكره وفهمه وقلّة اكترائه بما هو فيه.

وورد خبر الوقعة وأسر ابن أبى الساج على علىّ بن عيسى، فراح إلى دار السلطان واجتمع مع نصر الحاجب ومونس المظفّر على إنهاء الخبر إلى المقتدر بالله وانتشر الخبر، فدخلت الخاصّة والعامّة لأبى طاهر هيبة عظيمة ورهبة شديدة، وعملت الجماعة على الهرب إلى واسط ثمّ إلى الأهواز، وابتدأ المنهزمون بالدخول إلى بغداد، وأخرج مونس المظفّر مضربه إلى ميدان الأشنان وخرج على أن يمضى إلى الكوفة.

وورد كتاب العامل بقصر ابن هبيرة على علىّ بن عيسى بأنّ أبا طاهر وأصحابه رحلوا عن الكوفة يوم الثلاثاء لإثنى عشرة خلت من شوّال قاصدين عين التمر، وورد كتابه بعد ذلك بنزولهم عين التمر، فبادر علىّ بن عيسى باستئجار خمسمائة سميريّة وجعل فيها ألف رجل ومعها عدّة[293]

---

١. جرّبانها: والجرّبان: طوق القميص. فارسيّة أصلها: گريبان. واللَّبّة: موضع القلادة من الصدر.

٢. فى مط: وجريانها ولبنها.

٣. فى مط: تلوّثت.

من شذاءات وطيّارات وحوّلها من دجلة إلى الفرات وفيها جماعة من الغلمان الحجريّة لمنع الهجرى من عبور الفرات، وتقدّم إلى جماعة من القوّاد بالمسير على الظهر من بغداد إلى الأنبار لضبطها.

فلمّا كان يوم الجمعة رأى أهل الأنبار ومن بها من القوّاد خيل أبى طاهر مقبلة من الجانب الغربى فبادروا إلى قطع جسر الأنبار وأقام أبو طاهر إلى أن أمكنه العبور بالسفن فعبر يوم الثلاثاء نحو مائة رجل ولا يعلم بهم أصحاب السلطان إلى ان حصلوا بالأنبار ونشبت الحرب بينهم وبين جماعة من القوّاد.

فلمّا خلا البلد من أصحاب السلطان عقد أبو طاهر جسر الأنبار وعبر وخلّف سواده فى الجانب الغربى وفيه ابن أبى الساج، ولمّا علم من فى الشذاءات من أصحاب السلطان أنّ أبا طاهر قد عقد الجسر ساروا إليه بالليل فضربوه بالنار فبقى أبو طاهر فى جماعة من أصحابه فى الجانب الشرقى من الفرات وسوادهُ فى الجانب الغربى منه وحالت الشذاءات والطيّارات بينهم.

ولمّا ورد الخبر بعبور أبى طاهر إلى الأنبار وقتلهِ من بها من القوّاد خرج نصر الحاجب ومعه [294] الحجريّة والرجّالة المصافيّة وجميع من كان بقى ببغداد من القوّاد وبين يديه علم الخلافة وهو شبيه باللواء أسود وعليه كتابة بياض:

ـ «محمّد رسول الله».

وكان مونس قد صار بباب الأنبار واجتمع مع نصر وكان عدد من معهما من الفرسان والرجّالة وغيرهم يزيد على أربعين ألف رجل، وخرج أبو الهيجاء ومن إخوته أبو الوليد وأبو العلاء وأبو السرايا فى أصحابه وأعرابه وسار نصر وسبق مونساً على قنطرة النهر المعروف بزُبارا بناحية عَقَرْقوب[1]

---

١. كذا فى الأصل ومد: عقرقوب. فى مط: عقرقوق (بإهمال الأخير) وفى المراصد: عقرقوف، وهى قرية من نواحى نهر عيسى، بينها وبين بغداد أربعة فراسخ.

على نحو فرسخين من بغداد ولحق به مونس واجتمعا على النهر وأشار أبو الهيجاء على نصر الحاجب بقطع قنطرة نهر زُبارا وألحّ عليه فى ذلك. فلمّا رآه يتثاقل عن قبول رأيه قال له:

ـ «أيّها الأستاذ اقطعها واقطع لحيتى معها.»

فقطعها حينئذ.

وسار أبو طاهر ومن حصل معه من أصحابه من الجانب الشرقى من الفرات قاصدين نهر زُبارا. فلمّا صار على فرسخ واحد من عسكر السلطان آخر يوم الاثنين لعشر خلون من ذى القعدة بات بموضعه ليلته وباكر المسير إلى قنطرة نهر زُبارا.

وتقدّم من رجّالته راجل أسود يقال له: صبح،[1] فكان أمام عسكره فما زال نشّاب أصحاب السلطان تأخذه وهو يتقدّم ولا يهوله وقد صار بالنشّاب كالقنفذ. فلمّا صعد القنطرة ورآها مقطوعة رجع، وما زال أصحاب أبى طاهر يمتحنون غور[2] الماء فى النهر، فلمّا علموا انّه ليس يُخيض انصرفوا راجعين القهقرى من غير أن يولّوا ظهورهم وصاروا إلى الحسينية فوجدوا الماء قد أحاط به لأنّ نصرا ومونساً وجّها قبل ذلك بمن بثق هناك بثوقاً كباراً فصار الماء المخر محيطاً بعسكر أبى طاهر. فأقام هناك يوم الثلاثاء وسار هو وأصحابه إلى الأنبار ولم يجسر أحد من أصحاب السلطان أن يتبعه أو يصلح قنطرة زُبارا أو يعبرها.

وكان ما أشار به أبو الهيجاء من قطع هذه القنطرة توفيقاً من الله فانّها لو كانت صحيحة لعبر أصحاب القرمطى عليها وما هالهم وفور عسكر السلطان ولانهزم أصحاب السلطان وملك القرمطى بغداد. وذاك انّ أكثر أصحاب

---

١. فى مط: صيح.

٢. فى مط: غرر.

السلطان كرّوا إلى بغداد منهزمين لمّا بلغهم وصول أبى طاهر إلى النهر من غير أن يروهم أو يقع عين عليهم لعظيم ما تداخل القلوب من الرعب بعد الحادث بابن أبى الساج. [296]

ولم يحدّث أحد نفسه بعد ذلك أن يجوز له أن يثبت فى وجهه.

وكان مع أبى طاهر جماعة من الأولاد فعدلوا به عن المخر وسار نحو الأنبار ولمّا ولّى أبو طاهر وأصحابه عن موضع العسكر بزُبارا ارتفع التكبير والتهليل من أصحاب السلطان ليذيع الخبر به وبادر أصحاب الأخبار إلى علىّ بن عيسى بالسلامة وبانصراف أبى طاهر ورجوعه إلى الأنبار وبأنّه لا طريق له ولا مخاضة ولا حيلة فى الوصول إلى معسكر عسكره ولا إلى نواحى بغداد.

وطمع مونس فى الظفر بسواده وباقى رجاله الذين خلّفهم فى الجانب الغربى من الأنبار وفى تخليص ابن أبى الساج فأنفذ يلبق حاجبه وجماعة من القوّاد ومن غلمان ابن أبى الساج فى ستّة آلاف رجل وظنّوا أنّه لا يتم لأبى طاهر العبور إلى خيله وسواده. وبلغ أبا طاهر ذلك فاحتال حتّى انفرد عن رجاله ومشى مشياً طويلاً حتّى خرج عن الأنبار إلى الصحراء التى تتّصل بالفرات، ثمّ عبر فى زورق صيّاد يقال: إنّه دفع إليه ألف دينار حتّى عبر به إلى سواده. فلمّا حصل فى سواده واجتمع مع أصحابه حارب يلبق ومن معه [297] فلم يثبت له يلبق وانهزم ومن معه وقتل جماعة من أصحابه.

وبصر أبو طاهر فى الوقت بابن أبى الساج وقد خرج من خيمته التى كان معتقلاً فيها متطلّعاً إلى الطريق لينظر ما يكون من حال الوقعة فوقع له أنّه أراد أن يهرب فدعا به إلى حضرته وقال:

ـ «أردت الهرب؟»

ويقال: إنّ غلمانه كانوا نادوه فقال له القرمطى:

ـ «طمعت أن يخلّصك غلمانك؟»

فأمر به فضُربت عنقه بحضرته وضُرب أعناق جماعة كانوا فى الأسر.

واحتال بعد ذلك أبو طاهر حتّى عبر جميع أصحابه الذين كانوا معه فى الجانب الشرقى من الفرات بالأنبار فحصلوا معه فى الجانب الغربى الذى يلى البرّيّة وعاد يلبق منهزماً مفلولاً إلى مونس المظفّر.

وحكى أبو القاسم ابن زنجى أنّه كان عدّة أصحاب أبى طاهر ألف وخمسمائة رجل منهم سبعمائة فارس وثمانمائة راجل وأنّه عرف ذلك من رجل أنبارىّ كان يقيم له ولرجاله الخبر. وقد قيل: إنّهم كانوا ألفى وسبعمائة.

قال: وسمعت بعض مستأمنة أبى طاهر وقد سُئل عن السبب فى سرعة هزيمة أصحاب السلطان وثباتهم هم [298] فقال:

ـ «السبب فى ذلك انّ أصحاب السلطان يقدّرون أنّ السلامة فى الهرب فيقدّمونه ونحن نقدّر أنّ السلامة فى الصبر فنثبت ولا نبرح.»

ورتب علىّ بن عيسى بين بغداد ونهر زُبارا[١] المرتبين وسلم إليهم مائة طير إلى مائة رجل منهم يكتبون على أجنحتهم كتباً بخبر العدوّ فى كلّ ساعة.

وكان السبب فى سلامة بغداد وأهلها يوم قصد القرمطى زُبارا مع كثرة العيارين والمتشبهه بالجند وتشوّقهم إلى النهب أنّ علىّ بن عيسى تقدّم إلى نازوك بمواصلة الركوب والتطواف فى جميع جيشه كلّ يوم غدوة وعشيّة فى الجانبين ففعل ذلك. ثمّ تقدّم إليه فى يوم موافاة أبى طاهر إلى نهر زُبارا أن

١. زُبارا: يقال: إنها من نواحى الكوفة (مراصد الإطلاع).

يبكّر إلى باب حرب بجميع جيشه ويقيم فيه إلى وقت العتمة وأن يواصل النداء في الجانبين بأنّه:

- «من ظهر من العيّارين والمتشبّهه بالجند ومن وُجد معه حديد ضُرب عنقه.»

فانجحر العيارون وأغلق أهل باب المحوّل ونهر طابَق والقلائين وغيرهم دكاكينهم وتحرّز الناس فنقلوا أمتعتهم إلى منازلهم.

وأمّا وجوه الناس فأكثروا الزواريق وجعلوها في [299] الشوارع في دجلة ونقلوا إليها أمتعتهم ومنهم من حدرها إلى واسط. ونقل قوم من المهجّرين أمتعتهم إلى حلوان لتُحمل إلى خراسان مع الحاجّ ولم يكن عند أحد من الخواصّ والعوامّ شكّ في أنّ القرمطي يملك بغداد.

وأقام نازوك في ذلك اليوم كما رسم له عليّ بن عيسى، على ظهر دابّته من أوّل النهار إلى أن مضى صدر من الليل لا ينزل[1] هو ولا أحد من أصحابه عن دوابّهم إلّا للصلاة وضُربت له ولهم الخيم فنزلوها بالليل وكان ذلك سبباً لسلامة البلد.

وقصد القرمطي إلى هيت وبادر هارون بن غريب وسعيد بن حمدان إلى هيت لدفعه عنها فسبقا القرمطي إلى هيت وصعدا إلى سورها وقويت بهما قلوب أهل هيت. فلمّا وصل القرمطي إليها قاتلوه بالمنجنيقات فقُتل من القرامطة جماعة وانصرف أبو طاهر عنها.

وورد الخبر بذلك إلى بغداد فسكنت النفوس واطمأنّت القلوب وتصدّق المقتدر والسيّدة لمّا بلغهما خبر انصرافه بمائة ألف درهم.

وكان مونس ونصر أحضرا جرائد جميع الرجال الذين اجتمعوا على نهر

---

١. في مط: لا يترك.

زُبارا ممّا يلى بغداد سوى [300] الأعراب فوجدوهم إثنين وأربعين ألف رجل سوى غلمانهم وأسبابهم فانّهم كانوا أضعاف هذه العدّة.

وكان علىّ بن عيسى لمّا بلغه أسر ابن أبى الساج بادر فى الوقت إلى المقتدر وقال له:

ـ «إنّما جمع الخلفاء المتقدّمون الأموال ليقمعوا بها أعداء الدين والخوارج وليحفظوا بها الإسلام والمسلمين ولم يلحق المسلمين منذ قُبض النبى ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ شىء أعظم من هذا الأمر، لأنّ هذا الرجل كافر وقد أوقع بالحاجّ فى سنة اثنتى وثلاثمائة ما لم يُعهد مثله وقد تمكّنت له هيبة فى قلوب الأولياء والخاصّ والعامّ.

ـ «وانّما جمع المعتضد والمكتفى فى بيت مال الخاصّة ما جمعوا لمثل هذه الحوادث والآن فلم يبق فى بيت مال الخاصّة كبير شىء، فاتّق الله يا أمير المؤمنين.»

ـ «وتخاطب السيّدة فانّها ديّنة فاضلة فإن كان عندها مال قد ذخرته لشدّة تلحقها أو تلحق الدولة فهذا وقت إخراجه. وإن تكن الأخرى فاخرج أنت وأصحابك إلى أقاصى خراسان فقد صدّقتك ونصحتك.»

فدخل إلى والدته ثمّ عاد فأخبر أنّ السيّدة استرأته وأمرت بإخراج خمسمائة ألف دينار من مالها إلى بيت [301] مال العامّة لينفق فى الرجال. وسأل علىّ بن عيسى عن مقدار ما بقى فى بيت مال الخاصّة من المال فعرّفه علىّ بن عيسى أنّ فيه خمسمائة ألف دينار.

وتجرّد علىّ بن عيسى لحفظ الأموال وتقدّم ألّا يضيّع منها درهم واحد فى قضاء الذّمامات. وجمع أموال النواحى وأنفذ المستحثين إلى العمّال فاجتمعت له جملة أخرى.

وتنصّح إلى علىّ بن عيسى رجل من التجّار بأنّه وقف على خبر رجل

شيرازى يتخبر للقرمطى ويكاتبه. فأنفذ معه جماعة فقبض عليه وحُمل إلى دار السلطان وناظره علىّ بن عيسى بحضرة القاضى أبى عمر والقوّاد وقال:

- «أنا صاحب أبى طاهر وما صحبته إلّا على انّه على حقّ وأنت وصاحبك ومن يتبعكم كفّار مبطلون ولا بدّ لله فى أرضه من حجّة وإمام عدل وإمامنا المهدىّ فلان بن فلان بن إسماعيل بن جعفر الصادق وليس نحن مثل الرافضة الحمقى الذين يدعون إلى غائب منتظر.»

فقال له علىّ بن عيسى:

- «اصدقنى عمّن يكاتب القرمطى من أهل بغداد والكوفة.»

قال: «ولِمَ أصدُقك عن قوم مؤمنين حتّى أسلّمهم إلى قوم كافرين فيقتلوتهم؟ [302] لا أفعل ذلك أبداً.»

فأمر بصفعه بحضرته وضربه بالمقارع وقيّده وغلّه بغلّ ثقيل[١] وجعل فى فمه سلسلة وسلّمه إلى نازوك وحبسه فى المطبق فمات بعد ثمانية أيّام لأنّه امتنع من أن يأكل ويشرب حتّى مات وشغب الجند.

ودخلت سنة ستّ عشرة وثلاثمائة

ودخل مونس المظفّر بغداد من الأنبار ودخل بعد نصر وذلك يوم الخميس لثلاث خلون من المحرّم وكان الجند قد شغبوا بالأنبار لطلب الزيادة فى أرزاقهم فأقاموا ببغداد على مطالبتهم، فزيد كلّ واحد منهم ديناراً وأنفق فيهم على الزيادة.

وورد الخبر بدخول أبى طاهر القرمطى الدالية من طريق الفرات فلم يجد فيها شيئاً وقتل من أهلها جماعة ثمّ سار إلى الرحبة فدخلها بعد أن حارب

---

١. ما فى الأصل غير واضح. فى مد: ثقيف. وفى مد: ثقيل، كما أثبتناه.

أهلها ووضع السيف فيهم بعد أن ملكهم ونُدب مونس المظفّر للخروج إليهم بالرقّة. وكان أهل قرقيسيا وجّهوا إلى القرمطي يطلبون الأمان منهم ووعدهم بجميل. ثمّ أنفذ إليهم من نادى بقرقيسيا ألّا يظهر بها أحد بالنهار فلم يجسر أحد بها أن يظهر [303] فعبرت سريّة له إلى الأعراب على جسر عقده بالرحبة فأوقع بهم وقتل منهم مقتلة عظيمة وأخذ جمالهم وأغنامهم فرهبه الأعراب رهبة شديدة، وصاروا لا يسمعون بذكره إلّا تطايروا، وجعل عليهم أتاوة إلى هذه الأيام وهى من كلّ بيت دينار فى السنة. ثمّ أصعد من الرحبة إلى الرقّة.

وسار مونس المظفّر إلى الموصل ومنها إلى الرقّة فانصرف أبو طاهر عن الرقّة على طريق الفرات ووصل إلى الرحبة فحمل ما معه من الزاد وغيره فى زواريق وانحدر فى الماء وعلى الظهر ليعاود هيتاً. وكان أهلها قد نصبوا على سورها عرّادات ومنجنيقات، فحاربوه وقتلوا من أصحابه، فانصرف عنها إلى ناحية الكوفة، وورد[1] الخبر بذلك فأخرج بنىّ بن نفيس وهارون بن غريب على مقدّمة نصر.

وجاءت خيل القرمطى ومعها ابن سَنْبَر إلى قصر ابن هبيرة وعبروا الفرات بمخاضة فقتلوا جماعة من أهل القصر. فخرج نصر الحاجب ومعه القوّاد والرجّالة المصافيّة يريدون مواقعة أبى طاهر وحُمّ نصر حمّى حادّة فلم يمنعه ذلك من المسير إلى سورا. ووافى [304] أبو طاهر إلى شاطئ سورا وقت المغرب، فلم يكن فى نصر نهوض للركوب لشدّة علّته. فاستخلف أحمد بن كيغلغ وأنفذ معه الجيش فانصرف القرمطى قبل أن يلقاه أحمد بن كيغلغ.

واشتدّت علّة نصر وجفّ لسانه من شدّة الحمّى فرُدّ إلى بغداد فى عمارية

---

١. كذا فى الأصل ومط: وورد الخبر. وفى مد: وزاد الخبر.

ومات فى الطريق. فخرج شفيع المقتدرى برسالة المقتدر إلى الجيش الذى كان مع نصر بأنّه قد جعل الرئيس عليهم مكان نصر هارون ابن غريب فدخل هارون بن غريب مع الجيش بغداد.

ذكر الحال التى أدّت إلى صرف علىّ بن عيسى وتقليد أبى علىّ ابن مقلة

لمّا رأى علىّ بن عيسى اختلال النواحى فى أيّام وزارة الخاقانى والخصيبى ونقصان الإرتفاع وزيادة النفقات وما لحق من زيادة الرجّالة بعد انصرافهم من الأنبار من حرب القرمطى وأنّ زيادتهم بلغت مائتى وأربعين ألف دينار فى السنة مضافة إلى النفقات المفرطة هاله ذلك واستعظمه ووجد رجال السلطان قد ضعفوا عن القرمطى وتبيّن انحراف نصر الحاجب عنه، وذلك لميل مونس إليه، استعفى [305] المقتدر من الوزارة فأمره بالصبر وقال له:

ـ «أنت عندى بمنزلة المعتضد بالله ولى عليك حقوق.»

فواصل الاستعفاء فشاور المقتدر مونساً المظفّر وأعلمه أنّه قد سُمّى له ثلاثة: الفضل بن جعفر ابن حِنزابة فلم يُشِرْ به لأجل من قُتل[1] من آل الفرات، وأبو علىّ ابن مقلة فلم يشر به لحداثته وقال:

ـ «لا يصلح للوزارة إلّا شيخ له ذكر وفيه فضل.»، ومحمّد بن خلف النيرمانى فلم يشر به، وعرّفه أنّه جاهل لا يحسن[2] أن يتهجّى اسمه وأنّه متهوّر، وأشار بمداراة علىّ بن عيسى.

---

١. قُتل: الشكل من الأصل.

٢. فى مط: لا يحس أن ينهى اسمه، بدل «لا يحسن أن يتهجّى اسمه».

ثمّ لقى مونس عليّ بن عيسى ورفق به وداراه فقال له عليّ بن عيسى:

ـ «لو كنت مقيماً بالحضرة لاستعنت بك وعملتُ ولكنّك خارج إلى الرقّة.»

وبلغ أبا عليّ ابن مقلة ذلك فجدّ فى السعى، وشاور المقتدر نصر الحاجب فى أمر الثلاثة فقال:

ـ «أمّا الفضل بن جعفر فلا يدفع عن صناعة ومحلّ ولكنّك بالأمس قتلت عمّه وبنو الفرات يدينون بالرفض، وأمّا ابن مقلة فلا هيبة له.»

وأشار بمحمّد بن خلف لما كان بينهما ممّا ذكرناه فيما تقدّم. فنفر المقتدر منه لما عرفه من جهله وتهوّره، وواصل ابنُ مقلة [306] مداراة نصر الحاجب فأشار على المقتدر به وقال:

ـ «يقلّد، فإن قام بالأمر كما يجب وإلّا فالصرف العاجل بين يديه.»

واضطرّ المقتدر إلى أن استوزر أبا عليّ بن مقلة.

وكان ما مال به المقتدر إلى أبى عليّ أنّ أبا طاهر القرمطى لمّا قرُب من الأنبار تشوّف إلى علم خبره ولم يكن يكاتب بشيء من خبره غير الحسن بن إسماعيل الإسكافى عامل الأنبار. فلمّا عرف أبو عليّ ابن مقلة الصورة طلب أطياراً وأنفذها إلى الأنبار وكُوتب عليها أخبار القرمطى وقتاً بعد وقت فكان ينفذها إلى نصر لوقته ويعرضها نصر على المقتدر ووجد بذلك نصر السبيل إلى تقريظ[1] ابن مقلة وقال للمقتدر:

ـ «إن كان هذه مراعاته لأمورك ولا تعلّق له بخدمتك فكيف يكون إذا اصطنعته؟»

١. فى مط: تفريط.

ذكر القبض على عليّ بن عيسى
وتقليد ابن مقلة

فلمّا كان يوم الثلاثاء للنصف من شهر ربيع الأوّل سنة ستّ عشرة وثلاثمائة أنفذ هارون ابن غريب للقبض على عليّ بن عيسى فصار هارون إلى دار عليّ بن عيسى ومعه أبو جعفر بن شيرزاد وكان أبو جعفر متعطّلاً فى الوقت فوجّه بأبى جعفر إليه لأنّه [307] استحيا منه وعرّفه ما أُمر فيه. فلمّا أدّى إليه الرسالة قال له:

- «أنا جالس متوقّع له.»

وكان قد لبس عليّ بن عيسى خُفّاً وعمامة وطيلساناً وفى كمّه مصحف ومقراض وسأل هارون أن يصون حرمه وولده ففعل، وحمله مع أخيه أبى عليّ عبد الرحمن إلى دار السلطان فسلّم عليّ بن عيسى إلى زيدان القهرمانة واعتُقل عبد الرحمن عند نصر فكانت وزارته هذه سنة واحدة وأربعة أشهر ويومين.

فلمّا كان فى آخر نهار يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر أُحدر أبو عليّ ابن مقلة الحاجب فى دار السلطان ولم يصل إلى المقتدر وأقام عند نصر الحاجب فى دار السلطان. وجدّ محمّد بن خلف فى طلب الوزارة وضمن ثلاثمائة ألف دينار[1] مُعجّلة غير أموال النواحى. فقلق أبو عليّ ابن مقلة لذلك وحضر من غد دار السلطان ولم يصل أيضاً.

واجتمعت الألسن على المقتدر بإمضاء أمره وبالذمّ لمحمّد بن خلف، فأمضاه وحضر يوم الخميس للنصف من الشهر ووصل وخُلع عليه وحُمل

---

١. كذا فى الأصل ومط: ثلاثمائة ألف دينار.

إليه من دار السلطان طعام على رسم الوزراء إذا تقلّدوا.

وكان أبو الحسن [308] علىّ بن عيسى قبل صرفه عن الوزارة بعشرين يوماً كتب إلى أبى عبد الله البريدى يأمره باستخراج ما كتب به ابن مابنداذ[١] أنّه قد اجتمع فى بيت مال الأهواز من مال الأهواز وهو ألف ألف وخمسون ألف درهم وانضاف إلى ذلك ما حمله القاسم بن دينار من مال فارس وكرمان على الظهر وهو سبعمائة ألف درهم سوى ما حمله أبو على ابن رستم من مال إصبهان وهو أربعمائة وخمسون ألف درهم فيصير الجميع ألفى ألف ومائتى ألف درهم.

وكان فى أبى عبد الله البريدى حركة ورُجلة يحتاج إليهما فى ذلك الوقت. فكتب إلى ابن مابنداذ يطالبه بالمال فكتب بأنّ المال حاصل. وكان ابن مابنداذ بتُسْتَر، فوجّه إليه يستعجله ولم ينتظره واستحضر كاتبه فحمل فى الشذاءات ألفى ألف ومائتى ألف درهم، وكتب أنّه إن عادت الشذاءات حمل فيها باقى المال، فصرف علىّ بن عيسى قبل موافاة بقية المال.

وقد كنّا ذكرنا انحراف نصر الحاجب عن علىّ بن عيسى لميل مونس المظفّر إليه، فلمّا نكب علىّ بن عيسى ادّعى نصر الحاجب أنّه وجد رجلاً يعرف بالجوهرى أقرّ أنّه صاحب القرمطى [309] وأنّه جُعل سفيراً بينه وبين علىّ بن عيسى.

وحُكى عنه أنّ علىّ بن عيسى كان يكاتب القرمطى على يده وجمع بينه وبين علىّ بن عيسى حتّى واجهه بذلك فقال له علىّ بن عيسى:

ـ «بهتّنى وما خلق الله لما يقوله أصلاً.»

وعاون أبو علىّ ابن مقلة نصراً الحاجب فى هذه القصّة إلى أن كاد يتمّ

---

١. فى مط: مابيداذ.

المكروه على عليّ بن عيسى وهمّ المقتدر أن يضربه بالسوط على باب العامّة بحضرة الفقهاء والقضاة وأصحاب الدواوين، فاحتالت السيّدة واستكشفت الحال فيما ادُّعى عليه فوقفت على بطلانه وقررت ذلك فى نفس ابنها وأزالت ما كان أمره به فيه.

وأخذ أبو عليّ ابن مقلة خطوط العمّال والضمناء بنحو مائة ألف دينار وبلغ أبا عبد الله البريدى وهو بالأهواز تقلّد أبى على ابن مقلة الوزارة وكان بينهما مودّة فأنفذ إليه من وقته سفاتج بثلاثمائة ألف دينار من حمله الباقى بالأهواز بعد ما كان حمله.

وكان القاسم بن دينار وأحمد بن محمّد بن رستم قد حملا إلى عليّ بن عيسى سفاتج بستمائة ألف درهم، فوصلت بعد صرفه[١] فقبضها ابن مقلة فمشى أمر أبى عليّ ابن مقلة بهذه الاتفاقات. وكتب [310] أبو عليّ ابن مقلة كتاباً برفع كلّ الجبايات[٢] والمصادرات وسكّن من الناس لينبسطوا فى أعمالهم.

وفى هذه السنة وقعت حرب
بين نازوك وهارون بن غريب الخال
ذكر السبب فى ذلك

كان السبب فى ذلك أنّ سوّاس هارون بن غريب وسوّاس نازوك تغايروا على غلام أمرد ووقع الشّر بينهم وأخذ نازوك سوّاس هارون بن غريب وأودعهم حبس الجرائم بعد أن ضربهم، فصار أصحاب هارون بن غريب إلى مجلس الشرطة ووثبوا على أبى الجود خليفة نازوك وانتزعوا أصحابهم من

١. فى مط: صرفها.
٢. الجبايات. كذا فى الأصل. وفى مط: الجبات. وفى مد: الجنايات.

يده.

وركب نازوك إلى المقتدر وشكى إليه هذه الحال فلم يكن من المقتدر إنكار رضيه[1] نازوك فانصرف محفظاً وجميع رجاله وجمع هارون ابن غريب رجاله وباتا جميعاً مستعدين.

فلمّا أصبحوا زحف أصحاب نازوك إلى دار هارون بن غريب وأغلق هارون بابه دونهم وخارج الباب جماعة من غلمان هارون وأصحابه فقتل منهم قوم وفتح باب هارون حينئذ وخرج أصحابه واستحكمت الحرب بينهم واشتدّت. فوجّه نازوك إلى أصحابه بمن صرفهم، ثمّ ركب [311] الوزير أبو عليّ ومعه مفلح الأسود لتوسط القصّة. فبدأ بابن الخال وأدّى إليه رسالة المقتدر بالكفّ. ثمّ صار الى نازوك فأدّى إليه مثل ذلك فسكنت القصّة.

واستوحش نازوك وأقام في داره وفيها غلمانه وأصحابه ورجاله وظهر في ساقه توتة[2] وقلعها وجعلها سبباً في ترك الركوب وبعد ثلاثة أيّام صار إليه هارون بن غريب بدرّاعة فاصطلحا وأقام نازوك في داره وصار هارون بن غريب إلى البستان النجمي فأقام فيه ليبعد عن نازوك وكثر الناس عليه وأرجفوا له بأمرة الأمراء فاشتدّ ذلك على أسباب مونس المظفّر وكتبوا به إليه وهو بالرقّة فأسرع الشخوص منها على طريق الموصل إلى بغداد ووصل إليها ولم ينحدر إلى المقتدر ولا لقيه وصاعد إليه الأمير أبو العبّاس والوزير أبو عليّ فسلّما عليه وانحدر نازوك.

ظهور الوحشة بين مونس والمقتدر

وأقام هارون بن غريب في دار السلطان منابذاً لمونس المظفّر ودخل أبو

---

١. رضيه: في الأصل غموض، وما أثبتناه يوافق مط ومد.

٢. في مط: قومه، بدل «توتة».

الهيجاء عبد الله بن حمدان من الجبل وصار إلى مونس المظفّر وما زالت المراسلات تتردد بين مونس والمقتدر. [312]

ودخلت سنة سبع عشرة وثلاثمائة

ذكر فتنة نازوك وأبى الهيجاء التى أدّت إلى خلع المقتدر وذكر قتلهما ورجوع المقتدر بالله إلى الخلافة

لمّا كان يوم السبت لثمان خلون من المحرّم خرج مونس المظفّر إلى الشمّاسيّة وخرج الجيش معه وركب نازوك من داره فى غلمانه وأصحابه فى السلاح. فلمّا وصل إلى الجسر وجده مقطوعاً فأقام بمكانه إلى أن أُصلح وعبر هو وأصحابه عليه وصاروا إلى مونس وخرج أبو الهيجاء ابن حمدان إليه وسائرُ القوّاد، ثمّ انتقلوا من باب الشمّاسيّة إلى المصلّى وشحن المقتدر داره بهارون بن غريب وأحمد بن كيغلغ والحجريّة والرجّالة المصافيّة. فلمّا كان آخر النهار انفضّ أكثر من كان فى دار السلطان وصاروا إلى مونس وصرف مونس نحرير الصغير عن الدينور وردّها إلى أبى الهيجاء مضافة إلى أعماله.

وراسل مونس المقتدر بأنّ الجيش عاتبٌ منكر للسرف فيما يصير إلى الخدم والحُرَم من الأموال والضياع ولدخولهم فى الرأى والتدبير ويطالبون بإخراجهم من الدار [313] وإبعادهم وأخذ ما فى أيديهم.

فكتب المقتدر إلى مونس رقعة نسختها:

ـ «بسم الله الرحمن الرحيم، أمتعنى الله بك ولا أخلانى منك ولا

أرانى سوء فيك. تأمّلت الحال التى خرج أولياؤنا[١] وصنائعنا وشيعتنا إليها وتمسّكوا بها وأقاموا عليها، فوجدتهم لم يريدوا[٢] إلّا صيانة نفسى وولدى وإعزاز أمرى وملكى واجتلاب الخيروالمنفعة من كلّ جهة وتطلبها بكلّ سبيل، بارك الله عليهم وأحسن إليهم وأعاننى على صالح ما أنويه فيهم.

ـ «وأمّا أنت يا أبا الحسن المظفّر ـ لا خلوت منك ـ فشيخى وكبيرى ومن لا أزول ولا أحول عن الميل إليه والتوفّر عليه والتحقق به والإيجاب له اعترض ما بيننا هذا الحادث أم لم يعترض، وانتقض الأمر الذى يجمعنا أم لم ينتقض، وأرجو ألّا تشكّ فى ذلك إذا صدقت نفسك وحاسبتها وأزلت الظنون السيّئة عنها أدام الله حراستها والقوّة بالله والذى خاض لأصحابنا فيه من أمر الخدم والحرم الذين يُخرجون من الدار ويباعدون عنها وتسقط رسومهم فى الخدمة ويمنعون منها ويبرّؤن من نعمهم ويحال بينهم وبينها إلى أن يفرجوا عمّا فى أيديهم من المال والضياع ويردّوها إلى حقوقها قول إذا تبيّنوه حقّ تبيّنه [314] وتصفّحوه كنه تصفّحه علموا أنّه قول جاف والبغى علىّ فيه غير مستتر ولا خافٍ.

ـ «ولإيثارى موافقتهم واتّباعى مسرّتهم ما أجبتهم إلى المتيسّر فى أمر هذه الطبقة خاصّة، فأتقدم بقبض بعض

---

١. أولياؤنا: كذا فى الأصل. وفى مط: آباؤنا.

٢. لم يريدوا: كذا فى الأصل. وفى مط: لم يدبّروا.

إقطاعاتهم وحظر تسويغاتهم وبسط إيغاراتهم وإخراج من يجوز إخراجه من دارى ولا أطلق للباقين الدخول فى تدبيرى ورأيى وأوعز بمكاتبة العمّال فى استيفاء[١] حقّ بيت المال فى ضياعهم الصحيحة الملك دون ما يقال إنّه قد لابسه[٢] الريب والشكّ.

ـ «وأنظر بنفسى فى أمر الخاصّة والعامّة وأبلغ فى إنصافها والإحسان إليها الغاية، ولا أعتمد فى ذلك على وزير ولا سفير البتّة وانتصب لإثارة الأموال وجمعها ووضعها فى مواضعها وأحميها من كلّ ما يثلمها وينتقصها وأشمّر فى ذلك وأبلغ فى مناهضة الأعداء قرباً وبعداً وهذا إنّما قعدت عنه اعتماداً عليكم وتفويضاً إليكم وثقة بأنّكم شركائى وسهمائى والمخصوصون بخير أيّامى شرّها وحلوها ومرّها ولو علمت انّه يجعل ذلك ذنباً لى وجرماً يتجنّى به علىّ لكنت أوّل شاخص إلى كلّ [315] تعب وأوّل مبادر نحوه من غير إبطاء عنه ولا ريث.

ـ «فأمّا أنتم فمعظم نعمكم منّى وما كنت لأغور عليكم فى شىء سمحت به لكم ورأيته فى وقته وأراه الآن زهيداً فى جنب استحقاقكم وأنا بتثميره أولى وبتوفيره أحرى والله المطّلع على جميل معتقدى للجماعة فيها والشاهد على محبّتى لإيصالها إلى أقصى أمانيها.

ـ «ونازوك، فلست أدرى من أىّ شىء عتب ولا لأيّة حال

١. استيفاء: كذا فى الأصل. وفى مط: استيفاد.

٢. لابسه: كذا فى الأصل. وفى مط. لا يشتبه.

استوحش واضطرب لأنّى لم ألمه على محاربة هارون بن غريب الخال ولم أمنعه من الإنتصار منه والأخذ بثأره عنده ولا أمرت بمعاونة هارون عليه ولا قبضت يده عمّا كانت طويلة إليه منبسطة فيه متمكّنة منه ولا غيّرت له حالاً ولا حزت له مالاً ولا سمع منّى ولا بلغه عنّى ما يسوء موقعه وينفر منه والله يغفر لنا وله.

ـ «وعبد الله بن حمدان فالذى أحفظه صرفه عن الدينور وقد كان يتهيّأ إعادته إليها إن كان راغباً فيها فيسعف بمسألته وأن يستدعى تعويضه من الأعمال ما هو أعظم خطراً من الدينور فلا تقصر عن إرادته وما عندى له ولنازوك وللعصاة كلّها إلّا التجاوز والإبقاء والإغضاء وقبل هذا وبعده، فلى فى أعناقكم بيعة قد [316] وكّدتموها على أنفسكم دفعة بعد دفعة، ومن بايعنى فإنّما بايع الله ومن نكث إنّما نكث عهد الله.

ـ «ولى أيضاً عليكم نعم وأياد وعندكم صنائع وعوارف آمل أن تعترفوا بها وتلتزموها ولا تكفروها وتشكروها وإن راجعتم الجميل وتلافيتم هذا الخطب الجليل وفرّقتم جموعكم ومزّقتموها وعدتم إلى منازلكم واستوطنتموها وأقبلتم على شوؤنكم وتشاغلتم بها وأجريتم فى الخدمة على عادتكم فلم تقصروا فيها كنتم بمنزلة من لم يبرح من موضعه ولم يأت بما يعود بتشعث[1] محله وموقعه وكنت الذى تعرفونه فى الثقة بكم والإيثار لكم والسكون إليكم

١. بتشعّث: كذا فى الأصل. وفى مط: وبتشعّث.

والإشتمال عليكم لكم بذلك عهد الله إن عهده كان مسؤلا.

- «وإن أبيتم إلّا مكاشفة ومخالفة وإثارة فتنة وتجديد محنة فقد ولّيتكم ما تولّيتم وأغمدت سيفي منكم وتبرّأت إلى الله أن أمدّ باعى إلى أحد منكم ولجأت فى نصرى ومعونتى وكفايتى إلى الله عزّ وجلّ ولم أخرج من منزلى ولم أسلّم الحقّ الذى جعله الله لى إلّا كما خرج عثمان بن عفّان عن داره وكما سلّم حقّه لمّا خذله عامّة ثقاته وأنصاره وكان ذلك حجّة فيما بين الله عزّ وجلّ وبينى ومعذرة وسبباً [317] بإذن الله لما أؤمّله من الفوز فى الدنيا والآخرة والله بصير بالعباد وللظالمين بالمرصاد وحسبى الله ونعم الوكيل.»

ولمّا وصلت هذه الرقعة إلى مونس ووقف نازوك وأبو الهيجاء على ما تضمّنت عدلوا إلى مكاتبته بإخراج هارون بن غريب عن بغداد، فأجابهم إلى ذلك وقلّد هارونَ الثغور الشاميّة والجزريّة من يومه ومضى إلى قُطْرُبُّل[1] فأقام بها.

ولمّا كان يوم الأثنين لعشر خلون من المحرّم دخل مونس المظفّر والجيش بغداد وعدلوا عن دار السلطان كراهية لمعرّة الجند وظهر عند الناس ظهوراً بيّناً وأرجفوا إرجافاً قويّاً أنّ نازوك وأبا الهيجاء واقفا مونساً المظفّر على الإستبدال به ونصب غيره فى الخلافة.

فلمّا كان يوم الأربعاء لإثنى عشرة ليلة خلت من المحرّم خرج مونس

---

١. قطربّل: قرية بين بغداد والمرزفة، وهى الآن خراب (مراصد الإطلاع).

إلى باب الشمّاسيّة دفعة ثانية وخرج معه أبو الهيجاء ونازوك وبُنيّ بن نفيس وجميع القوّاد والجيش وزحفوا إلى دار السلطان.

ذكر الخبر عن خلع المقتدر بالله وتقليد القاهر بالله الخلافة

لمّا زحف القوم بأسرهم إلى دار السلطان هرب المظفّر بن ياقوت وسائر الحجّاب والحشم [318] والخدم والوزير أبو عليّ ابن مقلة منها ودخل مونس من باب الزاوية وحصل الجيش كلّه في دار السلطان. فلمّا كان بعد عتمة بساعة أُخرج المقتدر ووالدته وخالته وخواصّ جواريه من الدار وأُصعد بهم إلى دار مونس المظفّر ودخل هارون بن غريب من قُطربّل سرّاً إلى بغداد واستتر بها.

ومضى أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان إلى دار ابن طاهر ليُحدر منها محمّد بن المعتضد بالله فلم يفتح له كافور الموكّل بحفظ الدار وطالبه بعلامة من مونس، فلم تكن معه فانصرف. وأصعد ونازوك بعد أن أخذ العلامة وطرح في طريقه النار في دار هارون بن غريب وأحدر محمّد بن المعتضد ووصل إلى دار السلطان في الثلث الأُخير من ليلة السبت للنصف من المحرّم وسُلّم عليه بالخلافة وبايعه مونس والقوّاد ولُقّب القاهر بالله.

وزارة علي بن مقلة

وأخرج مونس عليّ بن عيسى من الحبس في دار السلطان وأطلقه إلى منزله وأحضر أبا عليّ ابن مقلة وقلّده وزارة القاهر بالله وقلّد نازوك الحجبة مضافة إلى ما إليه من الشرطة بمدينة السلام وأضاف إلى ما كان إلى أبي

الهيجاء من أعمال طريق خراسان وحلوان والدينور وطريق [319] سُرّ من رأى وبُزُرج سابور والراذانين ودَقوقاء[١] وخانيجان والموصل أعمال المعاون بهمذان ونهاوند والصيمرة والسيروان وماسبذان ومهرجانقذق وأرزن.

ووقع النهب في دار السلطان ومضى بنىّ بن نفيس إلى تربة السيدة بالرصافة فوجد لها هناك ستّمائة ألف دينار فحملها إلى دار السلطان. وخلع المقتدر بالله من الخلافة يوم السبت النصف من المحرّم وأشهد على نفسه بذلك القضاةَ وسُلّم الكتاب بذلك إلى القاضى أبى عمر محمّد بن يوسف.

ذكر حزم استُعمل وانتُفع به

فحدّث أبو الحسين ابن أبى عمر أنّ أباه سلّم الكتاب إليه بالخلع وقال له:

ـ «يا بنىّ احفظه واستره ولا يراه أحد من خلق الله عندك.»

قال: فقلت له:

ـ «وما الفائدة فى كتمانه وقد علم به الخلق؟»

قال: فقال لى:

ـ «وما الفائدة فى إظهاره ومن أين تعلم ما يكون؟»

قال: فامتثلت أمره. فلمّا أعيد المقتدر بالله إلى الخلافة بعد يومين أخذ القاضى أبو عمر ذلك الكتاب فسلّمه إلى المقتدر بالله من يده إلى يده وحلف له على أنّه [320] ما رآه أحد من خلق الله عنده غيرى. فحسن موقع ذلك من المقتدر جدّاً وشكره له وقلّده بعد مديدة قضاء القضاة.

قال: فقال لى:

ـ «يا بنىّ ما ضرّنا كتمان الكتاب وستره شيئاً»

---

١. دقوقاء (بالمدّ) بلدة بين أربل وبغداد (مراصد الإطلاع).

وانصرف الناس من دار السلطان يوم السبت ولمّا كان من غد وهو يوم الأحد جلس القاهر بالله وحضر الوزير أبو عليّ ابن مقلة ووصل إليه وأمره بالجلوس بين يديه وسكن النهب وكتب أبو عليّ ابن مقلة بخبر تقليد القاهر بالله الخلافة كتاباً أنشأه إلى الولاة فى النواحى. وأمر نازوك الرجّالة المصافيّة بقلع خيمهم من دار السلطان وأقام رجّالته مكانهم فاضطربوا من ذلك ثمّ تقدّم إلى خلفاء الحجّاب والبوّابين ألّا يدخل الدار إلّا من كانت له مرتبة فاضطربت[1] الحجريّة من ذلك وتكلّموا وصار ذلك سبباً لردّ المقتدر إلى الخلافة.

ذكر السبب فى ردّ المقتدر إلى الخلافة

فلمّا كان يوم الإثنين السابع عشر من المحرّم بكّر الناس إلى دار السلطان لأنّه يوم موكب ودولة جديدة. فامتلأت الدهاليز والممرّات والرحاب وشاطئ دجلة [321] منهم وحضر الرجّالة المصافيّة بالسلاح يطالبون بالبيعة ورزق سنة ولم ينحدر مونس إلى دار السلطان ذلك اليوم وأقام فى منزله.

وارتفعت زعقات الرجّالة وسمعها نازوك وأشفق أن يجرى بين أصحابه وبينهم قتال، فتقدّم إلى غلمانه وأصحابه ألّا يعرضوا لهم. وزاد شغب الرجّالة وهجموا يريدون الصحن التسعينى فلم يمنعهم أحد لما كان نازوك تقدّم به إلى أصحابه ودخل منهم من كان على الشطّ من الروشن بالسلاح المشهور وقربت زعقاتهم من مجلس القاهر بالله وكان جالساً فى رواق التسعينى وبين يديه أبو عليّ ابن مقلة ونازوك وأبو الهيجاء، فوجّه بنازوك ليخاطبهم وكان نازوك مخموراً كالسكران قد شرب طول ليلته، فلمّا برز إلى الروشن ونظر

---

١. كذا فى الأصل: فاضطربت. وفى مط: فيضطرب.

إليه الرجّالة أسرعوا نحوه فخافهم لأنّهم شهروا السلاح عليه، فولّى منهم وعدا وأطمعهم فى نفسه وعدوا خلفه وانتهى به الهرب منهم إلى باب كان هو سدّه أمس ذلك اليوم بالآجر والجصّ ولم يمكنه النفوذ ووصلوا إليه وقتلوه وقد كانوا قتلوا قبله[١] عجيباً وصاحوا:

- «مقتدر يا منصور.»

فتهارب كلّ من فى الدار من الوزير والحجّاب والحشم وسائر الطبقات حتّى بقيت الدار خالية.

وصلب [322] الرجّالة نازوك وعجيباً على خشب الستارة التى على شاطئ دجلة [ثمّ صار[٢] الرجّالة إلى] دار مونس يطالبون بالمقتدر بالله، وبادر الخدم فى دار السلطان فغلقوا أبوابا وكان جميعهم خدم المقتدر وحاشيته وصنائعه، وأراد أبو الهيجاء أن يخرج من الدار فتعلّق به القاهر وقال:

- «يا أبا الهيجاء تسلّمني؟»

فدخلت أبا الهيجاء الحميّة والأنفة، فرجع معه وقال:

- «والله لا أسلمتك.»

وعاد فوجد الأبواب مغلقة فدخلا دار السلام وارتفعت ضجّة وتكبير. فقال فائق وجه القصعة، لبعض الخدم الصغار الرسائليّة[٣]:

- «أنظر ما هذه الضجّة؟»

فمضى وعاد وقال:

- «قُتل أبو الهيجاء.»

---

١. قبله: كذا فى الأصل: وفى مط: قتله.

٢. فى مط: وصار إلى مونس. بدل «ثم صار الرجّالة إلى دار مونس». وما بين المعقوفتين من مد.

٣. فى مط: رساطية.

فقال له:

ـ «أنظر ويلك ما تقول.»

فأعاد ذلك ثلاثاً فقال أبو الهيجاء:

ـ «هو ذا أنا[١] ويلك.»

فقال الخادم:

ـ «غلطتُ، قُتل نازوك.»

فقال القاهر لوجه القصعة:

ـ «افتح لى الباب لأخرج إلى الشطّ.»

فقال: «إنّ وراءه أبواباً كثيرة يتعذّر منها الوصول إلى الشطّ، ولكن نفتحه على كلّ حال.»

ففتح فأفضى بالقاهر المشى إلى درجة الدواليب المنصوبة على دجلة فوق موضع التاج فصعدها ويده فى يد أبي الهيجاء ابن حمدان، وأشرفا على دجلة، فرأيا الرجّالة فى السلاح من نهر المعلّى منتظمين متراصّين إلى التاج وإلى باب الخاصّة لا يحصيهم [323] العدد فنزل مبادراً فقال له أبو الهيجاء:

ـ «امضِ يا مولاى فوَتُربة حمدان لا فارقتك أو أقتل دونك.»

ومضيا حتّى دخلا الفردوس وخرجا من باب الفردوس إلى الرحبة، فلقيا غلاماً لمقبل الخادم راكباً فلمّا رآهما ترجّل وقالا له:

ـ «من أين جئت؟»

قال: ـ «من باب النوبى[٢].»

فنزع أبو الهيجاء سواده ومنطقته ودفعها إلى الغلام وقال له:

ـ «أعطنى جبّتك.»

---

١. فى الأصل غموض. وفى مط: أنا.

٢. كذا فى الأصل: النوبى. وفى مط: النونى.

وكانت عليه جبّة صوف مصرى فأعطاه إيّاها فلبسها وركب دابّة الغلام وترك القاهر مع الخدم وقال:

- «يا مولاى قف بمكانك حتّى أعود إليك.»

فلم يطل أبو الهيجاء حتّى عاد فقال له القاهر:

- «ما وراءك؟»

فقال: «صرت إلى باب النوبى[1] فلقينى جعفر البوّاب فقلت له:

- «افتح الباب.»

فقال: «لا يمكننى لأنّ وراءه من الرجّالة والجيش من لا يُحصى لأنّه قد جىء برأس تازوك إلى ها هنا.»

ثمّ قال للقاهر:

- «هذا أمر من السماء فعد بنا.»

ودخلا الفردوس فجالا فيه ثمّ خرجا إلى القرب من القلّاية ثمّ دخلا الصحن الحسنى الصغير ثمّ دخلا إلى دار الأترجّة وخفّ من معهما من الخدم وتأخّر هناك فائق وجه القصعة وقال لمن وقف بوقوفه من الخدم:

- «ادخلوا إليهما فافرغوا من عدوّ مولاكم.»

فدخل نحو عشرة منهم بعضهم بقسىّ وبعضهم [324] بدبابيس. فلمّا رآهم أبو الهيجاء صاح بهم وجرّد سيفه ونزع الجبّة الصوف التى كانت عليه، فلفّها على يده وأسرع نحوهم فانجفلوا من بين يديه ودهشوا وسقط بعضهم فى البركة وغشيهم فرموه ضرورة، فرجع ودخل بيت ساج فى بستان دار الأترجّة. فلمّا حصل فى البيت خرج من كان فى البركة من الخدم وصاروا إلى قرب البيت وأحسّ بهم فخرج إليهم بسيفه فولّوا بين يديه إلى جانب من

---

١. فى مط: النوتى.

الصحن وفتحوا باباً من زاوية هذا الصحن فدخل منه خمارجويه[١] أحد أكابر الغلمان بسيفين ودرقتين وأقبل على الخدم وقال لهم:

ـ «أين هو يا أصحابنا؟»

فقالوا:

ـ «هو فى البيت الساج.»

فقال لهم:

ـ «تحرّشوا به حتّى يخرج.»

فشتموه فخرج كالجمل الهائج وقال:

ـ «يآل تغلب أأقتل بين الحيطان، أين الكميت أين الدهماء؟»

فرماه خمارجويه بسهم أصابه تحت ثديه وأتبعه بسهم آخر فأصاب ترقوته ورماه بسهم ثالث وقد اضطرب فشكّ فخذيه.

قال بشرى وهو الحاكى لهذه الصورة عن مشاهدة: فقد رأيت أبا الهيجاء وقد ضُرب السهم الذى [325] شكّ فخذيه فقطعه وجذب السهم الذى أصابه تحت ثديه فانتزعه ورمى به ومضى نحو البيت فسقط قبل أن يصل إليه على وجهه فأسرع إليه أحد الأسودين فضرب يده اليمنى فقطعها وفيها السيف وأخذ السيف وغشيه الأسود الآخر فحزّ رأسه فأسرع بعض الخدم فانتزع الرأس من يد الأسود ومضى مبادراً به.

وكان الرجّالة لما انتهوا إلى دار مونس وسمع زعقاتهم قال:

ـ «ما الذى يريدون؟»

فقيل له:

ـ «يريدون المقتدر بالله.»

١ـ خمارجويه: كذا فى الأصل. وفى مط: كمارجوته.

فقال: «سلّموه إليهم.»

فلمّا قيل للمقتدر:

- «امضِ معهم إلى الدار حتّى تعود إلى أمرك.»

خاف أن يكون حيلة عليه فامتنع فحُمل حملاً على رقاب الرجال من دار مونس إلى الطيّار ومن الطيّار إلى درجة الصحن التسعينى فحين وضع رجله فى الدار صار إلى دار زيدان القهرمانة وقال:

- «ما فعل أبو الهيجاء؟»

فقيل: «هو فى دار الأترجّة.»

فدعا بدواة فأبطأ بها الغلمان ولم يزل يطلبها حتّى جاءوه بها فكتب له أماناً بخطّه ودفعها إلى بعض الخدم وقال:

- «ويلك بادر به لئلّا يحدث عليه حادثة.»

فلقى الخادمُ الخادمَ الذى معه الرأس فعاد معه فلمّا رآه قال له:

- «ويحك [326] ما وراءك؟»

قال: «عمر الله أمير المؤمنين.»

فقال: «ويلك من قتله؟»

فغمزه مفلح الأسود فقال:

- «لا أدرى من قتله ولا يعرف قاتله فإنّ أخلاط الرجّالة قاتلوه.»

قال: «فإنّا لله.»

وأقبل يكرّرها وقال:

- «ما كان يدخل إلىّ فى هذه الأيام وأنا فى دار مونس من يسلّينى[1] ويظهر لى الغمّ حتّى كأنّه بعض أهلى سواه. هذا إلى ما له ولأهله من

١. يسلّينى...: والعبارة فى مط: يسلمنى ويظهر لى العمر.

الحقوق.»

وظهر فيه من الكآبة أمر عظيم.

فبينا هو كذلك إذ ارتفعت ضجّة فشغل عن أمر أبى الهيجاء وقال:

ـ «ما هذا؟»

فجاءه خادم يعدو وقال:

ـ «محمّد» ـ يعنى القاهر بالله.

وقد أُخذ وجيء به.

فأُحضر القاهر بالله فأجلسه بين يديه واستدناه ثمّ جذبه إليه وقبّل جبينه وقال له:

ـ «يا أخى أنت لا ذنب لك وقد علمتُ أنّك قُهرت.»

والقاهر بارك يقول: «نفسى نفسى الله الله يا أمير المؤمنين.»

فلمّا كرّر ذلك قال له:

ـ «وحقّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لا جرى[1] عليك سوء منّى أبداً ولا وصل أحد إلى مكروهك وأنا حىّ. ولأحرصنّ على انصرافك إلى منزلك من دار ابن طاهر فى هذه الليلة. فطب نفساً ولا تجزع.»

وأخرج رأس نازوك ورأس أبى الهيجاء وشُهرا [327] فى الشوارع ونودى عليهما:

ـ «هذا جزاء من عصى مولاه وكفر نعمته.»

سكون الهيج ورجوع الخلافة إلى المقتدر

وسكن الهيج وعاد أبو علىّ ابن مقلة إلى وزارته وكتب عن المقتدر بالله

---

١. فى مط: لا اجرى.

برجوع الخلافة إليه وتجديد البيعة له إلى الولاة فى النواحى.

ولمّا تمكّن المقتدر من دار الخلافة وأقرّ أبا علىّ ابن مقلة على وزارته أطلق للجند البيعة. أمّا للرجّالة فستّ نوائب وزيادة دينار لكلّ راجل، وأمّا الفرسان فثلث رزق وزيادة ثلاثة دنانير لكلّ فارس. ولمّا نفذت الأموال فى ذلك أخرج ما فى الخزائن من الكسوة وغيرها فباع ذلك ثمّ أطلق لهم بها العُهَد بالأشرية[١] على وكيل نصبه المقتدر وهو علىّ بن العبّاس النوبختى وأشهد على نفسه بتوكيله إيّاه فى البيع، وشرط للمبتاعين فى كتب الأشرية أن يُحمَلوا فى حقّ بيت المال فيما اشتروه على معاملة القطائع المعشورة، ثمّ بيع منهم بالصلة فضل ما بين المعاملتين فى أملاك الرعيّة وهو فضل ما بين الأستان[٢] والقطيعة ووقعت لهم الشهادة بذلك على علىّ بن العبّاس وحسبت عليهم الضياع والأملاك بأرخص الأثمان.

فحكى ثابت بن سنان أنّه حضر مجلس [328] الوزير أبى علىّ ابن مقلة ولم يكن له شغل غير التوقيع للجند ببيع الضياع وفضل ما بين المعاملتين بالصلة ولا كان لأصحاب الدواوين عمل غير إخراج العبر لما يباع. وكان الناس مجتمعين عليه وهو يوقّع إذ استُؤذن لعلىّ بن عيسى عليه فأذن له، فلمّا رآه قام له قياماً تامّاً وأجلسه معه على دسته وأقبل عليه وترك ما كان فيه. فلمّا سأله عن خبره رأى الناس منكبّين عليه فقال له:

ـ «يشتغل الوزير أيّده الله بشغله.»

وأقبل أبو على ابن مقلة على الناس يوقّع لهم، فلمح علىّ بن عيسى خرجاً قد أُخرج بعبرة ضياع جبريل والد بختيشوع فوجد الثمن بالإضافة إلى ما اشترى نزراً يسيراً فقال:

---

١. فى مط: بالأشربة.

٢. فى الأصل: الاستار. وفى مط ومد: الاستان.

ـ «لا إله إلّا الله، بلغ الأمر إلى هذا؟»

فترك ابن مقلة ما كان فى يده وأقبل عليه فقال:

ـ «حدّثنى شيخنا أبو القاسم رحمه الله ـيعنى عيسى بن داودـ أنّ المتوكّل على الله لمّا غضب على بختيشوع المتطبّب أنفذ إلى داره لإحصاء ما فى خزائنه فوجد فى خزانة كسوته رقعة فيها ثبت ما اشتراه من الضياع وهو بيضعة عشر آلاف ألف درهم فقد آل أمرها إلى أن تباع بهذا القدر النزر، فعجبا جميعاً من ذلك وعاد ابن مقلة إلى شغله وقام علىّ بن عيسى لينصرف [329] فقام له الوزير أبو علىّ كما قام لدخوله.

وفى هذه السنة خلع على أبى علىّ ابن مقلة وكُنّى وكُتب إلى جميع النواحى.

وفيها قُلّد أبو عمر قضاء القضاة وكُتب عهده.

وفيها أوقع القرمطى بالحاجّ فى البيت الحرام بمكّة وقتل أميرها.

ذكر الخبر عن إيقاع القرمطى بالحاجّ وتخريبه مكّة

كان منصور الديلمى يَدْرَق بالحاجّ فى هذه السنة فسلموا فى طريقهم فلمّا وصلوا إلى مكّة وافاهم أبو طاهر الهجَرى إلى مكّة يوم التروية فقتل الحاجّ فى المسجد الحرام وفى فجاج[١] مكّة وفى البيت قتلاً ذريعاً، وقلع الحجر الأسود، وقتل ابن محلب[٢] أمير مكّة وعرّى البيت وقلع الباب وأصعد رجلاً من أصحابه ليقلع المرزاب فتردّى الرجل على رأسه ومات، وأخذ أموال

---

١. فى مط: ومن يحاج. بدل «وفى فجاج».

٢. كذا فى الأصل ومط: محلب. فى مد: مجلب.

الناس وطرح القتلى فى بئر زمزم ودفن باقيهم فى مصارعهم فى المسجد الحرام وغيره من غير أن يصلّى عليهم، وأخذ أسلاب أهل مكّة وانصرف إلى بلده وحمل معه الحجر الأسود.

وفيها قُلّد ابنا رائق شرطة بغداد مكان نازوك.

ودخلت سنة ثمانى عشرة وثلاثمائة [330]

وشغّب الفرسان وتهدّدوا بأمور عظيمة. فأحضر المقتدر قوّادهم وخاطبهم بجميل ووعدهم بإطلاق أرزاقهم فى الشهر الجديد، فانصرفوا وسكنوا، وشغّب الرجّالة فأطلقت أرزاقهم.

وفى شوّال منها خلع المقتدر على الأمير هارون ابنه وركب معه الوزير والجيش وكانت ولاية فارس وكرمان وسجستان ومكران إليه.

وفى ذى القعدة منها خلع المقتدر على ابنه الأمير أبى العبّاس وركب معه الوزير، مونس المظفّر وجميع الجند وكان مرسوماً بولاية المغرب ومونس يخلفه عليه.

وفيها صرف ابنا رائق عن الشرطة وقلّدها أبو بكر محمّد بن ياقوت.

وفى هذه السنة كان هلاك الرجّالة المصافيّة.

ذكر السبب في هلاكهم

كان قد عظم الأمر فى تسحّب[1] الرجّالة المصافيّة وأدلوا بأنّهم كانوا

---

١. فى مط: تشحب.

السبب فى ردّ المقتدر إلى الخلافة بعد ما خُلع وثقل مالهم واحتدّت مطالبتهم وكثر شغبهم وزاد تعدّيهم وبلغ مالهم فى كلّ شهر من شهور الأهلّة مائة وثلاثين ألف دينار. فاتّفق أن شغّب الفرسان وطالبوا بأرزاقهم وناوشهم[١] الرجّالة فقتل منهم جماعة واحتجّ [331] السلطان على الفرسان بأنّ المال منصرف إلى الرجّالة، فحاربوهم حتّى طردوهم من دار السلطان، وركب محمّد بن ياقوت فنادى فيهم ألّا يقيموا ببغداد وكان من وجد منهم بعد النداء قبض عليه وأودع حبس الجرائم.

وهُدمت دور عرفاء الرجّالة وركب فى ذلك ابن ياقوت وجدّد النداء فيهم ثمّ ظفر بنفر منهم فضربوا وشهّروا وقُبضت أملاك الرجّالة المصافيّة وهُدمت دورهم.

ثمّ هاج السودان بباب عمّار فركب محمّد بن ياقوت والقوّاد الحجريّة فأوقعوا بهم وضربوا الصقع بالنار. وكانت لأبى سعيد بن حمدان فيهم نكاية مشهورة وهربوا متفرّقين ثمّ اجتمع منهم جماعة من البيضان من رجّالة المصافيّة وغيرهم فكثر عددهم وانحدروا إلى واسط ورأّسوا على أنفسهم رجلاً من الفرسان يعرف بنصر الساجى وطردوا عمّال السلطان بواسط، فانحدر إليهم مونس وأوقع بهم بواسط وقتلهم فلم يرتفع لهم راية بعد ذلك.

وفيها قُبض على الوزير أبى علىّ ابن مقلة

ذكر السبب فى القبض عليه

كان المقتدر متّهماً لابن مقلة لممايلة [332] مونس المظفّر وكان مستوحشاً من مونس يُظهر له الجميل، وانحرف عنه ياقوت لميل مونس

---

١. فى مط: وناق سهم. بدل «وناوشهم».

إليه. واتفق أن خرج مونس المظفّر إلى أوانا[١] متنزّهاً وانحدر أبو عليّ ابن مقلة إلى دار السلطان فتغنّم المقتدر بالله فيه غيبة مونس فقبض عليه. وكان محمّد بن ياقوت معادياً له، فلمّا قُبض عليه أنفذ إلى داره بالليل من أحرقها[٢].

وكان المقتدر قد عمل على أن يستوزر الحسين بن القاسم بن عبيد الله فرحل مونس من أوانا ودخل بغداد وراسل المقتدر بالله بكراهته للحسين ابن القاسم وسأله ردّ أبي عليّ ابن مقلة، فاغتاظ المقتدر وعزم على قتل ابن مقلة. وكان السفير عليّ بن عيسى. فكان يداريه إلى ان سكّنه وقال:

ـ «ما ذنب وزيرك في شفاعة مونس له؟»

ولم يزل به حتّى انصرف عن رأيه.

وكان المقتدر من محبته لأن يستوزر[٣] الحسين بن القاسم، استحضره وبيّته عنده وخلع عليه ووعده أن يصل في غد تلك الليلة بحضرة الناس ويخلع عليه الوزارة. فلمّا اتصل ذلك بمونس غلظ عليه أن يتفرّد المقتدر بهذا التدبير ولا يشاوره فيه وقد كان طَعن عليه قديما وقال:

ـ «لا يصلح للوزارة.»

فترددت الرسائل بينه وبين [333] المقتدر على لسان عليّ بن عيسى، فاستشار المقتدر عليّ بن عيسى، فأشار بردّ أبي عليّ ابن مقلة موافقة لمونس وذلك بعد أن سأله أن يتقلّدها هو فامتنع فقال المقتدر:

ـ «هذا غير ممكن، فاذكر سواه.»

فذكر سليمان بن الحسن وأشار به أو عبد الرحمن بن عيسى. فمال

---

١. أوانا: بليدة من دجيل بينها وبين بغداد عشرة فراسخ (مراصد الإطلاع).

٢. في مط: احراقها.

٣. في مط: لا يستوزر، بدل «لأن يستوزر».

المقتدر إلى سليمان لما كان قدّمه من الطعن على ابن مقلة وما ظهر من عداوته له، فأمره بإحضاره وانصرف الحسين بن القاسم من دار السلطان واستتر.

وكانت مدّة وزارة أبى علىّ محمّد ابن علىّ ابن مقلة سنتين وأربعة أشهر.

ذكر ما جرى فى أمر الوزارة بعد أبى علىّ وتقلّد سليمان بن الحسن لها

أُحضر سليمان بن الحسن يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى دار السلطان ولم يوصله المقتدر بالله إليه فى ذلك اليوم وعاد من غد وهو يوم الخميس فوصل وخلع عليه. وتقدّم المقتدر إلى علىّ بن عيسى بالإشراف على سائر الأمور من الأعمال والدواوين وبمعاضدة سليمان وألّا يتراخى فى ذلك فصار يصل مع سليمان إلى المقتدر ولا يقلّد سليمان أحداً ولا يصرفه ولا يعمل شيئاً إلّا بموافقة علىّ بن عيسى. [334]

وفيها قُبض على البريديين وصودروا ذكر الخبر عن ذلك

حكى أبو الفرج ابن أبى هشام قال: كان أبى يكتب لأحمد بن نصر القشورى وكان أحمد يطمع أن يُجعَل مكان أبيه نصر ويُستحجب. قال: فبينا[1] نحن بين يدى أحمد بن نصر بالأهواز ـ وكان يتولّى أعمال المعاون بها ـ إذ ورد عليه توقيع من المقتدر بالله بخطّه مع ركابىّ يعرفه سرّاً يقول فيه:

---

١. كذا فى الأصل ومط: فبينا. وفى مد: فبينما.

ـ «يا أحمد قد عرفتَ ذنبك الذى جنيته وحرمت به نفسك رأيى. وقد تيسّر لك تلافيه بامتثال أمرى فيما أضمّنه توقيعى هذا. اقبض على البريديين الثلاثة وحصّلهم فى دارك. وإيّاك أن تفرج عنهم إلّا بتوقيع يرد عليك بخطّ كهذا الخطّ الذى فى هذا التوقيع وثق منّى بالعود لك إذا فعلت ذلك إلى ما يرفع منك ويصلح حالك ويعيد منزلتك.»

قال: فأقرأنى أحمد بن نصر هذا التوقيع وسجد شكراً لله على ثقة المقتدر به وعبر فى الوقت إلى دار أبى عبد الله وأنفذ حاجبه أبا يعقوب إلى دار أبى يوسف وأنفذ أحمد بن مقبل إلى دار أبى الحسين فوجدوهم قد خرجوا قبل ركوبه بلحظة وركبوا طيّاراتهم. وكان الخبر قد سبق إليهم فأظهروا أنّهم يريدون مسجد [335] الرضا المتصل بالشاذروان بالأهواز فاتبعهم وعرف أنّهم ساروا إلى البصرة، فقامت قيامته من ذلك.

وأنفذ أبا يعقوب والغلمان وراءهم، فاتّفق أن عصفت الريح على البريديين فمنعتهم عن السير ولحقهم الطلب فأُخذوا.

وبذل أبو عبد الله لأبى يعقوب خمسين ألف دينار على أن يفرج عنهم فما أجابه، ثمّ سأله أن يفرج عن أحد أخويه ويقبل منه عشرين ألف دينار فأبى، وردّهم وحصلوا فى دار أحمد بن نصر ولم تمض خمسة أيّام حتّى ارتفعت ضجّة. فقال لى أحمد بن نصر:

ـ «اخرج فاعرف ما سبب هذه الضجّة.»

قال: وكان سلّم إليهم داره الشطيّة واعتزل فى حجرة، فخرجت مبادراً فرءانى أبو عبد الله فقال:

ـ «قل له وبشّره أنّ الفرج قد أتى وأنّ هذا كتاب الوزير بالإطلاق وإقرارى وأن أنظر فى الأعمال.»

وأعطانى الكتاب وبادرت به إلى أحمد بن نصر فقرأه وخرج إليه وإلى

أخويه وقال:

ـ «هذه نعمة يلزمنى فيها الشكر والصدقة والوفاء بالنذر ولكن هذا خطّ أمير المؤمنين إليّ بما رسمه وأريد خطّاً مثله بما ينقضه.»

فتغيّرت وجوه الأخوة من ذلك واضطربوا حتّى ظهر على وجوههم ما فى قلوبهم ثمّ أخذوا فى مداراته ومسألته الرفق. [336]

فلمّا كان من الغد شغّب الرجّالة بالأهواز تعصّباً لهم وقالوا:

ـ «لا بدّ من إطلاقهم.»

وحملوا السلاح وكان مع أحمد بن نصر طوائف من البصريّة وعدّة كثيرة من السودان والغلمان الحجريّة فجمعهم ثمّ حلف بالطلاق أنّه إن هجم على داره أحد منهم قتلهم وأخذ رؤوس الثلاثة وحملها إلى الخليفة. وقال:

ـ «هذا كتاب مزوّر وإلّا فلم لا يقع[١] تثبّت وإنّما ضرّبتم عليّ الرجّالة وراسلتموهم فى حمل السلاح وأخذكم من منزلى لئلّا[٢] يظهر ما زوّرتموه وتتعجّلون الخروج والهرب.»

فلمّا رأوا المصدوقة اعتذروا ووضعوا جنوبهم له وارسلوا الرجّالة فى الإنصراف بعد أن حلفوا أنّهم تبرّءوا بالتعصّب لهم وأقاموا بمكانهم.

ووافى بعد عشرة أيّام ابن موسى دانجو بتوقيع مثل ذلك التوقيع وذلك الخطّ فتسلّمهم وحملهم وعلم أنّهم كانوا زوّروا واحتالوا وتأكّدت الوحشة بينهم وبين أحمد بن نصر القشورى ولم يزالوا عليها حتّى فرّق بينهم الدهر.

ولمّا ورد البريديون الحضرة نوظروا على المصادرة فقال أبو زكريا يحيى بن سعيد السوسى وكان فى الوقت عدوّاً لهم:

ـ «بكرتُ إلى أبى جعفر محمّد بن القاسم الكرخى وقلت له: الأهواز

---

١. فى مط: لا يقلع، بدل «لا يقع».

٢. فى مط: ليلاً.

[337] خطّة القاسم أبيك وهى دارك ودار أخيك وأنتم تتصرّفون فيها منذ ستين سنة فلم تركتموها لهؤلاء الفعلة الصنعة[١] وهلّا سعيت على سحقهم وسحبهم حتّى لا يبقى لهم جناح يطيرون به؟»

فقال: «يا أبا زكريا ما الذى تقدّره فى مصادرتهم التى تؤدّيهم إلى هذه الحال؟»

فقلت معظماً[٢]: «ثلاثمائة ألف دينار يزهق الله به نفوسهم.»

فقال لى:

- «يا أخ قم بنا حتّى نعبر إلى دار الوزير.»

وكان يومئذ أبو القاسم سليمان بن الحسن. فخرجت معه فنزلنا الطيّار فلمّا وصلنا وتوسّطنا الدار وجدنا أبا القاسم الكلوذانى فى جانب منها والبريديّين بين يديه والكتّاب. فقال لى أبو جعفر:

- «ترى أن نقضى حقّه ونعرّج عليه ونعرف الصورة من أمرهم فنبنى ما نخاطب الوزير به بحسبه[٣]؟»

فقلت: «صواب.»

فعدلنا إلى أبى القاسم وجلسنا عنده فقال لأبى جعفر:

- «قد فصلنا أمر أصحابنا وأنت وجه الحضرة وتاجها وحُرّها وهم أُخوتك وما أحقّك بمعونتهم؟»

فقال: «إنّ أيسر ما يكون لهم أيّدهم الله مشاركتهم فى المحنة فأمّا المعونة فما أقنع من نفسى بها فعلام انفصل أمرهم؟»

فقال: «على تسعة آلاف ألف درهم.»

---

١. فى مط: الفعل الصنيعة، بدل «الفعلة الصنعة».

٢. فى مط: فقلت معظماً: ....

٣. به بحسبه: كذا فى الاصل. وفى مط: فحسب.

قال أبو زكريا: [338] فنظر إليّ أبو جعفر وقد بُهت. ونهضنا فقال:

ـ «يا أبا زكريا هذا خلاف ما كان عندك.»

فقلت: «هذا الأمر يُراد والله ما يملكون هذا المال فإنّى أعرف بمكاسبهم ولكن لأبى[1] عبد الله نفس أبيّة وهمة عليّة فعرفت نفسه على سلطانه فأعطاه أكثر ممّا أطمع فيه وممّا سعى به أعداؤه متربّصاً بالأيّام والأوقات ومتوقّعاً الدوائر وإن يسمع الخليفة التزامه هذا المال الجليل فيستكثر قدره ويرغب فى تجديد الصنيعة عنده وما كلّ أحد يغرّر هذا التغرير وما هذا آخر أمره وسيكون له شأن عظيم كفانا الله شرّه.»

قال أبو زكريا: وعدلت مذ ذلك اليوم إلى مداراته وخدمته واستصلاحه.

مناظرة أبى على بن مقلة

وتقدّم المقتدر بالله إلى سليمان بن الحسن وأبى الحسن علىّ بن عيسى بمناظرة أبى علىّ ابن مقلة فاختارا لذلك أحمد بن محمّد بن صالح العُكبرى وأنفذه إلى دار السلطان فناظره ولم يزد على توبيخه وموافقته على قبيح آثاره.

فالتمس أبو علىّ ابن مقلة أن يكون المناظر له علىّ بن عيسى. فاجتمع الوزير سليمان وعلىّ بن عيسى على مناظرته فى دار الحجبة بحضرة ياقوت الحاجب، فاغلظ له سليمان فى الخطاب [339] والتخطئة والإحتقار ونسبه إلى التضريب بين السلطان وأوليائه إلى أن قرّر علىّ بن عيسى أمره على مائتى ألف دينار على جمل[2]، يُعجّل منه النصف ويؤدّى الباقى فى نجوم المصادرات، وكانت تلك النجوم إنّما هى رسم لا يطالب من يؤخذ خطّه بها.

---

١. فى مط: أبا، بدل «لأبى».

٢. جُمل: وفى الأصل: جميل، والكلمة ساقطة من مط، فأثبتناها كما أثبتت فى مد.

فكتب مونس المظفّر إلى المقتدر يشفع لابن مقلة ويسأله أن يعفيه من المصادرة وأن يكون معتقلاً في يد مرشد الخادم فأجابه إلى ذلك.

ودخلت سنة تسع عشرة وثلاثمائة

وفي هذه السنة استوحش مونس المظفّر زيادة استيحاش.

ذكر السبب في استيحاش مونس وخروجه

كان محمّد بن ياقوت منحرفاً عن سليمان ومائلاً إلى الحسين بن القاسم ومونس المظفّر، وأسبابه[١] يميلون إلى سليمان لمكان عليّ بن عيسى وثقتهم به وينحرفون عن الحسين بن القاسم. وقوى أمر محمد بن ياقوت وقلّد مع الشرطة الحسبة [ببغداد][٢] واستضمّ رجالاً وقويت بهم شوكته فشقّ ذلك على مونس وسأل المقتدر صرفه عن [340] الحسبة وتقليد ابن بطحاء ففعل ذلك.

وتقدّم مونس إلى أصحابه بالإجتماع إليه، فلمّا فعل ذلك جمع ياقوت وابنه الرجال في دار السلطان وفي دار محمّد بن ياقوت. وقيل لمونس إنّ محمّد بن ياقوت قد عمل على كبس داره بالليل وما فارقه أصحابه حتّى أخرجوه إلى باب الشمّاسيّة وخرجوا معه وصار إليه عليّ بن عيسى فعرّفه خطأ هذا الرأى وأشار عليه بأن يعود إلى داره فلم يقبل منه وأقام على أمره.

وطالب بصرف محمّد بن ياقوت عن الحسبة والشرطة وياقوتٍ عن الحجبة وإبعادهما عن الحضرة، فوجّه المقتدر قاضي القضاة أبا عمر وابنه الحسن وابن أبي الشوارب وجماعة من شيوخ الهاشميين أصحاب المراتب

---

١. وفي مط: اشبابه.

٢. الزيادة من مط.

إلى مونس برسالة يرفق فيها ويسأله الرجوع إلى داره، فقال قاضى القضاة:

ـ «الوجه أن يكتب رقعة بما حمّلَناه من الرسالة نرجع إليها ونثنى الكلام على معانيها، فإنّا جماعة والقول يختلف والنسيان غير مأمون.»

فقال الوزير:

ـ «وما معنى هذا؟»

فقال عليّ بن عيسى:

ـ «هذا هو الصواب.»

وكُتب بذلك رقعة.

وقعد الوزير وعليّ بن عيسى في دار السلطان ينتظران عود الجماعة، فعادوا وذكروا أنّهم [341] لم يصلوا إلى مونس وأنّهم أُجلسوا فى الحديدى وراسلهم مونس فى إعلامه بما وردوا فيه فذكروه له فصار إليهم كتّابه يخاطبونهم خطاباً جميلاً عنه.

فبينا[١] هم كذلك إذ هجم الجيش على الحديدى فكادوا يغرقونه وقالوا:

ـ «لا نرضى إلّا بإخراج ياقوت وابنيه.»

وتكلّموا بكلام قبيح فراح فى آخر النهار الوزير سليمان بن الحسن وعليّ بن عيسى ومن معهما من الخدم الخاصّة إلى باب الشمّاسيّة فشافهوا مونساً بالرسالة فلم يبعد[٢] عليهم وخرجوا من عنده فقبض عليهم عند مغيب الشمس وحبسهم فى الحديدى.

فخرج ياقوت فى تلك الليلة ونزل المدائن ومعه ابناه فلمّا كان من غد ذلك اليوم وعرفت المونسيّة انّ ياقوتاً وابنيه قد خرجوا عن الحضرة أفرجوا

---

١. فبينا: كذا فى الأصل ومط: فبينا. والمثبت في مد: فبينما. وكلاهما صحيح، إلّا أنّ للترجيح ليس من مرجّح.

٢. كذا فى الأصل ومط ومد: فلم يبعد. وفى حاشية مد: لعله «لم يعتد».

عن الوزير والجماعة وانصرفوا إلى منازلهم.

وقلّد المقتدر ياقوتاً أعمال الخراج والمعاون بفارس وكرمان وكتب إلى أبى طاهر محمّد بن عبد الصمد بالانضمام إليه وانضمّ إليه وخاطبه بالأستاذيّة، وقلّد المظفّر بن ياقوت إصبهان وتقلّد ابنا رائق: إبراهيم ومحمّد، مكان ياقوت وأقام ياقوت بشيراز مدّة وكان علىّ بن خلف [342] بن طيّاب[١] متضمناً أموال الضياع والخراج بها فتظافروا وتعاقدوا فقطعا الحمل عن السلطان إلى أن ملك علىّ بن بويه الديلمى فارس يوم السبت سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة.

وفيها دخلت قوافل الحاجّ من مكّة سالمين مع مونس الورقائى فاستبشر الناس بتمام الحجّ وانفتاح الطريق وضربت له القباب ببغداد.

وفيها قبض على الوزير سليمان بن الحسن
ذكر السبب فى ذلك

كان السبب فى ذلك أنّ سليمان أضاق إضاقة شديدة وكثرت عليه المطالبات وبلّح واتصلت الرقاع ممّن يلتمس الوزارة بالسعاية فقبض على سليمان بن الحسن وأبى القاسم عبيد الله بن محمّد الكلوذانى فشقّ[٢] من ذلك وجزع جزعاً عظيماً وحملا إلى دار السلطان.

وكان المقتدر شديد الشهوة لتقليد الحسين بن القاسم الوزارة فامتنع عليه مونس وأشار بتقليد الكلوذانى فاضطرّ المقتدر إلى تقليده. وكانت مدّة وزارة سليمان سنة واحدة وشهرين وأيّاماً.

---

١. طيّاب: كذا فى الأصل: طيّاب. وما فى مط مهمل فى الثانى، والمثبت فى مد: طناب.

٢. فشقّ: كذا فى مط: فشق، والأصل غير واضح.

استحضار الكلوذاني لتقليده الوزارة

واستحضر المقتدر أبا القاسم عبيد الله بن محمّد الكلوذاني من دار مونس يوم السبت لخمس بقين من رجب وخرج إليه [343] مفلح برسالة المقتدر بأنّه قد قلّده وزارته ودواوينه ولم يوصله إليه وتقدّم إليه بأن ينحدر إليه يوم الإثنين ليخلع عليه. فخاف الكلوذانى من حيلة تتمّ للحسين بن القاسم فى تقلّده الوزارة لأنّه بلغه أنّ الحسين قد جدّ بعد القبض على سليمان وراسل مونساً المظفّر وقال:

ـ «لا يؤمن أن يحتجّ الخليفة فى تأخّر الخلع على الكلوذانى بأنّه لم تعدّ له الخلع.»

وأشار بأن يوجّه مونس بخلع من عنده إلى دار السلطان ليخلعها عليه. ففعل مونس ذلك وخلع المقتدر على أبى القاسم عبيد الله بن محمّد الكلوذانى يوم الإثنين وخاطبه بتقليده الوزارة والدواوين وتقدّم إليه بأن يقلّد الحسين بن القاسم ديواناً جليلاً ليظهر ويزول عنه الأراجيف بالوزارة.

ووصل علىّ بن عيسى بوصول الكلوذانى فأمره المقتدر بحضرة الكلوذانى بأن يجرى على عادته فى الإشراف على الأمور والحضور معه وعرّفه أنّه قد أفرده بالنظر فى المظالم دون الكلوذانى فركب الكلوذانى فى الخلع من دار السلطان إلى داره فأخذ خطّ سليمان بن الحسن بمائتى ألف دينار.

وقدم أبو الفتح الفضل بن جعفر [344] من الشام وأبو جعفر محمّد بن القاسم بن عبيد الله من نواحى جند قنّسرين والعواصم وكان أبو الفتح منصرفاً إلى ناحية قومس فأشار مونس بتقليده ديوان السواد فقلّده الكلوذانى مكرهاً وانقطعت بتقليده موادّ كانت تصل إلى الكلوذانى وأبى الفياض من أرزاق قوم

لا يحصرون[١] وتسبيبات بأسماء قوم لم يخلقوا وما كان يسبّب للغلمان والوكلاء فى الدار والحاشية برسم الفقهاء والكتّاب وما كان يستطلق لهم من الورق والقراطيس ويبتاع ببعضه ما يحتاج إليه وأشياء تشبه هذه ولم تنبسط يد[٢] الكلوذانى على قوم لعناية مونس المظفّر بهم.

وكان أبو بكر ابن قرابة متحققاً بمفلح الأسود فأوصله مفلح إلى المقتدر وجعله واسطة للمرافق التي أخلق بها الخلافة. وكان ابن قرابة ذكر له أنّ الوزراء كانوا يرتفقون بها وأنّ الضمناء قد بذلوا أن يرفقوا به الخليفة ليصرفه فى مهمّ نفقاته لشدّة الإضاقة.

وكان ابن قرابة يُظهر للمقتدر ولمفلح الأسود أنّه يمشّى أمر الوزارة وأنّ الوزراء لا يتمّ أمرهم من دونه وكان يلزم دار الكلوذانى ويقرضه عن [345] بنى البريدى وغيرهم بربح درهم فى كلّ دينار فأقرضه مائتى ألف دينار مشّى بها أمر الكلوذانى وبمال المصادرات.

مَرداويج يملك الجبل بأسره

وفيها ورد الخبر بوقعة كانت بين هارون بن غريب وبين مرداويج بنواحى همدان وأنّ هارون انهزم وملك مرداويج الجبل بأسره إلى حلوان[٣] ونزل هارون بدير العاقول.

قصد لشكرى الديلمى إصبهان

وفيها قصد لشكرى الديلمى إصبهان وحاربه أحمد بن كيغلغ فانهزم أحمد

---

١. فى الأصل ومد: لا يحضرون، وفى مد: لا يحصرون.
٢. فى مط: ولم يبسط الكلوذانى، بدل «ولم تنبسط يد الكلوذانى».
٣. فى مط: هلوان.

وملك لشكرى إصبهان وهذا لشكرى من أصحاب أسفار بن شيرويه، فلمّا قصد هارون بن غريب ابن الخال أسفار استأمن إليه لشكرى، ثمّ لمّا انهزم ابن الخال انهزم لشكرى بانهزامه إلى قنسرين. فلمّا تأهّب ابن الخال ثانياً وجُهزت إليه العساكر من بغداد لحرب مرداويج أنفذ لشكرى إلى نهاوند من الدينور مع جماعة من الغلمان لحمل مال إليه ورسم أن يحمل المال إلى همذان ويقيم بها حتّى يلحقه هناك فلمّا صار لشكرى إلى نهاوند رأى يسار أهلها وكثرة أموالها وطمع فيهم وصادرهم على نحو ثلاثة آلاف ألف درهم واستخرجها فى مدّة أسبوع وأثبت جنداً ثمّ خرج إلى الكرج ففعل مثل ذلك.

[346]

واتّصل الخبر بابن الخال فطلبه فرحل من بين يديه وسار حتّى وقع إلى إصبهان والوالى عليها أبو العبّاس أحمد بن كيغلغ.

ذكر اتّفاق حسن لأحمد بن كيغلغ بعد هزيمته ودخول أصحاب لشكرى إصبهان

حكى أبو الحسن المافرّوخى أنّه كان بإصبهان فى الوقت وأنّ أحمد بن كيغلغ انهزم أقبح هزيمة ثمّ لجأ إلى بعض القرى فى ثلاثين نفساً معه وراء حصنها.

ودخل أصحاب لشكرى إصبهان ونزلوا فى الدور والخانات[١] والحمّامات وتأخّر لشكرى بنفسه عن العسكر ثمّ سار قليلاً ونزل عن دابّته لإهراق ماء فرأى كوكبة أنكرها وقال:

ـ «ما هذه؟»

---

١. كذا فى الأصل ومد: الخانات. وفى مط: الحانات (بالحاء المهملة).

فقيل: «شرذمة من الكيغلغية.»

فركب في الوقت يريدها فلمّا قرب منها أسرع أحمد بن كيغلغ إليه بعد أن علم أنّه هو فتناوشا وكاد لشكرى يستأسره فخرج أهل تلك القرية فزعقوا به فضعفت نفس لشكرى وتقارب هو وأحمد فضربه أحمد بسيفه ضربة قدّ المِغفَر والخوذة ونزل السيف في رأسه فقتله وخرّ لشكرى ساقطاً فنزل أحمد إليه وحزّ رأسه وعرف أصحابه الخبر فطاروا [347] هاربين وكان فتحاً طريفاً واتفاقاً عجيباً. وكانت سنّ[١] أحمد بن كيغلغ يومئذ تجاوز سبعين سنة.

وفيها صُرف الكلوذانى عن الوزارة وقُلّدها الحسين بن القاسم.

ذكر السبب فى تقلّد الحسين بن القاسم الوزارة وما تمّ له من الحيلة فيها

كان أبو القاسم ابن زنجى يحكى فى توصّل الحسين بن القاسم إلى الوزارة خبراً طريفاً ويقول: كان أبو علىّ الحسين بن القاسم يُعرف بأبى الجمال وكان لى صديقاً يسكن[٢] إلىّ ويستدعينى إلى الموضع الذى كان مستتراً فيه ويشاورنى فالزمنى بذلك حقّاً وحرمة فاجتهدت فى السعى له والتوصّل بكلّ سبب وحيلة إلى أن تقلّد الوزارة.

فكان من أنجع ما عملتُه أنّ رجلاً بمدينة السلام يُعرف بالدانيالى كان يلزمنى ويبيت عندى ويخرج إلىّ بسرّه[٣] ويحدّثنى أنّه يظهر كتباً ينسبها إلى دانيال بخطّ قديم ويودع تلك الكتب أسماء قوم من أرباب الدولة على حروف مقطّعة إذا جُمعت فُهمت واستوى له بذلك جاه وقامت له به سوق.

---

١. فى مط: بين.

٢. وفى مط: فشكى.

٣. وفى مط: ويخرج إلى سرّى.

ووصلت إليه جملة من القاضى أبى عمر وابنه أبى حسين ووجوه الدولة وغلب على مفلح واختصّ به [348] لأنّه عرّفه أنه وجد فى الكتب أنّه من ولد جعفر بن أبى طالب فجاز ذلك عليه ووصل إليه منه برّ كثير.

فانفتح لى أن سألته إثبات فصل فى كتب يكتبها بشرح ما أسأله فأجابنى إلى ذلك فوصفت له الحسين بن القاسم واقتصرت من وصفه على ذكر قامته وآثار الجدرى فى وجهه والعلامة التى فى شفته العليا وخفة الشعر هناك وأنّه إن وزر للثانى عشر من خلفاء بنى العبّاس استقامت أموره كلّها وعلا على أعدائه وانفتحت البلاد على يده وعمرت الدنيا فى أيّامه.

ودفعت النسخة إلى الدانيالى وواقفنى على عمل دفتر يذكر فيها أشياء ويجعل هذا الباب فى تضاعيفها فسألته تقديم ذلك ولم أزل أطالبه حتّى أعلمنى أنّه لا يستوى على ما يريد حتّى لا يشكّ فى قِدَمِهِ وعِتْقِهِ فى أقلّ من عشرين يوماً وأنّه يحتاج أن يجعله فى التبن أيّاماً ثمّ يجعله فى الخُفّ ويمشى فيه أيّاماً وأنّه يصفرّ ويعتق.

فلمّا بلغ المبلغ الذى قدّر صار إلىّ وهو معه وأرانيه فوقفت على الفصل ورأيت دفتراً لو لا ما عرفته من الأصل فيه لحلفت على أنّه قديم [349] لا شكّ فيه.

ومضى بذلك إلى مفلح فقرأه عليه فى جملة أشياء قرأها. فقال له مفلح:

ـ «أعد علىّ هذا الفصل.»

فأعاده. ومضى مفلح إلى المقتدر بالله فذكر له ذلك فطلب الدفتر منه فأحضره إيّاه فقال له:

ـ «من تعرف بهذه الصفة؟»

وأقبل المقتدر يكرّرها فذكر مفلح أنّه لا يعرف أحداً بها وحرص المقتدر على أن يعرف إنساناً يوافق هذه الصفة صفته. فقال مفلح:

ـ «لست أعرف بهذه الصفة إلّا الحسين بن القاسم الذى يقال له: أبو الجمال.»

فقال له المقتدر:

ـ «إن جاءك صاحب له برقعة فخذها منه وإن حمّلك رسالة فعرّفنيها واكتم[1] ما يجرى فى أمره ولا تُعلم أحداً به.»

وخرج مفلح إلى الدانيالى فقال له:

ـ «هل تعرف أحداً بهذه الصفة؟»

فأنكر أن يعرف ذلك وقال:

ـ «إنّما قرأت ما وجدته فى كتب دانيال ولا علم لى بغير ذلك.»

وانصرف إلىّ فحدّثنى بهذا الحديث فقمت من فورى إلى الحسين بن القاسم فأعدته عليه فسرّ به غاية السرور وابتهج نهاية الإبتهاج وظهر فى وجهه استبشار عظيم وقال لى:

ـ «اعلم أنّ أبا بشر الكاتب [350] كان أمس عند مفلح برسالة لى إليه فانصرف كاسف البال ظاهر الإنخزال مغموماً بما شاهده من إعراضه عنه.»

فغمّنى ذلك. فقلت:

ـ «الآن يتبيّن لنا صدق الدانيالى من كذبه. ابعث بأبى بشر فى غد إلى مفلح برسالة منك فإنّه سيتبيّن له فيما يعامله به صحّة ما حكاه من بطلانه.»

فدعا أبا بشر النصرانى كاتبه وحمّله إليه رسالة ووكّد عليه فى البكور إليه. فلمّا كان من غد آخر النهار مضيت إليه أتعرّف خبره وما جرى، فدعا أبا بشر وقال له:

ـ «أعد عليه خبرك.»

---

١. واكتم: كذا فى الأصل ومد: واكتم، وفى مط: واكتب.

فأعلمنى أنّه دخل إليه وفى مجلسه جماعة فرفعه عليهم فأجلسه إلى جانبه وأقبل عليه يحدّثه ثمّ استدناه وسأله سرّاً عن خبر الحسين بن القاسم واستمع رسالته وقال:

ـ «تقرأ عليه سلامى وتعرّفه تكفّلى بأمره وقيامى به.»

وكلاماً فى هذا المعنى، وأن ينفذ إليه رقعة[١] ليوصلها وينوب معه.

قال لى أبو بشر: وانصرفت وأنا فى نهاية قوّة النفس والثقة بالله عزّ وجلّ وبتمام ما يسفر فيه. فأعلمت الحسين أنّ الرجل قد صدق فيما ذكره وقد بان لنا أثره.

قال: [351] ثمّ إنّ الدانيالى طالبنى بالمكافأة فطيّبت نفسه واستمهلته إلى أن تقلّد الحسين الوزارة فأذكرته حقّ الرجل فقلّده الحسبة ببغداد وأجرى له مائة دينار فى كلّ شهر واختصّ به وكان يحضر مجلسه فيجلسه إلى جانب مسورته. ثمّ مضت أيّام فقال:

ـ «لا يقنعنى ما أجرى لى.»

وسأل زيادة. فكلّمت الحسين بن القاسم فى أمره فأجرى له مائة دينار أخرى تسبّب برسم الفقهاء.

وكان ما ذكرته من حديث الدانيالى من أوكد الأسباب فى تقليد الحسين الوزارة مع كثرة الكارهين له والمعارضين فى أمره.

وانضاف إلى هذا الخبر[٢] الذى أخبر به أبو القاسم ابن الزنجى أنّ الكلوذانى عمل عملاً لما يحتاج إليه من مهمّ النفقات وأخذ خطّ صاحبى ديوان الجيش والنفقات بأعمال أخر مفردة عملوها لما يحتاج إليه بزيادة

١. فى مط: رقاعة، والأصل مطموس غير واضح بعد الحرف الثانى.

٢. والعبارة فى مط: وأيضاً فهذا الخبر الذى.

مائتى ألف دينار على ما عمل هو حتّى تبيّن[١] للمقتدر بالله وقوع الاحتياط منه فيما عمل واقتصر عليه فكان العجز سبعمائة ألف دينار وعرض ذلك على المقتدر وقال له :

- «ليس لى معوّل إلّا على ما يطلقه أمير المؤمنين [352] لأنفقه.»

فعظُم ذلك على المقتدر. فلمّا بلغ الحسين بن القاسم خبر العمل الذى عمله الكلوذانى كتب رقعة إلى المقتدر يضمن فيها القيام بجميع النفقات من غير أن يطلب منه شيئاً وانّه يستخرج سوى ذلك ألف ألف دينار يكون فى بيت مال الخاصّة.

فأنفذ المقتدر رقعته إلى الكلوذانى وقال :

- «هذه رقعة فلان ولست أسومك الإستظهار بالمال وما أريد منك إلّا القيام بالنفقات فقط.»

فقال الكلوذانى :

- «قد يجوز أن يتمّ لهذا الرجل ما لم يتمّ لى.»

وسأله تقليد من[٢] ضمن هذا الضمان فأعفاه من الأمر. فلمّا وقف المقتدر على تبلّح الكلوذانى وحصل فى نفسه ما بذله الحسين بن القاسم عمل على أن يستوزره وعلم شدّة كراهية مونس المظفّر لذلك فراسله على يد مفلح بأن يجتهد فى إصلاح أعدائه فابتدأ الحسين ببنى رائق فكان[٣] يمضى بنفسه إلى كاتبهم إبراهيم النصرانى ويضمن لهم الضمانات حتّى صلحوا له ثمّ فعل ذلك بأبى نصر الوليد بن جابر كاتب شفيع ثمّ فعل مثله باصطفن بن يعقوب كاتب مونس وقال له :

---

١. فى مط : يئس المقتدر، بدل «تبيّن للمقتدر».
٢. فى مط : فى، بدل «مَن».
٣. فى مط : فقال، بدل «فكان».

ـ «إن تقلّدتُ الوزارة فأنت قلّدتنيها.»

فأشار عليه بملازمة أبى علىّ يحيى بن عبد الله الطبرى كاتب يلبق ففعل ذلك. وكان يلبق قد سمع أنّه متّهم فى دينه شرير فجمع أبو علىّ الطبرى بينه وبين يلبق حتّى حلف له الحسين بكلّ يمين يحلف مسلم ومعاهد إنّه مكذوب عليه فى كلّ ما يطعن به عليه فى ديانته أوّلاً ثمّ فى عداوته لمونس وخاصّته وأصحابه لا ينوى لأحد من الناس سوءً ولا يأخذ الأموال إلّا من بقايا صحيحة على تجار مِلاءٍ[1] كسروا مال السلطان من أثمان الغلّات ومن ضمناء قد ربحوا ربحاً عظيماً.

وضمن الحسين ليلبق ضياعاً جليلة كذلك لكاتبه فسعى له يلبق وسأل مونساً فى أمره وسأل مونس المقتدر فتقرّرت الوزارة له وبلغ ذلك الكلوذانى فواصل الإستعفاء.

واتّفق أن دخل خمسمائة فارس كانوا مقيمين بالجبل فى ماه الكوفة وحلوان وهذه نواحٍ لم يتغلّب عليها مرداويج وكانت أُرزاقهم قد تأخّرت فطالبوا الكلوذانى وأمرهم الكلوذانى بالرجوع لينفق فيهم هناك فلم يسمعوا ورجموه بالآجر وهو منصرف فى طيّاره فجعل ذلك حجّة وأغلق بابه وحلف على أنّه لا ينظر فى أعمال [354] الوزارة.

فكانت مدّة وزارته شهرين وثلاثة أيّام.

وزارة الحسين بن القاسم

وكتب المقتدر إلى الحسين بن القاسم توقيعاً بتقليد الوزارة وركب إليه وجوه الكتّاب والعمّال والقوّاد وبلغ ذلك أبا الفتح الفضل بن جعفر فصار إليه

١. المِلاء: مفرده الملىء: الغنىّ المقتدر.

مع قاضى القضاة أبى عمر محمّد بن يوسف وابنه والقاضى ابن أبى الشوارب وكتب عن المقتدر بخبر تقليده الوزارة إلى خراسان وجميع النواحى والأطراف وكان تقلّده للوزارة يوم الجمعة لليلتين بقيتا من شهر رمضان فعدل عن الجلوس للتهنئة وتشاغل بالنظر فى أمر المال وما يحتاج إليه فى نفقة العيد ولزمه الفضل بن جعفر وهشام بن عبد الله لأنّهما كانا يتولّيان ديوان المشرق وزمامه وديوان بيت المال وأخذ خطوط عدة من العمّال[١] والضمناء بسبعين ألف دينار.

وصار إليه علىّ بن عيسى آخر النهار فهنّأه وقد كان الحسين شرط لنفسه ألّا ينظر علىّ بن عيسى فى شىء من الأمور ولا يجلس للمظالم فأجيب إلى ذلك. وتبسط كاتب بنى رائق وكلّ من كان سعى له فى الوزارة فى طلب الأموال حتّى قبضوا على شذاءة وردت من الأهواز [355] فيها مال الأهواز وإصبهان وفارس. فكتب الحسين الوزير إلى المقتدر يشكو هذه الحال فلم ينكر كلّ الإنكار. فوقع الإتفاق بين الحسين وبين ابنى رائق على أن يأخذوا من المال النصف ويفرجوا عن الباقى ففعلوا ذلك.

وكانت دمنة جارية المقتدر حظيّة عنده وكانت توصل رقاع الحسين إلى مولاها وتقوم بأمره فحمل إليها جملة عظيمة من المال وبعث إلى ابنها وهو الأمير أبو أحمد إسحاق أيضاً جملة. واستأذن المقتدر أن يستكتب له ابنه القاسم بن الحسين فأذن له فى ذلك وضمن لدمنة أن تحمل إلى ابنها[٢] فى كلّ يوم مائة دينار وتدفع عن صرفه.

واختصّ به بنو البريدى وأبو بكر ابن قرابة وقدّم له جملة من المال عن الضمناء بربح درهم فى كلّ دينار على رسمه. واختصّ به من القوّاد جعفر

---

١. فى مط: العلماء، بدل «العمال».
٢. فى مط: إلى أبيها.

بن ورقاء وأبو عبد الله محمّد بن خلف النيرماني وقلّده أعمال الحرب والخراج والضياع بحلوان ومرج القلعة وماه الكوفة وألبسه القباء والسيف والمنطقة وتسمّى بالأمارة وخوطب بها وضمن أن يجمع الرجال ويفتح أعمال كور [356] المشرق وينتزعها من يد مرداويج.

وكان قد احتجن أموال السلطان من بقايا ضمان كانت[١] عليه في أيّام سليمان بن الحسن لأعمال الضياع والخراج الخاصّة والعامّة وكانت جملة عظيمة. وكان تقلّد كرمان في بعض الأوقات واستخرج من مالها شيئاً كثيراً فحملها وانصرف فكتب صارفُه أنّه ما أنفق منها درهماً واحداً وأنفقت له أشياء تجرى هذا المجرى.

وتجرّد الحسين بن القاسم لإخراج عليّ بن عيسى وأخيه عبد الرحمن إلى مصر والشام فراسل المقتدر عليّ بن عيسى في ذلك ودفع عنه مونس المظفّر وقال:

ـ «هذا شيخ يُرجع إلى رأيه ويُعتضد بمكانه.»

إلى أن تقرّر أمره على أن يخرج إلى الصافية فخرج.

وابتدأ مونس في الإستيحاش والتنكر في يوم السبت لثلاث خلون من ذي الحجّة.

ذكر السبب في ذلك

كان السبب في ذلك ما بلغه من اجتماع الوزير الحسين بن القاسم مع جماعة من القوّاد على التدبير عليه.

وبلغ الحسين تنكّر مونس له وأنّه عزم على كبسه بجماعة من خواصّه

---

١. في مط: كاتب، بدل «كانت».

فى الليل للقبض عليه [357] فتنقّل فى مدّة عشرة أيّام فى نحو عشرة مواضع وكان لا يُعرف له دار ولا موضع يلقاه فيه أحد وكان لا تلقاه أصحاب الدواوين إلّا إذا طلبهم ثمّ ختم الأمر بأن أقام فى دار الخليفة.

وراسل مونس المظفّر المقتدر بالله فى صرف الحسين بن القاسم عن الوزارة فأجابه إلى صرفه والتقدّم إليه بلزوم منزله فلم يقنع مونس بذلك وطالب بالقبض عليه ونفيه إلى عُمان فامتنع المقتدر من ذلك وتردّدت بينهما فيه رسائل.

وأوقع الحسين بن القاسم للمقتدر أنّ مونساً قد عمل على أخذ الأمير أبى العبّاس من داره بالمخرّم والخروج به إلى مصر والشام ليعقد له الأمر فى الخلافة هناك وأشار بردّ الأمير أبى العبّاس إلى داره من دار الخلافة ففعل المقتدر ذلك. ووقف الأمير أبو العبّاس على ما فعله الحسين ابن القاسم فحقد عليه فى نفسه إلى أن أفضت إليه الخلافة فأنزل به من المكروه ما سنشرحه فى موضعه إن شاء الله.

وكتب الحسين بن القاسم إلى هارون بن غريب وهو بدير[١] العاقول بعد هزيمته من بين يدى مرداويج بالمبادرة إلى الحضرة فزادت وحشة مونس بهذه الأحوال وصحّ عنده أنّ الحسين بن القاسم [358] فى تدبير عليه فخرج من داره لخمس خلون من المحرّم وجلس فى حديدى وامتدّ إلى باب الشمّاسيّة وخرج أكثر رجاله وضربوا مضاربهم هناك.

وكتب مونس إلى المقتدر بأنّ مفلحاً الأسود مطابق للحسين بن القاسم فى التدبير عليه وأنّ نفسه لا تسكن إلّا بإنفاذ مفلح إليه ليقلّده أجلّ الأعمال ويخرج. فكتب المقتدر بأنّ مفلحاً خادم يثق به فى خدمته وأنّه ليس ممّن

---

١. وفى مط: بدير العاقول. قال فى المراصد: بين مدائن كسرى والنعمانيّة، كان، وأمّا الآن فقد بعدت دجلة عنه وكان عنده بلد عامر وأسواق أيّام عمارة النهروان، وأظنّه من شرقىّ دجلة.

يُدخل نفسه فيما ظنّه به وبلغ مونساً أنّ الحسين قد جمع الرجال والغلمان الحجريّة في دار السلطان وأنّه قد ابتدأ بالنفقة فيهم وأنّ هارون بن غريب قد قرب من بغداد فأظهر الغضب وسار إلى الموصل ووجّه ببشرى خادمه ليؤدّى رسالة إلى المقتدر. فلمّا حصل بشرى في دار السلطان بحضرة الحسين ابن القاسم قال له الحسين:

ـ «هات الرقعة التي معك.»

فقال له:

ـ «ليس معي رقعة وانّما معي رسالة.»

قال: «فتذكرها.»

فقال: «قد أُمرت ألّا أذكرها إلّا للخليفة.»

فوجّه الحسين إلى المقتدر بالله وعرّفه ذلك فوجّه المقتدر إلى بشرى يأمره أن يؤدّى الرسالة إلى الحسين فقال بشرى:

ـ «حتّى أمضى وأستأذن صاحبى [359] فى ذلك وأعود.»

فشتمه الحسين وشتم صاحبه وأمر به فقُبض عليه وضربه بالمقارع وقال:

ـ «لا أرفع عنك الضرب أو تكتب خطّك بثلثمائة ألف دينار.»

فكتب وأمر به إلى الحبس ثمّ وجّه للوقت إلى داره وقبض على امرأته وصادرها وحمل ما فيها.

ولمّا بلغ مونساً ما جرى على خادمه بشرى امتدّ وأصعد ومعه من كان برسمه من قوّاده وأصحابه، وكتب الحسين بن القاسم إلى من كان معه من القوّاد والغلمان بالانصراف عنه والمصير إلى باب السلطان، فانصرف عنه جماعة منهم ومضى مونس في خواصّه وغلمانه مسرعاً إلى الموصل ووقّع الحسين بقبض أملاك مونس وضياعه وضياع أسبابه وأفرد لها ديواناً سمّاه

ديوان المخالفين وردّه إلى محمّد بن جنّى[١].

وزاد محلّ الحسين بن القاسم عند المقتدر وأنفذ إليه طعاماً من بين يديه وأمر بأن يكنّى ويلقّب عميد الدولة وأن يضرب لقبه على الدنانير والدراهم، ففعل ذلك وخلع عليه يوم الأثنين لأربع بقين من المحرّم وأنشأ في ذلك كتاباً نفذ إلى جميع الأعمال والأطراف.

وصرف قوماً وقلّد قوماً فكان فيمن قلّد [360] أبو يوسف يعقوب بن محمّد البريدى وذلك بمسئلته فقلّده أعمال البصرة من الخراج والضياع والمراكب وسائر وجوه الجبايات بها فضمنه ذلك بمقدار نفقات البصرة وفضل له بعده ثلاثون ألف دينار وقّع بتسبيبها على مال الأهواز.

فلمّا وقف أبو الفتح الفضل بن جعفر على ذلك استعظم ألّا يفى ارتفاع البصرة بنفقاتها حتّى يحتاج إلى أن يسبّب على غيرها وتقدّم بإخراج الجماعات والحسبانات إليه وتقدّم إلى كلّ واحد من أصحاب المجالس أن يخرج إليه ما عنده من ارتفاع البصرة لثلاث سنين وأخرجت الجماعات إليه وهو ينظر فيها وفى أعمال كتّاب المجالس ويضيف من عمل إلى عمل ويعمل بيده من صلاة الغداة إلى بعد العتمة إلى أن انتظم العمل على ما أراد.

ثمّ أحضر أبا يوسف البريدى وواقفه[٢] عليه ولم يتهيأ له انكار شيء ممّا أخرجه فأعطاه خطّه بالقيام بجميع ما يجب للأولياء وأن يثبت لحفظ السور ألف رجل زيادة على رسم من يحفظه ومن ينضمّ إليه وسائر النفقات الراتبة ويحمل إليه بعد ذلك كلّه ستين ألف دينار إلى بيت المال [361] بالحضرة.

فصار الفضل بن جعفر بالخطّ إلى الوزير الحسين بن القاسم متبجّحاً به وعرضه عليه وعرّفه ما جرى بينه وبين ابن البريدى حتّى تقرّر على ما كتب

---

١. جنّى: ما فى مط مهمل تماماً.

٢. واقفة: كذا فى الأصل. وفى مط: وافقة.

به خطّه. فلم يقع ذلك من الحسين بن القاسم الموقع الذى قدّره الفضل وتبين منه تكرّهاً له وظنّ أنّه كالتوبيخ والتقريع وكالزيادة على عمله. فلمّا تبيّن الفضل الصورة راسل المقتدر بما فعله فوقع ذلك عنده أحسن موقع وشاع[١] ما عمله فى الدواوين وتناقلته الرؤساء والكتّاب بينهم.

واتّصل ذلك بالحسين فغلظ عليه وأراد أن يضع منه. فواقف ابن جبير على مهاترته فى المجلس والغضّ منه ففعل ابن جبير ذلك حتّى تكلّم بما لم تجر العادة بمثله والحسين ممسك عن الجميع لا يكفّ أحدهما عن الآخر، فلمّا تبيّن أبو الفتح ذلك وعرف الغرض نهض عن المجلس وقال:

ـ «ليس المكلّم لى أنت بل المكلّم غيرك.»

فلمّا ولّى خارجاً عرف الحسين الخطأ فيما جرى فقال لأبى عبد الله بن زنجى:

ـ «إنّ أبا الفتح صديقك وهو يطيعك وما أحبّ أن يخرج على هذه الجملة فأحبّ أن تلحقه وترضيه وتردّه.»

فبادر إليه أبو عبد الله وما زال يرفق به حتّى [362] ردّه واعتذر إليه الحسين من خطاب ابن جبير له. وانصرف وهو مستوحش واستتر عند أبى بكر ابن قرابة وبقى ديوانه شاغراً إلى أن يئس الحسين من ظهوره فقلّد أبا القاسم الكلوذانى الديوان ولم يزل أبو الفتح يسعى له فى طلب الوزارة حتّى تمّ له كما سنذكره.

ولمّا لم يعد[٢] مونس إلى بغداد وجّه الحسين إلى ابن مقلة فصادره وكان معتقلاً فأعطى خطّه بمائتى ألف دينار وأنفذ إلى علىّ بن عيسى وهو بالصافية

---

١. شاع: كذا فى الأصل. وفى مط: ساغ.

٢. فى الأصل ومط: ولمّا يعد.

يستحضره وأطمع المقتدر من[١] جهته في مائتى ألف دينار. فلمّا وصل الرسول إلى الصافية وجد بها هارون بن غريب وكان هارون شديد العناية بعلىّ بن عيسى فمنعه من حمله وقال:

- «أنا أخاطب أمير المؤمنين في أمره.»

فلمّا وقف الحسين على عناية هارون بعلىّ بن عيسى أمسك عنه. ولمّا وصل هارون بن غريب إلى دار السلطان وصل إليه في خلوة وانصرف إلى داره فقصده الوزير وابنا رائق[٢] ومحمّد بن ياقوت ومفلح وشفيع وعظم أمره فخاطب المقتدر في أمر علىّ بن عيسى فأعفاه من المصادرة وخاطبه في أمر أبى علىّ ابن مقلة فحطّ من مصادرته خمسين ألف دينار وأمر بحمله إليه.

ثمّ لم يستصوب ذلك [363] وخاف أن يكاتب مونساً أو يراسله فسأل ابن مقلة هارون أن يعاود الخطاب في بابه ويستحلفه بأيمان مغلّظة ألّا يكاتب ولا يراسل مونساً ولا أحداً من أسبابه ففعل ذلك وحُمل إليه.

قال: فحدّثنا أبو علىّ ابن مقلة في وزارته للراضي[٣] أنّه أخذ في استماحة الناس وأدّى المال كلّه بما وصل إليه من المال من الجهات وفضل له عشرون ألف دينار وأنّه اشترى بها ضياعاً باسم عبد الله بن علىّ النّقّرى[٤] ووقفها على الطالبيين.

وكتب الحسين إلى ياقوت بالقبض على الخصيبى وحمله وكان بشيراز فبادر خليفته علىّ بن محمّد بن روح بالخبر إليه فخرج من يومه من شيراز

---

١. في مط: في جهته.

٢. رائق: كذا في الأصل ومد. وفي مط: رائق وهو تصحيف. كما هو معهود من مط في أكثر المواضع.

٣. في مط: المراضى.

٤. في مط: المقرى، بدل «النّقّرى».

مستتراً حتّى وافى بغداد واستتر عند أبى بكر ابن قرابة وكان الفضل بن جعفر مستتراً عنده أيضاً فلم يعلم أحدهما خبر صاحبه وقدم محمّد بن ياقوت من الأهواز وقُبض على محمّد بن المعتضد بالله وعلى أبى أحمد ابن المكتفى بالله وحدرا إلى دار السلطان وأُعتقلا فيها ولم تقصر السيّدة فى التوسعة على محمّد بن المعتضد وفى إكرامه وأهدت إليه عدّة من الجوارى.

وابتدأ أمر الحسين الوزير بالاضطراب [364]

ذكر السبب فى ذلك

اشتدّت الإضاقة فباع الحسين من الضياع نحو خمسمائة ألف دينار واستسلف من مال سنة عشرين وثلاثمائة شطره قبل افتتاحها بشهور ولم يبق له وجه حيلة لتمام نفقات سنة تسع عشرة وثلاثمائة الخراجيّة. وعرف هارون بن غريب ذلك فصدق المقتدرَ عنه فعزم على تقليد الخصيبى الوزارة وكتب له أماناً، فظهر فخوطب فى تقلّد الوزارة فذكر أنّه لم يبق للسلطان فى النواحى من مال سنة تسع عشرة شىء وقد بقى منها نحو ثلاثة أشهر وأنّ الحسين قد استسلف من مال سنة عشرين قطعة وافرة وأنّه لا يغرّ السلطان من نفسه فأشار عليه هارون أن يتقلّد أزمّة الدواوين من قبل المقتدر وتكون دواوين الأصول فى يد الحسين ليضبط الأموال مستأنفاً فرضى الحسين بذلك وتقلّد الخصيبى دواوين الأزمّة وأجرى عليه وعلى كتّابه ألفى وسبعمائة دينار فى كلّ شهر. وخلع المقتدر على الحسين ليزول عنه الأرجاف[1].

ثمّ إنّ الحسين بن القاسم عمل أعمالاً أخذ فيها [365] خطوط أصحاب الدواوين الأصول والأزمّة بصحّتها وفيها ارتفاع الأموال من النواحى وما

---

١. فى مط: الإرجاف، بدل «الارجاف».

يُرجى حصوله منها وقدّر النفقات تقديراً متقارباً للإرتفاع، فسكن بذلك قلب المقتدر فسلّم المقتدر ذلك العمل إلى الخصيبى وأمر بتتبّعه، فوجد الخصيبى الحسين بن القاسم قد احتال بأن أضاف إلى ما يقدّر حصوله من النواحى أموال نواح قد خرجت عن يد السلطان بتغلّب من تغلّب عليها مثل الديلم على أعمال الريّ والجبل ومونس على أعمال الموصل والشام منذ أربع سنين وذلك جملة عظيمة، وأسقط من النفقات الزيادات التى زادها هو للجند والحاشية وغيرهم ولم يُسقط من الأموال التى يقدّر حصولها من النواحى ارتفاع ما باع من الضياع، فعمل الخصيبى عملاً عرضه على المقتدر فأمر المقتدر أن يواقف عليه الوزير[1] فاجتمع الكتّاب وأمره المقتدر بمناظرتهم فلمّا خاطبوه أخذ فى التشنيع عليهم وأنّهم سعوا به وقال:

ـ «فى أىّ شىء غالطتّ السلطان؟ أليس هذه خطوط الضمناء؟»

فقالوا: «معاذ الله أن يقول [366] أحد فى الوزير ذلك ولكن العمل أخرج بما اضطر الوزير أيّده الله إلى التسبيب به على مال سنة عشرين وثلاثمائة من الأموال المستحقّة فى سنة تسع عشرة وقد رفع الضمناء إلى ديوان الزمام أعمالاً لما أطلقوه من مال سنة عشرين وما كانوا ضمنوا اطلاقه من مال هذه التسبيبات عند إدراك الغلّات ولهذا أُحضرنا.»

فقال الحسين:

ـ «أفتعلم كم مبلغه؟»

فقال: «نعم.»

وأحضر عملاً كان عمله بمبلغ ذلك فوجد أنّ الذى سُبّب على مال السواد والأهواز وفارس لسنة عشرين وثلاثمائة قبل افتتاحها بشهور، أربعون ألف

---

۱. وفى مط: الفرير، بدل «الوزير».

ألف درهم وأنّ الذى يبقى إلى آخر سنة عشرين على الضمناء إلى افتتاح سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة وعشرون ألف ألف درهم وقد كان قيل فى العمل: إنّ هذا ما لم يجر به فى قديم الدهر ولا حديثه رسم بمثله.

فلمّا وقف الحسين على ذلك استعظمه وأراد أن يقطع المجلس بالمشاغبة[١] وقال:

ـ «يكتب فى الأعمال التى عملت ما لم يعمله أحد من الوزراء قطّ ثمّ يُعرض علىّ.»

فقال هشام:

ـ «هذا غلط كتب على سبيل السهو وليس ممّا يزيد فى المال ولا ينقص منه.»

وضرب على تلك الحكاية وقال:

ـ «إنّما أُحضرنا لننظر فى أمر المال [367] ونصدق الوزير عنه.»

فعدل إلى الخصيبى يهاتره فترك الحجّة فنهض الخصيبى عن المجلس لمّا ظهرت الحجّة على الحسين وصار مع الضمناء ومع أبى جعفر ابن شيرزاد إلى هارون بن غريب فشرحوا له ما جرى. وأعيد المجلس كهيئته[٢] إلى المقتدر ثمّ شافه الخصيبى بمثله الحسين بحضرة المقتدر فانحلّ أمر الحسين وقُبض عليه فكانت وزارته سبعة أشهر.

وزارة أبى الفتح الفضل بن جعفر

واستوزر أبو الفتح الفضل بن جعفر وخُلع عليه يوم الاثنين لليلتين بقيتا من شهر ربيع الآخر فركب فى الخلع وركب معه القوّاد وخواصّ المقتدر

---

١. فى مط: الساعية.

٢. فى مط: لهيئة.

وسلّم المقتدر الحسين بن القاسم إلى الوزير أبى الفتح الفضل بن جعفر فأجمل عشرته وقرر أمره على أربعين ألف دينار فلمّا أدّاها استأذن الوزير أبو الفتح المقتدر فى تقليد الإشراف على مصر والشام فأذن له فى ذلك.

ثمّ ظهر أنّه أراد أن ينقُب الموضع الذى كان فيه. وقال الخصيبى[١]:

ـ «هذا رجل فى جنبه للسلطان مال عظيم وليس يصلح أن يخرج وأن يدبّر شيئاً من الأعمال.»

فتأخّر أمره وصودر أيضاً ثمّ تسلّمه الوزير فبقى عنده مدّة ثمّ أبعده إلى البصرة وأقام له فى كلّ شهر خمسة آلاف درهم.

مناظرة عن مرداويج

وفى هذه السنة حضر من ناظر عن مرداويج بن زيار[٢] والتمس [368] أن يقاطع عن الأعمال التى غلب عليها من أعمال المشرق وتكفّل هارون بن غريب بأمره فقرّره على أن يسلّم إلى السلطان أعمال ماه الكوفة وهمذان ويُقلَّد باقى الأعمال ويحمل عنها مالاً وكتب له العهد وأنفذ إليه اللواء ومعه خلع.

المقتدر يهمّ بتقليد ابن مقلة الوزارة

ثمّ إنّ المقتدر همّ بتقليد أبى على ابن مقلة الوزارة وبلغ ذلك هارون بن غريب فكره ذلك لميل أبى على إلى مونس فاجتمع مع الوزير أبى الفتح وألزما أبا عبد الله البريدى مائة ألف دينار وسُلّم ابن مقلة إليه فمشى أمر الوزير أبى الفتح وحمل ابن مقلة إلى شيراز مع رشيق الأيسر.

---

١. فى مط: الحضينى، بدل «الخصيبى». فى عدة فى مواضع.

٢. كذا فى الأصل: زيار. وفى مط: زياد.

موت أبى عُمر القاضى

وفيها مات أبو عمر القاضى فأغرى أبو بكر ابن قرابة بورثته إغراء شديداً وقال للمقتدر:

ـ «ينبغى لابنه أن يحمل مائة ألف دينار فانّه من ورائها وإلّا حضر من يتقلّد قضاء القضاة ويوفّر هذا المال من جهته.»

فرسم المقتدر لهارون بن الخال أن ينفذ كاتبه وللوزير أن يضمّ إليه ثقته حتّى يصيرا مع ابن قرابة إلى أبى الحسين ابن أبى عُمر ويخاطبه بحضرتهما. فمضى أبو بكر ابن قرابة ومعه أبو جعفر ابن شيرزاد وأبو على أحمد بن نصر البازيار. فلمّا حصلوا عند أبى الحسين القاضى وجدوا عنده عالماً من الناس معزّين له فعزّوه وجلسوا وأمسكوا [369] كما يحسن أن يعمل فى المصائب. فقال ابن قرابة:

ـ «ما لهذا حضرنا، قم يا أبا الحسين معنا حتّى نخلو.»

فنهض واستوفى عليه ابن قرابة استيفاءً شديداً فقال أبو الحسين:

ـ «إنّ نعمتى ونعمة والدى من أمير المؤمنين المقتدر ولست أدّخر دونه شيئاً.»

وسأل أن يمهل يومه حتّى يُحصّل أمره ويبكّر فيصدق عنه. وكان شهر رمضان فلمّا جنّه الليل قصد أبا بكر ابن قرابة وقت الإفطار فاستأذن عليه ودخل والمائدة بين يديه فدعاه إلى الإفطار فغسل يده وسمّى وأكل ومصيبته طرية وأنّها ليومه ولكنّه ليستكفى شرّه. فلمّا انقضى الإفطار قال له:

ـ «يا سيدى قد جئتك مستسلماً إليك فدبّرنى بما تراه.»

فقال له:

ـ «قم فامضِ بسلام وما بك حاجة إلى أن توصينى ولا تفكّر فى أمرك

فانى أفصله وأعمل فيه ما يرضيك.»

وكان على مائدة أبى بكر ابن قرابة أبو عبد الله وأبو يوسف ابنا البريدى. فلمّا فرغوا من الأكل قرّب البريديّان من القاضى أبى الحسين كالمتوجّعين له ووصفا مشاركتهما إيّاه واستصوبا قصده أبا بكر وإفطاره معه وقالا له:

ـ «أنت مقبل.»

وعرض عليه أبو يوسف ثلاثة آلاف دينار وقال:

ـ «إن احتجت إليها فخذها وافتد نفسك وإن أوجبت الصورة أن تستتر [370] فأنفقها فى استتارك فلن ينفذ حتّى يأتيك الفرج.»

ولم يحتج أبو الحسين إلى الإستتار وتعطّف عليه المقتدر بالله وعاونه البريديون وإخوانه أحسن معاونة فقلّده قضاء القضاة فقويت نفسه ومشى أمره.

ثمّ إنّ المقتدر وصف لابن قرابة الإضاقة[١]، فقال له:

ـ «يا أمير المؤمنين لم لا يعاونك هارون بن الخال وعنده آزاج مملوءة مالاً؟»

فأعاد المقتدر ذلك على ابن الخال فقال:

ـ «يا أمير المؤمنين إن كنت أملك ما قال فلست أبخل عليك به لأنّى أسلم بسلامتك وفى جيشك أنفقه واليك معاده، وابن قرابة معه من المال ما لا يحتاج أبداً إليه وأنا أستخرج لك منه خمسمائة ألف دينار وليس بينه وبين أمير المؤمنين الذى يجمعني وإيّاه، فلم يُترك عليه وأنا أودّيها[٢] من ماله إليك؟»

فقال له:

١. كذا فى الأصل ومد: الإضاقة. وفى مط: الإضافة.

٢. فى مط: وأنا أورد بها، بدل: وأنا أودّيها.

ـ «إذهب فتسلّمه.»

فقبض عليه وجرى عليه من المكروه ما أشفى به على التلف حتّى قُتل المقتدر بالله فتخلّص ولا عجب من أمر الله.

وكان قد وقّع الوزير أبو الفتح بأن يُعمل لابن قرابة عمل بما صار إليه من الربح فى الأموال التي قدّمها عن الضمناء وبقايا مصادرته فى أيّام عبد الله الخاقانى وما يجب عليه من الفضل فيما ابتاعه من الضياع فأخرج عليه من هذه الجهات [371] ألف ألف دينار فصحّ له من هذه الجملة تسعون ألف دينار.

ثمّ شغل الوزير وهارون بورود الخبر عليهما بانحدار مونس من الموصل وكان هارون قيّده وسلّمه إلى حاجبه وعدّة من غلمانه ليخرجوه إلى واسط فقُتل المقتدر فى ذلك اليوم فهرب من كان موكّلا به وبقى معه غلامان كان هو اشتراهما لابن الخال فعُنيا به وصارا معه إلى فُرضة جعفر وأدخلاه إلى مسجد وأحضرا حدّاداً وحلّا قيوده وأطلقاه فمشى إلى منزله بسُويقة غالب[1] ووهب لهما خمسمائة دينار.

استشارة فى الأمر الواضح وعاقبة المستشير

وحكى ثابت بن سنان فى كتابه أنّ أباه سنان بن ثابت كانت بينه وبين أبى بكر ابن قرابة مودّة فصرنا إليه لنهنّئه بخلاصه فقال لوالدى:

ـ «يا أبا سعيد قد اجتمع لى فيك المحبّة والعقل وجودة الرأى وأريد أن أستشيرك فى أمرى.»

فقال له أبى:

---

١. سُوَيقة غالب: هى من محالّ بغداد (مراصد الإطلاع).

ـ «قل فانّى أُمحضك[١] النصيحة.»

فقال: «أنت تعلم أنّى كنت فى بحار من التخليط وكانت علىّ تبعات فيما كنت أدخل فيه وأُقدّمه من مالى عن الضمناء لم يكن على أحد مثلها، وقد غسلت هذه النكبة وما أدّيت[٢] فيها من المصادرة دون ما كنت فيه وقد حصل لى الآن ما يرتفع منه عشرون ألف دينار خالصة وحصل لي من البساتين [372] والمستغلات بعد ذلك ما ليس لأحد مثله ولى من الفرش والآلات والبلور والمخروط والصينى والجوهر والطيب والكسوة ما ليس لأحد مثله ومن الرقيق والخدم الروقة[٣] والغلمان والكُراع ما ليس لأحد مثله، ولى بعد ذلك كلّه ثلاثمائة ألف دينار صامت لا أحتاج إليها وبينى وبين هذا الوزير ـيعنى أبا علىّ ابن مقلة وقد كان القاهر استوزره وهو بفارس- مودّة وكيدة فهل ترى لى إذا قدم أن أقتصر على لقائه فى الأوقات لعمارة الحال بينى وبينه ولا أداخله ولا أعاود ما كنت فيه أو أعاود وأرجع إلى التخليط.»

فقال له والدى:

ـ «ما رأيت أعجب من هذه المشاورة وإنّما يشاور فى المشكل من الأمر فأمّا الواضح فيستغنى فيه عن الرأى. انظر ـأعزّك الله ـ فإن كان ذلك التخليط أثمر لك ما تحبّ فارجع إليه وإن كان إنّما أثمر ما تكره وعرضك لزوال المهجة وزوال النعمة فلا تعاوده ومع هذا فإنّ الإنسان إنّما يكدّ ويكدح ويتعرّض للمكاره ليحصل له بعض ما حصل لك فاحمد الله وتمتّع بالنعمة وقد حصل لك من الجاه ما يحرسها واربح[٤] الصيانة وحسن العافية[٥].»

---

١. فى مط: أنصحك، بدل «أُمحضك».

٢. فى مط: أذنت.

٣. فى مط: والروقة.

٤. كذا فى الأصل ومد: واربح. وفى مط: وارتج.

فسمع ذلك كلّه [و] قال:

ـ «قد علمت والله أنّك قد نصحت وبالغت ولكنّ لی نفساً مشؤومة لا تصبر [373] وسأعاود ما كنت فيه.»

فقال له والدی:

ـ «خار الله لك.»

وانصرفنا فقال لی والدی:

ـ «يا بنیّ ما رأيت قطّ أجهل من هذا الرجل ولا يموت مثله إلّا مقتولاً أو فقيراً بأسوأ حال.»

فكان الأمر علي ما قدّر وأدّاه التخليط إلى أن قبض عليه القاهر فأزال نعمته وقبض أملاكه وهُدّمت داره وأراد قتله حتّى زال أمر القاهر. ثمّ عاد أيضاً إلى التخليط ومضى إلى البريديين لمّا خالفوا السلطان، ثمّ مضى إلى أبی الحسين أحمد بن بويه لمّا غلب على الأهواز، ثمّ وقع أسيراً لمّا انصرف الأمير أبو الحسين من نهر ديالى، وصودر حتّى لم يبق له بقية واضطرّ إلى أن يخدم ناصر الدولة أبا محمّد ابن حمدان برزق مائة دينار فی كلّ شهر فكثرت فی عينه وكان ينفق مثلها كلّ يوم. ومات بالموصل، ونعوذ بالله من الجهل والإدبار.

ودخلت سنة عشرين وثلاثمائة

وفيها انحدر مونس من الموصل إلى بغداد وقُتل المقتدر بالله

ذكر السبب فی ذلك

كان السبب فی ذلك ما ذكرناه من استيحاش مونس. فلمّا تمّ له الإنصراف إلى الموصل كتب الحسين بن القاسم إلى داود وسعيد ابنی [374] حمدان

---

٥. العاقبة: كذا فی الأصل. وفی مط: العافية، كما أثبت فی مد.

والحسن بن عبد الله بن حمدان بمحاربة مونس ودفعه عن الموصل فإنّه عاص.

وكان مونس يكتب فى طريقه إلى رؤساء العرب فى ديسار ربيعة بأنّ السلطان أنفذه لمحاربة بنى حمدان يريد بذلك أن يقعدهم عنهم فامتنع داود من لقاء مونس لإحسانه إليه فإنّه كان عظيماً جدّاً. فما زال أهله به حتّى فثؤوا[١] رأيه وقالوا له:

ـ «نحن بعد ما غسلنا قبيح ما عمله الحسين بن حمدان ثمّ ما عمله أبو الهيجاء بالأمس نريد أن نعمل لنا حديثاً ثالثاً.»

وما زالو به حتّى استجاب على تكرّه شديد وقال:

ـ «يا قوم! بأىّ وجه ألقى مونساً مع إحسانه العظيم إلىّ؟»

وكان يعدّدها ثم يقول:

ـ «والله ما آمن أن يجيئنى سهم عائر[٢] فيقع فى هذا الموضع منّى ـيعنى حلقهـ فيقتلنى.»

قال: فو الله ما هو إلاّ أن لقيه مونس حتّى أتاه السهم العائر فوقع فى موضع إصبعه فذبحه ولم يقتل غيره.

وكان بنو حمدان فى ثلاثين ألفاً ومونس فى ثمانمائة رجل فانهزموا وقُتل داود.

وكان مونس إذا قيل له:

ـ «قد أقبل داود لمحاربتك.»

يعجب ويقول:

---

١. من قولهم: فثأ القِدرَ. أى سكّن غليانها، وقولهم: فثأ الغضبَ. اى سكّن حدّته. وفى مط: ثنوا، بدل «فثؤوا».

٢. فى مط: منهم غابر. بدل «سهم عائر».

ـ «يا قوم يلقاني داود وفي حجرى طُهّر[١] ولي عليه من الحقّ ما ليس لوالده.»

خروج مونس وقصده بغداد

فلمّا ملك مونس أموال بنى حمدان وغلّاتهم وضياعهم [375] واستولى على أعمال الموصل خرج إليه الناس من الأولياء ارسالاً وكثروا عنده فحملوه على الخروج من الموصل وقصد[٢] بغداد وكان أقام بالموصل تسعة أشهر.

فانحدر مونس وبلغ الجندَ بالحضرة ذلك فشغبوا وطالبوا بالرزق فأطلق المقتدر المال وجلس في الجوسق وأنفق فيهم وأُخرج مضرباً له يسمّى مضرب الدم إلى باب الشمّاسيّة.

ووافى مونس وأصحابه إلى باب الشمّاسيّة وكان المقتدر قد وجّه أبا العلاء سعيد بن حمدان وصافياً البصرى في خيل إلى سرّ من رأى ثمّ أنفذ أبا بكر محمّد بن ياقوت في ألفى فارس ومعه الغلمان الحجريّة [إلى المعشوق][٣]. ثم أنفذ مونساً الورقائى على سبيل الطلائع، فلمّا قرب مونس أقبلوا يراجعون حتّى اجتمعت الجماعة بعكبرا. فلمّا قرب مونس من عكبرا إنكفأت الجماعة مع محمّد بن ياقوت إلى البردان، فلمّا نزل مونس عكبرا انكفأت[٤] الجماعة إلى باب الشمّاسيّة فعسكروا هناك. واضطربت الأمور وتقاعد الضمناء

---

١. فى مط: ظهر.

٢. فى مط: فصل، بدل «قصد».

٣. ما بين المعقوفتين أضافة من مد، ولا يوجد لا فى الأصل ولا فى مط والمعشوق قصر عظيم بالجانب الغربيّ من سامرّا دون تكريت، هو الآن يسكنه الفلاّحون وغيرهم، وهو عظيم مكين، عمّره المعتمد بالله (مراصد الإطلاع).

٤. فى مط: انكفاف، وهو تصحيف مع إسقاط سطر من «انكفأت» الأولى إلى «انكفأت» الثانية.

والعمّال بحمل الأموال.

واجتهد المقتدر بهارون أن يشخص إلى حرب مونس فتقاعد واحتجّ بأنّ معظم أصحابه ممّن انضمّ إليه من رجال مونس أو ممّن كان معه فى وقت محاربته مرداويج [376] فى المشرق أو من استأمن إليه من عسكر الديلم وقد عرف محاربتهم وأنّهم ينهزمون ولا يثبتون للحرب وليس يثق بأحد منهم لأنّه يعلم أنّهم يستأمنون ويسلّمونه ودافع بالخروج إلى أن صار أصحاب مونس بباب الشمّاسيّة بإزاء عسكر محمّد ابن ياقوت. فجاء محمّد بن ياقوت إلى الوزير الفضل بن جعفر فانحدر[1] إلى المقتدر ومعهما ابنا رائق ومفلح فشرح محمّد بن ياقوت الصورة وقال له:

- «إنّ الرجال لا يقاتلون إلّا بالمال وإن أُخرج استُغنى عن القتال واستأمن أكثر رجال مونس ودفعت الضرورة مونساً إلى الهرب أو الإستتار.»

وقال له:

- «إنّ الوزير أطلق مالاً لم يعمّ.»

وسألوه أن يحتال مائتى ألف دينار من جهته وجهة والدته ليُصرف فى المهمّ. فعرّفه أنّه لم يبق له ولا للسيّدة حيلة فى مال يُطلق وتقدّم الشذاءات والطيّارات لينحدر هو وحرمه إلى واسط ويسلّم البلد إلى مونس ويكتب من واسط إلى من بالبصرة والأهواز وفارس يستنجدهم ويستحضرهم لقتال مونس ودفعه.

فقال له محمّد بن ياقوت:

- «اتّق الله يا أمير المؤمنين فى جماعة غلمانك وخدمك ولا تسلّم بغداد بغير حرب.»

---

١. فى مط: فانحدا، بدل «فانحدر».

وجعل يفثأه[١] عن رأيه [377] ويشير بأن يخرج بنفسه إلى المعسكر حتّى يراه الناس ويقاتلون وقال له:

ـ «إن رآك رجال مونس أحجموا عن محاربتك.»

فقال له المقتدر:

ـ «أنت والله رسول إبليس.»

ثمّ أمر هارون على لسان الوزير الفضل بن جعفر أن يخرج ووبّخه فمضى إليه ووافقه[٢] على أن يخرج يوم الأربعاء لثلاث بقين من شوّال إلى دار السلطان.

وركب المقتدر وهم معه وعليه البردة التى توارثها الخلفاء وبيده القضيب وبين يديه الأمير أبو علىّ ابن المقتدر والأنصار ومعهم المصاحف المنشورة والقرّاء يقرأون القرآن وحوله جميع رجاله بالسلاح وخلفه جميع القوّاد مع الوزير واشتقّ بغداد إلى الشمّاسيّة وكثر دعاء الناس له جدّاً وسار فى الشارع الأعظم إلى المعسكر. فلمّا وصل إليه أُشير عليه أن يقوم إلى موضع عال بعيد عن موضع الحرب.

واشتدّت الحرب بين أصحاب مونس وأصحاب المقتدر بالله وكان مونس مقيماً بالراشديّة لم يحضر الحرب وثبت محمّد بن ياقوت وهارون بن غريب واشتبكت الحرب، وصار أبو العلاء سعيد بن حمدان إلى المقتدر بالله برسالة هارون بن غريب ومحمّد بن ياقوت بأن يحضر الحرب. وقال له:

ـ «إنّ [378] رآك أصحاب مونس استأمنوا.»

فلم يبرح من موضعه ومضى أبو العلاء ووافاه صافى البصرى فقال له مثل هذا القول فلم يسمع منه.

---

١. فى مط: هناه (كذا).

٢. فى الأصل: واقفه (بتقديم القاف). وفى مط ومد: وافقه (بتقديم الفاء).

ثمّ حضر محمّد بن أحمد القراريطى كاتب محمّد بن ياقوت فاستدعى الوصول إلى المقتدر بالله فأوصل إليه وهو واقف على ظهر دابّته فقبّل الأرض وقال له:

- «يا أمير المؤمنين، القوّاد وعبدك محمّد بن ياقوت يقول: يا مولانا أمير المؤمنين الله الله سر بنفسك إلى الموضع فإنّ الناس إذا رأوك انفلّوا.»

فلم يبرح وبقي واقفاً على دابّته وخلفه الوزير أبو الفتح ومفلح الأسود وجماعة من الغلمان الخاصّة.

فهم على تلك الحال إذ وافت رسالة القوّاد المحاربين فتقدّم بعضها بأن ينادى بين يديه:

- «من جاء بأسير فله عشرة دنانير ومن جاء برأس فله خمسة دنانير.»

فنودى بذلك. ثمّ جاءته رقعه فسُلّمت إليه فقرأها ثمّ استدعى مفلحاً والقراريطي فسارّهما[١] ثمّ استدعى الوزير فسارّه وأجابه بشيء ما سُمع به. ثمّ وردت رقعة أخرى فقرأها ثمّ وافته الرسائل علانية من القوّاد تؤدّى إليه ويسمع الناسُ أنّ الرجال في الحرب يقولون:

- «نريد أن نرى مولانا حتّى نرمى بأنفسنا على هؤلاء الكلاب.»

ولم يزل [379] القراريطي وغيره يسهّلون عليه ويسألونه المسير حتّى سار مع مفلح ومن بقي معه.

وتخلّف الفضل بن جعفر عنه وسار نحو الشطّ[٢] وانكشف أصحاب المقتدر وانهزموا من قبل أن يصل المقتدر إلى موضع المعركة وكان آخر من ثبت وحارب حرباً شديداً محمّد بن ياقوت واستؤسر أحمد بن كيغلغ وجماعة من القوّاد.

---

١. في مط: فشاورهما.

٢. في مط: النيط.

ولقى علىّ بن يلبق المقتدر وهو فى الطريق لم يصل إلى المعركة فى صحراء منبسطة. فلمّا وقعت عينه عليه ترجّل وعليه سلاحه وقال:

ـ «مولاى أمير المؤمنين.»

بربرىٌّ من أصحاب مونس يقتل المقتدر

وقبّل الأرض ثمّ قبّل ركبته. ووافى البربر من أصحاب مونس فأحاطوا بالمقتدر وضربه رجل منهم من خلفه ضربة سقط منها إلى الأرض وقال:

ـ «ويحكم أنا الخليفة.»

فقال البربرى:

ـ «إيّاك أطلب.»

وأضجعه فذبحه بالسيف. وكان معه رجل من خلفاء الحجّاب طرح نفسه عليه فذبح أيضاً ووقع رأس المقتدر على سيف ثمّ على خشبة وسُلب ثيابه حتّى سراويله وتُرك مكشوف العورة إلى أن مرّ به رجل من الأكرة فستر عورته بحشيش ثمّ حفر له فى الموضع ودُفن حتى عفا أثره. [380]

ونزل يلبق وعلىٌّ ابنه فى المضارب وأنفذ للوقت إلى دار السلطان من يحفظها وانحدر مونس من الراشديّة إلى الشمّاسيّة فبات[١] بها ومضى عبد الواحد بن المقتدر ومفلح وهارون بن غريب ومحمّد بن ياقوت وابنا رائق على الظهر إلى المدائن.

فكان ما فعله مونس من ضربه وجه المقتدر بالسيف وقتله إيّاه ودخوله بغداد على تلك السبيل سبباً لجرأة الأعداء وطمعهم فيما لم تكن أنفسهم تحدّثهم[٢] به من الغلبة على الحضرة، وانخرقت الهيبة وضعف أمر الخلافة مذ

١. فى مط: مات. بدل «مات».

٢. فى مط: تحديهم.

ذلك وتفاقم حتى انتهى إلى ما نشرحه فيما بعد إن شاء الله.

تبذير المقتدر

وحكى ثابت حكاية فى تبذير المقتدر للأموال ما رأيت أن أثبته مشروحاً لئلّا يغترّ أحد من الملوك ومدبّرى أمر المملكة بكثرة الأموال فيترك تثميره ويعدل عن التعب به إلى الراحة اليسيرة فإنّه حينئذ يتبدّد[١] ولا يُلحق ويكون مثله مثل البثق الذى ينفجر بمقدار سعة الدرهم ثمّ يتّسع فلا يُضبط.

قال صاحب الكتاب: ولقد وعظت أنا بذلك بعض مدبّرى الملك فأكثرت عليه فتبسّم تبسّم المُدلّ بكثرة الذخائر والأموال [381] فما أتت عليه سنتان[٢] حتّى رأيته فى موضع الرحمة لا ينفعه الرحمة، وسأشرح خبره وحاله إذا انتهيت إليه بمشيئة الله.[٣]

فأمّا المقتدر فإنّه أتلف نيّفاً وسبعين ألف ألف دينار سوى ما أنفقه فى موضعه وأخرجه فى وجوهه وهذا أكثر ممّا جمعه الرشيد وخلّفه. ولم يكن فى ولد العبّاس من جمع أكثر ممّا جمعه الرشيد، فإنّ القاسم بن عبيد الله قال للمعتضد وقد سأله عن مقدار ما خلّفه واحد واحد[٤] من ولد العبّاس من المال:

ـ «إنّه لم يكن فيهم من خلّف أكثر ممّا خلّفه هارون الرشيد فإنّه خلّف فى بيت المال ثمانية وأربعين ألف ألف دينار.»

وهذه نسخة لما أثبته بعض كتّاب أبى الحسن ابن الفرات لمّا وزّره

---

١. يتبدّد: كذا فى الأصل ومط، والمثبت فى مد: يبتدر، خلافاً للأصل.

٢. من «ولقد وعظت» إلى قوله «سنتان» ساقط فى مط.

٣. انظر إلى حرص مسكويه على الإعتبار بالتاريخ، واستخراج تجاربه الواعظة. وإلى مستوى صلته بأعاظم زمانه.

٤. كذا فى الأصل: واحد واحد (بالتكرار) ولا تكرار فى مط.

المقتدر بالله.

- «بسم الله الرحمن الرحيم. الذى كان فى بيت مال[١] الخاصّة لمّا تقلّد المقتدر الخلافة أربعة عشر ألف ألف دينار، وافتتح أبو الحسن ابن الفرات أعمال فارس وكرمان سنة تسع وتسعين ومائتين فارتفع من مال الخراج والضياع العامّة والمعروف بالأمراء فى كلّ سنة ثلاثة وعشرون ألف ألف درهم وثمانمائة ألف درهم، منها من مال فارس ثمانية عشر ألف ألف درهم، ومن مال كرمان خمسة آلاف ألف درهم، [382] يكون ذلك فى مدّة احدى وعشرين سنة آخرها سنة عشرين وثلاثمائة الخراجيّة بعد وضع ثمانمائة ألف درهم كانت تنكسر فى كلّ سنة من مال البقايا أربعمائة ألف ألف درهم وثلاثة وثمانين ألف درهم.

«وإذا وضع من ذلك ما كان يحمله من يتغلّب[٢] على فارس وكرمان إلى بيت مال العامّة بالحضرة وهو نحو أربعة آلاف ألف درهم فى السنة ومبلغه فى هذه السنين ثلاثة وثمانين ألف ألف درهم وكان الباقى بعد ذلك أربعمائة ألف ألف درهم قيمتها ثمانية وعشرون ألف ألف دينار.

«ومن أموال مصر والشام فى هذه السنين زيادة على ما كان يحمل منها فى أيّام المعتضد: ثلاثة آلاف ألف وستمائة ألف دينار.

١. فى مط: المال.

٢. فى مط: معك، بدل «من يتغلّب».

«وأخذ المقتدر من أموال عليّ بن محمّد بن الفرات في مصادرته ومصادرات كتّابه وأسبابه: أربعة آلاف ألف وأربعمائة ألف دينار، منها في الدفعة الأولى: ألفي ألف وثلاثمائة ألف دينار، وفي الدفعة الثانية: ألف ألف ومائة ألف دينار، وفي الثالثة مع ما أخذ من زوجة المحسّن دولة: تسعمائة ألف دينار.

«وما حصل من ارتفاع ضياع ابن الفرات الملك سوى الإقطاع والإيغار[1] في مدّة سبع عشرة سنة مع ما انصرف في ذلك من المبيع والمقطع والموغر للحاشية حساباً [383] في السنة مائتي وخمسين ألف دينار: أربعة آلاف ألف ومائتي وخمسون ألف دينار.

«وما صحّ ممّا أخذ لأبي عبد الله الجصّاص الجوهري دون ما كان يذكره وهو يتكثّر به من العين: ألفي ألف دينار.

ـ «وما حصل من ضياع العبّاس بن الحسن بعد قتله في مدّة أربع وعشرين سنة حساباً في السنة مائة وعشرين ألف دينار: ألفي ألف وثمانمائة ألف دينار.

ـ «وما أخذ من أموال حامد بن العبّاس وأسبابه ومع ما يرتفع من ضياعه إلى أن ردّت على ولده ألفي ألف ومائتي ألف دينار.

«وما أخذ من أموال الحسين بن أحمد ومحمّد بن عليّ المادرائيين في أيّام وزارة أبي عليّ الخاقاني ووزارات ابن

---

١. في مط: الابعاد، بدل «الإيغار».

الفرات الثلاث وأيّام أبى القاسم الخاقانى وأبى العبّاس الخصيبى[١] وأبى الحسن علىّ بن عيسى الثانية وأبى علىّ ابن مقلة: ألف ألف وثلاثمائة ألف دينار.

«وما أخذ من أموال علىّ بن عيسى وابن الحوارىّ وسائر الكتّاب ووجوه العمّال المصادرين: ألفى ألف دينار.

«وما أخذ من تركة الراسبى، خمسمائة ألف دينار.

«وما أخذ من تركة إبراهيم المسمعى: ثلاثمائة ألف دينار.

«وما حصل من ثمن المبيع فى أيّام الوزراء وازدداه الفضل بن جعفر: ثلاثة ألف ألف دينار.

«وما حصل من أموال أمّ موسى [384] وأخيها وأختها وأسبابها: ألف ألف دينار.

«فصار الجميع من العين: ثمانية وستين ألف ألف وأربعمائة وثلاثين ألف دينار. وضع[٢] من ذلك لارتفاع ما خرج من المبيع منذ سنة سبع عشرة وثلاثمائة إلى آخر سنة عشرين وثلاثمائة حساباً فى السنة على التقريب تسعمائة ألف دينار: ثلاثة ألف آلاف وستّمائة ألف دينار.»

الباقى بعد ذلك ممّا حصل فى خزانة المقتدر زائداً على ما كان يحمل إلى بيت مال الخاصّة فى أيّام المعتضد والمكتفى من أموال الضياع والخراج بالسواد والأهواز والمشرق والمغرب: أربعة وستين ألف ألف وثمانمائة وثلاثين ألف دينار.

---

١. كذا فى الأصل ومد: الخصيبى. وفى مط: الخصيبى.

٢. فى مط: ومع، بدل «وضع».

وقد كان كلّ واحد من المعتضد والمكتفى يستفضل فى كلّ سنة من سنى[١] خلافته من أموال النواحى بعد الذى يُصرف فى أعطيات الرجال والغلمان والخدم والحشم وجميع النفقات الحادثة مع ما كان يحصّله فى بيت مال الخاصّة: ألف ألف دينار.

وكان سبيل المقتدر أن يستفضل مثلها فيكون مبلغه فى خمسة وعشرين سنة: خمسة وعشرين ألف ألف دينار. فيكون جملة ما يجب أن يحضر فى بيت مال الخاصّة للمقتدر بالله فى هذه السنين إلى آخر سنة عشرين: [385] تسعة وثمانين ألف ألف دينار وثمانمائة ألف وثلاثين الف دينار.

خرج من ذلك ما ليس يجرى مجرى التبذير وهو ما أُطلق فى البيعة ثلاث[٢] دفعات وما أنفق على فتح فارس وكرمان: بضعة عشر ألف[٣] ألف دينار. وبقى[٤] بعد ذلك ما بُذّر وأُتلف: نيّف وسبعون ألف ألف دينار.»

وكانت مدّة وزارة أبى الفتح الفضل بن جعفر للمقتدر خمسة أشهر وتسعة وعشرين يوماً.



١. فى مط: من سبى.
٢. فى مط: ثلاثة.
٣. فى مط: آلاف ألف.
٤. من هنا إلى «سبعون ألف ألف دينار» ساقط فى مط. وأمثال ذلك وغيره كثيرة فى مط.

خلافة القاهر بالله

أبى منصور محمّد بن المعتضد سنة عشرين وثلاثمائة

لمّا قُتل المقتدر بالله وحُمل رأسه إلى بين يدى مونس بكى وقال:

ـ «قتلتموه والله لتقتلنّ[1] كلّنا فأقلّ ما يكون أن تُظهروا بأن ذلك جرى بغيرقصد منكم ولا أمر به وأن تنصبوا فى الخلافة ابنه أبا العبّاس فإنّه تربيتى وإذا جلس فى الخلافة سمحت نفس جدّته والدة المقتدر وإخوته وغلمان أبيه بإخراج المال.»

فعارض هذا الرأى أبو يعقوب إسحاق بن إسماعيل النوبختى لحينه[2] وما سبق له فى حكم الله تعالى وقال:

ـ «بعد الكدّ استرحنا ممّن له والدة وخالة وخدم فنعود إلى تلك الحالة؟»

وما زال بمونس [386] وأسبابه حتّى فثأ رأيهم[3] عن أبى العبّاس وعدل به إلى محمّد بن المعتضد بالله ليتمّ المقدارُ من جرْيِ[4] قتله على يده.

وحضر فائق وجه القصعة الحُرمى فذكر لمونس أنّ والدة المقتدر لمّا بلغها

---

١. فى مط: ليقتلنّ.

٢. لحينه: كذا فى الأصل ومط وهو الصحيح. وما فى مد: لحسنه.

٣. فى مط: فشارأتهم، وهو تصحيف قبيح.

٤. ضبط العبارة من الأصل.

قتل ابنها أرادت الهرب وأنّه وكّل بها وتوثّق منها. وذكر أنّ محمّد بن المعتضد ومحمّد بن المكتفى معتقلان فى يده. فوجّه به مونس وأمره بإحضارهما وأُصعد بهما إلى دار مونس بعد أن أطلق بشرى خادمه.

وابتدأ مونس بخطاب محمّد بن المكتفى فامتنع من قبول الأمر وقال:

ـ «عمّى أحقّ به.»

فخاطب حينئذ محمّد بن المعتضد فاستجاب واستُحلف لمونس المظفّر وليلبق ولعلىّ ابنه وليحيى بن عبد الله الطبرى كاتب يلبق.

فلمّا توثقوا منه بالأيمان والعهود بايعوه وبايعه من حضر من القضاة والقوّاد ولقّب: «القاهر بالله». وكان ذلك سحر يوم الخميس لليلتين بقيتا من شوّال. وأشار مونس بأن يستوزر له علىّ بن عيسى ووصف سلامته واستقامة أموره ومذهبه ودينه فقال يلبق وابنه:

ـ «الحال الحاضرة لا تحتمل أخلاق علىّ بن عيسى وأنّه يحتاج إلى من هو أسمح منه وأوسع أخلاقاً.»

فأشار بأبى علىّ ابن [387] مقلة وبأن يُستخلف له إلى أن يقدم من فارس أبو القاسم الكلوذانى. فأمضى مونس ذلك وكتب إلى أبى على ابن مقلة بالإسراع، وإلى ياقوت بحمله وتعجيله.

وانحدر القاهر إلى دار الخلافة وصعد الدرجة. وانحدر مونس وأسبابه إلى دورهم وصرف محمّد بن المكتفى إلى داره فى دار ابن طاهر واستحجب القاهر بالله علىّ بن يلبق واستكتب علىُّ بن يلبق أبا علىّ الحسن بن هارون. ووجّه مونس المظفّر فاستقدم علىّ بن عيسى من الصافية فراسله القاهر على يد الحسن بن هارون واستدعاه فلقى مونساً ثمّ انحدر إلى القاهر فوصل إليه وخاطبه بجميل وذلك قبل ورود ابن مقلة.

واستحضر مونس أبا القاسم الكلوذانى وانحدر معه إلى دار السلطان

وأوصله إلى القاهر فعرّفه أنّه قد استوزر أبا علىّ ابن مقلة واستخلفه له إلى أن يقدم وأمره أن ينتقل[١] إلى دار مفلح ليقرب عليه إذا طلبه ففعل ولقيه أصحاب الدواوين وهنّأوه وأمر ونهى.

تشاغل القاهر بالبحث عمّن استتر

وتشاغل القاهر بالبحث عمّن استتر من أولاد المقتدر وحُرمه وبمناظرة والدته وكانت فى علّة عظيمة من فساد مزاج وابتداء [388] استسقاء ولمّا وقفت على ما لحق ابنها من القتل وأنّه لم يُدفن جزعت جزعاً شديداً ولطمت رأسها ووجهها وامتنعت من المطعم والمشرب حتّى كادت تتلف ورفق بها رفقاً كثيراً إلى أن اغتذت بيسير من الخبز والملح وشربت الماء.

ثمّ دعاها القاهر فقررها بالرفق مرّة وبالتهديد مرّة فحلفت له على أنّه لا مال لها ولا جوهر إلّا صناديق فيها صياغات وثياب وفرش وطيب وأنّ هذه الصناديق فى دار تتصل بالدار التى كانت تسكنها من دار السلطان ووقفته على تلك الدار وتلك الصناديق وقالت:

ـ «لو كانت عندى مال لما سلّمت ولدى للقتل.»

فضربها حينئذ بيده وعلّقها بفرد رجل وأسرف فى ضربها على المواضع الغامضة من بدنها[٢] ولم يرع لها إحسانها وقت اعتقال المقتدر إيّاه ولمّا أوقع بها المكروه لم يجد زيادة على ما اعترفت به طوعاً.

فلمّا كان مستهلّ ذى القعدة حضر يلبق وعلىّ ابنه ومعهما أبو القاسم الكلوذانى دار السلطان فأوصلهم إلى حضرته فطالبوه بحمل مال إلى مونس المظفّر ليُنفق فى صلة البيعة فحدّثهم بما فعله بوالدة المقتدر [389] وأنّه

---

١. فى مط: يقفل، بدل «ينتقل».

٢. فى مط: يديها، بدل «بدنها».

ضربها بيده مائة مقرعة ضرب التقرير على المواضع الغامضة من بدنها فما أقرّت بدرهم واحد غير ما كانت أقرّت به عفواً وقال لهم:

ـ «هى بين أيديكم.»

ثمّ أدخلهم إلى الدار التى فيها الصناديق فإذا فيها ثياب وشى وديباج رومى[١] وتُسترىّ مثقّلة بالذهب وفرش أرمنىّ[٢] وخزّ رقم وديباج وصناديق فيها ثياب فاخرة وصياغات يسيرة ذهب وصياغات كثيرة فضّة وطيب كثير من عود هندىّ وعنبر ومسك وكافور وتماثيل كافور[٣] قيمة ذلك نحو مائة وثلاثين ألف دينار وقيمة التماثيل نحو ثلاثمائة ألف درهم فتسلّم أكثر ذلك مونس المظفّر ليباع فتركوا بعضه ليخدم به القاهر.

وصودر جميع أسباب المقتدر وظهر الفضل بن جعفر فعنى به مونس ويلبق وابنه وخاطبوا فيه القاهر فقال:

ـ «هذا كان وزير المقتدر ولا بدّ من مصادرته.»

فبذل عشرين ألف دينار عاجلة فقال مونس:

ـ «أنا أزن هذا المال عنه فإنّه ثقة عفيف كاتب ديّن.»

ورسم أن يقلّد ديوان الضياع المقبوضة عن والدة المقتدر وديوان أولاد المقتدر وما قبض عنهم وعن سائر الأسباب وأُكرم كل إكرام وصار إلى [390] الكلوذانى فقام له لمّا حضر ولمّا انصرف ووقّع له القاهر بجميع تلك الدواوين التى ذكرتُها فتسلّم الدواوين ولم يؤثر فيها شيئاً لأنّه لم يستحسن وكان بالأمس وزير المقتدر أن يتقلّد اليوم ديوان المقبوضات عن والدته وأولاده وأسبابه فاستحضر الكلوذانى هشاماً وقلّده ذلك أزمّة وقلّد أبا محمّد

---

١. فى مط: ثقفىّ، بدل «رومىّ».

٢. كذا فى الأصل ومط: أرمنىّ. والمثبت فى مد: ادمىّ، خلافاً للأصل.

٣. تماثيل كافور: كذا فى الأصل ومط ومد.

المادرائى ديوان الأصول فكانت مدّة ولاية الفضل هذه الدواوين سبعة عشر يوماً.

وكانت مصادرة أبى بكر ابن ياقوت قد اشتهرت وأنّـه لم يـؤدّ مـنها إلّا تسعين ألف دينار فطولب بتمامها. وأخرج القاهر والدة المقتدر لتشهد عـلى نفسها القضاة والعدول بأنّها قد حلّت وقوفها ووكّلت فـى بـيعها عـليّ بـن العبّاس النوبختى ونوظرت على ذلك فامتنعت منه وذكرت أنّها وقفته على مكّة والثغور على الضعفى[1] والمساكين ولا أستحل حلها فأمّا أملاكى الطلق فقد وكّلت عليّ بن العبّاس فى بيعها.

فنهض القاضى عمر بن محمّد والشهود إلى حضرة القاهر فأشهدهم على نفسه بأنّه قد حلّ وقوفها ووكّل فى بيعها عليّ بن العبّاس النوبختى وفى بيع سوى ذلك من الضـياع الخـاصّة والفـراتـيّة والعـبّاسية [391] والمسـتحدثة والمرتجعة وما يجرى مجراها فى سائر النواحى ووّكل أبا طالب النـوبختى وإسحاق بن إسماعيل وأبا الفـرج جسلخت فـى بـيع المسـتغلات بـالحضرة المقبوضة وما أمكنهم بيعه من فضل ما بين المعاملتين. ورأى أسباب مونس أنّه لا يتمّ البيع إلّا بأن يبتدئوا بالشراء منهم فابتاعوا أشياء بنحو خـمسمائة ألف دينار.

وزارة ابن مقلة

وقدم أبو على ابن مقلة من شيراز فى يوم النحر وكان كتب إلى القـاهر بالله ويسأله أن يجلس له فى الليل لأنّه كان اختار لنفسه أن يـلقاه بـطالع الجدى وفيه أحد السعدين والآخر فى وسط السماء فوصل فى الوقت الذى

---

١. الضعفى: كذا فى الأصل ومط. فى مد: الضعفاء. خلافًا للأصل، وكلاهمابمعنى واحد.

قدّره وصادف القاهر ينتظره فلقيه وخرج من عنده وقد أُعدّت له دار هارون بن المقتدر وفُرشت فدخلها ووقّع فيها بتقليد قوم وخُلع عليه من الغدْ خلع الوزارة وصار إلى مونس المظفّر فسلّم عليه وانصرف إلى داره.

وحضر الناس للتهنئة وراح إليه فى آخر النهار علىّ بن عيسى فلم يقم له واستقبح الناس له ذلك وصار إليه أبو بكر ابن قرابة ووفى بوعده فى مداخلته إيّاه والعود إلى التخليط كما كنّا شرحناه من أمره.

ودخلت سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة [392]

كان أبو علىّ ابن مقلة عاتباً على الكلوذاني وذاك أنّه لم يعرف خبر أحد من إخوته وولده وحرمه وأسبابه بعد تقليده خلافته ولا صار إلى داره ولا قلّد أحداً من أسبابه شيئاً من الأعمال ولا تفقّد حرمه وولده بشيء، وأعظم من هذا كلّه أنّ أبا عبد الله ابن ثوابة استأذن أبا القاسم الكلوذانى فى وقت خلافته أبا علىّ فى ذكر كنيته على الكتب النافذة إلى العمّال فلم يأذن له فقبض على الكلوذانى وأسبابه وكان هذا أوّل ما وبّخه به وأخذ خطّه بمائتى ألف دينار ونقله مع كاتبه وأسبابه إلى أبى بكر ابن قرابة ثمّ قبض على جماعة من العمّال وكتّاب الدواوين وقبض على إسحاق بن إسماعيل النوبختى وعلى بنى البريدى وضمن أعمالهم من محمّد بن خلف النيرمانى بما كانت عليهم وزيادة ثلاثمائة ألف دينار وضمن أيضاً أن يصادرهم على ستمائة ألف دينار وتسلّمهم وحملهم إلى داره وجميع ذلك بتوسط ابن قرابة فاعتقلهم محمّد بن خلف فى داره وفرّق بينهم.

وجمع أبو على ابن مقلة لمحمّد بن خلف مع هذه الأعمال أعمال المعاون فخاف إسحاق بن إسماعيل وبنو البريدى على أنفسهم لما يعرفونه من شدّة

إقدام محمّد بن خلف وتهوّره[١] فأمّا أبو عبد الله البريدي [393] فإنّه داری محمّد بن خلف ورفق به وأوهمه أنّه يعمل من قبله ويقوم بمال النواحی وبالزيادة التی بذلها وأن يطيعه فی المال كلّه ويعمل بما يأمره فيه ولا يخالفه فرقّهه من بين الجماعة وأوقع بأخويه وعلّق عليهما الجرار المملؤوة ودهقهما[٢] فلم يدعنا بشیء وضيّق علی إسحاق بن إسماعيل ولم يوقع به مكروهاً.

وكانت بين أبی جعفر ابن شيرزاد وبين إسحاق بن إسماعيل مودّة وكيدة فخاطب أبو جعفر الوزير أبا علیّ فی لقاء إسحاق وقال:

ـ «أحتاج أن أواقفه علی ما سبّب لصاحبی هارون بن غريب عليه فی أيّام المقتدر وما أطلقه حتّی لا يحيل علیّ بما لم يطلقه.»

فوجّه معه بحاجب من حجّاب الوزارة فأوصله إلی إسحاق فلمّا وقعت عين إسحاق عليه قال له:

ـ «يا سيدی الله الله فی أمری بادر إلی الأستاذ المظفّر ولا تفارقه حتّی يخلصنی من يد هذا المجنون.»

فمضی أبو جعفر إلی مونس ولم يزل يسأله حتّی دعا يلبق وأمره أن يمضی إلی أبی علی ابن مقلة ويخاطبه فی أمره فإن أطلقه وإلّا انتزعه من يد محمّد بن خلف وحمله إليه. فمضی يلبق إلی ابن مقلة فخاطبه فلم يجد ابن مقلة بدّاً من الإستجابة لتقريب أمر إسحاق.

فحكی أبو الفرج ابن أبی هشام عن أبی سعيد ابن قديدة أنّ السبب فيما لحقهم عتب أبی بكر ابن قرابة [394] عليهم لتأخيرهم مالاً كان له عليهم وهو الذی قدّمه عنهم فتقاعدوا عن الوفاء له فعاهد محمّد بن خلف يوم

---

١. كذا فی الأصل ومط: تهوّره. والمثبت فی مد: تهوره. خلافاً للأصل.

٢. دهقه: ضربه. دهق الشیء: كسره.

تضمّنهم من أبى علىّ ابن مقلة بستمائة ألف دينار على أن يستوفى له من جماعتهم ما قدّمه عنهم ويردّه عليه. فلمّا حصلوا فى يد محمّد بن خلف استخرج من أبى عبد الله وأخويه عشرين ألف دينار وأنفذ قبض بعض الصيارف بدرب عون إلى أبى بكر ابن قرابة بها وجعل ذلك من دينه عليهم وجدّ بهم.

واستسلم له أبو يوسف وأبو الحسين ولحقهما منه مكاره عظيمة وأطمعه أبو عبد الله إطماعاً لم يصحّ ورفق به. فلمّا كان فى اليوم الثالث ركب محمّد بن خلف إلى أبى علىّ ابن مقلة فقال له أبو علىّ:

ـ «يا أبا عبد الله غررتنا والقوم فى يدك فنفذت مخاريقُهم عليك وذهبت بريحك.»

فخجل محمّد واغتاظ وقال:

ـ «قد حملتُ من جهتهم عشرين ألف دينار وإنّما ضمنت المال فى مدّة ثلاثة أشهر فأىّ عتب للوزير علىّ حتّى يخاطبنى بهذا الخطاب البشع.»

فقال الوزير:

ـ «ما سمعت بهذا إلّا منك فإلى من سلّمت المال؟»

قال: ـ «إلى ابن قرابة.»

فدعا بابن قرابة وسأله[1] عمّا ذكر محمّد بن خلف فقال:

ـ «أنفذ أيّها الوزير هذا الخط ووالله ما قبضت [395] ماله من الصيرفى وزعم أنّه من دين لى عليهم ولو قال إنّه من الحمل لأنهيت حاله فى الوقت وإذ قد بدا له فهاهى الرقعة بارك الله له فيها.»

وسلّمها إلى محمّد بن خلف فقال محمّد:

---

١. كذا فى الأصل ومط: وسأله. والمثبت فى مد: وهنّأ له، خلافاً للأصل.

ـ «لا والله ما جعلتها من دينك وكيف يجوز أن أقدّم مالك على مال السلطان؟»

فاستوحش كلّ واحد منهما من صاحبه وبلغ أبا عبد الله البريدى خبر المجلس فسُرّى عنه واجتهد فى أن يكتب رقعة إلى ابن قرابة يسأله فيها المصير إليه فلم يجد دواة ولا من يحملها واتفق أن أنفذ أبو سعيد ابن قديدة غلامه أحمد ليشاهد حاله فاستأمن إليه أبو عبد الله ورغّبه فى الإصطناع والإحسان ووعده أن يغنيه إذا أوصل رقعة له إلى ابن قرابة فاستجاب له الغلام واحتال له في جوزة جعل فيها كُرْسُفاً[1] وأحضره قلما صغيراً وقطعة من كاغذ فكاتب أبا بكر ابن قرابة وحلف له إنّه إن أخذه إليه وفّاه ماله عن آخره وخدمه أحسن خدمة.

فبكر أبو بكر ابن قرابة إلى محمّد بن خلف وأظهر له أنّه قد قصده لمعاتبته حتّى استوفى المفاوضة معه. ثمّ قال له:

ـ «أخرج ابن البريدى إلىّ فإنّه يستقيم إلى كلامى حتّى أقرر مصادرته وأعرف ما عنده [396] فى دينى.»

فأخرج إليه أبا عبد الله فقال أبو عبد الله:

ـ «أوّل إقبالى إن قلت لمحمّد بن خلف: لم يبق من السحر إلّا السرار فيتفضّل الأمير ويخلى لنا مجلسنا.»

فنهض محمّد بن خلف من مجلسه وسلّمه إلىّ برقاعته وقال:

ـ «أنا داخل إلى دار الحُرم.»

فتخاطبنا وجلستُ مجلسه وقعدت مقعده فتفاءلت وقلت:

ـ «هذا مجلس كان لى فأنتقل إليه وقد عاد إلىّ.»

---

١. فى مط: كرفساً. والكُرْسُف: القطن. ليقة الدواة.

فاستصلحت أبا بكر ابن قرابة ووعدني بتخليصي ووفى ومضى ففصل أمرنا وضمن الوفاء عنّا.

فلمّا كان في اليوم الثاني رضى عنّا أبو عليّ ابن مقلة واستدعاني وإخوتي فدعانا محمّد بن خلف وسكّن منّا[١] وأنفذنا إليه فلمّا أردت الخروج قلت لمحمّد ابن خلف:

ـ «أيّها الأمير، أبو يعقوب إسحاق بن إسماعيل خادمك ومونس يعتني به وسيُنفذ الساعة من يأخذه فدعني حتّى أستصلحه لك وأعقد بينك وبينه عهداً ويميناً.»

فقال: «افعل.»

فخلوت بإسحاق بن إسماعيل وقلت له:

ـ «قد سخرتُ من هذا النفس[٢] وأنا منصرف فعاقده واحلف له ثمّ قل له: بيننا الآن عهد ولا بدّ من صدقك ابن مقلة يبغضك ويتّهمك بأنّك تطلب الوزارة وإنّما أراد أن يستنفر لك الأعداء ويأخذ أموالنا بيدك ثمّ يحملنا على أن نتضمّنك وقد ضمنك أبو عبد الله البريدي [397] بثلثمائة ألف دينار وحدّثني بهذا فلا تركب أيّاماً فإن كان الوزير سأل عنك فقد حماك منه الخليفة وإن طلبك فإنّما يريد أن يسلّمك إليه.»

ثمّ انعطفتُ إلى محمّد بن خلف وقلت:

ـ «قد فرغتُ من القصّة والرجل يخدم الأمير كما يريد.»

وخرجنا فأعاد عليه إسحاق ما سمعه منّي فانصرف قبل العصر بعدي.

فلمّا جلس محمّد بن خلف في منزله ولم يركب إلى أبي عليّ ابن مقلة مضى أبو عبد الله البريدي إلى ابن مقلة وقال له:

---

١. كذا في الأصل: منّا. في مد: بنا. وفي مط: وتمكن منّا، بدل «وسكّن منّا».

٢. في مط: البلس، بدل «النفس».

ـ «قد عرفت من دار محمّد أنّه يطلب الوزارة وأنّ رسله منبثّون إلى أسباب مونس وإلى القاهر فلا تدعه يقيم في البلد.»

وكان ابن مقلة جباناً فطلبه وكان ذلك القول الأوّل قد تقدّم إلى محمّد بن خلف، فوثب بخدم ابن مقلة وغلمانه وحاجبه وضربهم وحصّلهم فى بيت وقفل الباب عليهم وتسوّر السطوح وهرب فلم يظهر إلّا فى وزارة أبى جعفر محمّد بن القاسم بن عبيد الله للقاهر بالله.

وكان أبو عبد الله البريدى مقيماً بالأهواز وعرف محمّد بن خلف من بعد أنّ الحيلة تمّت عليه، فقال لمن بلّغ أبا عبد الله البريدى:

ـ «ظننت بك ظنّا جميلاً ولم أعلم أنّك فى الحيلة علىّ وكنتُ قد صدقت عنك فلم أقبل.» [398]

فقال أبو عبد الله البريدى لأبى علىّ الكاتب:

ـ «اكتب إلى فائق الغلام بأن يقول لمحمّد بن خلف: هذه الحيلة يجوز أن تخفى عليك، فقد خفى مثلها على من هو أكبر منك ولكنّ أعظم من ذلك أنّه كان لنا من الموضع الذى حُبسنا فيه طرق إلى دور حرمك وذهبت عليك ولم تعرفها فاحترس منها فى المستأنف.»

وتوسّط أبو بكر ابن قرابة أمور الجماعة وفصلها مع ابن مقلة فوقّع ابن مقلة بإعادة ابنى البريديين إلى أعمالهم فاستقامت أمورهم. ولمّا بطل ضمان محمّد بن خلف ما كان ضمنه من ضمانات البريديين وإسحاق بن إسماعيل صُرف أيضاً عن أعمال المعاون فى هذه النواحى وطلبه ابن مقلة وكان من وثوبه برسله وحاجبه واستتاره ما ذكرناه.

ووجّه ابنُ مقلة إلى دار محمد بن خلف من[1] فتح الباب عن خدمه

---

١. من فتح: فى الأصل ومد: ثمّ فتح. والتصحيح من مط.

وغلمانه وحاجبه وانصرفوا.

بين ابن مقلة وأبي الخطّاب

وكان أبو عليّ ابن مقلة يعادى أبا الخطاب ابن أبى العبّاس ابن الفرات ولم يكن يجد إلى القبض عليه طريقاً ديوانيّاً لأنّه كان ترك التصرف عشرين سنة ولزم منزله وقنع بدخل ضيعته. وكان سبب عداوة أبى علىّ له أنّه كان استسعفه أيّام نكبته فاعتذر بالإضافة ولم يسعفه. [399]

ثمّ إنّ أبا الخطّاب طهّر أولاده فتجمّل كما يتجمّل مثله ودعا أولاد أبى علىّ ابن مقلة فشاهدوا مروّة تامّة وآلات جليلة وصياغات كثيرة وكان بعضها عارية فانصرفوا وحدّثوا أباهم الحديث وعظّموا وكثّروا وصار أبو الخطّاب ابن أبى العبّاس ابن الفرات إلى الوزير أبى علىّ ابن مقلة على رسمه يوم الموكب للسلام عليه فقبض عليه.

فحكى أبو الفرج ابن أبى هشام أنّ أبا زكريا يحيى بن أبى سعيد السوسى حدّثه أنّه كان حاضراً حين قبض على أبى الخطّاب وأنّ الوزير أبا علىّ أنفذ إليه وسائط وأنّه كان فيهم وطالب بثلاثمائة ألف دينار وأنّ أبا الخطّاب قال:

«بماذا يتعلّق الوزير علىّ وقد تركت التصرف منذ عشرين سنة ولمّا تصرفت كنت عفيفاً سليماً ما آذيت أحداً ولى على الوزير حقوق وليس يحسن به أن يتناساها مع اشتهاره بالكرم ويقبّح

بى أن أهجّنه بخطوط له عندى قبل هذه الحال الغالية[١] فقولوا له : أيّها الوزير أبو عليّ، ذكّرتك بما لو طالبتك برعايتها أو بالمجازاة على ما أسلفتك فى أوقات انحراف الزمان عنك أو سألتك ولاية أو إماحة أو إحساناً فى معاملة فى ضيعة أو إرفاداً [400] وهل من الجميل ألّا أجد عندك إذا رفّهتك من هذا كلّه سلامة في نفسي فيما قد ركبتّه منّى ممّا إذا صدقتَ نفسك خفت العقوبة من الله عزّ وجلّ ثمّ قبح الأحدوثة من الناس.

ـ «أما ما ظننته عندى، فما الأمر كما وقع لك لأنّ هذا المال إن كان موروثاً عن أبى رحمه الله فلست وارثه وحدى ولو كان لاقتسمناه ونحن عدّة فلم يكن بدّ من أن يشيع ويعرف خبره وإن ظننته من كسبى فتصرفى وما وصل إلىّ منه معروف وما خفيت عنك نزارته ومن بحضرتك من أصحاب الدواوين يشهدون لى بأنّى ما حظيت ببعض مؤونتى[٢] وإن ظننته من استغلال فما استغلّه مقسوم بين الورثة وإن رجعت إليهم بالمسألة لم تجد ما يخصّنى فى زمان تصرفى إلّا ببعض ما انصرف إلى مؤونتى ومروّتى.

ـ «وقد خلف الوزراء والأكابر أولاداً مثلى فى كفايتى ودونى فتعرضوا لمواقف واستشرفوا لرتب وراسلوا وروسلوا فهل رأيتنى إلّا فى طريق التسلّم وراضياً بامتداد ستر الله تعالى والزهد فى هذه الدنيا. فأىّ شىء تقول لله تبارك اسمه، ثمّ لعباده إذا

---

١. فى مط : العالية (بالعين المهملة).

٢. كذا فى الأصل ومط: مؤونتى. وفى مد: مروءتى.

أسأت إليّ؟»

فلمّا أعيد هذا الكلام على ابن مقلة من غير جهتنا فإنّه كان [401] أنفذ من يتسمع، خجل وتبلّد وتحيّر ثمّ قال:

ـ «هذا يدلّ عليّ بالقراتيّة وأمير المؤمنين ليس يمكّننى من رعاية حقوق أمثاله وأنا أنفذه إلى الخصيبى فإنّه أعرف بدوائه.»

فقمنا وجئت إلى الخصيبى فحدّثته بما جرى فى المجلس وقلت له:

ـ «أعيذك بالله أن تنتصب للتشرّر[1] على الناس وأن يُقال: إنّ النعم تُزال بك وأنت وزير ابن وزير وقد رفع الله قدرك من ذلك وأجلّك بصناعتك وعفافك وأبوّتك.»

فقال: «أحسن الله جزاءك ستعلم أنّى أردّه إليه بعد أن أعذر باليسير إليه.»

ثمّ إنّ أبا عليّ ابن مقلة استدعى الخصيبى وسلّمه إليه بعد أن اضطرّه إلى كَتب خطِّه بثلاثمائة ألف دينار يصحّحها فى مدّة عشرين يوماً. فأحضر له الخصيبى صاحب الشرطة وجرّده وضربه عشر درر وخُلّع تخليعاً يسيراً. ثمّ ضربه بالمقارع، فأقام على أنّه لا مال له وأنّ ضياعه قد وقفها ولا يمكنه بيعها. فاستعفى الخصيبى منه وردّه إلى دار ابن مقلة فحبسه ثمّ سلّمه إلى المعروف بابن الجعفرى النقيب وأحضر له غلاماً من غلمان القاهر وذكر له أنّه قد أُمر بضرب عنقه إن لم يؤدّ قدراً من المال.

فما زال يعلّلهم إلى آخر الوقت ولم يؤدّ [402] شيئاً. فلمّا حضر الوقت أحضره السيف وشدّ رأسه وعينيه. فقال له أبو الخطّاب:

ـ «وجّهنى رحمك الله إلى القبلة.»

---

١. فى مط: للشرّ، بدل «التشرّر».

فوجّهه.

ثمّ قال له:

ـ «برفق[١]».

وتشاهد.

فبادر بالخبر ابن الجعفرى إلى ابن مقلة فقال ابن مقلة:

ـ «لا يجوز أن يكون بعد هذا شيء.»

وقال مونس المظفّر لابن مقلة:

ـ «أىّ طريق على رجل لم يعمل عملاً منذ آخر سنة تسع وتسعين ومائتين؟»

فأخذه ابن مقلة وسلّمه إلى حاجبه وأمره أن يعتقله. فأقام فيه يومين وحضر أبو يوسف البريدى فشكا إليه ابن مقلة ما أقام عليه أبو الخطّاب من التجلّد ووسّطه بينه وبينه. فصار إليه أبو يوسف وقرّر أمره على عشرة آلاف دينار فحلف أبو الخطّاب ألّا يؤدّى منها درهماً ولو قُتل أو يطلق إلى منزله. فوجّه إليه ابن مقلة بخلعة من ثيابه وحمله على دابّة بمركب واستدعاه ووثب إليه حتّى كاد أن يقوم له ثمّ قال له:

ـ «كُثّر على الخليفة فى أمرك وعزيز علىّ ما لحقك فامضِ مصاحَباً إلى منزلك.»

فانصرف وأدّى المال فى مدّة عشرة أيّام وأطلق ضياعه وأملاكه.

وأحضر ابن مقلة إسحاق بن إسماعيل وأخذ خطّه بأن يحمل [403] فى كل شهر من شهور الأهلّة مثل ما كان يحمله إلى المقتدر بالله لخريطته على

١. فى مط: ترفّق.

سبيل المرفق وهو ألفا دينار وأخذ خطّ أبى عبد الله البريدى بحمل ثلاثة آلاف دينار فى كلّ شهر على هذه السبيل وخطّ أبى يوسف وأبى الحسين أخويه بألف وخمسمائة دينار فى كلّ شهر.

ذكر ما جرى في أمر الذين هربوا من قوّاد المقتدر وما آل أمرهم إليه

كتب هارون بن غريب إلى أبى جعفر محمّد بن يحيى بن شيرزاد من واسط بأن يقطع أمره على مصادرة ثلثمائة ألف دينار على أن يطلق له ضياعُه المِلكُ فى سائر النواحى ومستغلّاته دون الإجارات والوقوف التى كانت فى يده وعلى أن يؤدّى حقوق بيت المال على الرسوم القديمة ويرتجع إقطاعاته. وعُنى به مونس المظفّر وأسبابه وكتب له القاهر أماناً وقبلت مصادرته التى بذلها وقلّد أعمال المعاون بماه الكوفة وماسبذان ومهرجانقذق.

وخرج عبد الواحد بن المقتدر ومحمّد بن ياقوت الباهلى وابنا رائق وسرور ومفلح من واسط مفارقين [404] لهارون بن غريب من واسط إلى السوس وجنديسابور فأفسدوا أمر الأعمال هناك وعاثوا وخرّبوا ومدّوا أيديهم إلى التنّاء والتّجار ثمّ خرجوا على الظهر إلى سوق الأهواز. فلمّا طال مقامهم بالأهواز شخص يلبق والجيش معه نحوهم فلقيه هارون بن غريب بَجْرجَرايا ثمّ نفذ لحرب القوم.

فأمّا ما حكاه أبو الفرج ابن أبى هشام عن مشاهدة وعيان فإنّه قال: إنّ الهاربين من قوّاد المقتدر مع عبد الواحد ابنه دخلوا سوق الأهواز من طريق الطيب وما دخلوا السوس ولا جنديسابور واستبدّ محمّد بن ياقوت بالأمور على ابنى رائق والجماعة.

وقلّد أبا إسحاق القراريطى كاتبه النظر فاستخرج وأمر ونهى وكانت

الأموال تنصبّ إلى ابن ياقوت ويُعطى منها ابنا رائق وغيرهما ما يريد فتغيرت له القلوب واعتقدوا الخلاف عليه.

وتحقق أبو عبد الله البريدى بأبى علىّ ابن مقلة. وكانت الكتب ترد عليه من الأهواز بجميع ما يجرى فأشار بأن يتلاحق أمرهم وقال:

ـ «إنّ القوم متخاذلون وابن ياقوت مستبدّ عليهم وقلوبهم شتّى وإنّ ابنى رائق صديقاه فإن أُخرج إليهم جيش اختلفت كلمتهم [405] وإن تُركوا قويت شوكتهم بأموال الأهواز وعقدوا لعبد الواحد الخلافة وطلبوا الحضرة.»

فأنفذ أبو علىّ إبن مقلة أبا عبد الله البريدى إلى مونس حتّى شافهه بذلك كلّه فقال مونس:

ـ «قد ترى الحيرة فى مال البيعة وقد استحقّ الناس رزقه لأنّ الحادثة بالمقتدر منذ ثلاثة أشهر فمن أين المال؟»

فقال أبو عبد الله البريدى:

ـ «أنا أضمنه ويسبّب علىّ وأقدّم بالحضرة ثلاثين ألف دينار وأُصحّح[١] بالسوس خمسين ألف دينار وبتستر عشرين ألف دينار والباقى بالأهواز.»

وأُحضر صاحب ديوان الجيش وعمل جريدة لمن تجرّد مع يلبق وأجمل ما لهم فبلغ مائتى وخمسين ألف دينار فحمل أبو عبد الله الثلاثين الألف الدينار التى ضمن تعجيلها بالحضرة وخوطب القوّاد وتكاثرت العساكر مع يلبق وأبو عبد الله البريدى معه.

وخرج بدر الخَرشَنى[٢] فى الماء وكوتب أحمد بن نصر القشورى وكان يتقلّد البصرة أن يسير معه فلمّا تحصّلت الجيوش بواسط تغيّرت القلوب على محمّد بن ياقوت وتبيّن ذلك فقال للجماعة:

---

١. فى مط: أضح.

٢. فى مط: الحرشى.

ـ «أنا واحد منكم ولست أخالفكم في رأى ولكنّ الوجه أن نجتمع بتستر [406] فإنّها حصينة منيعة وندبّر أمرنا بما يوفق الله عزّ وجلّ له ولا نحارب.»

ووافقهم على مال يعطيهم وساروا للوقت إلى عسكر مُكرم وأفرجوا عن قصبة الأهواز فعمل القراريطي بها ما لا يعمله الدمُستُق وفتح الدكاكين بالليل وبعث إليها البغال وحمل منها أمتعة التجّار وصادر الأسود والأبيض.

ولمّا ورد الخبر بنزول يلبق السوس نفذت الجماعة إلى تُستَر وورد البريديّ وسلك طريق القراريطي وزاد وما زال يحتال حتّى وفّى الخمسين الألف الدينار ثمّ وافى يلبق والجيوش جسر تُستَر فوجده مقطوعاً وحال بينه وبين تستر دُجيل.

فحُكي عن أبي عبد الله البريديّ بعد ذلك أنّه قال: هممت بالتغلّب ووضعت في نفسي الإمرة وتدبير الرجال منذ ذلك لمّا رأيت انحلال يلبق وسقوط ابن الطبري كاتبه لأنّي رأيتهما متخلّفين ساقطين. وكان الشارد قد طار وضجّ يلبق واضطرب رجاله فهمّ بالإنصراف فثبّته أبو عبد الله البريديّ وما زال يتردّد إلى القوّاد ويهزّهم ويهاديهم ويسكّنهم ويكاتب ابني رائق بالمودّة ويشير عليهما بمفارقة ابن ياقوت ويذكر لهما سوء أخلاقه وشدّة عجبه وتطاوله [407] عليهما حتّى استجابا إلى تقلّد البصرة والإنصراف عن تُستَر.

فما عرف ابن ياقوت الخبر حتّى ضربا بالبوق بكرة ورحلا فلم يكن له بهما يدان لأنّه لو كاشفهما لعبر العسكر الذى بازائه إليه وقُتل أو أسر. ولمّا توجّه ابنا رائق إلى البصرة استأذن مفلح وسُرور في العبور بعبد الواحد إلى يلبق وقالوا لمحمّد بن ياقوت:

ـ «قد ضعفت نفوسنا وأنت معتصم برجالك ونحن فلا عدّة لنا ولأصحابنا

إلّا غلماننا.»

فردّ الإختيار إليهم، كاتبوا وتوثّقوا لنفوسهم من يلبق وعبروا إليه وتحيّر محمّد بن ياقوت فراسل يلبق فى أن يحلف بسلامة نيّته إذا لقيه ليعبر إليه ويفاوضه ويعود إلى معسكره. فأجابه وحلف له على ذلك وعبر إليه محمّد بن ياقوت بدرّاعة بيضاء وعمامة وجُمشك[١] فى رجله ومعه غلام واحد وقت العصر فقام له يلبق وتفرّدا وتطاولا حديثاً ما عُرف فى الوقت.

واشتعلت النيران فى ثياب البريدى وتردّد دفعات إلى ابن الطبرى يشير بالقبض على ابن ياقوت وراسل ابن الطبرى يلبق بذلك وقال له:

ـ «البريدى خليفة الوزير وثقة الأستاذ مونس يشير بذلك ولست أقول أنا شيئاً.»

فقال يلبق:

ـ «ما كنت بالذى أخفر أمانتى [408] وأحنث فى يمينى ولو ذهبت نفسى.»

وحضر وقت الصلاة فقام محمّد بن ياقوت تحت الفازة فى موضع فسيح فأذّن وأقام وتقدّم للصلاة يلبق وأكثر العسكر وراءه ولمّا استتمّ المكتوبة انثنى إلى يلبق معانقاً له فقام إليه وودّع كلّ واحد منهما صاحبه وعاد محمّد بن ياقوت إلى عسكره[٢] وظهر السرّ وكان تعاتبهما أوّلاً ثمّ تحالفا وتعاقدا واصطلحا على أن يسيرا إلى الحضرة بشروط الأمان على أن يكون بينهما فى المسير منزل فمنزل.

ورحل محمّد بن ياقوت بعد ثلاثة أيّام من تستر إلى عسكر مُكرم ودخل

---

١. فى مط: حمل، بدل «جُمشك» بضم الجيم كما ضبط فى الأصل. أصلها الفارسى: جَـمْشَك (=چَمْشَك)، أى الحذاء.

٢. فى مط: معسكره.

يلبق تُستَر فعمل بها البريدى أعظم ممّا عمل القراريطى بكثير لأنّ الناس توقّوا منه، فلمّا رأوا أصحاب السلطان أنسوا. فأتى البريدى عليهم وكبس اليهود وهم معظم التّجار وتجاوز كلّ قبيح ووفى بالمائة الألف الدينار.

وسار يلبق إلى الأهواز وأهلها هاربون من محمّد بن ياقوت فسلّموا لأنّهم مضوا إلى البصرة. وابتلى بالبريدى[١] أهل عسكر مكرم وتُستر. فأيسر ما عمل أن ركب إلى دور الصيارف فأخذ ما وجد من الأموال لهم ولمن يضاربهم وخسف بالسواد حتّى صحّح ليلبق مائتى ألف دينار [409] وبقيت على البريديّ خمسون ألف دينار وعنى به ابن الطبرى لأنّ البريديّ خدمه خدمة تامّة حتّى إنّه كان يحضر أبواب البيع فى البلدان ويجلس على غاشيته ينتظر خروجه، فإذا خرج سأله أن يعطيه برشانه فإذا أعطاه قبّله وجعله فى كمّه وأشهد له بضياعٍ ارتفاعها عشرة آلاف دينار فكان ذلك سبب عناية ابن طبرى به.

وخاطب له يلبق وقال له:

ـ «أبو عبد الله ثقة ونجعل هذه الخمسين الألف الدينار فيما يخصّ الأمير ـوكان ماله فى الجملةـ وقد خدم وبيّض وجه الأمير فيما خدم ودبّر وبدّد شمل هؤلاء وإنّه لأحقّ بمجلس أبى علىّ ابن مقلة منه وأنفذ فى التدبير والأمور.»

فأجابه يلبق إلى ما سأل وخلّف غلاماً عند البريدى يقال له ايتاخ.

ورحل ابن ياقوت إلى شابَرْزان[٢] وتبعه يلبق ودخلوا مدينة السلام. وأطلقت أملاك ابنى رائق ومحمّد بن ياقوت ومفلح وشُرور دون إقطاعاتهم وأطلق لعبد الواحد بعض أملاكه القديمة وأعفى هو ووالدته من المصادرة

---

١. كذا فى الأصل ومط: بالبريدى. وما فى مد: البريدىّ.

٢. شابَرْزان: بُليدة بين السُّوس والطِّيب من أعمال خوزستان (مراصد الإطلاع).

وعادت يد ابن البريدى إلى عمالة الأهواز واستقامت الأمور وخلع القاهر على يلبق وطوّقه وسوّره [410] بطوقين وسوارين مرصّعين بالجواهر.

وخرج أمر القاهر ببيع دار المخرّم التى كانت برسم الوزارة وكانت قديماً لسليمان بن وهب فقُطعت وبيعت من جماعة من الناس بمال عظيم لأنّ ذرعها يشتمل على أكثر من ثلاثمائة ألف ذراع وصرف ثمنها فى مال الصلة لبيعة القاهر بالله.

وورد الخبر بموت تكين الخاصّة بمصر فأشار الوزير أبو علىّ ابن مقلة بانفاذ علىّ بن عيسى إليها للإشراف عليها فابتدأ بالإستعداد للخروج، ثم صار إلى أبى علىّ ابن مقلة فى بعض العشايا وصادفه خالياً فعرّفه كبر سنه وضعف حركته ونقصان قوّته وأنّه لا يستشفع إليه بغير كرمه ولا يوسّط بينه وبينه أحداً غيره وحلف على موالاته أيماناً أكّدها وسأله إعفاءه من الشخوص وتذلل له وانكبّ على يده ليقبّلها فمنعه من ذلك وخاطبه بمعرفته بحقّه وعلمه بمكانه فأعفاه من الشخوص فانصرف علىّ بن عيسى شاكراً.

وورد كتاب محمّد بن تكين يخطب مكان أبيه فأجيب إلى ذلك وحُمل إليه الخلع والعَهد. وكتب القاهر رقعة بخطّه إلى أبى علىّ ابن مقلة بالتكنية وبزيادة فى التشريف والرتبة وأمره [411] أن يكتب بذلك إلى الأمصار والأعمال كلّها، ففعل ذلك ثمّ حمل إليه خلعة بعد خلعة للمنادمة وحمل إليه صينية فضّة مذهّبة فيها ندّ[١] وعنبر وغالية ومسك وصينية أخرى فيها رطلية بلّور فيها شراب مطبوخ عتيق وقدح بلّور وكوز ومغسل فضّة.

وشغب الجند بمصر على محمّد بن تكين فقاتلهم وهزموه[٢].

---

١. النّدّ: عود يُتبخّر به (فارسية).

٢. فى مط: وهزموا.

استيحاش مونس ويلبق وابنه وابن مقلة من القاهر

وفى هذه السنة استوحش مونس المظفّر ويلبق وعلىّ ابنه والوزير أبو علىّ ابن مقلة من القاهر بالله فضيّقوا عليه وعلى أسبابه.

ذكر السبب فى ذلك

كان السبب فى ذلك انحراف الوزير أبى علىّ ابن مقلة عن محمّد بن ياقوت فمكّن فى قلب مونس المظفّر ويلبق وعلى ابنه أنّه في تدبير عليهم مع القاهر بالله وأنّ عيسى المتطبّب يترسّل للقاهر إليه فوجّه مونس بعلىّ بن يلبق إلى دار السلطان وسأل عن عيسى فعُرّف أنّه بحضرة القاهر فهجم عليه غلمان علىّ بن يلبق فوجدوه واقفاً بحضرة القاهر فقبضوا عليه وأخرجوه إليه فنفاه من وقته إلى الموصل.

واجتمع رأى مونس ويلبق وابنه والوزير أبى علىّ على الإيقاع بمحمّد بن ياقوت والنداء فى أصحابه [412] ألّا يقيموا ببغداد.

فلمّا كان يوم الأربعاء لليلة خلت من جمادى الآخرة خرج علىّ بن يلبق فى الجيش ومعه طريف السُبكرى للإيقاع بمحمّد بن ياقوت وبلغ محمّد ابن ياقوت ذلك فانكشف من معسكره من ميدان الأشنان وطلبه علىّ بن يلبق فلم يقف على خبره وذلك أنّه دخل إلى بغداد واستتر بها وتفرّق رجاله وانصرف علىّ ابن يلبق من فوره إلى دار السلطان وأوقع التشدّد على القاهر ووكّل بالدار أحمد بن زيرك وأمره أن يفتّش كلّ من يدخل ويخرج من الرجال والنساء والخدم ويفتّش كلّ ما يُدخل إلى القاهر ففعل أحمد بن زيرك ما أمره به حتّى بلغ الأمر به أن فتّش لبناً حُمل إلى القاهر وأدخل يده فيه لئلّا يكون فيه رقعة.

ونقل عليّ بن يلبق المحبوسين فى دار السلطان إلى داره من والدة المقتدر وغيرها ومنع القاهر أرزاق حشمه وأكثر ما كان يُقام له، وطالب عليّ بن يلبق القاهر أن يسلّم إليه ما بقى عنده من الفرش وأمتعة والدة المقتدر وابن الخال، فسلّم ذلك إليه وبيع وحُصّل ثمنه فى بيت المال وأُطلق للجند. وباع أبو عليّ ابن مقلة من الضياع وأملاك السلطان لتمام [413] الصلة للبيعة بألفى ألف وأربعمائة ألف دينار مع ما باعه الكلوذانى أيّام خلافته إيّاه قبل قدومه من شيراز.

ومكثت والدة المقتدر عند والدة عليّ بن يلبق مكرّمة مرفّهة مدّة عشرة أيّام وماتت لستّ خلون من جمادى الآخرة لزيادة العلّة عليها ولما جرى عليها من مكاره القاهر فحُملت إلى تربتها بالرصافة ودُفنت فيها.

وفيها همّ عليّ بن يلبق والحسن بن هارون كاتبه بلعن معاوية بن أبى سفيان على المنابر فاضطربت العامّة من ذلك وتقدّم عليّ بن يلبق بالقبض على البربهارى[1] رئيس الحنبليّة فنذر به وهرب وقبض على جماعة من كبار أصحابه وجُعلوا فى زورق مطبق وأُحدروا إلى البصرة.

تدبير ابن مقلة وحيلة القاهر

وفيها نفذت حيلة القاهر على مونس المظفّر وانعكس ما دبّره الوزير أبو عليّ ابن مقلة من القبض على القاهر حتّى قبض على مونس ويلبق وابنه وهرب أبو عليّ بن مقلة والحسن بن هارون.

ذكر انعكاس هذا التدبير

لمّا ضيّق عليّ بن يلبق على القاهر وعومل بما ذكرناه أخذ القاهر فى

---

١. فى مط: البرنهارى.

الحيلة على مونس وأصحابه وبلغه فساد نيّة طريف السبكرى وبشرى[1] ليلبق وابنه [414] ومنافستهما إيّاهما على مراتبهما الجليلة ثمّ علم أنّ مونساً ويلبق أكثر اعتمادهما إنّما هو على الساجيّة وكانا وعداهم بالموصل إذا دخلا بغداد أن يجعلاهم برسم الحجريّة وأنهما ما وفيا لهم بذلك وأنّ نيّاتهم متغيّرة لهما. فراسل القاهر الساجيّة وهزّ بهم على مونس ويلبق وضمن لهما أن ينقلهم إلى رسم الحجريّة ـوكان الساجيّة يقبضون فى كلّ ستين يوماً برسم المماليك، والحجريّة يقبضون فى كلّ خمسين يوماًـ وأن يلحقهم فى النزل والعلوفة بالحجريّة.

وكان بين اختيار القهرمانة وبين أبى جعفر محمّد بن القاسم بن عبيد الله معرفة قديمة وبينها وبين والدته مخالطة، فأشارت على القاهر بمكاتبته أن يعده بوزارته ليعاونه على التدبير على مونس وأصحابه وأشارت على محمّد بن القاسم بأن يكاتب القاهر ويصدُقه عن تدبير أبى علىّ ابن مقلة وابن يلبق عليه. وكانت اختيار هذه تخرج من دار السلطان إلى دار القاهر القديمة التى فى دار ابن طاهر وتُظهر أنّ خروجها فى حوائج حرم القاهر وولده، فإذا كان بالليل صارت إلى محمّد بن القاسم ولقيته.

وبلغ أبا علىّ ابن مقلة أنّ القاهر قد جدّ فى التدبير عليه وعلى مونس ويلبق وابنه [415] والحسن بن هارون وحملهم على الجدّ والمبادرة إلى خلعه من الخلافة واتّفق رأيهم على تقليدها أبا أحمد ابن المكتفى بالله وواقفوا شاذمروز[2] حماة إبراهيم بن خفيف صاحب ديوان النفقات وكانت متحققة بأبى أحمد على ما دبّروه وعقدوا الأمر سرّاً لأبى أحمد ابن المكتفى بالله وحلف له يلبق وابنه وأبو علىّ ابن مقلة والحسن بن هارون ثمّ كشفوا ما

---

١. فى مط: تسترى، بدل «بشرى».
٢. فى مط: ساده مرور.

فعلوه لمونس فقال لهم مونس:

ـ «لست أشكّ فى شرّ القاهر وقد أسرفتم فى الإستهانة به وأخطأتم فى تقليده الأمر فلا تعجلوا الآن وترفّقوا حتّى تؤنسوه ويأنس وينبسط إليكم ثمّ حينئذ تقبضون عليه.»

فقال علىّ بن يلبق والحسن بن هارون:

ـ «الحجبة إلينا والدار فى أيدينا وما نحتاج أن نستعين بأحد فى القبض عليه لأنّه بمنزلة طائر فى قفص.»

وعملوا على معاجلته.

فاتّفق أن ركب يلبق إلى الميدان فصدمه خادم له فسقط واعتلّ ولزم منزله وتمكّن علىّ بن يلبق من متابعة ابن مقلة وحسنوا الأمر عند مونس وهوّنوه عليه وعلى يلبق حتّى أذنا فيه. فلمّا كان يوم السبت سلخ رجب انصرف أبو علىّ ابن مقلة من دار السلطان واجتمع إليه كتّابه وأخوه ومن جرى عادته بمواكلته [416] وفيهم أبو بكر ابن قرابة فلمّا فرغ من طعامه التفت إلى أبى بكر ابن قرابة فقال له:

ـ «قد وافى صديقك القرمطى إلى الكوفة فى ثلاثة آلاف راحلة ومعه صاحبه فلان ودخل الكوفة ونادى بأنّه قد آمن الرعيّة سوى أصحاب المعروف بمحمّد المتلقّب بالقاهر.»

فقال ابن قرابة:

ـ «أيّها الوزير هذا باطل لأنّ ابن بسر[1] الكوفى جارى واليوم كان عندى وقد وقعت عليه أطيار بأخبار السلامة.»

فقال أبو علىّ:

---

١. كذا فى الأصل: بسر. وفى مط: بشير.

- «سبحان الله أنت وابن بسر أعرف من صاحب المعونة بالكوفة وقد سقط من عنده طائر على أبى الحسن ابن يلبق وقد جاءنى سعيد بن حمدان ومعه رجل من الأعراب قد قتل نفسه وقطع عدّة من الأفراس فخبر عن معاينة ومشاهدة.»

وكان ابن مقلة قد واطأ سعيد بن حمدان على ذلك. ثمّ دعا بالدواة وثُلث قرطاس وكتب بخطّه إلى القاهر رقعة يقول فيها:

«إنّ القرمطى الهجرى المعروف بأبى طاهر قد وافى الكوفة فى ثلاثة آلاف راحلة فنزلها وسقط علىّ من عامل الخراج وعلى علىّ بن يلبق من عامل المعونة طائران بكتابين بتاريخ يومنا هذا بنزوله ونزول أصحابه بها وأنّى أنا ويلبق سترنا ذلك عن القوّاد [417] والجند وخواصّ الدولة لئلّا يذيع الخبر وتضعف قلوب الأولياء وقد اتفقتُ مع مونس على إخراج علىّ بن يلبق مع أكثر قوّاده وقوّاد أبيه إلى نواحى الكوفة ليدفع القرمطى عن الرحيل منها إلى بغداد وهو يخرج فى سحر غد مارّاً إلى صَرصَر من حيث لا يضرب بباب بغداد مضرباً حتّى يلحق به الرجال. وقد وجّه النقباء فى عشية يومنا وقد واقفتُ علىّ بن يلبق على الرواح إلى دار مولانا أمير المؤمنين ليصل إليه ويودّعه وعملت على التأخر لئلّا يشيع الخبر بحضورى فى غير وقت حضور مثلى الدار ويفسد التدبير فى خروج علىّ بن يلبق بكرة غد، وأنهيت ذلك إلى أمير المؤمنين ليقف عليه ويسكن إلى ما دبّرته ويُنعم بإيصال علىّ بن يلبق إذا حضر

العشيّة إن شاء الله.»

وأنفذ الرقعة ونام.

فكتب القاهر فى جوابها:

ـ «وإنّه استصوب فعله وبأنّه يوصل ابن يلبق إذا حضر.»

ولمّا انتبه ابن مقلة من النوم لم ينتظر ورود جواب رقعته إلى القاهر وأعاد إليه رقعة ثانية بمثل ما كتب به. فلمّا وصلت الثانية إلى القاهر ولم تكن الحال تقتضيها لنفوذ جوابه عن الأولى استراب وخاف أن تكون حيلة عليه.

ثمّ نمّ إليه [418] الخبر من جهة طريف السبكرى بما عمل عليه علىّ بن يلبق من القبض عليه إذا أوصله إليه فأخذ القاهر حذره وراسل الساجيّة بالحضور وعرّفهم أنّ علىّ بن يلبق يحضر لحيلة يوقعها، فحضروا متفرّقين. فلمّا كان بعد العصر حضر علىّ بن يلبق وفى رأسه نبيذ ومعه عدد يسير من غلمانه بسلاح خفيف فى طيّاره، وأنفذ جماعة من غلمانه بسلاح إلى دار السلطان وصعد من طيّاره فى الروشن وراسل القاهر يسأله إيصاله إليه فدافعه القاهر إلى أن حضر الساجيّة كلّهم بالسلاح فبرزوا إليه وشتموه وعملوا على القبض عليه وحامى عنه غلمانه وحاجبه ابن خندقوقى[1] وحالوا بينه وبينهم ونادى بهم وطرح نفسه من الروشن إلى الطيّار وعبر واستتر من ليلته.

وبلغ ابن مقلة الخبر فاستتر من ليلته واستتر الحسن بن هارون وأبو بكر ابن قرابة وانحدر يلبق إلى دار السلطان وانحدر بانحداره جميع من حضر دار مونس من القوّاد وقدّر يلبق أنّه يمسح القاهر ويعتذر لابنه فلمّا حصل

---

١. ما فى مط مهمل تماماً.

فى الدار قُبض عليه وحُبس وقبض على أحمد بن زيرك وعلى يمن الأعور[١] صاحب الشرطة وحصل الجيش [419] كلّه فى دار السلطان.
فراسل حينئذ القاهر مونساً وسأله الإنحدار إليه ليشاوره فيما يعمل وقال له:
ـ «أنت عندى كالوالد وما أحبّ أن أعمل شيئاً ولا أمضى عزماً إلّا عن رأيك.»

فاعتذر مونس بثقل الحركة عليه وألحّ القاهر فى طلبه وسأله الحمل على نفسه فاستقبح له طريف السبكرى التأخّر وحمله على الإنحدار. فلمّا حصل فى الدار قبض[٢] عليه وحُبس.

فكانت وزارة علىّ ابن مقلة للقاهر تسعة أشهر وثلاثة أيّام.

وزارة أبى جعفر محمّد بن القاسم

ووجّه القاهر إلى أبى جعفر محمّد بن القاسم بن عبيد الله فاستحضره يوم الأحد مستهلّ شعبان فلقّبه وقلّده وزارته ودواوينه وخلع عليه من غد وهو يوم الإثنين خلع الوزارة.

ووجّه القاهر من يومه بمن استقدم عيسى المتطبب من الموصل وطرحت النار فى دار أبى علىّ ابن مقلة بباب البستان وأُحرقت ووقع النهب ببغداد. وظهر محمّد بن ياقوت وصار إلى دار السلطان وخدم فى الحجبة يومه ذاك ثمّ وقف على كراهية طريف السبكرى والساجيّة والحجريّة فاحتال إلى أن تمّ له الهرب واستتر وانحدر إلى أبيه وهو بفارس [420] فلم يتجاوز كورة أرّجان ولا لقى أباه.

---

١. فى مط: ابن الأعور، بدل «يمن الأعور».
٢. فى مط: قنص، بدل «قبض».

وكان جلس في الماء بزيّ أصحاب المحابر[١] وركب البحر ووافى مهروبان وجاء ليلاً إلى ارّجان فنزل على أبي العبّاس ابن دينار وحمل إليه أبوه مالاً وكسوة ودوابّ وكانت له على فارس تسبيبات فاستوفاها ولحق به رجاله. وكاتبه القاهر بما يسكّته منه وأعلمه أنّه عجّل على نفسه واستوحش وقلّده المعاون بكور الأهواز فأقام بارّجان حتّى اعتلّ وكان يفسد مزاجه ثمّ انتقل إلى رامهرمز.

وكان القاهر قد كاتب مرداويج بالإفراج عن إصبهان ليقلّده الريّ والجبل ويصير في جملة الأولياء ويزول عنه العصيان فأتمر[٢] له، وكاتب وشمكير بالإنصراف عن إصبهان فانصرف وبقيت شاغرة سبعة عشر يوماً خالية من مدبّر. وكاتب القاهر محمّد ابن ياقوت بتقليده إصبهان وأمره أن يسير إليها وكان ذلك بعقب هزيمة المظفّر بن ياقوت وبعد انصراف عليّ بن بويه من إصبهان. فأخذ محمّد بن ياقوت في التأهّب فبقى هو كذلك إذ ورد عليه الخبر بخلع القاهر فانتكث أمره.

ولمّا استتر عليّ بن يلبق وهرب محمّد بن ياقوت استحجب القاهر سلامة الطولوني وطلب المستترين وقلّد أبا العبّاس أحمد بن [421] خاقان الشرطة ببغداد وطلب أبا أحمد ابن المكتفي فوجده مستتراً في دار عبد الله بن الفتح فقبض عليه وتقدّم القاهر بأن يقام في فتح باب ويُسدّ عليه بالجصّ والآجرّ وهو حيّ، ففُعل، وأمر بنهب دور بني مقلة ودار الحسن بن هارون ودار أبي بكر ابن قرابة.

ووُجد عليّ بن يلبق مستتراً بقرب باب المقبرة وكُبس وأُخذ من تنور كان دخله لمّا أحسّ بالكابس وأطبق على نفسه بغطاء التنور وقد كان خفي أمره

---

١. في مط: المخاور.
٢. فأتمر: كذا في الأصل ومط. والمثبت في مد: فأتمّ.

وخرج من كان يفتّش عنه حين لم يجده. فاتّفق أن تأخّر بعض الرجال لطلب شيء يأخذه من الدار فانتهى إلى التنور وطلب فيه خبزاً يابساً. فلمّا كشفه وجد عليّ بن يلبق فصاح حتّى رجع القوم وأخذوه وحملوه إلى دار السلطان وضرب بحضرة القاهر ضرباً مبرحاً فأقرّ بعشرة آلاف دينار فوُجدت وصُحّحت في بيت المال ثمّ أعيد الضرب عليه فلم يوجد له غيرها وحُبس.

وكان الحسين بن عبيد الله مستتراً فراسله أخوه الوزير محمّد ابن القاسم بن عبيد الله وسأله أن يظهر ويعينه حتّى يقلّده ديوان السواد وديوان الجيش وديوان النفقات ويستخلف له الكلوذانى وإبراهيم بن خفيف وعثمان بن سعيد [422] وحلف له بحضرة السفير الذى كان بينهما بالله العظيم وبسائر أيمان البيعة بعتق مماليكه وبطلاق نسائه على صحّة ضميره له وبأنّ باطنه له مثل ظاهره فيما بذله له، وكتب له بذلك رقعة بخطّه أشهد فيها الله على نفسه وتسلّم ذلك السفير وحمله إلى الحسين فأعاد عليه ما جرى ولم يزل محمّد يتوقّع أخاه إلى آخر النهار.

فحكى ابن أخيه القاسم بن الحسين أنّ عمّه الوزير أبا جعفر صار فى الليلة إلى الحسين أخيه وليس معه غلام فخاطبه فى الظهور وسأله معاونته بنفسه وأعاد عليه تلك الأيمان حتّى وعده بالرواح إليه وعرّف الحسين أصحابه فاجتمعوا بالعشيّ له وركبوا بركوبه وصار إلى أخيه وكان الوزير أخوه قد أعدّ له زورقاً مطبقاً. فلمّا حصل عنده أمر بتحصيله فى الزورق. فوقفت[١] والدته على خبره فجاءت حتّى وقفت له على شاطئ دجلة فى الموضع الذى ينزل منه إلى طيّارة وهناك خلق من الناس، فاستغاثت إليه وكشفت شعرها بين يديه وأظهرت ثديها[٢] وحلّفته بكلّ حقّ لها عليه أن

١. فى مط: فوثقت.

٢. فى مط: وأظهرت يدنها، بدل «وأظهرت ثديها».

يطلق ابنها، فلم يلتفت إليها ولا يفكر فيها وجلس فى طيّاره وانحدر إلى دار السلطان فلم يبق أحد ممّن حضر [423] إلّا استقبح فعله ودعا عليه وذهب.

فحُكى للقاهر أنّه إنّما طلب أخاه الحسين ونفاه إلى الرقّة لما كان يعتقد من مذهب إبن أبى العزاقر[1] وأنّه خاف منه على الدولة. فوكّل القاهر بدور بنى بسطام لما كان يُذكر عنهما فى اعتقادهما لدين ابن أبى العزاقر.

ذكر مقتل مونس ويلبق وعلىّ ابنه

اضطرب رجال مونس ويلبق وشغبوا وشغب معهم سائر الجيش وخرجوا إلى الصحراء ثمّ قصدوا دار الوزير أبى جعفر محمّد بن القاسم وأحرقوا روشنه ونادوا بذكر مونس فكان ذلك سبب القتل لمونس. ودخل القاهر إلى الموضع الذى كان فيه مونس ويلبق وابنه معتقلين فذُبح علىّ بن يلبق بحضرته ووجّه برأسه إلى أبيه[2].

فلمّا رءاه جزع وبكى بكاء عظيماً ثمّ ذُبح يلبق ووجّه برأسه ورأس أبيه إلى مونس. فلمّا رءاهما لعن قاتلهما فأمر به فجرّ برجله إلى البالوعة وذُبح كما يُذبح الشاة والقاهر يراه وأُخرجت الرؤوس الثلاثة فى ثلاث طسّات[3] إلى الميدان حتّى شاهدها الناس وطيف برأس علىّ بن يلبق فى جانبى بغداد ثمّ رُدّ إلى دار السلطان وجُعل مع سائر الرؤوس فى خزانة الرؤوس [424] على الرسم.

قال ثابت: فحدّثنا سلامة الطولونى الحاجب أنّه لمّا أخرج إليه رأس مونس ليصلحه فرّغ الدماغ منه ووزنه فكان ستّة أرطال وسمعت أنا ذلك من

---

١. فى مط: أبى العوافر، بدل «أبى العزاقر».

٢. فى مط: ابنه.

٣. فى مط: طاسات. والطسّ: الطشت. أصلها الفارسى: تَشْتْ.

الجُفنى[١] وكان حاضره.

وممّا جرى فى ذلك أنّه كبس جماعة من الفرسان والرجّالة أبا بكر ابن نباته العدل الدقاق في درب الريحان وأظهروا أنّ السلطان وجّه بهم لطلب الحسن بن هارون وأخذوا من منزله ثلاثين ألف دينار وطرحوا منديلاً على رأس واحد منهم وأخرجوه وأظهروا أنّه الحسن بن هارون. فركب أحمد بن خاقان فى طلب القوم فظفر بواحد منهم وقرّره فأقرّ على جماعة ظفر ببعضهم ووجد اليسير من المال وقتل من وُجد من هؤلاء الكبّاسين.

القاهر يأمر بتحريم القيان والخمر

وفيها خرج أمر القاهر بتحريم القيان والخمر وسائر الأنبذة وقبض على من عُرف بالغناء من الرجال والمخانيث والجوارى المغنّيات/فنُفى بعضهم إلى البصرة وبعضهم إلى الكوفة وبيع الجوارى على أنهنّ سواذج. وكان القاهر مع ذلك مولعاً بشرب الخمر ولا يكاد يصحو من السكر ويسمع الغناء ويختار من جوارى القيان من يريد.

وسُعى بأبى عبد الله ابن مقلة [425] فوُجد وقُبض عليه ووُجد عنده خطوط أخيه أبى على فى رقاع، فحمل إلى دار الوزير أبى جعفر فسأله عمّن كان يوصل إليه الرقاع فذكر أنّ أبا عبد الله محمّد بن عبدوس الجهشيارى كان ينفذها إليه فقبض عليه وعلى أخيه وسئلا عمّا يعرفان من خبر أبى علىّ بن مقلة. فحلفا أنّهما لا يعرفان له خبراً منذ استتر وعرّف القاهر أنّهما من قوّاد السلطان وسُهّل أمرهما فأطلقا ولم يستترا وكانا يركبان فى أيّام المواكب إلى دار السلطان.

---

١. فى مط: الجهنى.

وقبض الوزير أبو جعفر على أبى جعفر محمّد بن شيرزاد واحتجّ عليه بأنّه قد تقلّد أعمالاً جليلة وابتاع من المبيع ضياعاً كثيرة وأنّ ارتفاعه قد بلغ ألف ألف درهم فى السنة. فتوسّط بينه وبينه إسحاق بن إسماعيل وأخذ خطّه بعشرين ألف دينار وأُطلق إلى منزله من يومه.

ذكر السبب فى تقليد أبى العبّاس الخصيبى الوزارة

كان بنو البريدى بعد استتار ابن مقلة والجماعة استتروا فقلّد الوزير مكانهم على أعمالهم أبا جعفر محمّد بن القاسم الكرخى فتوسّط إسحاق بن إسماعيل أمرهم فأخذ لهم [426] أماناً من الوزير حتّى ظهروا. ثمّ أشار إسحاق على الوزير أبى جعفر بأن يخاطب القاهر فى أمر بنى البريدى ويعرّفه أنّ الوجه ردّهم إلى ضمانهم بالبصرة والأهواز، فقبل الوزير مشورته وخاطب الخليفة وعرّفه أنّه ذامّ لمحمّد بن القاسم الكرخى لتقصيره فى أمر استخراج الأموال وحملها وأنّ البريديّين أقوم بذلك. وأطمعه فى أن يزداد عليهم فى مقدار مال الضمان فوعده القاهر وقال:

ـ «حتّى أنظر فى ذلك.»

واستدعى القاهر عيسى المتطبّب وأعاد عليه ما جرى، وكان عيسى كارهاً للوزير محمّد بن القاسم لأنّه لم يكن له مدخل فى تقليده الوزارة لغيبته بالموصل فطعن على هذا الرأى وعلى الوزير أبى جعفر وأشار بتقليد الخصيبى الوزارة. فأمر القاهر بلقاء الخصيبى ومسألته عمّا عنده فى أمر البريديين وغيرهم، فصار إليه وتقررالأمر معه وضمن استخراج أموال جليلة.

وكتب إلى القاهر على يد عيسى أنّه متى ظهر أنّه تقلّد الوزارة استتر من عنده الأموال التى وعد باستخراجها وأنّ الوجه أن يتقدّم إلى الوزير بالقبض

على جماعة سمّاهم على مَهل، فإذا قبض عليهم وجّه القاهرُ فحملهم إلى داره وانتزعهم من يد الوزير فتركهم معتقلين أيّاماً ثمّ قبض على الوزير محمّد بن القاسم. ففعل القاهر ذلك [427] وتقدّم إلى سابور الخادم بالمصير إلى دار الوزير والقبض على بنى البريدى وإسحاق بن إسماعيل. فوجّه سابور بثقة له إلى دار الوزير لينظر هل يجد فيها بنى البريدى وإسحاق بن إسماعيل فيرجع إليه بالخبر. وكان بنو البريدى قد نصبوا أصحاب أخبار على سابور وسلامة وأصحاب القاهر فبلغهم ما تقدّم به سابور إلى الرجل الذى وجّه به يتعرّف أخبارهم فاستتروا.

وكان سابور قد قال لثقاته:

- «إنّ الخليفة أمرنى بتفتيش دار إسحاق لأنّه قد بلغه أنّ جواريه قد سترن جماعة من جوارى القيان.»

وأمرهم أن يستعدّوا للركوب معه فبلغ الخبر إسحاق من وقته ولم يقع له أنّ ذلك لمكروه يُراد به فقال لجواريه:

- «إن صار إليكم سابور بطلب المغنّيات فلا تمنعوه ودعوه يفتّش.»

وانحدر هو إلى دار الوزير وصار سابور إلى دار الوزير أبى جعفر فوجد إسحاق بحضرته فقبض عليه وحمله إلى دار السجّان[1].

ووجّه القاهر بمن كبس دُور البريديين فلم يوجدوا وكُبست دور إسحاق فى النوبختيّة وعلى شاطئ دجلة وتهارب حرمه وولده وسلموا وقُبض على أحمد بن علىّ الكوفى كاتبه.

واستحضر القاهر علىّ بن عيسى وعرّفه أنه ليس [428] لوزيره نظر فى أعمال واسط وسقى الفرات وكانت فى ضمان إسحاق وقلّده هذه الأعمال

---

١. فى مط: السلطان، بدل «السجّان».

واعتمد فى تدبير المعاون فيها عليه ووقّع[١] له بخطّه فتقلّده علىّ بن عيسى.

وورد الخبر بموت أبى علىّ أحمد بن محمّد بن رستم بإصبهان وأنّ المظفّر بن ياقوت مدّ يده إلى ماله ودوابّه فحازها لنفسه. وكان المظفّر إليه أعمال المعاون بإصبهان فتنكّر القاهر له ولأبيه ولأخيه.

وسُعى بأبى يوسف البريدى فكُبس عليه وأُخذ وحُمل إلى دار الوزير محمّد بن القاسم فأجمل عشرته وكتب القاهر إلى الوزير بأن يقرّر معه مصادرته ومصادرة أخويه فأحضره الوزير وخاطبه وسامه أن يقرّر الأمر معه فى مصادرتهم فقال له أبو يوسف:

ـ «إذا وثقنا بأنّ الأمر لك وأنّك مقرّ على الوزارة فقرّرنا الأمر معك فأمّا ونحن نتحقق أنّ الوزارة لغيرك فلا يجوز فصل الأمر معك.»

فلمّا كان يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلت من ذى القعدة انكسف القمر وقبض القاهر على الوزير محمّد بن القاسم وأنفذ إليه سابور الخادم فأخذه وأخذ من وُجد فى داره وفيهم أبو يوسف البريدى وغيره فنقلهم إلى دار السلطان.

فكانت [429] مدّة وزارة أبى جعفر محمّد بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان للقاهر ثلاثة أشهر واثنى عشر يوماً.

إحضار للوزارة أو للحبس

ووجّه القاهر إلى إسحاق بن علىّ القُنّاى[٢] وأحضره وأحضر معه عبد الوهّاب بن عبد الله الخاقانى على أن يقلّد أحدهما الوزارة والآخر

---

١. فى مط: وقطع له.

٢. القُنّاى: كذا فى الأصل ومط. وفى مد: القُنّائى. وجاء فى الفهارس الملحقة بصورة الأصل: القنّائى، بإرجاعه إلى عدة صفحات من الأصل، وهو خطأ.

الدواوين. فلمّا حضرا قبّل القوّاد أيديهما وجلس بين أيديهما سلامة الحاجب فلم يلبث أن خرجت رسالة القاهر بالقبض عليهما وإدخالهما الحبوس[١] الغامضة. ثمّ وجّه القاهر إلى سليمان بن الحسن واستحضره للوزارة وحضر فى طيّاره وتلقّاه القوّاد والناس وقبّلوا يده وجلس الأستاذون بين يديه فى دار السلطان ووجّه القاهر من قبض عليه وأدخله الحبوس الغامضة ووجّه إلى الفضل بن جعفر للوزارة وقد ظهر ما عمله بالخاقانى وبسليمان فاستتر الفضل ولم يتقرّر الوزارة لأحد فى ذلك اليوم.

وزارة الخصيبى

فلمّا كان من الغد تقدّم القاهر إلى عيسى المتطبّب أن يحضر الخصيبى يوم الخميس ويأمره بالتأهّب للوزارة وأن يحضر بسواد وسيف ومنطقة فراسله عيسى بذلك فحضر كما رُسم له وخلع عليه خلع الوزارة وركب فيها إلى داره ولقيه الناس فهنّئوه [430] ونظر فى الدواوين وقلّدها من استصلحه ونصب ديواناً للمبيع وأحضر الناس وناظرهم وألزمهم لفضل ما بين المعاملتين خمسين ألف دينار وكتب لهم شروطاً ووقّع لهم فيها بالإمضاء وصادر الناس وقبض على خلق.

وتوسّط عيسى وسلامة الحاجب أمر البريديين بعد مكاره عظيمة لحقت أبا يوسف على اثنى عشر ألف ألف درهم وكُتبت الأمانات لأحمد وعلىّ ابنى البريدى بخطّ الخليفة والوزير وأشهدا القضاة والعدول فيها على أنفسهما فظهرا.

فحكى أبو زكريا السوسى وأبو سعيد ابن قديدة أنّ أبا عبد الله البريدى

---

١. فى مط: الجيوش.

حضر عند أبى العبّاس الخصيبى بطيلسان وعمامة وخفّ وهما معه فاستخلاه المجلس فأخلاه له فعاتبه عتاباً طويلاً وذكّره بحقوق كثيرة وضروب من الخدمة خدمه بها فى أوقات مختلفة عند نكبات كانت للخصيبى وقال له فى آخر كلامه:

ـ «إنّما أعددتك بجميع هذا للدنيا لا للآخرة وأنت معذور فى أمر المال لأنّك تزعم أنّه بأمر الخليفة وطاعته واجبه وفى ضربك أبا يوسف لأنّه تماتن[1] عليك لم ذكرت أمّ أبى يوسف وهى أمّى ولم استحسنت قذفها[2] أما استحققت عليك بجميع [431] حقوقى هذه أن تصونها عن الذكر بالقبيح لأجلى؟»

فخجل الخصيبى وقال:

ـ «صدقتَ، كان يجب أن أفعل ذلك ولكن لم أضبط نفسى عند الغيظ وأنا معتذر إليك ودع ما مضى. الخليفة مقيم على أنّه لا بدّ من ألف ألف دينار وقد وصفتك لأمير المؤمنين وقلت: أبو يوسف حرج الصدر وأبو عبد الله أخوه رحب الصدر ولا يخالف أمير المؤمنين ولو لا ذلك لنقل أبا يوسف إليه ولما أمنت عليه فأحبّ أن تكفينى أمركما فحسبى حيائى ممّا مضى واكتب خطّك بزيادة ألفى ألف درهم.»

فقال أبو عبد الله:

ـ «لقد أغنيتنى أيّها الوزير وما قصّرت وأحسنت العذر والتلافى.»

فقال له:

ـ «بحياتى لمّا كتبتَ.»

---

١. كذا فى الأصل: تماتن. وفى مط: تماهن.

٢. فى مط: تبغضها، بدل «قذفها».

فقال: «أكتب وأنا آمن أيّها الوزير ممّا أقول والله ما أملك ولا إخوانى هذا المال فإن عطف الله بقلب الخليفة وقلبك علينا تصرّفنا وأدّينا وإن حُرمنا ذلك استدفعنا القتل إلى مدّة فإنّ الله قد أجرى عادتنا بالكفاية ونحن نرجو تفضّله.»

فقال الخصيبى ولم يكن فى المجلس إلّا أبو زكريا وابن قديدة مستخرج الخصيبى:

- «يا أبا عبد الله وقد قسمت ووفيت الرأى [حقّه][١]»

وضحك وأخذ خطّه بألفى ألف درهم زيادة وانصرف. [432]

وكان أبو عبد الله البريدى قد تحقق بأبى بكر محمّد بن رائق وتناهى أبو بكر فى إكرامه وواقفه أبو بكر على أن يتنجّز تسبيباته وتسبيبات رجاله على الأهواز ويخرج إليها ويتغلّب عليها. وشخص هو عن البصرة لئلّا يتمّ هذا الرأى بمقامه عنده فينسب إليه فلمّا وافى واسطاً وجد بها أبا الحسن علىّ بن عيسى وقد عمر واسطاً فعقدها عليه القاهر -لأنّه كان من قبله لا من قبل الوزير- بثلاثة عشر ألف ألف درهم. وأشهد على أبى عبد الله البريدى بالضمان واستخلف أبو عبد الله أبا الحسن محمّد بن حمد بن حمدون الواسطى وأقام مدّة خمسين يوماً بالنعمانيّة ينظر فى أعمال الموفقى ثمّ مضى إلى بغداد وركب يوماً هو وأخوه إلى سوق الثلاثاء ينتظرون خروج الخصيبى فراسله عيسى المتطبّب بأنّ القاهر قد عزم على القبض عليهم فانحطّوا عن دوابّهم وغيّروا زيّهم واستتروا فما ظهروا حتّى خُلع القاهر من الخلافة وتقلّدها الراضى بالله.

---

١. ما بين المعقوفتين زدناه من مط، مكان بياض كان هنا فى الأصل.

ظهور عليّ بن بويه

وفي يوم الاثنين لأربع خلون من ذي الحجّة من هذه السنة ورد كتاب عليّ بن خلف بن طناب إلى الخصيبي يذكر فيه مصير رجل من وجوه قوّاد الديلم الذين كانوا مع مرداويج إلى نواحي أرّجان يقال له عليّ بن بويه [433] وأنّ هذا الرجل كان ضامناً لنواحي ماه البصرة فانكسر عليه مال لمرداويج ففزع منه وعصى عليه وصار في أربعمائة من الديلم إلى أرّجان[١] وتغلّب عليها.

ذكر السبب في ظهور عليّ بن بويه والإتّفاقات التي اتّفقت له حتّى ملك ما ملك

كان أبو الحسن علي بن بويه وأخوه أبو عليّ الحسن بن بويه من قوّاد ماكان بن كاكي ولم يزل الحال بين ماكان وبين مرداويج جميلاً منذ اتفقا على قصد أسفار بن شيرويه وانصرافه عن قلعة سميران بالطرم وكانا يتهاديان ويتلاطفان إلى أن قتل مرداويج أسفار كما كتبنا أخبارهما فيما تقدّم وملك نواحي الريّ والجبل واستعلى أمره وقوي بالمال والرجال.

وقصد ماكان نواحي آمل وطبرستان فملكها وامتدّ إلى نيسابور عند انصراف نصر بن أحمد صاحب خراسان عنها واشتغاله بأخويه الخارجين عليه. فلمّا فرغ من استصلاح خراسان عاد إلى نيسابور وراسل ماكان يسأله أن يعود إلى مكانه وأن يفرج عن نيسابور ويلطف له ويستبقي الحال بينهما. ففعل ماكان ذلك وعاد إلى جرجان وطبرستان.

---

١. أرّجان، أو أرغان كما يسمّيها العجم. مدينة كبيرة كثيرة الخير، بها نخل وزيتون وفواكه الجروم والصرود، وهي من كورة فارس (مراصد الإطلاع).

وابتدأت الحال[١] تنقدح بينه وبين مرداويج على طريق التحاسد والتباغى فاستدعى [434] مرداويج خلفاءه بالجبل وإصبهان وسائر نواحيه وجميع جيوشه وسار إلى ماكان فثبت له ماكان واستظهر عليه مرداويج وهزمه وملك طبرستان ورتب فيها بلقسم بن بلحسن[٢] وكان اسفهسلاره ومدبّر جيشه وكان رجلاً نجداً جيّد الرأى فى الحرب. ثمّ مضى إلى جرجان وكان فيها من قبل ماكان شيرزيل بن سلّار وباعلى بن تركى، فهربا جميعاً وملكها مرداويج ورتّب فيها سُرخاب بن بلوس على خلافة بلقسم بن بلحسن لأنّ سُرخاب خال ولد بلقسم. فجمع بلقسم جرجان وطبرستان وعاد إلى إصبهان ظافراً غانماً. ثمّ قصد ماكان أبا الفضل الثائر مستنجداً له فاكرمه وعظّمه، ثمّ سار معه بنفسه إلى طبرستان وبها بلقسم بن بانجين وكان مستعدّاً لهما فبرز إليهما وتحاربوا فانهزم الثائر وماكان جميعاً.

فأمّا الثائر فعاد إلى بلده بالديلم وأمّا ماكان فامتدّ على طريق الساحل مفلولاً ضعيفاً حتّى ورد جرجان ثمّ منها إلى نيسابور قاصداً بها أبا علىّ أحمد بن محمّد بن محتاج صاحب جيش خراسان فدخل فى طاعته واستنجده. وأقام بلقسم بن بالحسن بجرجان إلى أن بلغه مسير أبى على أحمد بن محمّد بن محتاج إليه مع ماكان فكتب إلى مردوايج يستمدّه [435] فأمدّه بأكثر عسكره ووجوه أصحابه وبالغ فى تقويته. ووافى ابن محتاج وماكان فبرز إليهما وواقعهما فظهر عليهما وهزمهما فانصرفا إلى نيسابور.

ثمّ كرّ ماكان كرّة أخرى على نواحى الدامغان طامعاً فى أن يستولى عليها

---

١. الحال: كذا فى الأصل ومط، وهو صحيح، فلا لزوم لما جاء فى حواشى مد حيث قال: «لعله نار».

٢. بلحسن: ما فى الأصل: يالقسم بن بالحسن. وفى كتاب العيون: أبو القاسم بن أبى الحسن (حواشى مد).

وكان فيها من قبل مرداويج الجيش[١] بن اوميذوار فسار إليه بلقسم بن بانجين حتّى اجتمعا على دفع ماكان، فانهزم ثانياً ويئس من هذه الأعمال فأنفذه صاحب خراسان إلى كرمان وقلّده إيّاها وكان بها أبو عليّ محمّد بن الياس بن اليسع وواقعه وهزم أبا عليّ وملك كرمان على طاعة صاحب خراسان.

فأمّا أبو الحسن عليّ بن بويه وأخوه أبو عليّ الحسن فإنّهما عند هزيمة ماكان الأولى وضعفه انحازا إلى مرداويج بعد أن استأذناه وقالا:

ـ «إنّ الأصلح لك مفارقتنا إيّاك لتخفّ عنك مؤونتنا ويقع كلّنا على غيرك فإذا تمكنت عاودناك.»

فأذن لهما واقتدى بعليّ بن بويه جماعة من القوّاد لما صار عليّ بن بويه وأخوه أبو عليّ إلى مرداويج فقبلهما وأكرمهما وخلع عليهما وقلّد كلّ واحد من قوّاد ماكان ناحية من نواحي الجبل. أمّا عليّ بن بويه فإنّه تقلّد الكرج، وأمّا اللشكرى بن مردى فإنّه ردّه إلى عمله وكان متقلّداً ...[٢] وأمّا [436] سليمان بن سركلة فإنّه قلّده همذان وكذلك سائر القوّاد.

ذكر سبب تمّ به[٣] لعليّ بن بويه ولايته
وصُرف الباقون بأجمعهم قبل وصولهم إلى أعمالهم

كان السبب في ارتفاع عليّ بن بويه وبلوغه ما بلغ سماحة كثيرة كانت في طبعه وسعة صدره. واقترن بهذا الخلق الشريف خلق آخر أشرف منه وهي شجاعة تامّة كانت له واتّصل بجميع ذلك اتفاقات محمودة ومولد

---

١. كذا في الأصل ومد: الجيش. وفي مد: الحسن.

٢. هنا كلمة غامضة لم نتأكّد من قراءتها. وهي في مد: ديناوند. وفي مط: نهاوند.

٣. في مط: ذكر السبب في بعزية..!

سعيد[١].

فمن ذلك أنّه لمّا قُلّد الكرج وقلّد الجماعة المستأمنة معه النواحى التى ذكرناها وكتبت لهم العهود ووردوا الرىّ وبها وُشمكير وأبو عبد الله الحسين بن محمّد الملقّب بالعميد ـ وهو والد أبى الفضل ابن العميد وزير ركن الدولة ـ وكان ناظراً فى الأمور بالرىّ فعُرضت عليه بغلة حسنة كانت لعلىّ بن بويه أراد بيعها والإستعانة بثمنها وكان ثمنها ثلاثة آلاف درهم قيمتها مائتا دينار، فاشتراها وحمل المال إليه فظهر لعلىّ بن بويه أنها تُشترى لأبى عبد الله العميد فقادها إليه وحلف ألّا يأخذ ثمنها، ثمّ تابع ذلك بملاطفات كثيرة إلى أن غمره بالبرّ ثمّ أوجب[٢] الرأى عند مرداويج أن يتعقّب ما أمر به من تولية [437] أولئك القوّاد.

وكتب إلى أخيه وشمكير وإلى أبى عبد الله العميد بمنعهم من الخروج من الرىّ وإن كان بعضهم خرج مُنع من بقى. وكانت الكتب تصدر أوّلاً إلى العميد فيقف عليها ثمّ تُعرض على وشمكير جملها. فحين وقف على الكتاب تقدّم إلى علىّ بن بويه سرّاً أن يبادر إلى عمله. فسار من وقته وساعته وطوى المنازل. وأصبح العميد من الغد فأظهر الكتب فلمّا عرضها على وشمكير كان قد صار علىّ بن بويه على مسافة بعيدة فمنع من لم يكن خرج من أولئك القوّاد. وفاز علىّ بن بويه بالولاية التى كانت سبب ملكه وتمكّنه وليس يُعرف لجميع ذلك بعد قضاء الله عزّ وجلّ سبب إلّا سخاءه وسعة صدره.

فلمّا وصل إلى الكرج ابتدأ بالإحسان إلى الرجال وملاطفة عامل البلد فكان العامل يكتب بشكره وضبطه الناحية وحمايته واتّفق أن افتتح قلاعاً

---

١. فى مط: سعد.

٢. والعبارة فى مط: إلى أن غره تاليه بما أوجب!

كانت فى أيدى الخرّميّة فى تلك الأطراف ووقع بين أربابها خلاف فانحاز بعضهم إليه وأظهره على ذخائر جليلة صرفها كلّها إلى استمالة الرجال واستعطاف القلوب. فلمّا عاد مرداويج إلى الريّ سبّب أموال جماعة من قوّاده [438] على ناحية الكرج وفيهم إبراهيم بن سيارَهى[١] المعروف بكاسك وجماعة أكبر منهم، فاستمالهم علىّ بن بويه وأفضل عليهم حتّى أوجبت الجماعة طاعته.

فاتّصل ذلك بمرداويج فأوحشه ذلك وندم على إخراج أولئك القوّاد الأكابر إليه وكاتبه بالمصير إليه وكاتب القوّاد بمثل ذلك فدافعه وتعلّل عليه ورفق به إلى أن أخذ العهود والمواثيق عليهم. وعلم استيحاش الجماعة وخوّفهم من غدر مرداويج وسطوته، فحينئذ خرج بهم عن الكرج وجمع أكثر ما قدر عليه من المال واستأمن إليه من جرباذقان شيرزاد أحد قوّاد الديلم فى أربعين رجلاً فقويت نفسه وعرض رجاله فكانوا ثلاثمائة رجل وكسراً، لكنّهم أعيان ونخب مستظهرين بالآلات والعدد، وتوجّه إلى إصبهان وبها أبو الفتح ابن ياقوت فى نحو عشرة آلاف وأبو علىّ ابن رستم يلى الخراج، فقدّم إليهما كتباً جميلة وعرّفهما أنّه ينحاز إليهما داخلاً فى طاعة السلطان فدافعاه عن ذلك.

وكان أبو علىّ بن رستم أشدّ الناس كرهاً له وإنكاراً لقدومه، واتّفق موت أبى علىّ ابن رستم، وبرز أبو الفتح ابن ياقوت [439] حتّى صار من إصبهان على ثلاثة فراسخ. وكان فى أصحاب ابن ياقوت ديلم وجيل[٢] كثير مقدارهم ستمائة رجل وكانوا يسمعون فضل علىّ بن بويه وعطاءه وسعة صدره فاستأمنوا إليه، وواقعه الوقعة وانهزم ابن ياقوت لما ضعف باستئمان

---

١. سيارَهى: كذا فى الأصل ومط، ومد.

٢. فى مط: وخيل كثير.

هؤلاء. ولما ظهر له من ثبات الديلم واضطراب أصحابه ومضى نحو فارس.

وملك علىّ بن بويه إصبهان فقوى شأنه وكبر فى عيون الناس لأنّه هزم بمائتين من أصحابه ألوفاً وألوفاً من أصحاب السلطان. وبلغ ذلك مرداويج فأقلقه ودبّر فى أمرهم تدبيراً لم يتمّ له.

ذكر حيلة مرداويج التى لم تتمّ له

أشفق مرداويج أن يستأمن أصحابه إلى علىّ بن بويه لما يسمعون من إقباله ولما انتشر من صيته وفيض عطائه، ولأنّ سيرة مرداويج كانت سيرة صعبة لا يسكن إليها أحد ولا يصبر عليها من له نفس أبيّة. فرأى أن يراسل علىّ بن بويه بعتاب وتأنيس ويرفق به ويستدعي جوابه. وضمن ضمانات له يُرغب فى مثلها. ووجّه فى أثره أخاه وشمكير فى عسكر عظيم كثيف قوى. فعلم علىّ بن بويه أنّ الرسالة لا تشبه التأهّب له [440] فنذر به فرحل عن إصبهان بعد أن جباها شهراً وتوجّه إلى أرجان وبها أبو بكر ابن ياقوت فانهزم بين يديه إلى رامهرمز من غير حرب ودخلها علىّ بن بويه واستخرج منها أموالاً قوى بها.

ووردت عليه كتب أبى طالب زيد بن علىّ النوبندجانى يستدعيه ويشير عليه بالمسير إلى شيراز ويهوّن عنده أمر ياقوت وأصحابه لتهوّره فى جباية الأموال وكثرة مؤونته ومؤنة جنده وثقل وطأتهم على الناس مع فشلهم وخورهم، فأشفق علىّ بن بويه أن يلقى ياقوتاً مع صيته وكثرة رجاله وأمواله وحصول ابنه أبى بكر بن ياقوت من ورائه، فأبى علىّ بن أبى طالب وتمنّع عليه ولم يقبل مشورته، فشجّعه أبو طالب وأعلمه أنّه إن توقّف لم يأمن أن يتّفق بين ياقوت ومرداويج أمر يجتمعان له عليه وإنّ أعداءه كثير، ومتى اجتمعوا عليه لم يقم لهم وتمكّنوا بطول الزمان من التدبير عليه، وربّما لحق

مدد السلطان فتجتمع الجيوش من كلّ وجه، والصواب لمن كان فى مثل صورته أن يبادر ويعاجل من بين يديه ولا ينتظر بهم الإحتشاد وإنشاء التدابير عليه. ولم يزل يراسل علىّ بن بويه ويهوّن عليه الخطب إن بادر ويعظّمه إن توانى [441] وتأخّر إلى أن سار نحو النوبندجان وسبقه مقدّمة ياقوت وهى فى نحو ألفى رجل وفيهم وجوه أصحابه وشجعانهم مثل المعروف بكورمرد[١] الخراسانى وابن خركوش[٢] وكانا شديدين مذكورين بالبأس ومعهما أشباههما من أهل النجدة.

فواقاهم علىّ بن بويه إلى النوبندجان فلم يثبتوا وانهزموا إلى كركان وجاءهم ياقوت وأصحابه إلى هذا الموضع فنصب أبو طالب النوبندجانى وكلاءه وثقاته لخدمة علىّ بن بويه وتنحّى بنفسه إلى ضيعة له مغالطة لياقوت وراسل ياقوتاً انّ الخوف الذى شمله والناس ألجأه إلى الهرب والتباعد واستشاره فيما يعمل وهو مع ذلك مجتهد فى نصيحة علىّ بن بويه وإرشاده إلى صواب الرأى وإهداء الأخبار إليه ودلالته على المسالك والطرق. وأقام لمؤونته وإنزاله من يزيح علّته فى الجميع حتّى أضافه وجميع عسكره أربعين يوماً ولزمته مؤونة عظيمة يذكر أنّ مبلغها مائتا ألف دينار.

وأنفذ علىّ بن بويه أخاه أبا علىّ إلى كازرون وغيرها من أعمال فارس فاستخرج منها أموالاً عظيمة وأثار ذخائر جليلة كانت للأكاسرة يتوارثها قوم هناك، فزاد [442] استخراجه على استخراج أخيه.

وأنفذ ياقوت عسكراً ضخماً إلى الحسن بن بويه فواقعهم بالنفر اليسير الذين معه فهزمهم وصار موفوراً إلى أخيه علىّ بن بويه. ثمّ اتّفق أن تمّ عليه مواطأة ياقوت ووشمكير ومرداويج، وبلغه من ذلك ما أوجب أن يسير إلى

---

١. فى مط: بكور مرو الخراسانى.

٢. فى مط: خركوس.

كرمان. فتوجّه من النوبندجان إلى اصطخر ومنها إلى البيضاء وياقوت يتبعه بجميع عسكره ويقفو أثره. وانتهى بعليّ بن بويه المسير إلى قنطرة كان الطريق عليها إلى كرمان، فسبقه ياقوت إلى القنطرة وحال بينه وبين عبورها واضطرّه إلى الحرب.

ودخلت سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة

وابتدأت الحرب يوم الثلاثاء لثلاث عشرة بقيت من جمادى الآخرة سنة اثنتين وعشرين، وأصبحوا يوم الأربعاء على أشدّ ما تكون الحرب. فاستدعى عليّ بن بويه أصحابه ليلة الخميس وأعلمهم أنّه يترجّل معهم ويقاتل كأحدهم ووعدهم ومنّاهم واستوثق منهم الأيمان في الثبات والجهاد والجدّ.

ذكر اتفاق جيّد اتّفق لعليّ بن بويه ورديء جدّاً على ياقوت مع تدبير سيّئ وتسرّع من ياقوت غير صواب

أمّا التدبير السيّئ الذى استعمله ياقوت وتسرّع فيه فإنّه استأمن إليه من أصحاب عليّ بن بويه [443] رجلان من وجوه الديلم فحين وقعت عينه عليهما أمر بضرب أعناقهم وتيقّن الديلم أنّه لا أمان لهم عنده، فشحذ ذلك بصائرهم وجاهدوه جهاد المستقتلين.

وأمّا الإتفاق الذى اتّفق عليه، فإنّه باكر الحرب يوم الخميس وقدّم على مصافه رجّالة كثيرة من أصحابه يحاربون بمزاريق النفط والنيران. فانقلبت الريح واشتدّت للوقت فاحترق شيء من مصافّ ياقوت وأكبّ الديلم على أولئك الرجّالة فقتلوهم وانهزم الفرسان وزحف الديلم على تعبيتهم.

ذكر تدبير دبّره ياقوت فى حال الهزيمة فلم ينفذ له واحترز منها علىّ بن بويه فظفر

لمّا أشرف الديلم على سواد ياقوت عند هزيمته وهزيمة أصحابه طلب نشزاً[١] من الأرض عالياً فى طريقه، فصعد إليها وركّز عليها رايته، فاجتمع إليه نحو من أربعة آلاف رجل. وظنّ أن الديلم يتسرعون إلى خزائنه ويشتغلون بالنهب فيضطرب نظامهم ويكرّ عليهم ـوهذه لعمرى مكيدة طال ما صارت سبباً لظفر قوم بعد هزيمتهمـ فقال لإصحابه:

ـ «لا تفرّقوا وتأهّبوا للكرّة فإنّها الظفر لا محالة.»

وأحسّ علىّ بن بويه بذلك فبرز أمام مصافّه ونادى أصحابه وقال لهم:

ـ «لا تبعدوا ولا تنقضوا تعبيتكم فإن الخصم [444] واقف ينتظر اشتغالكم بالنهب ثمّ يعطف عليكم ولم يبق له غير هذه المكيدة.»

وأعلمهم أنّ الغنيمة لا تفوت. فلمّا رأى ياقوت ثباتهم وامتناعهم من النهب واحترازهم من مكيدته مضى على وجهه منهزماً وملك علىّ بن بويه جميع ذلك السواد. ووجد لياقوت صناديق فيها برانس وقيود وما أشبه ذلك كان أعدّها للأسارى. فأشار جماعة من قوّاد علىّ بن بويه بأن يجعل ذلك لأسارى رجال ياقوت وأن يجعل البرانس على رؤوسهم والقيود فى أرجلهم ويُشهّر بهم فى المعسكر ثمّ فى البلد. فأبى ذلك علىّ بن بويه وقال:

ـ «بل نعدل عن هذا إلى العفو عمّن أظفرنا الله بهم من أعدائنا ونشكر الله على هذه النعمة، فإنّه أدعى للمزيد وأبعد من البغى والطغيان.»

ثمّ امتدّ إلى الزرقان[٢] يوم الجمعة وإلى الدينكان يوم السبت وتولّت

---

١. النّشز والنّشاز: المكان المرتفع.

٢. كذا فى مط ومد: الزرقان. وفى الأصل شيء من الغموض.

المستأمنة والشحنة وأكابر الناس إليه وتتابعوا فتقبّل الجميع وأحسن إليهم قولاً وفعلاً وصفح عن كلّ من بلغه عنه فحش فى الخطاب أو إساءة فى عمل، وأحسن فى سيرته حتّى اطمأن إليه الناس وأمنه أعداؤه. وعسكر بظاهر شيراز ونادى فيها ببث العدل [445] وأمان الناس من جميع ما يكرهون، وأمر العامّة بالإنتشار فى معائشهم والخروج إلى مصالحهم آمنين، ففعل الناس ذلك.

ثمّ اضطرّ بعد ذلك إلى سيرة أخرى لكثرة مطالبات الجند واقتراحاتهم وبلغ من أمره ما سنكتبه فى موضعه بمشيئة الله وعونه.

ورود خبر دخول أصحاب مرداويج إصبهان

وفيها ورد كتاب أبى جعفر محمّد بن القاسم الكرخى وكان يتقلّد أعمال الخراج والضياع بالبصرة والأهواز بتاريخ يوم الثلاثاء لأربع خلون من المحرّم بأنّ الكتب وردت عليه بدخول أصحاب مرداويج إصبهان وأنّه خرج من جملة مرداويج قائد جليل كان يتقلّد ماه البصرة وفاز بمال جليل وهرب إلى أرجان يقال له علىّ بن بويه وأنّه كتب إليه أنّه فى طاعة السلطان وهو يستأذن الوزير فى ورود الحضرة أو النفوذ إلى شيراز لينضمّ إلى ياقوت مولى أمير المؤمنين.

حرق مراكب القرامطة

وفى هذه السنة صار أصحاب أبى طاهر القرمطى إلى نواحى توّج[١] وسينيز[٢] فى مراكب وخرجوا منها إلى البلد. فلمّا بعدوا من المراكب أحرقها

---

١. مدينة بفارس قريبة من كازرون (مراصد الإطلاع).

٢. سينيز بلد على ساحل بحر فارس أقرب إلى البصرة من سيراف بقرب جنّابة (مراصد الإطلاع).

صاحب لياقوت كان يتقلّد البلد. ثمّ اجتمع مع أهل البلد وأوقع بالقرامطة وقتل منهم وأسر ثمانين رجلاً فيهم رجل يُعرف بابن الغمر[١] [446] فقدم رسول محمّد بن ياقوت بهؤلاء الأسارى فأُدخلهم مشهّرين، فوضع على رأس ابن الغمر منهم قروناً وكانوا على جمال بدراريع وديباج وبرانس حتّى دخلوا دار السلطان فاعتُقلوا بها.

وفيها قتل القاهر إسحاق بن إسماعيل
وأبا السرايا نصر ابن حمدان
ذكر السبب في ذلك

كان السبب فى قتله إسحاق أنّه كان أراد شراء الجارية المعروفة برتبة[٢] قبل الخلافة وكانت موصوفة بالجمال والغناء فزايده إسحاق بن إسماعيل فيها واشتراها. وسبب قتله أبا السرايا أنّه كان أراد شراء جارية أخرى قبل الخلافة فاشتراها أبو السرايا.

فحكى ثابت عن خادم حضر قتلهما قال: جاء القاهر فوقف على رأس بئر كانت فى موضع ذكره ثمّ استحضر إسحاق فأُحضر وهو مقيّد فأمر بطرحه فى تلك البئر فرمينا به فيها بقيده وهو حيّ. ثمّ أمر بإحضار أبى السرايا فأحضرناه وهو مقيّد فأمر بطرحه فى تلك البئر فما زال أبو السرايا يتضرّع إليه ويسأله العفو وهو لا يلتفت إليه وتعلّق بسعف نخلة كانت بقرب البئر فأمرنا بضرب يده فضربناها فخلّى عن السعفة[٣] ودفعناه [447] فى

---

١. فى مط: ابن العم (فى كلا الموضعين).
٢. لعلّه مصحّف «بزينة». فى مط: شراء الجارية الزينة قبل الخلافة، بدل: «شراء الجارية المعروفة برتبة». ومد كالأصل.
٣. وزاد فى مط: ووقعناه عن السعفة.

البئر ثمّ أمر بطمّ البئر فطرحنا عليهما التراب حتّى أمتلأت وهو واقف. فسبحان الله العظيم ما أعجب أمر المقادير أراد مونس لمّا قُتل المقتدر أن ينصّب فى الخلافة أبا العبّاس بن المقتدر فما زال إسحاق بن إسماعيل مجتهداً قائماً قاعداً إلى أن عدل بها إلى القاهر بالله وهو لا يعلم أنّه إنّما يسعى فى حتف نفسه ليتمّ الأمر المقدور.

وفيها حضر دار سلامة الحاجب أبو بكر بن مقسم وقيل أنّه ابتدع قراءة لم تُعرف للقرآن وأحضر ابن مجاهد والقضاة وناظروه فاعترف بالخطأ وتاب فأُحرقت كتبه.

وفيها خرج رجل من الصغد يُعرف بأبى على محمّد بن إلياس واجتاز بكرمان حتّى بلغ باب اصطخر وأظهر لياقوت أنّه يريد أن يستأمن إليه ثمّ عرف ياقوت أنّ ذلك حيلة منه فخرج إليه ياقوت فلم يثبت له ابن الياس وانكفأ راجعاً إلى كرمان وصار إليه من قبل صاحب خراسان ماكان بن كاكى الديلمى فواقعه وانهزم ابن الياس وصار إلى أعمال فارس فواقعه ياقوت وانهزم ابن الياس.

وفيها استوحش الحجريّة والساجيّة من القاهر
فدبّروا عليه وتمّ لهم القبض عليه. [448]

ذكر السبب فى القبض على القاهر

كان السبب فى ذلك أنّ أبا علىّ ابن مقلة كان يراسل الساجيّة والحجريّة فى استتاره ويضرّبهم على القاهر ويوحّشهم منه والحسن بن هارون يفعل

مثل ذلك ويلقاهم بالليل وهو يتزيّا بزيّ السؤال وفى يده زَبّيل[١] وفى وقت بزيّ النساء إلى أن شحذ نيّاتهم وجمع كلمتهم على قصد القاهر والفتك به وحذّرهم منه وعرّفهم أنّه قد بنى لهم المطامير. واحتال من جهة منجّم كان لسيما حتّى لقّنه أن يقول لسيما من جهة النجوم أنّه يخاف عليه من القاهر ويحذّره منه. وأعطى الحسن بن هارون هذا المنجّم مائتى دينار فملأ عينه حتّى مكّن فى نفس سيما الخوف من القاهر وكان سيما يقبل منه ويستحسن إصاباته. ثمّ دسّ إليه من جهة منامات يدعيها أشياء حتّى اشتدّ خوف سيما من القاهر.

فلمّا كان يوم الإثنين لأربع خلون من شهر ربيع الآخر وقع بين الغلمان الحجريّة وبين الغلمان الساجيّة خلاف وذكر الساجيّة أنّ القاهر يريد أن يفتك بسيما وهو رئيس الساجيّة وخرج سيما من دار السلطان مبادراً إلى داره واجتمع إليه الساجيّة بأسرهم والقوّاد فى السلاح [449] وأقاموا عنده إلى آخر النهار، ثمّ انصرفوا وباكروه فاجتمع قوّاد الساجيّة مع قوّاد الحجريّة وتحالفوا أن تكون كلمتهم واحدة ثمّ استحلفوا باقى الحجريّة والساجيّة. واتّصل ذلك بالقاهر وبالوزير وبالحاجب، فوجّهوا من يسألهم عمّا أوحشهم فقالوا:

ـ «قد صحّ عندنا أنّ القاهر عزم على القبض على سيما وعلى حبسنا[٢] فى مطامير قد بناها لنا.»

وكان الفضل بن جعفر يتولّى بناء مطامير من ماله ويحتسبها من مال مصادرة عليه فعرف القاهر ما يقولونه فتقدّم إلى سلامة بالخروج إليهم وحلف القاهر له على أنّه لم يفعل ذلك ولا همّ به وإنّما بنى حمامات روميّة للحرم، وخرج سلامة لذلك.

---

١. الزبّيل: الزنبيل.

٢. فى مط: جيشنا، بدل «حبسنا».

وخلا الخصيبى وعيسى المتطبّب بالقاهر فذكرا له أنّ الآفة فى هذا كلّه الفضل بن جعفر وأنّه هو الذى قال للساجيّة والحجريّة ذلك لأنّه شىء لم يعرفه غيره. وكان سلامة أشار بالفضل حتّى أعفي من المصادرة عناية به واقتصر منه على ما ينفقه على المطامير. فتقدّم القاهر بالقبض على الفضل بن جعفر وطالبه الوزير الخصيبى بحضرة عيسى بثلاثمائة ألف دينار فقال الفضل:

- «لو كنت ذا مال لكانت لى ضياع ودور [450] وخدم ومروءة بحسبها.»

فاغتاظ الخصيبى وظنّ أنّه قد عرّض به وخاطبه بمخاطبة فيها جفاء فاستوفى الفضل عليه الجواب. فهمّ الوزير الخصيبى أن يوقع به فقال سابور الخادم:

- «أُمرت بصيانته وألّا يلحقه مكروه.»

وردّه إلى دار السلطان وحُبس فى الموضع الذى كان إسحاق بن إسماعيل محبوساً فيه.

وورد يوم الثلاثاء لخمس خلون من جمادى الأولى[١] كتاب أبى جعفر الكرخى وكتاب أبى يوسف عبد الرحمن بن محمّد الذى كان يكتب للسيدة بأنّ أصحاب ابن رائق كبسوا سوق الأهواز وأنّهم استولوا على سائر عمل الأهواز وصار كلّ من يتقلّد المعاون فى أعمال الأهواز من قبله سوى محمّد بن ياقوت فإنّه كان يتقلّد المعاون بالسوس وجنديسابور فلم ينفذ لابن رائق لأنّه نظيره فكتب الخصيبى رقعة بما ورد عليه من ذلك إلى القاهر.

وكان القاهر قد ابتدأ بشرب فدعا بسلامة وأقرأه الكتاب وقال له:

---

١. من «خلون» إلى «الأخرى» مطموس فى الأصل، وما أثبتناه هو من مط. وفى مد: «بقين من جمادى الأخرى».

ـ «امض إلى الخصيبى واجتمع معه على التدبير فى ذلك.»

وعاود شربه فمضى سلامة وعيسى معه إلى الخصيبى وأطالا عنده إلى نصف الليل ولم يتقرر لهم رأى على شيء. فانصرف [451] سلامة إلى منزله لعلمه بأنّ القاهر قد سكر ولا فضل فيه باقى ليلته وصدر نهار[١] الغد، وبكّر سلامة إلى الخصيبى فوجد عنده عيسى المتطبّب وبلغهم خبر الساجيّة والحجريّة واجتماعهم لقصد دار السلطان. فتقدّم الخصيبى إلى عيسى بأن يبادر إلى دار السلطان ويعرّف القاهر الخبر ليتحرّز وإن وجده نائماً أنبهه، فمضى عيسى واجتهد فى إنباه القاهر فلم تكن فيه حيلة وقيل له: كان يشرب إلى أن طلعت الشمس وأنّه لو أُنبه[٢] لما فهم عنه ما يقوله لشدّة سكره.

وكانت الحجريّة والساجيّة قد اجتمعوا عند سيما وتحالفوا على اجتماع الكلمة فى كبس دار الخليفة والقبض على القاهر فقال لهم سيما:

ـ «إن كان قد صحّ عزمكم على هذا فقوموا بنا الساعة حتّى نمضيه.»

فقالوا:

ـ «بل نؤخّره إلى غد فهو يوم الموكب ويظهر لنا فنقبض عليه.»

فقال لهم سيما:

ـ «إن تفرّقتم الساعة وأخّرتموه إلى ساعة أُخرى اتّصل الخبر به فتحرّز ودبّر علينا فأهلكنا كلّنا.»

فقبلوا رأيه وركبوا معه إلى دار السلطان بالسلاح فرتّب سيما على كلّ باب من أبوابها غلاماً من الساجيّة وغلاماً من الحجريّة ومعهما قطعة وافرة [452] منهما فلمّا أحكم أمر الأبواب كلّها وقف على باب العامّة وأمر بالهجوم فهجموا كلّهم من جميع الأبواب فى وقت واحد، وبلغ سلامة

---

١. فى مط: صدر بها، بدل «صدر نهار».

٢. فى مط: انتبه، بدل «أنبه».

والخصيبى وهما مجتمعان فى دار الخصيبى فخرج الخصيبى في زىّ امرأة واستتر وانحدر سلامة إلى مشرعة الساج واستتر.

ولمّا دخل الساجيّة والحجريّة الدار لم يدخلها سيما وأقام بمكانه من باب العامّة إلى أن قُبض على القاهر فلما قُبض عليه دخل.

ولمّا علم القاهر بحصول الغلمان فى الدار انتبه من سكره وأفاق وهرب إلى سطح حمّام فى دور الحرم فاستتر فيه ولمّا دخل الغلمان إلى المجلس الذى كان فيه ولم يجدوه وأخذوا من كان بالقرب [منه] مثل زيرك الخادم وعيسى المتطبّب واختيار القهرمانة فوكّلوا بهم ووقع فى أيديهم خادم صغير فضربوه بالطبرزينات حتّى دلّهم على موضعه فدخلوا فوجدوه على سطح الحمّام على رأسه منديل ديبقى[١] وفى يده سيف مجرّد واجتهدوا به على سبيل الرفق أن ينزل إليهم وقالوا:

- «نحن عبيدك وما نريد بك سوءاً وإنّما نتوثق لأنفسنا.»

فأقام على الإمتناع من النزول إلى أن فوّق إليه واحد منهم بسهم [453] وقال:

- «إن لم تنزل وضعته فى نحرك.»

فنزل حينئذ وقبضوا عليه - وكان ذلك ضحوة نهار يوم الأربعاء لستّ خلون من جمادى الآخرة سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة - وصاروا به إلى موضع الحبوس وقصدوا البيت الذى فيه طريف السبكرى ففتحوه ووجدوا فيه طريفا[٢] فكسروا قيده وأطلقوه وأدخلوا القاهر إلى[٣] موضعه وحبسوه فيه ووكّلوا بالباب جماعة من الساجيّة والحجريّة ووقع النهب ببغداد وانقضت خلافة القاهر بالله.

---

١. فى مط: ويبقي، بدل: «ديبقىّ».
٢. فى مط: طريقاً، بدل «طريفاً».
٣. فى مط: وأدخلوا القاهر إلى القاهر. وهو سهو من الكاتب.

خلافة الراضي بالله
أبي العبّاس محمّد بن المقتدر
في سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة

واستدلّ الغلمان الساجيّة والحجريّة حين قبضوا على القاهر على الموضع الذي فيه أبو العبّاس ابن المقتدر فدلّهم عليه خليفة لزيرك الخادم. ففتحوا عنه الباب ودخلوا عليه وسلّموا عليه[١] بالخلافة وأخرجوه وأجلسوه على السرير وبايع له قوّاد الساجيّة والحجريّة وطريف السبكري وبدر الخرشني ولقّب: الراضي بالله.

وتقدّم بإحضار عليّ بن عيسى وأخيه عبد الرحمن وأحضرا، فوصلا إليه وشاورهما واعتمد عليهما فيما يعمل. فعرّفه عليّ بن عيسى أنّ سبيله أن يعقد لواء لنفسه على الرسم في ذلك [454] فاستحضر اللواء وعقده بيده، ثمّ أمر بالإحتفاظ به[٢] وأشار عليه بتسلّم الخلافة. فسلّمها من كان في يده وهو خاتم فضّة فصّه من حديد صيني وعليه كتابة ثلاثة أسطر:

ـ «محمّد رسول الله.»

وأشار عليه بتسلّم خاتم الخلافة من القاهر بالله. فوجّه إليه الراضي، ثمّ

---

١. وسلموا عليه: العبارة سقطت من مط.

٢. في مط: الإحتفاظ، بدون «به»

فتح عنه الباب وطالبه بخاتمه فسلّمه وكان فصّه ياقوتاً أحمر وعليه منقوش:

ـ «بالله محمّد الإمام القاهر بالله أمير المؤمنين يثق.»

وصار به إلى الراضي فأمر أن يسلّم إلى حاذق من حذّاق الخزانة ليمحو ذلك النقش منه، ففعل ذلك ونقش له خاتم آخر عليه:

ـ «الراضي بالله»

وتقدّم عليّ بن عيسى بأن يُحضَر القاضي أبو الحسين عمر بن محمّد، والقاضي أبو محمّد ابن أبي الشوارب، والقاضي أبو طالب البهلول، وجماعة من الشهود وممّن يقرّب من دار السلطان فحضروا. فحكى القاضي أبو الحسن محمّد بن صالح الهاشمي ابن أمّ شيبان أنّه لمّا استدعى القاضي أبو الحسين عند القبض على القاهر بالله وجم جميع أطرافه وأخذ معه خمسين ديناراً في حجزة سراويله استظهاراً واستخلفه في داره ومضى وانصرف بعد أن مضى أكثر الليل إلى [455] منزله قال: فقال لي:

ـ «أنا أعرف ضيق صدرك وتطلّعك إلى معرفة[١] حديثنا فاسمعه: إعلم أنّي مضيت فأُدخلت إلى حجرة فيها القاهر بالله ومعي ثلاثة من الشهود وطريف السبكري. فقال له طريف: تقول يا سيّدي.»

وكرّر ذلك دفعات. فقال له:

ـ «اصبر.»

ثمّ التفت إليّ فقال:

ـ «ألست تعرفني؟»

فقلت: «بلى.»

فقال: «أنا أبو منصور محمّد بن المعتضد بالله رحمة الله عليه ثمّ القاهر

---

١. في مط: منزلة، بدل «معرفة».

بالله بيعتى فى عنقك وأعناق أهلى وسائر الأولياء ولست أبرّئكم منها ولا أحلّكم[١] بوجه ولا سبب، فانهضوا.»

فقمنا فلمّا بعدنا عذلت طريفاً ولمته ملاماً كثيراً وقلت:

ـ «أىّ رأى كان إحضارنا إلى رجل لم يوطّأ ولم يؤخذ خطّه ويشهد عليه الكتّاب والجند؟ كان ينبغى أن تقدّم ذلك ثمّ تحضرنا له.»

وعُدل بنا إلى علىّ بن عيسى فسألنا عمّا جرى فحدّثناه به فقطّب وجهه ثمّ قال:

ـ «يُخلع ولا يفكّر فيه فإنّ أفعاله مشهورة وأعماله معروفة وما يستحقّه غير خاف.»

فقلت له:

ـ «بنا لا تعقد الدول وإنّما يتمّ بأصحاب السيوف ونصلح نحن ونراد لشهادة واستيثاق وقد سمعت من الرجل ما حدّثتك به ولم يكن الرأى أن يجمع بيننا وبينه إلّا بعد إحكام أمره.» [456]

فتغاضب وحضر وقت الصلاة فقمنا.

فقال القاضى أبو الحسن محمّد بن صالح:

فسمعت ذلك منه وبكّرنا إلى دار السلطان فقيل له: إنّ القاهر سمل البارحة. فلمّا حضر أبو علىّ ابن مقلة استدعينا وكنت مع القاضى أبى الحسين وثلاثة من الشهود واجتمعنا بحضرة الراضى بالله فأومأ إلى مفلح الأسود فأحضر ثلاثة من إخوته فأجلسهم عن يمينه وأخرج أبو علىّ ابن مقلة قرطاساً من كمّه ونشره فاستحلفهم على البيعة ثمّ أومأ الراضى إلى مفلح إيماءً ثانياً فأحضر اثنان آخران من إخوته فأجلسهما عن شماله وأُخذت

---

١. فى مط: أحملكم.

البيعة عليهما ثمّ أعطى أبو عليّ القرطاس القاضى أبا الحسين فأخذ عليه البيعة وكتبنا خطوطنا فى ذلك القرطاس على من بايع وانصرفنا.

وكان سيما أشار بسمل القاهر تلك الليلة فستر الراضى ذلك عن عليّ بن عيسى واستحضرا بختيشوع بن يحيى المتطبّب وسأله عمّن يحسن أن يسمل فذكر له رجلاً فأحضره وسمل القاهر.

وما زال عليّ بن عيسى يوم الأربعاء إلى الليل يأخذ البيعة للراضى بالله على القضاة والقوّاد وكتّاب الدواوين والغلمان وطالبه الراضى أن يتقلّد الوزارة [457] فامتنع وذكر أنّه لا يفى بالأمر، فأشار سيما بأبى على بن مقلة. قال:

ـ «هو يضمن أن يقوم بسائر الأمور.»

فقال عليّ بن عيسى:

ـ «قد أشرتُ به على أمير المؤمنين وما يصلح للوقت غيره.»

وكان عليّ بن عيسى يسأل فى الفضل بن جعفر فأطلق بمسألته ووقّع الراضى إلى أبى عليّ ابن مقلة[1] فبكّر يوم الخميس لسبع خلون من جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة وحضر عليّ بن عيسى وأخوه عبد الرحمن ووقفا بين يديه يستحلفان من يحضر ويأخذان البيعة عليه وتأخّر الفضل بن جعفر والحسن[2] بن هارون وخلع على أبى عليّ ابن مقلة خلع الوزارة وركب معه سيما وطريف السبكرى وسائر القوّاد والغلمان والخدم الخاصّة وظهر الحسن بن هارون وأبو بكر ابن قرابة وصاروا إلى أبى عليّ ابن مقلة ثمّ انصرفوا إلى منازلهم.

واستأنف أبو عليّ ابن مقلة سيرة حسنة وقال:

ـ «قد عاهدت الله فى استتارى ألّا أسيء إلى أحد ونذرت نذوراً.»

---

١. فى التكملة: وهو فى دار ابن عبدوس الجهشيارى.

٢. فى مط: والحسين.

فوفى وأطلق كلّ من كان فى حبس القاهر من كاتب وجندىّ وأطلق عيسى المتطبّب وإسحاق بن علىّ القنّائى وكان الراضى أنفذهم إليه. ثمّ تعقّب الرأى فى عيسى المتطبّب فصادره. [458]

وكان القاهر قد اعترف بوديعة أودعها إيّاه من العين والورق والطيب، فاستخرج كلّه منه. وسأل فى أمر أبى العبّاس الخصيبى فكُتب له أمان وقّع الراضى فيه بخطّه وتسلّمه الوزير أبو علىّ وأنفذه فى درج رقعة[1] منه بخطّه إلى الخصيبى وخاطبه أجمل مخاطبة وظهر الخصيبى فقلّده دواوين الضياع الخاصّة والمستحدثة والعبّاسيّة والفراتيّة والمقبوضة عن أمّ موسى ونذير وشفيع اللؤلؤى وضياع المخالفين وضياع البرّ وضياع الجدّة والدة المقتدر وديوانى زمام المشرق والمغرب وأجرى عليه لنفسه سوى أرزاق كتّابه فى هذه الدواوين ألف دينار فى كلّ شهر وقلّد الراضى بدراً الخُرشنى الشرطة بمدينة السلام.

ولمّا تقلّد الراضى الخلافة وردت كتب أبى جعفر الكرخى وأبى يوسف كاتب السيّدة بتخلصهما من الأهواز إلى نواحى دور الراسبى هاربين من محمّد بن رائق وكان بنو البريدى يستترون فى أنهار الأهواز نهر بعد نهر. ووصل الخبر إلى ابن رائق وهو بالباسيان: أنّ القاهر خُلع من الخلافة وتقلّدها الراضى بالله وأنّه قد ندب للحجبة. فرجع منكفئاً إلى واسط ولم يدخل [459] البصرة ورجع الكرخى إلى البصرة ثمّ عاد إلى غيلة[2] بالأهواز فنظر وعمل إلى أن ضمّن ابن مقلة بنى البريدى أعمال الأهواز.

---

١. فى مط: رقعه، بدل «رقعة».

٢. فى مط: عمله، بدل «غيلة». وفى المراصد: والغيلة بكسر أوّله وسكون ثانيه: موضع فى شعر الأعشى.

ذكر ابتداء أمر أبي الحسن
عليّ بن بويه الديلمي

كنّا كتبنا فيما تقدّم أنّ أبا الحسن عليّ بن بويه لحق بمرداويج وهو في حدود طبرستان فقوّده وضمّ رجالاً إليه فلمّا أنفذه إلى الريّ ـوكان أخوه وشمكير بها ـ اتفق أنّ عامل الكرج طمع في مالها فأنفذ عليّ بن بويه ليتلافى أمر الكرج[١] ومعه دون مائة رجل من أصحابه فأقام بها وتلفّق إليه من الأطراف ديلم فصار في نحو ثلاثمائة رجل فأنكر مرداويج أمره وكاتبه بالإنصراف فتأخّر، وروُسل فتعلّل، وكان قد استخرج من مال الكرج نحو خمسمائة ألف وفوقها في مدّة يسيرة واستوحش مرداويج وهدّده ففزع وأخذ مرداويج ووشمكير في تدبير القبض عليه.

وكان عليّ بن بويه قد استخلف بحضرة وشمكير وهو بالريّ عند خروجه أحمد حاجبه ـوهو والد أبي إسحاق الطبري الشاهدـ في هذا الوقت، فكتب إليه أحمد بما فيه مرداويج ووشمكير من الخوض في سيّئه[٢]. وكان مرداويج قد صار إلى عند أخيه بالريّ بهذا السبب ولتسريب الجيوش إليه فخرج من الكرج إلى إصبهان خائفاً [460] ليستأمن إلى المظفّر بن ياقوت وكان عند المظفّر بن ياقوت في الوقت سبعمائة رجل من الديلم ووجههم فناخسره[٣] والد الحسن الديلمي الذي كان ببغداد ونظر في الشرطة بها. فلمّا قرُب من إصبهان خرج إليه المظفّر ليمنعه ومعه نحو أربعة آلاف رجل فتخاذل أصحابه ووقع بين أصحابه من الديلم خلاف. لأنّ فناخسره كان له

---

١. في مط: الكرخ، بدل «الكرج».
٢. في مط: في سببه. بدل «سيّئه».
٣. في مط: فناخسرو، وهو أصحّ حسب أصله الفارسي.

عدوّ من الديلم يضادّه فتقاعد المولَّدون أيضاً وافترقت كلمتهم وانهزم المظفّر بن ياقوت إلى فارس وبها أبوه ياقوت واستأمن إلى علىّ بن بويه نحو من أربعمائة رجل من الديلم فصارت عدّته سبعمائة رجل وملك إصبهان وهو فى ثلاثمائة رجل.

وبلغ الخبر مرداويج فسيّر أخاه وشمكير لطلبه فى الوقت فلمّا قَرب إصبهان رحل عنها علىّ بن بويه وصار إلى أرجان وكان قد تهيّبها لحصوله بين ياقوت وهو بفارس وبين ابنه محمّد وهو برامهرمز فصوّر[1] عنده بالمهانة واضطراب الرأى والرجال. فدخل أرجان واستوطنها وكاتب ياقوت واستخرج من مال أرجان خراجاً نحو ألفى ألف درهم ووصل مع ذلك إلى ودائع ونظّم أمره للمسير إلى كرمان وبها ماكان بن كاكى الديلمى ليستأمن إليه فلم يجبه ياقوت عن كتابه ولم يقبله [461] فكاتبه علىّ بن بويه وخاطبه بالإمارة والتعبّد وعرّفه أنّه يسأله أحد الأمرين: إمّا أن يقبله، أو يأذن له فى المصير إلى باب السلطان. فلمّا لم يقبله ياقوت وسار إليه مع ابنه المظفّر ليحاربه سار علىّ بن بويه إلى النوبندجان وقدّر أن تكون الحرب بها وقدّم كتبه إليه وطلب منه الأمان واستعفاه من الحرب فحذّره ياقوت وخشى أن يغتاله وكان قيل له: إنّ علىّ بن بويه يريد الحيلة عليه ليحصل بفارس ويخدعه عنها.

وكان علىّ بن بويه قد حصل أيّام مقامه بكازرون وبلد سابور ـ وذلك عند خروجه من أرجان ـ نحو خمسمائة ألف دينار مع كنوز كثيرة وجدها فقويت شوكته وزاد رجاله. فلمّا صار إلى النوبندجان قام بأمره أبو طالب زيد بن علىّ وتكفّل بنفقاته فلزمه عليه فى كلّ يوم خمسمائة دينار وأقام

---

١. كذا فى الأصل: فصوّرا. والضبط فى مد: فصوّر. والعبارة فى مط: فصُور وعنده بالمهانة.

عنده مدّة. فلمّا خرج إليه ياقوت تهيّبه هيبة شديدة وذلك أنّ جيش ياقوت كانوا سبعة عشر ألف رجل من جميع الأصناف ساجيّة وحجريّة والرجّالة المصافية وغيرهم من الديلم وأصناف العسكر وعليّ بن بويه فى ثمانمائة رجل، فسأله أن يفرج له عن الطريق لينصرف عنه ويجتاز إلى حيث يجتاز. فمنعه [462] ياقوت وطمع فيه لقلّة عدده ولوفور ما وصل إليه من المال. فلم يثبت له عليّ بن بويه وسار إلى البيضاء فمنعه ياقوت وواقعه على باب اصطخر يومين فكانت لياقوت فاشتدّ طمع ياقوت فيه وزاد تهيّب عليّ بن بويه وحقّق[1] عليه المسألة فى الإفراج له لينصرف عنه فامتنع عليه فلمّا كان يوم الخميس لاثنى وعشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة إثنتين وعشرين وثلاثمائة واقعه مستقتلاً.

فحدّثنى من شهد الوقعة من الديلم أنّه ترجّل ستّة نفر من الديلم وصفّوا تراسهم وتقدّموا زحفاً واستأخر من واجههم من أصحاب ياقوت فاشتملوا وتقدّموا وحمل أبو الحسين أحمد بن بويه فى نحو ثلاثين رجلاً فانهزم ياقوت وجميع من معه وذلك وقت الظهر من ذلك اليوم وانصرف إلى شيراز. فقدّر عليّ بن بويه أنّ انصرافه مكيدة منه لا هزيمة فتوقّف فى موضعه ولم يتبعه إلى وقت العصر، فلمّا صحّ عنده أنّها هزيمة سار إلى شيراز فنزل أوّل منزل قرية يُقال لها: الزرقان على ستّة فراسخ من شيراز وبكّر منها يوم السبت فنزل قرية يُقال لها: الدينكان، وعنده أنّه سيحارب عن البلد ويدفع عنه لأنّ الجيش الذى انهزم عنه كانوا قد انصرفوا [463] عنه موفورين لم يحاربوه ولا وقفوا بين يديه، فنزل على فرسخ من شيراز فى مضاربه، وبلغه أنّ ياقوتاً وعليّ بن خلف بن طناب قد خرجا عن شيراز والبلد شاغر خال.

---

١. الحرف الثانى غير واضح فى الأصل. فى مط: حنق. وما فى مط: حقّق.

فوجّه بجماعة من الديلم وأخلاط من الجند إلى شيراز للمقام بها وضبطها فبادر إليهم العامّة بشيراز مع جماعة من الرجّالة السودان ومماليك للتُنّاء[١].

وكان الديلم قد تفرقوا فى الأسواق فقتلوا منهم نحو سبعين رجلاً. فبلغ علىّ بن بويه ذلك ووجّه بأخيه أبى الحسين أحمد وكان إذ ذاك تسع عشرة سنة وهو أمرد وهو حينئذ صحيح اليدين وأنفذ معه ثمانين رجلاً من الديلم فقتل من السودان نحو ألف رجل ونادى فى البلد ألّا يقيم فيه أحد من أصحاب ياقوت ولا من الجند وأنّ من وُجد بعد النداء فقد أباح دمه وماله. فلم يبق فى البلد أحد منهم.

اتفاقات عجيبة مساعدة
لعلىّ بن بويه بعد دخوله شيراز
وانفتاح وجوه الذخائر والودائع له

ودخل علىّ بن بويه شيراز واتفقت له بها ضروب من الإتفاقات عجيبة كانت سبباً لثبات ملكه. فمنها أنّ أصحابه اجتمعوا وطالبوه بالمال ونظر فإذا القدر الذى معه لا يرضيهم وأشرف أمره على الإنحلال فاشتغل قلبه واغتمّ غمّاً شديداً فبينا [464] هو مفكّر قد استلقى على ظهره فى مجلس ياقوت من داره وقد خلا فيه للفكرة والتدبير، إذ رأى حيّة قد خرجت من موضع من سقف ذلك المجلس ودخلت موضعاً آخر منه وخاف أن تسقط عليه وهو نائم فدعا بالفرّاشين وأمرهم بإحضار سلّم وإخراج تلك الحيّة ففعلوا. ولمّا صعدوا وبحثوا عنها، وجدوا ذلك السقف يُفضى إلى غرفة بين سقفين، فعرّفوه ذلك، فأمرهم بفتحها ففُتحت ووُجد فيها عدّة صناديق من المال والصياغات

---

١. التُنّاء: المقيمون.

خمسمائة ألف. فاستوى جالساً وحُمل إلى بين يديه ذلك المال فسُرّ به وأنفقه في رجاله وثبت أمره بعد أن أشفى على الإنحلال.

وحكى أبو أحمد الفضل بن عبد الرحمن الشيرازى أنّ علىّ بن بويه أراد قطع ثياب وسأل عن خيّاط حاذق فوُصف له خيّاط لياقوت فأمر بإحضاره وكان أطروشاً ووقع له أنّه قد سُعى به إليه في وديعة كانت لياقوت وأنّه طلبه بهذا السبب. فلمّا خاطبه حلف أنّه ليس عنده إلّا اثنا عشر صندوقاً لا يدرى ما فيها. فعجب علىّ بن بويه من جوابه ووجّه معه بمن حملها. فوجد فيها أمراً عظيماً من المال والثياب.

والذى كان يكتب لعلىّ بن بويه فى ذلك الوقت رجل نصرانى [465] من أهل الرىّ يُعرف بأبى سعد إسرائيل بن موسى ثمّ قتله بعد مدّة بسبب سنفرد له خبراً، واستكتب مكانه أبا العبّاس أحمد بن محمّد القمّى المعروف بالحنّاط.

وسفر الأمير أبو الحسن علىّ بن بويه بعد تمكّنه من البلد فى أن يقاطع السلطان عنه ويتقلّده من قبل الراضى، فأجيب إلى ذلك وقنع منه بما بذل وهو فى كلّ سنة بعد جميع المؤن والنفقات الراتبة والحادثة ثمانية آلاف ألف درهم خالصة للحمل.

وكتب إلى الوزير أبى علىّ ابن مقلة يحلف له بأغلظ الأيمان على موالاة الوزير أبى علىّ ابن مقلة وابنه الحسين ومعاضدتهما وما يُقال فى هذا المعنى وأكّده. فأنفذ إليه الوزير أبو علىّ بالخلع واللواء فى شوّال سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة ورسم للرسول وهو أبو عيسى يحيى بن إبراهيم المالكى الكاتب ألّا يسلّم اللواء والخلع إلّا بعد أن يتسلّم المال ووقف عليه. فلمّا قرب المالكى من البلد تلقّاه علىّ بن بويه على بعد وسار معه إلى ظاهر شيراز وطالبه بأن يسلّم إليه اللواء والخلع فعرّفه ما رسم له وأنّه لا يمكنه

من ذلك إلّا بعد تسلّم المال الذي وُوقف عليه فخاشنه عليّ بن بويه وأرهبه[١] حتّى سلّم إليه الخلع ولبسها ودخل بها إلى شيراز وبين يديه اللواء.

وأقام المالكي مدّة يطالب [466] بالمال فلم يدفع إليه شيئاً بتّة وحصل على المواعيد والمطل والتوقّف ثمّ اعتلّ المالكي ومات بشيراز وحُمل تابوته إلى بغداد في سنة ثلاث وعشرين.

وانفتح لعليّ بن بويه وجوه الذخائر والودائع ووزير[ه][٢] أبو سعد النصراني فضمن له بقايا مال السنة أبو الفضل العبّاس بن فسانجس وابن مرداس وأبو طالب زيد بن عليّ وغيرهم من وجوه البلد بأربعة آلاف ألف درهم، واستُخرجت له الذخائر وانفتحت له كنوز وودائع عمرو بن الليث ويعقوب بن الليث وياقوت وابنه وعليّ بن خلف ورجال السلطان وكثرت أموال عليّ بن بويه وعمرت خزائنه واستأمن إليه رجال ماكان بن كاكي من كرمان وكثر جمعه واستفحل أمره وانتهى خبره إلى مرداويج فقامت قيامته ووافى إصبهان وبها وشمكير أخوه لأنّه لمّا خلع القاهر من الخلافة وتأخّر محمّد بن ياقوت عنها وبقيت سبعة عشر يوماً خالية أعاد مرداويج أخاه إليها. فلمّا استقرّ بها وورد مرداويج لتدبير عليّ بن بويه عند استعصائه عليه ردّ أخاه وشمكير إلى الريّ لخلافته عليها.

وأنفذ شيرج بن ليلى اسفهسلّاره مع حاجبه الشابشتي ومعهما ألفان وأربعمائة رجل من الجيل[٣] والديلم ووجوه القوّاد مثل بكران وإسماعيل الجيلي [467] إلى الأهواز، وكان غرضه أن يملكها فيأخذ الطريق على عليّ بن بويه ويحجز بينه وبين السلطان حتّى إذا قصده بعد ملكه الأهواز لم يكن

---

١. كذا في الأصل: وأرهبه. في مد: وأزعجه. وفي مط: وأرهبه.
٢. في الأصل: وزير. وما بين المعقوفتين زدناه من مط.
٣. في مط: الجبل، وهو خطأ.

له منفذ إلّا إلى تخوم كرمان والتيز[١] ومكران وأرض خراسان.

ولمّا نزلت عساكر الجيل ايذج خاف ياقوت أن يحصل بينهم وبين علىّ بن بويه، فوافى الأهواز ومعه ابنه وقلّده السلطان أعمال الحرب والمعاون بها وارتسم أبو عبد الله أحمد بن محمّد البريدى بكتابة ياقوت مضافة إلى ما إليه من أعمال الخراج والضياع بالأهواز وصار أخوه أبو الحسين يخلف أخاه وياقوتاً بالحضرة. وحصل رجال مرداويج برامهرمز فى غرّة شوّال من سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة وصلّوا العيد بها وخطبوا لمرداويج وساروا إلى الأهواز فعسكر ياقوت بقنطرة أربق وقطعها والماء الذى تحت هذه القنطرة حاد الجرية فأقام رجال مرداويج بإزاء ياقوت أربعين يوماً لا يمكنهم العبور إليه وسار ياقوت إلى بغداد على طريق دور الراسبى وسار علىّ بن خلف بن طناب فى البحر من ساحل مهروبان إلى البصرة. ورحل جيش مرداويج عن قنطرة أربق وضمن لهم طائفة من العيّارين أن يعبروا بهم نحو المسرقان بعسكر مكرم حتّى يصير الطريق بينهم وبين الأهواز جدداً فعدلوا إليها.

واجتمع البريدى [468] وياقوت فتشاوروا وقرّر الرأى على إنفاذ مونس غلام ياقوت فى أربعة آلاف رجل إلى عسكر مكرم لدفعهم عن عبور المسرقان وكانا حسبا أنّ القوم بعد منازلة[٢] أربعين يوماً قد ضجروا وانصرفوا وأنّهم لا يلبثون بعسكر مكرم إلّا يومين أو ثلاثة فلمّا حصلوا بها عملوا أطوافاً[٣] من خشب وشاشا[٤] من قصب وعبر منهم خمسون رجلاً

---

١. تيز (بكسر الأوّل): بليدة على ساحل بحر مكران.. وبينها وبين «كيز» مدينة مكران خمس مراحل. (مراصد الإطلاع).

٢. منازلة: كذا فى الأصل ومط. وما فى مد: منزلة.

٣. قطع من خشب مشدود بعضها إلى بعض يركب عليها.

٤. فى مط: وشاسا.

عليها فانهزم مونس لوجهه وعاد إلى مولاه فأخبره الخبر. وكان قد ورد إليه مدد من بغداد وخيل عظيمة فرحل لوقته من قنطرة أربق بعد اجتماع الجيل إليه بيومين وصاروا بأجمعهم إلى قرية الريح وهم بالحقيقة قد حصلوا من أمرهم على الريح. وصار ياقوت ومن تبعه وهم عدّة وافرة كثيرة إلى باذاورد ومنها إلى واسط فأفرج له محمّد بن رائق عن غربيها فنزله بعسكره وعرف علىّ بن بويه حصول عسكر مرداويج بالأهواز وشرح ما جرى وتملّق لكاتب مرداويج واستصلحه وأقام الخطبة ووافقه[١] على مال وأنفذ إليه رهينة فسكن مرداويج وقلّد علىّ بن بويه أرجان بعد انصراف ياقوت وعلىّ بن خلف عنها إبراهيم بن كاسَك.

واستقرّت كتابة ياقوت لأبى عبد الله البريدى [469] فورد الخبر وهو بالبصرة في بستان المؤمّا يريد المسير فى طيّاره إلى واسط بقتل مرداويج فى الحمّام بإصبهان فأنفذ للوقت أبا عبد الله بن جنى الجرجرائى إلى الأهواز بخلافته عليها وقال له:

ـ «اقصد ظاهر البلد بل أقم على فرسخ منه فإذا صحّ عندك خروج الجيل والديلم فادخله واثبت عند دخولك الفرسان والرجّالة فإنّى أنفذ من واسط أبا الفتح ابن أبى طاهر وأبا أحمد الجستانى في ألف رجل لضبط البلد وكور الأهواز.»

ثمّ وافى أبو علىّ غلام جوذاب كاتب البريدى فى طريق الماء وترتب ابن أبى طاهر بالأهواز وأبو أحمد الجستانى[٢] بعسكر مكرم. ووافى إبراهيم بن كاسك من أرجان إلى رامهرمز طمعاً فى الأهواز لما خلت فكاتبه علىّ بن بويه بالتوقف وألّا يبرحها حتّى يمدّه بالجيش فمن قبل ورود الجيش عليه

١. فى مط: ووافقه.
٢. فى مط: السجستانى.

من فارس ما وافى ياقوت إلى عسكر مكرم على طريق السوس فلمّا بلغ إبراهيم بن كاسك خبره رحل من رامهرمز إلى أرجان.

وكانت مع ياقوت قطعة من الديلم والأتراك والخراسانيّة فظنّ أنّهم يثبتون وأنّه مستظهر بهم ووافاه أبو عبد الله البريدى والتقيا بعسكر مكرم وأنفق فيه وفى رجاله ثلاثمائة ألف دينار على يد ابن بلوى وابن سريج[١] المنفقين وسيّرهم إلى أرجان [470] ووافاه علىّ بن بويه وحاربه بها فانهزم ياقوت هزيمة ثانية لم يفلح بعدها ولا شدّ منها حزاماً ولم ينفعه عدد العجم والديلم ولا عجب من أمر الله وتبعه علىّ بن بويه إلى رامهرمز وخيف على الأهواز منه فراسله أبو عبد الله البريدى فى الصلح فاستجاب له وكاتب الوزير أبا علىّ ابن مقلة فيما قرره من الصلح فعرضه على الراضى بالله فأمضاه فانصرف علىّ بن بويه[٢] إلى شيراز وعقدت فارس على علىّ بن بويه بما ذكرناه ونفذ إليه أبو عيسى المالكى باللواء والعهد وكان من أمره ما قدّمت ذكره.

وقتل أبو الحسن علىّ بن بويه أبا سعد إسرائيل كاتبه
ذكر السبب فى ذلك

كان السبب فى ذلك أنّ أبا سعد كان مكيناً عند علىّ بن بويه يتبرّك به ويكرّمه جداً وكان يقود الجيش وله غلمان أتراك ولبس القباء والسيف والمنطقة وكان قد حارب فى وقت ياقوتاً فهزمه. فكان أبو العبّاس الحنّاط القمّى يضرّب عليه دائماً ويجتهد فى إفساد رأى صاحبه فيه فلا يقبل منه وينهاه عن ذكره فلا ينتهى إلى أن قال يوماً وقد أكثر عليه فى الإغراء به:

---

١. فى مط: وابن شريح.

٢. فى مط: فانصرف علىّ من يومه، بدل «فانصرف علىّ بن بويه»!

ـ «يا هذا إنّ هذا الرجل صحبنى وحالى صغيرة وقد بلغت ما ترى ولست أدرى هل [471] ما وصلت إليه بدولته أم بدولتي وليس إلى تغيير أمره طريق فإيّاك أن تعاودنى فيه.»

فما أغنى ذلك منه ولا انتهى عن الوقيعة فيه وثلبه.

وكان بين أبى سعد هذا وبين حاجب لعليّ بن بويه يُقال له: خُطلُخ ـ وإليه مع الحجبة رئاسة الجيش ـ عداوة فاتفق أن دعى أبو سعد دعوة عظيمة دعا فيها عليّ بن بويه والقوّاد وأنفق فيها فى الخلع والحملان ما له قدر كثير ودعا خُطلُخ فلم يستجب إلي المصير إليه واجتهد به فلم يكن فيه حيلة وأصبح أبو سعد من غد يوم الدعوة فأقام على أمره ودعا من يأنس به وانتبه خطلخ من نومه وهو مغتاظ يزعم أنّه لا بدّ له من أن يركب إلى أبى سعد فيقتله لأنّـه رأى فى نومه أبا سعد يريد قتله فاجتهد به خواصّه فى أن يؤخّر ذلك فامتنع وحمل فى خفّه دشنيا وركب وقيل لأبى سعد أنّ خُطلُخ قد ركب على أن يجيئه فأنكر ذلك لأنّه كان دعاه فامتنع فلم يعرف لمجيئه إليه بغير استدعاء وجهاً. فاستعدّ ليستظهر وقال لغلمانه:

ـ «تأهّبوا بالطبرزينات وكونوا مستترين فى المجالس حوله فإن أنكر من خُطلُخ أمراً صاح بهم فخرجوا ووضعوا عليه.»

وحضر خُطلُخ فتلقّاه أبو سعد وجاء حتّى جلس [472] وأخذ يـتجنّى ويعربد إلى أن ضرب يده إلى خفّه وأخرج الدشنى فصاح أبو سعد بالغلمان فخرجوا بالدبابيس والطبرزينات ووضعوا على خُطلُخ ووقع فى رأسه دبّوس فدوّخه وسقط وقُدّر أنّه مات وحُمل إلى منزله فعاش يومين ومات.

فبادر أبو العبّاس الحنّاط إلى الأمير فى الوقت فوجده نائماً فقال للغلمان:

ـ «أنبهوه.»

فلم يجسروا،[١] فصاح وجلب إلى أن أنبهه ودخل إليه وقال له:

- «إنّ أبا سعد قتل حاجبك خطلخ.»

فلم يصدّقه وانتهره فقال:

- «وجّه وانظر.»

فورد عليه الخبر بصدقه فاستعظم ذلك ووجم ساعة ودخل أبو سعد فلم يُظهر له أنّه أنكر شيئاً ولا أنّه استوحش وسأله عن السبب فيما فعله فعرّفه الصورة واستشهد من حضر فاستصوب ما فعله. وخاف أبو سعد ووجد أبو العبّاس الحنّاط فرصته وأقبل يقول:

- «هو ذا يأخذ البيعة على القوّاد وهو خارج عليك لا محالة.»

فوجّه الأمير إلى أبى سعد فأنسه غاية التأنيس وحلف له أيماناً مؤكّدة على ثقته به وأنّه لا يلحقه سوء من جهته. واتّفق أن أخرج أبو سعد صناديقه من البيوت إلى صحن داره ليسترها استظهاراً وخلا بموسى فياذه يشاوره[٢] فمضى الحنّاط إلى الأمير علىّ بن بويه [473] فقال له:

- «قد استحلف أبو سعد قوّادك وآخر من استحلفه موسى فياذة وها هو قد أخرج صناديقه وهو خارج الساعة.»

فوجّه الأمير بمن عرف خبره فرأى الرسول الصناديق وموسى فياذة خارجاً من عنده فعاد إليه بالخبر فلم يشكّ الأمير حينئذ فى صحّة قول الحنّاط فقبض عليه وعلى جميع ماله من سائر الأصناف واعتقله. وكان فى الإعتقال إلى أن ورد بعض قوّاد الأتراك من بعض أعمال فارس فواطأه الحنّاط على الدخول مع أصحابه وهم خمسون رجلاً مخرّقى الثياب مسودّى

---

١. فى مط: فلم يجرأوا.

٢. فى مط: فناره شاوه (كذا)، بدل «فياذة يشاوره» وفياذه يحتمل أن يكون معرّبا أصله الفارسى: پياده، أى الراجل.

الوجوه يضجّون بما جرى على خطلخ من أبى سعد ويتهددون إن لم يقتل أبو سعد. ففعل القائد ذلك ودخل والأمير على شرب فأمر بقتل أبى سعد ثمّ وقعت الندامة عند الصحو وبعد فوت الأمر واستكتب الأمير بعده أبا العبّاس الحنّاط وبقى معه إلى أن مات الأمير علىّ بن بويه.

عود إلى ذكر الأحوال الجارية بمدينة السلام

ونعود إلى ذكر الأحوال الجارية بمدينة السلام. لمّا حصل محمّد بن ياقوت بالحضرة وحصلت له الحجبة ورئاسة الجيش أدخل يده فى تدبير أعمال الخراج والضياع ونظر فيما ينظر فيه الوزراء وطالب أصحاب الدواوين بحضور مجلسه وألّا يقبلوا توقيعاً بولاية [474] ولا صرف ولا غير ذلك من سائر الأحوال إلّا بعد أن يوقّع فيه بخطّه. وتجلّد أبو علىّ واحتمل ذلك وألزم نفسه المصير إليه فإذا صار إليه دفعتين صار هو إليه دفعة واحدة فكان أبو على كالمتعطّل لا يعمل شيئاً ملازماً لمنزله ويجيئه أبو إسحاق القراريطى كاتب محمّد ابن ياقوت فيطالعه بما يجرى وما يعمل.

وفى هذه السنة قُتل هارون بن غريب الخال.

ذكر السبب فى قتله

كان سبب ذلك أنّه لمّا بلغ هارون بن غريب تقليد الراضى بالخلافة وكان مقيماً بالدينور ـ وهى قصبة أعمال ماه الكوفة ـ وهو متقلّد أعمال المعاون بها وبماسبذان[1] ومهرجانقذق وحلوان وتدبّر أعمال الخراج والضياع بها ـ وهى النواحى التى كانت بقيت فى يد السلطان من نواحى المشرق بعد

---

١. فى مط: ماسندان، وهو خطأ.

الذى غلب عليه مرداويج - رأى أنّه أحقّ بالدولة من كلّ أحد. فكاتب جميع القوّاد بالحضرة وأنّه إن صار إلى الحضرة وتقلّد رئاسة الجيش وتدبير الأمور أطلق لهم أرزاقهم على التمام ولم يؤخّر عنهم شيئاً منها. وسار إلى بغداد حتّى وافى خانقين فغلظ ذلك على الوزير أبى علىّ ابن مقلة وعلى محمّد ابن ياقوت وعلى الحجريّة والساجيّة والمونسيّة وخاطبوا [475] بأجمعهم فقال الراضى:

- «أنا كاره له، فامنعوه من دخول الحضرة وحاربوه إن أحوج إلى ذلك.»

فلمّا كان يوم السبت لسبع خلون من جمادى الآخرة استحضر أبو بكر ابن ياقوت أبا جعفر بن شيرزاد وأوصله إلى الراضى بالله حتّى حمّله رسالة إلى هارون بن غريب بأن يرجع إلى الدينور وكتب معه كتاباً فنفذ من وقته ووجد هارون قد صار إلى جسر النهروان وأدّى الرسالة وأوصل الكتاب فأجاب هارون بأنّه قد انضمّ إليه من الرجال من لا يكفيهم مال عمله. وعاد أبو جعفر بالجواب وأدّاه إلى الراضى بالله بحضرة الوزير أبى علىّ والحاجب أبى بكر محمّد بن ياقوت، فبذلوا له أن يقلّدوه أعمال طريق خراسان كلّها ويكون مالها مصروفاً إليه زائداً على ما يأخذه. وقال الراضى بالله:

- «سبيله أن يقتصر على بعض من معه من الرجال.»

فنفذ أبو جعفر ومعه أبو إسحاق القراريطى بهذا الجواب. فلمّا أدّيا إليه الرسالة امتنع وقال:

- «إنّ الرجال لا يقنعون بهذه الزيادة.»

ثمّ قال:

- «ومن جعل ابن ياقوت أحقّ بالحجبة والرئاسة منّى؟ الناس يعلمون أنّه كان فى آخر أيّام المقتدر يجلس بين يدىّ ويمتثل أمرى. ومن جعله أخصّ

بالخليفة منّى؟ وأنا نسيب أمير المؤمنين وقريبه[١] وابن ياقوت ابن غلام من غلمانه.» [476]

فقال القراريطى:

ـ «لو كنت تراعى ما بينك وبينه من القرابة لما عصيته»

فقال: «لو لا أنّك رسول لأوقعت بك. قم فانصرف.»

ووضع هارون يده فى الإستخراج، فاستخرج أموال طريق خراسان وقبض على عمّال السلطان وجبى المال بعسف وخبط وظلم وتهوّر وكان الوقت قريباً من الإفتتاح. فلمّا اشتدّت شوكته شخص محمّد بن ياقوت من بغداد فى سائر الجيوش بالحضرة ونزل فى المضارب بنهربين بانفاذ أبى جعفر محمّد بن شيرزاد دفعةً ثانية برسالة جميلة ووعده أن يواقفه[٢] على عدّة الرجال الذين يتقرر الأمر معه على كونهم فى جملته وينظر فى جرائدهم وأرزاقهم لسنة خراجيّة. فإن وفى مال أعماله بماله ومالهم رجع إلى الدينور وإلّا سبّب له بالباقى على أعمال طساسيج النهروانات ونفذ إليه بهذه الرسالة يوم الإثنين.

وقد وقعت طلائع عسكر هارون على طلائع عسكر محمّد بن ياقوت وأصحاب هارون هم المستظهرون وكثر مضىّ الجند من عسكر محمّد ابن ياقوت إلى هارون بن غريب مستأمنة إليه فتبيّن أبو جعفر من هارون أنّه اتّهمه بالميل إلى محمّد بن ياقوت وابن مقلة. فلمّا رأى منه ذلك استأذنه فى الإنصراف بالجواب فقال:

ـ «إنّى أخاف عليك [477] منه أن يعتقلك وإنّما بيننا وبين الوقعة وانكشاف الأمر بيننا ليلة واحدة.»

---

١. فى مط: وأنا مسبب أمير المؤمنين ومرتبه، بدل «وأنا نسيب أمير المؤمنين وقريبه».

٢. فى مط: أن يوافقه.

تزاحف العسكرين

فلمّا كان في يوم الثلاثاء لستّ بقين من جمادى الآخرة تزاحف العسكران وكان المبدأ من أصحاب هارون واشتدّ القتال واستظهر أصحاب هارون لأنّ عددهم أضعاف عدد ابن ياقوت وانهزم أكثر أصحاب ابن ياقوت وقطعة من الغلمان الحجريّة ونهب أصحاب هارون أكثر سواد ابن ياقوت ونكّسوهم عن دوابّهم وأثخنوا فيهم الجراحات وقتلوا منهم عدّة. فركب حينئذ محمّد بن ياقوت وسار حتّى عبر قنطرة نهربين ولم تزل الحرب غليظة إلى أن قارب انتصاف النهار وركب هارون بن غريب مبادراً وسار منفرداً عن أصحابه على شاطئ نهربين يريد قنطرته لمّا بلغه أنّ ابن ياقوت قد عبر القنطرة وقدّر أنّه يقتله أو يأسره فتقطّر به فرسه فسقط منه في ساقيه فلحقه يُمن غلامه فضربه حتّى أثخنه بالطبرزينات ثمّ سلّ سيفه ليذبحه فقال له هارون:

ـ «يا عبد السوء أنت تفعل هذا وتتولى بيدك[1] قتلي أيّ شيء أذنبت به إليك؟»

فقال له:

ـ «نعم أنا أفعل بك هذا.»

وحزّ رأسه ورفعه وكبّر، فتبدّد رجال هارون ودخل بعضهم من طرق آخر إلى بغداد ونُهب سواد هارون وأصحابه وأسر قوم. [478] وسار محمّد بن ياقوت إلى موضع جثّة هارون فأمر بحملها إلى مضربه فحُملت وأمر بتكفينه ودفنه وأنفذ بمن يحفظ دار هارون من النهب ودخل بغداد وبين يديه رأس هارون وعدّة من قوّاده. فأمر الراضي بنصب الرؤوس على باب العامّة وخلع على ابن ياقوت وطوّق وسوّر.

---

١. في مط: بيذل، بدل «بيدك».

ودخلت سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة

تقليد الراضي ابنيه المشرق والمغرب

وفيها قلّد الراضي ابنيه الأمير أبا جعفر وأبا الفضل المشرق والمغرب واستكتب لهما أبا الحسين عليّ بن أبي عليّ ابن مقلة وخلع على أبي الحسين لذلك يوم الإثنين لخمس خلون من المحرّم واستخلف أبو الحسين على كتابتهما أبا الحسن سعيد بن عمرو بن سنجلا وكُتبت به الكتب.

قتل مرداويج في الحمّام بإصبهان

وفيها ورد الخبر بغداد بأنّ غلمان مرداويج بن زيار الجيلي قتلوه في الحمّام بإصبهان فتبجّح محمّد بن ياقوت وزعم أنّ التدبير في ذلك كان له وأنّه كاتب غلاماً كان له واستأمن إلى مرداويج بضعة عشر كتاباً مع فيوج ذكرهم وسمّاهم من حيث لا يعلم أحد وأظهر كتباً من الغلام إليه في هذا المعنى وأنشأ كتباً قُرئ بعضها في المسجد الجامع بهذا الخبر والشرح وكتب إلى أصحاب الأطراف وأعلمهم [479] أنّ التدبير كان له وكلّ ذلك كذب فإنّا سمعنا من شرح الصورة ما اقتضاه الأمر من أوّله إلى آخره ما نعلم أنّه لم يكن من تدبير بشريّ.

ذكر السبب في قتل مرداويج

وذكر ليلة الوقود المعروفة بالسَّذَق

قال الأستاذ أبو عليّ أحمد بن محمّد مسكويه[1] أدام الله نعمته: حدّثني

---

١. في مط: محمد بن مسكويه، بزيادة «بن» وهو خطأ كما حقّقناه في تصديرنا لهذا الكتاب.

الأستاذ الرئيس حقاً أبو الفضل ابن العميد رحمه الله أنّه لمّا حضرت ليلة الوقود التى تُعرف بالسَّذَق كان تقدّم[١] مرداويج قبل ذلك بمدّة طويلة أن تجمع له الأحطاب من الجبال والنواحى البعيدة وأن ينقل له فى الوادى المعروف بزرين روذ وما قرب من الغياض والمحتطب. فكان يجمع ذلك من كلّ وجه وأمر بجمع النفط والنفّاطين والزرّاقات ومن يُحسن معالجتها واللعب بها وتقدّم بإعداد الشموع العظام المجلّسة ولم يبق جبل مشرف على جرين إصبهان ولا تلّ ظاهر إلّا عُبّئت عليه الأحطاب والشوك وعمل على مسافة بعيدة من مجلسه بحيث لا يمكن أن يتأذّى بالوقود كهيئة قصور عظيمة من الأجذاع وضُبّبت[٢] بالحديد الكثير حتّى تماسكت وحشيت بالشوك والقصب وصيدت له الغربان والحدأ وعلّق [480] بمناقرها وأرجلها الجوز المحشوّ مشاقة ونفطاً وعمل بمجلسه الخاصّ تماثيل من الشمع وأساطين عظام منه لم ير مثلها ليكون الوقود فى ساعة واحدة على الجبال ورؤوس اليفاعات وفى الصحراء وفى المجلس على الطيور التى تُطلق. ثمّ عمل له سماط عظيم فى الصحراء التى يبرز إليها من داره وجمع فيه من الحيوانات والبقر والغنم ألوف كثيرة وزيّن واحتُشد له بما لم تجر العادة بمثله فلمّا فرغ من جميع ذلك وضربت مضاربه قريباً من السماط وحضر الوقت الذى ينبغى أن يجلس فيه مع القوم للطعام ثمّ للشرب خرج من منزله وطاف على سماطه وعلى الآلات التى ذكرتها للوقود فاستحقرها كلّها واستصغر شأنها وذلك[٣] لأجل سعة الصحراء ولأنّ البصر إذا امتدّ فى فضاء واسع ثمّ انقلب عنه إلى هذه الأشياء المصنوعة استحقرها وإن كانت عظيمة.

---

١. الأصل مهمل فى الأول. فى مط: تقدم. فى مد: يقدم.

٢. كذا فى الأصل: ضبّبت فى مط: صببت.

٣. كذا فى الأصل ومط: وذلك. وفى مد: (قال) وذلك، بزيادة «قال» ولا لزوم لها.

فاغتاظ وتداخله من النخوة والجبريّة ما سكت معه ولم يتكلّم بحرف ودخل إلى خركاه فى خيمة عظيمة واضطجع ثمّ حوّل وجهه إلى خلاف الباب والتفّ بكسائه لئلّا يكلّمه أحد. واجتمع الأمراء والكبار والقوّاد وسائر الجند والنظّارة ولم يجسر على خطابه أحد ولا على [481] تحريكه وأبطأ على الناس خروجه حتّى فات الوقت.

وأخذ الناس فى الإرجاف به فتحدّثوا سرّاً وهمساً وخيفت الفتنة. فحينئذ مشى العميد حول الخركاه ودمدم بكلامه المقتضى للجواب فلم يتكلّم بحرف ولم يزل يدارى فى الكلام ويدعو له إلى أن اضطرّه إلى الجلوس ثمّ دخل إليه فقال:

ـ «أيّها الأمير ما هذا الكسل فى وقت النشاط وحضور الأولياء وفرح الصديق وانخزال العدوّ؟»

فقال: «يا أبا عبد الله وأىُّ نشاط يحضرنى مع الإستخفاف والإستهانة وقصور الأمر؟ والله لقد افتضحت فضيحة لا يغسلها عنّى شىء أبداً.»

قال [العميد][١]: ودهشت ساعة ثمّ قلت:

ـ «أيّها الأمير وما ذلك؟»

فقال: «أما ترى نزارة ما أمرت به من الإستكثار منه وقلّته ووتاحته[٢] من الطعام والسماط[٣] ثمّ من جميع الآت الوقود والأشياء المتصلة بها.»

فقلت: «والله أيّها الأمير لقد عُمل من هذه الأشياء ما لم يُسمع بمثله فضلاً عن أن يُرى، فقم إلى مجلس أنسك وعاود النظر.»

---

١. وفى مط: قال: وتحيّرتُ ودهشتُ. فى مد: قال العميد: ودهشت. وفى مصورتنا للاصل بياض مكان «العميد».

٢. الوتاحة: القلّة.

٣. السماط: ما يُبسط ليوضع عليه الطعام.

فأبى ولجّ إلى أن قلت:

- «فإنّ الأعداء يرجفون بكيت وكيت، فاتقّ الله اركب وطف طوفةً لتزول الأراجيف ثمّ اعمل ما بدا لك فإنّا سنعتذر عنك.»

فزاده ما حكيته له من [482] أراجيف الناس به غيظاً وحنقاً. ثمّ قام فركب كارهاً متحاملاً وطاف مغضباً مغتاظاً بقدر ما رآه الناس وانصرف إلى موضعه ولزم حالته الأولى وجمع الناس الذين دُعوا على خبط[1] فأبى أكثرهم وانصرف من كان حاضراً وقالوا:

- «لا نأنس[2] إلّا يأنس الأمير.»

وبقى فى معسكره ثلاثاً لا يظهر ولا يرى إلّا أنّه يعلم أنّه حاصل فى قصر أبى علىّ ابن رستم،

فلمّا كان اليوم الثالث تقدّم بإسراج الدوابّ ليعود من جرين إلى داره وهى التى كانت لأبى علىّ ابن رستم بالمدينة ولها باب إلى الصحراء وباب إلى المدينة. فأسرج الغلمان واجتمعوا بالباب وذلك بعد الظهر فنعس نعسة ونام فأبطأ ودخل وقت العصر واتفق أن شغبت دوابّ الغلمان وارتفعت أصواتها وأصوات من يزجرها ولم يمكن أن يفرّق بينها لازدحامها بالباب ولأنّ أكثرها بأيدى غلمان الغلمان.[3] ينتظرون ركوب الأمير فركب الغلمان بركوبه. فانتبه مرداويج مذعوراً لما كان فى نفسه من إقدام الناس عليه بالأراجيف وسأل من يليه عن السبب فلم يعرفوا صورة الأمر. فقام بنفسه واطّلع على الدوابّ والشاكريّة وإذا هم بأسرهم يصيحون لزجر الدوابّ والدوابّ قد سقط بعضها على بعض ولها [483] أصوات هائلة منكرة فارتاع

---

١. فى مط: على حبط، باهمال الأول.

٢. كذا فى الأصل ومط: لا نأنس. فى مد: لا تأمن، خلافا للأصل.

٣. فى مط: غلمان (دون «الغلمان»).

ساعة حتّى عرف حقيقة الأمر. ثمّ سكن فسأل عن أصحاب الدوابّ فقيل: هم الغلمان الأتراك. فأمر أن تُحطّ السروج عن ظهور الدوابّ وتُجعل على ظهور الغلمان مع جميع آلتها ويدفع الدوابّ بأرسانها إليهم ليقودوها بأنفسهم إلى الاصطبلات. ففعلوا ذلك وكانت صورة قبيحة يُتطيّر من مثلها ويُتشاءَم بها.

ثمّ ركب هو بنفسه مع خاصّته وهو يتوعّد الغلمان حتّى صار إلى منزله قرب العشاء وكانت طشّة من مطرة بلّته. فلمّا دخل داره كانت كالخالية ليس فيها إلّا صبيان أصاغر[1] وخادم أسود كان أستاذ أولئك الغلمان. فدخل الحمّام يغيّر ثيابه وقد كان قبل ذلك بطش بغلمان أتراك كبار فحقدوه ولكن لم يكونوا يجدون أعواناً. فلمّا فعل بالجماعة ما فعل اغتنموا الصورة وانتهزوا الفرصة وقال بعضهم لبعض:

ـ «ما وجه صبرنا على هذا الشيطان؟»

فاتفقوا على الفتك به. ولمّا دخل الحمّام سألوا الغلام الذى يلى خدمته فى الحمّام ألّا يحمل معه سلاحه ـ وكان رسمه أن يُدخل معه إلى الحمّام دشنيّاً ملفوفاً فى منديل ـ فقال الغلام:

ـ «لا أجسر أن أتقدّم بين يديه وليس معى الدشنىّ. فاتفقوا على أن يكسروا حديدته [484] ويتركوا النصاب فى الجفن ثمّ يُلفّ فى المنديل حتّى لا ينكر الصورة ويتركه فى زاوية الحمّام على الرسم. ثمّ هجم عليه جماعة والخادم الأسود جالس على كرسىّ بباب الحمّام. فلمّا رآهم ثار فى وجوههم وصاح بهم فضربه بعضهم بسيفه فاتقاه بيده فطاحت من الذراع وسقط، وهجم القوم وارتفعت الضجّة فأحسّ مرداويج بالشرّ فبادر فسند[2]

---

١. فى الأصل ومد: صبيان الأصاغر. وفى مط: الصبيان الأصاغر.

٢. فى مط: فسدّ.

الباب من داخل بسرير -وكان يجلس عليه- بعد أن طلب الدشنيّ فلم يجده ودفع الغلمان الباب فتعذّر عليهم فصعد نفر منهم إلى قبّة الحمّام فكسر الجامات ورموه بالنشّاب فدخل البيت الحار وأخذ فى مداراتهم وضمن لهم كل جميل فكأنّهم تهيّبوه ساعة ثمّ علموا أنّ الغاية التى بلغوها منه ليس يجوز أن يكون بعدها صلح. فحمل بعضهم على ناحية الباب الذى وراءه السرير حتّى كسروه ودخلوا عليه. فشقّ بعضهم جوفه بسكين معه وضرب هو وجه بعضهم بكرنيب فضّة فى يده فأثّر فيه أثراً قبيحاً وخرجوا من عنده وعندهم أنّه قد فرغوا منه. فقال لهم رفقاؤهم الذين كانوا خارج الحمّام:

- «ما صنعتم؟»

قالوا: «شققنا جوفه.»

فقال أحدهم:

- «عودوا إليه [485] فحزّوا رأسه.»

وإنّما فعلوا ذلك لأنّه كان اتّفق فى تلك الأيّام أنّ بعض الفرّاشين فى الدار شقّ بطنه بجراحة فخيط الجرح وعولج فسلم فخافوا أن يجرى ذلك المجرى فحزّوا رأسه.

وقيل: إنّه لمّا عاودوه قد جمع حشوة بطنه وردّها وقبض عليها بشماله وقاتل بكرنيبه ساعة حتّى فُرغ منه. فلمّا طرحوا رأسه فى الدار بادروا إلى الإصطبلات فأسرجوا الدوابّ وأوكفوا البغال واحتملوا من الخزائن ما أمكنهم من المال والسلاح ورحلوا.

وفى خلال ذلك تهيّأ لبعض من فى الدار تسوّر الحيطان، فدخلوا المدينة وقد جنّهم[1] الليل، فخبّروا الجند والقوّاد بما جرى وهم سكارى متفرقون

---

١. فى مط: جهنّم الليل (!).

واجتمع بعضهم وأوقدوا النيران وضربوا بالبوقات وأسرجوا الدوابّ وأخذوا السلاح وساروا إلى الصحراء لينقلبوا إلى الباب الذى منه المدخل فإلى أن يفعلوا ذلك فاتهم الغلمان ولم يجدوا غير غليمة أصاغر لا ذنب لهم فقتلوا منهم عدّة ثمّ كفّوا عنهم. وخشى أهل الرأى من حشمه أن تنتهب الخزائن. فأشار العميد بإحراقها وهدم البنيان عليها فسلم [486] المال وأكثر الذخائر لأنّ المتهمين حضروا والنار والدخان ثائرة فى الموضع فلم يصلوا إلى شىء.

هروب ركن الدولة

وكان ركن الدولة أبو علىّ الحسن بن بويه رهينة عند مرداويج من جهة أخيه علىّ بن بويه عماد الدولة. فلمّا أحسّ بالصورة دارى الموكلين به وضمن لهم ضمانات كثيرة فساعدوه حتّى هرب بعد ليلة من قتل مرداويج.

اتّفاق عجيب اتّفق له فى هربه

لمّا خرج بقيوده إلى الصحراء وجلس ليكسرها أقبلت بغال عليها تبن وعليها أصحابه فنكسهم وركب هو ومن معه البغال وحثّها حتّى سلم وفات الطلب.

افتراق الأتراك فرقتين

فأمّا الأتراك فافترقوا فرقتين: أمّا فرقة فسلكوا نحو فارس مستأمنين إلى علىّ بن بويه وفيهم خُجخُج الذى سمله توزون لمّا ملك العراق. وأمّا فرقة فسلكت الجبل وهى الأكثر عدداً وفيهم بجكم الذى ملك الأمر بالعراق وتقلّد إمارة الأمراء بها فى أيّام الراضى وسنذكر من أخباره ما يليق بهذا الكتاب.

ما كان من أمر أصحاب مرداويج

فأمّا ما جرى عليه أمر أصحاب مرداويج فانّ أبا مخلد كان يتحدّث ـ وكان من خدم مرداويج وصاحب دولته ـ أنّ تابوت مرداويج حُمل إلى الريّ. وقال: [487] فما رأيت يوماً أعظم من اليوم الذى دخل فيه تابوته الريّ وذاك أنّ الجيل والديلم بأجمعهم ساروا مشاة حفاة معه أربعة فراسخ.

وذكر أنّه كان أخوه وشمكير ماشياً معهم ثمّ مضوا من إصبهان على بكرة[١] أبيهم معه إلى الريّ وكان الناس لا يشكون أنّهم يستأمنون إلى عليّ بن بويه فبطل هذا الظنّ وقال:

ـ «لم أر قطّ عسكراً هلك صاحبه فوفى له رجاله وجنده بغير درهم ولا دينار ذلك الوفاء فإنّهم صاروا إلى أخيه وشمكير على هذه الحال.»

وعرف شيرج أن إصبهان خالية ـ وكان بالأهواز من قبله ـ فسار للوقت إلى عسكر مكرم وستر الخبر وكان بها هرجام الجيليّ فأسرّ إليه بالخبر وأخذه معه ثمّ سار إلى تستر وبها جيليّ وكان وجهاً كبيراً فحدّثه وأخذه معه وقصد جنديسابور وبها إسماعيل الجيلى وكلّ واحد من هؤلاء نظير لشيرج، فأطلعه على الأمر وسار بمسيره فصارت الجماعة إلى السوس وبها عبد الله بن وهبان القصبانى البصرى عامل كور الأهواز من قبل مرداويج والشابشتى الحاجب وكان ثقة مرداويج وكان رتّبهم مرداويج على ما ذكر أبو مخلد على أن يتوجّه [488] شيرج إلى واسط ثمّ إلى بغداد وكان مرداويج ينتظر خروج الشتاء فى سنة ثلاث وعشرين فيقصد أرجان أوّلاً ثمّ يناجز عليّ بن بويه. فإذا فرغ منه عدل إلى الأهواز ثمّ منها إلى السوس وينفذ معظم خيله إلى

---

١. كذا فى الأصل ومط: بكرة. وفى مد: مكبّرة، وهو خطأ.

شيرج ليتقدّمه إلى واسط.

نوايا مرداويج

وكان فى نفسه أن يملك بغداد ويعقد التاج على رأسه ويعيد ملك الفرس فعوجل بالقتل. فسار عسكره كلّه كما ذكرنا مع شيرج والشابشتى وابن وهبان من السوس إلى الريّ على طريق شابرخواست والكرج يريدون وشمكير أخاه ما عارضهم معارض ولا أقدم أحد على منابذتهم والإفساد عليهم. ولمّا حصلوا بها بايعوه واستوزر وشمكير ابن وهبان وشكر له حسن تصرّفه لأخيه بالأهواز.

وكان مرداويج يوم قلّده الأهواز أرزقه ألفى دينار فى الشهر وقال له:

ـ «إن نصحت وأدّيت الأمانة استوزرتك بالحضرة ونصّبت الرايات بين يديك إلى باب نصيبين، وإن خنتنى وشرهت نفسك فإنّ كركرتك كبيرة ومعدتك عظيمة والحلاوات بالأهواز كثيرة فهذا دشنى ترى انبساطه وحدّه والله لاشقنّ به بطنك هذه [489] الكبيرة.»

فقال له:

ـ «ستعلم أيّها الأمير كيف أنصح وأؤدّى الأمانة وأنّى مستحقّ لاصطناعك.»

وكان هذا الرجل من أهل البصرة وله أب قصبانى وإنّما تقلّد فى أيّام ابن الخال همذان. فلمّا انهزم ابن الخال من وقعة مرداويج وقصد الحضرة لانتزاع الرئاسة من محمّد بن ياقوت وجرى عليه ما جرى حصل مرداويج بهمذان ووقع فى يده ابن وهبان فعفا عنه واستعمله فنفق عليه.

وكانت كتب مرداويج ترد على ابن وهبان أن يُعدّ له ايوان كسرى منزلاً إذا تقدّمه إلى الحضرة ويعمّره ويعيده كهيئته قبل الإسلام وأنّه معتقد للمقام

بواسط إلى أن يُستتمّ ذلك وأنّه يراه وشيرج مع من معهما أكفاء لمن بالحضرة من ابن ياقوت والحجريّة والساجيّة وسائر الأصناف وأنّه مستغن عن أن يلقاهم بنفسه.

وكان قد صاغ تاجاً عظيماً ورصّعه بالجوهر. وذكر أبو مخلد أنّه رآه قبل الحادثة بأيّام جالساً على سرير ذهب قد جعل عليه منصّة عظيمة وتفرّد بالجلوس عليه وجعل دونه سرير فضّة وعليه فرش مبسوط ودون ذلك كراسى كبار مذهّبة [490] وغير ذلك ليرتّب أصحاب الأقدار[١] مراتبهم فى الإجلاس. قال: وكان الكافّة من الناس بالبعد قياماً ينظرون إليه ما ينطقون إلّا همساً إعظاماً له وإكباراً لقدره.

وفيها وقع بين أصحاب ياقوت ومحمّد بن رائق شرّ فاقتتلوا وقُتل بينهم خلق.

وفيها قُبض على المظفّر ومحمّد ابنىّ ياقوت بتدبير أبى علىّ بن مقلة

ذكر السبب فى ذلك

كان السبب فى ذلك أنّ أبا علىّ كان قلقاً من غلبة محمّد بن ياقوت على سير الأمور ونظره فى جباية الأموال وحضور أصحاب الدواوين مجلسه وتفرّده بما يعمله الوزراء وعطلته هو، إلى أن تمّ تدبيره عليه. فلمّا كان يوم الإثنين لستّ خلون من جمادى الأولى ركب القوّاد إلى دار السلطان على رسمهم فى أيّام المواكب وحضر الوزير أبو علىّ ابن مقلة وأظهر الراضى أنّه يريد أن يقلّد جماعة من القوّاد عدّة نواح من المملكة ويخلع عليهم. وحضر

١. كذا فى الأصل ومط: الأقدار. وفى مد: الأوزار، وهو خطأ.

محمّد بن ياقوت للخدمة وأبو إسحاق القراريطى كاتبه معه وجلسوا على رسمهم فى الصحن التسعينى. ثمّ خرج الخدم إلى محمّد بن ياقوت فعرّفوه أنّ الخليفة يطلبه فقام مبادراً. [491] فلمّا دخل عدل به إلى حجرة قد أُعدّت له وأخذ سيفه ومنطقته ووكّل به. ثمّ خرج الخدم إلى أبى إسحاق القراريطى فعرّفوه أنّ صاحبه يطلبه. فلمّا دخل عدل به إلى حجرة أخرى وحُبس(١).

ووجّه بقوم إلى دار المظفّر بن ياقوت فقبض عليه وحُمل إلى دار السلطان وحُبس مع أخيه وكان وجد قريباً من السكر لأنّه كان يشرب ونفذت حيلة الوزير أبى علىّ عليهم وتقدّم إلى الغلمان الحجريّة والساجيّة أن يصيروا إلى دار السلطان وأن يضربوا مضاربهم فى بابى الخاصّة والعامّة ليحفظوا الدار وأمر مفلح الأسود أن يصير إلى دار محمّد بن ياقوت..(٢) وخُلع عليه وسُلّم القراريطى إلى الوزير أبى علىّ فأخذ خطّه بخمسمائة ألف دينار ثمّ تقرّر أمره على ثلاثة آلاف ألف درهم.

وانحدر ياقوت من واسط إلى السوس بجميع أصحابه وكتب إلى الراضى بالله كتاباً فى أمر ابنيه يستعطفه فيه لهما ويرقّق قلبه عليهما ويسأله الإحسان إليهما وتجديد الصنيعة عندهما وعنده فيهما وأن يلحقهما ليعاونانه على أمره ويكونان(٣) معه فى حروبه.

ولمّا زال أمر محمّد بن ياقوت وتفرّد أبو علىّ بالتدبير استخلف ابنه أبا الحسين [492] على جميع الدواوين والأعمال وصارت مكاتبة جميع أصحاب الدواوين له وانفاذهم الأعمال إليه. فصار يعزل ويولّى ويحلّ ويعقد وصار إليه أبو عبد الله أحمد بن على الكوفى وطرح نفسه عليه وارتسم

---

١. فى مط: جلس.
٢. سقط بعض الألفاظ من الأصل ومط.
٣. ويكونان: كذا فى الأصل ومط.

بكتابته وكان يكتب لأبى إسحاق القراريطى وكان مستولياً عليه فقبله أبو علىّ واختصّ به وبابنه.

وشغب الجند وطالبوا بأرزاقهم وصاروا إلى دار الوزير أبى علىّ ونهبوا اصطبلاته وأخذوا من بابه من كان فى مجلسه ونكسوا جماعة ممّن لقيهم من الكتّاب عن دوابّهم وأخذوها منهم فأطلق لهم أرزاقهم وسكنوا.

وفيها قوى أمر أبى عبد الله البريدى واستفحل أمره

ذكر أسباب ذلك

كان أبو عبد الله البريدى ضامناً أعمال الخراج والضياع بالأهواز. فلمّا وافاها شيرج بن ليلى الديلمى من قبل مرداويج خرج إلى البصرة بعد هزيمة ياقوت وغلامه مونس كما كتبناه قبل وأقام يدبّر أسافل الأهواز إلى أن قرر له محمّد كتابة ابنه. فخرج معه إلى واسط فبينا هو معه يدبّر أمره إذ ورد [الخبر][١] بالقبض [493] على محمّد والمظفّر ابنى ياقوت فارتاع ياقوت من ذلك ارتياعاً شديداً.

وكتب أبو علىّ ابن مقلة إلى أبى عبد الله البريدى: أن يسكّنه ويعرّفه أنّ الجند اضطربوا وتطيّروا[٢] لهما وشغبوا مراراً كما بلغك. ثمّ أرسلوا للخليفة بأنّه إن لم يقبض عليهما أحدثوا فى الملك حادثة عظيمة واضطرّ إلى أن يرضيهم بما أمضاه فيهما وأنّه يتلافى أمرهما عن قرب وينفذهما إليه وأنّ الرأى أن يبادر هو لفتح فارس.

فخرج ياقوت من واسط على طريق السوس إلى عسكر مكرم وأخرج أبو عبد الله البريدى معه أبا الحسن ابن حميد البصرى ليخلفه على كتابته وكان

---

١. ما بين المعقوفتين زدناه من مط.

٢. فى مط: وتغيّروا.

صنيعته وأخرج أبا زكريا يحيى بن سعيد السوسى لخدمته فى بلده، فدخل ياقوت عسكر مكرم وهما معه. ثمّ وافى أبو عبد الله البريدى من طريق الماء إلى الأهواز وورد بعده أبو يوسف أخوه وكان إليه السوس وجنديسابور شركة بينه وبين أخيه أبى الحسين. وادّعيا أنّ مال سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة احتمله شيرج بن ليلى وأنّ النواحى معطّلة الإرتفاع فى السنة التى بعدها فأنفذ أبو علىّ ابن مقلة ابن عينويه[1] لكشف ذلك [494] وطابقهما وكتب يصدّقهما.

فكانت هذه الفتنة نعمة على أبى عبد الله وأبى يوسف البريديين فإنّه تحصّل لهما بها وممّا بعدها إلى وقت انهزامهما من الأهواز على ما حدّث به أبو الفرج ابن أبى هشام أربعة آلاف ألف دينار خرجا بها على السلطان ثمّ قصدا عسكر مكرم للإجتماع مع ياقوت فوافياها وتلقاهما فى الموضع المعروف بفوهة النهرين وسيّراه إلى أرجان لفتح فارس.

خروج توقيع من الراضى بالله

وفيها خَرج توقيع الراضى بالله بأن تكون المخاطبة والمكاتبة من جميع الناس لأبى الحسين علىّ بن محمّد بن مقلة بالوزارة وكان سنّه إذ ذاك ثمانى عشرة سنة وأن يكون الناظر فى الأمور صغيرها وكبيرها وتقدّم إلى جميع أصحاب الدواوين بذلك وخلع على أبى الحسين خلع الوزارة وخوطب بها وحمل على شهرى وانصرف من دار السلطان على الظهر ومعه القوّاد والجيش والخدم وأصحاب الدواوين.

وانصرف أبو علىّ فى طيّاره إلى منزله وصار إليه ابنه بالخلع وطُرح له

---

١. عينويه: كذا فى الأصل. ما فى مط مهمل تماماً.

مصلّى فى مجلس أبيه ودخل الناس معه وهنّئوا أبا علىّ وأنشده الشعراء وأمر أبو الحسين ونهى ووقع [495] وصار طرح المصلّى فى مجلس أبيه رسماً له. وخرج رسم أبيه إلى جميع أصحاب الدواوين ألّا ينفذوا توقيعاً له إلّا بعد عرضهم إيّاه على ابنه أبى الحسين واستيماره فيه وأخذ توقيعه بخطّه فيه بامتثاله.

وشغب الفرسان شغباً بعد شغب وكانوا يأخذون دوابّ الناس من باب الوزير.

وفيها ركب بدر الخرشنى فنادى فى جانبى بغداد فى أصحاب أبى محمّد البربهارى الحنبليّة ألّا يجتمع منهم نفسان فى موضع واحد وحبس جماعة منهم واستتر البربهارى وكان سبب ذلك كثرة تشرّطهم على الناس وإيقاعهم الفتن المتصلة.

وخرج توقيع الراضى بالله إلى الحنبليين بما نسخته:

ـ «بسم الله الرحمن الرحيم. من نافق بإظهار الدين وتوثّب على المسلمين وأكل به أموال المعاهدين كان قريباً من سخط ربّ العالمين وغضب الله وهو من الضالين. وقد تأمّل أمير المؤمنين أمر جماعتكم وكشفت له الخبرة عن مذهب صاحبكم [فوجده كإبليس اللعين يـ][1] زيّن[2] لحزبه المحظور ويُدلّى لهم حبل الغرور. فمن ذلك: تشاغلكم بالكلام فى ربّ العزّة تباركت أسماؤه وفى نبيّه والعرش [496] والكرسىّ. وطعنكم

---

١. بياض فى الأصل وما بين المعقوفتين زدناه من مط.
٢. فى مط: يدبّر، بدل «يزيّن».

على خيار الأمّة ونسبكم شيعة أهل بيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى الكفر والضلال، وإرصادهم بالمكاره فى الطرقات والمحالّ، ثمّ استدعاؤكم المسلمين إلى الدين بالبدع الظاهرة، والمذاهب الفاجرة التى لا يشهد بها القرآن، ولا يقتضيها فرائض الرحمن، وإنكاركم زيارة قبور الأئمة صلوات الله عليهم، وتشنيعكم على زوّارها بالإبتداع، وإنّكم مع إنكاركم ذلك تتلفّقون وتجتمعون لقصد رجل من العوامّ ليس بذى شرف ولا نسب ولا سبب برسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وتأمرون بزيارة قبره والخشوع لدى تربته والتضرّع عند حفرته.

ـ «فلعن الله ربّاً[١] حملكم على هذه المنكرات ما أرداه[٢]، وشيطاناً زيّنها لكم ما أغراه، وأمير المؤمنين يقسم الله قسماً جهد أليّةٍ يلزمه الوفاء به، لئن لم تنصرفوا عن مذموم مذهبكم ومعوّج طريقتكم ليوسعنّكم ضرباً وتشريداً وقتلاً وتبديداً وليستعملنّ السيف فى رقابكم، والنار فى محالّكم ومنازلكم فليبلغ الشاهد منكم الغائب، فقد [497] أعذر من أنذر، وما توفيق أمير المؤمنين إلّا بالله، عليه يتوكلّ وإليه ينيب.»

شغب الجند

وفيها شغب الجند وصاروا إلى دار الوزير فوقع النهب فى خزانة له فيها

١. ربّاً: كذا فى الأصل. وما فى مط: دماءً (؟).
٢. فى مط: ما أراده.

زجاج مخروط وبلور وصينى وغير ذلك فدخلوا الدار وشغبوا فيها وخرج الوزيران عن دورهما وصارا إلى الجانب الغربى.

وكان الوزير أبو علىّ نفى الخصيبى وسليمان بن الحسن إلى عُمان وكاتب صاحب عمان بحبسهما والتضييق عليهما فأطلقهما ووردا بغداد مستترين فورد على الوزير من ذلك ما أقلقه وكبس عليهما عدّة مواضع فلم يظفر بهما.

خروج ابن مقلة إلى الموصل

وفيها قتل الحسن بن عبد الله بن حمدان عمّه أبا العلاء سعيد بن حمدان وخرج لذلك أبو علىّ ابن مقلة إلى الموصل.

ذكر السبب فى ذلك

كان أبو العلاء شرع فى تضمّن الموصل وديار ربيعة فضُمّن ذلك سرّاً وخُلع عليه وأظهر أنّه ينفذ[١] إلى الموصل لموافقة ابن أخيه أبى محمّد على ما عليه من مال الضمان ومطالبته بحمله وشخص فى نحو خمسين غلاماً من غلمانه. فدخل الموصل وعرف ابن أخيه خبر موافاته [498] فخرج نحوه مظهراً لتلقّيه واعتمد أن يخالفه الطريق فلا يراه ومضى أبو العلاء إلى دار أبى محمّد فنزلها وسأل عن خبره فعُرّف أنّه خرج ليتلقّاه فجلس ينتظره. فلمّا علم أبو محمّد أنّ عمّه قد حصل فى داره وجّه بغلمانه فدخلوا إلى أبى العلاء إلى البيت الذى كان فيه فقبضوا عليه وقيّدوه. ثمّ وجّه بقوم علوه بأسيافهم وقتلوه ولم يقع بينه وبين ابن أخيه لقاء.

وورد الخبر بذلك إلى الراضى فأنكره وتقدّم إلى الوزير أبى علىّ بالتأهّب

---

١. ينفذ: كذا فى الأصل. وفى مط: يتقلّد. وهو خطأ.

للخروج إلى الموصل والإيقاع بالحسن بن عبد الله بن حمدان والنائب عنه بالحضرة. فذُكر أنّ عليّ بن عيسى كتب إلى الحسن بن عبد الله بن حمدان بخطّه عن أمير المؤمنين الراضي بالله بالإنفراج عن ضمانه وألّا يحمل شيئاً إلى الحضرة من ماله وأن يمنع من حمل الميرة إلى بغداد فأخذ أبو عليّ ابن مقلة خطّه بذلك وأحضر جماعة من الشهود حتّى شهدوا عليه.

وسلّم الوزير الكتاب إلى ابن سنجلا ليعرضه على الراضي بالله. فلمّا كان من غد وهو يوم الأربعاء انحدر الوزير أبو عليّ إلى دار السلطان وانصرف إلى منزله. فوجّه الراضي براغب وبشرى خادميه إلى عليّ بن عيسى فحملاه إلى الوزير [499] أبي عليّ فلم يُوصله إليه واعتقله في حجرة من داره وراسله عليّ بن أحمد بن عليّ النوبختي وعرّفه ما أشهد به سهل بن هاشم على نفسه وأنّ الخليفة أنكر فعله. وما زالت المراسلات تتردد بينهما إلى أن ألزمه أبو عليّ مصادرة خمسين ألف دينار على أن يجعل في باب أبي جعفر بن شيرزاد صاحب ديوان النفقات للأتراك عشرة آلاف دينار وتؤخذ منه عقار وضياع بعشرة آلاف دينار فالتزم أبو الحسن ذلك.

فيقال: إنّ طلبياً[1] الهاشمي كان قال لعليّ بن عيسى عن الراضي بالله أن يكاتب الحسن بن عبد الله عنه ويتوسّط بينهما على أن يحمل إليه سرّاً سبعين ألف دينار في نجوم. وشرط عليه الحسين أن يحميه ويمنع منه ومن تشعيث أمره ويقرّه على ضمانه ولا يقبل زيادة عليه فحمل بعض تلك النجوم وأخّر باقيها وأنكر الخليفة كلّ ما جرى في هذا الباب وذكر أنّه لم يصل إليه شيء.

وأخرج مضرب الوزير أبي عليّ وخرج على مقدمته نُقيط الصغير وابن بدر الشرابي وجماعة من الحجريّة وغيرهم وخلّف ابنه الوزير أبا الحسين

---

١. في مط: طلبياً، بدل «طلبيا».

بالحضرة فى خدمة السلطان وتدبير الأمور. وقبل شخوصه أطلق [500] أبا الحسن علىّ بن عيسى وأخرجه إلى ضيعته بالصافية وأحلفه على أنّه لا يسعى فى مكروهه ولا يتكلّم فيه بما يقدح فى حاله ولا فيما يفسد أمره ولا يسعى فى الوزارة لنفسه ولا لغيره من سائر الناس. فحلف وخرج من وقته إلى الصافية.

ولمّا قرب الوزير أبو علىّ من الموصل رحل عنها أبو محمّد وتبعه الوزير إلى أن صعد جبل التنين ودخل بلد الزوزان فعاد حينئذ أبو علىّ إلى الموصل وأقام بها يستخرج مال البلد ويستسلف من التجّار المجهزين للدقيق مالاً على أن يطلق لهم به غلّات البلد فاجتمع له من ذلك أربعمائة ألف دينار.

ولمّا طال مقام الوزير بالموصل احتال سهل بن هاشم كاتب أبى محمّد بن حمدان فبذل للوزير أبى الحسين ابن الوزير أبى علىّ عشرة آلاف دينار حتّى كتب إلى أبيه بأنّ الأمور بالحضرة قد اضطربت عليه وأنّه متى تأخّر وروده الحضرة لم يأمن حدوث[1] حادثة يُبطل بها أمرهم.

فانزعج الوزير من ذلك وقلّد علىّ بن خلف بن طناب أعمال الخراج والضياع بالموصل وديار ربيعة وقلّد أعمال المعاون بها ماكرد الديلمى من الساجيّة وتقدّم بتوفية التجّار ما استسلفه منهم من المال. وانحدر [501] إلى الحضرة وخرج لتلقّيه الأمير أبو الفضل وأصحاب الدواوين والقوّاد ولقى الخليفة وانصرف إلى منزله وخُلع عليه من الغد وعلى ابنه خلع منادمة وحُمل إليهما ألطاف وشراب وطيب وبلّور.

وكان الوزير أبو علىّ كتب إلى الوزير ابنه قبل أن ينحدر من الموصل بإزالة التوكيل عن أبى الحسن علىّ بن عيسى وأن يكتب إليه أجمل خطاب

---

١. يونس (يويس): كذا فى الأصل. وفى مط: يونس.

ويخيّره بين الإنصراف إلى مدينة السلام وبين المقام بالصافية، فكتب إليه الوزير أبو الحسين بذلك.

وكان السبب فيما كتب به الوزير أبو عليّ من ذلك أنّه كان كتب إلى أبى محمّد الحسن بن عبد الله بن حمدان كتاباً يدعوه فيه إلى الطاعة ويبذل له الأمان فقبل الكتاب وقال للرسول:

ـ «ليس بينى وبين هذا الرجل عمل ـ يعنى ابن مقلة ـ ولا أقبل ضمانه لأنّه لا عهد له ولا وفاء ولا ذمّة ولا أسمع منه شيئاً. اللّهم إلّا أن يتوسّط أبو الحسن عليّ بن عيسى بينى وبينه ويضمن لى عنه فاسكن إلى ذلك وأقبله.»

وكان أبو عبد الله أحمد بن علي الكوفى مقيماً بالحضرة فى وقت خروج أبى علی ابن مقلة إلى الموصل ويلزم مجلس الوزير ابى الحسين يظهر له النصيحة والموالاة ويجتهد [502] فى التخلّص منه والبعد عنه إلى أن ورد كتاب أبى عبد الله البريدى يونس[1] فيه من حمل مال إلى الحضرة فى ذلك الوقت. فغلظ على الوزير أبى الحسين ذلك لأنّه كان أعدّ ما يحمله لوجوه فأقرأ أبا عبد الله الكوفى كتاب البريدى فاستعظم ما فيه وأشار بأن يخرج هو إلى الأهواز ليواقف البريدى على أمر الرجال الذين أحال بصرف المال إليهم ويعرضهم ويطلق ما يجب لهم ثمّ يحمل إلى الحضرة مالاً عظيماً ويحمل ساعة وصوله مائة ألف دينار.

فكتب الوزير أبو الحسين إلى أبى عبد الله البريدى بأنّه لا يقبل فى تأخّر المال عنه عذره وقد أحوجه إلى إنفاذ أبى عبد الله أحمد بن علىّ الكوفى لمواقفته على أمر المال ومطالبته بحمله ونفذ الكتاب وتبعه أحمد بن علىّ إلى الأهواز. فلمّا حصل عند أبى عبد الله البريدى لم يمكنه مخالفته على ما

---

١. فى مط: يونس. وهو خطأ.

يريد وكتب أنّه لم يتمكّن من عرض الرجال ولا الموافقة[١] على أمر المال، وأقام عنده إلى أن نظر أبو بكر ابن رائق فى الأمور بالحضرة.

واستوحش أبو عبد الله الكوفى من البريدى وخافه وأراد البعد منه وخاف بوادره فأطمعه فى إفساد أمر الحسين بن علىّ النوبختى [503] مع ابن رائق. وكان الحسين بن علىّ من أعدى الناس للبريديين فقبل منه وأطلقه ووافقه على ما يعمل به ويبذله من المال لإزالة أمر الحسين بن علىّ النوبختى. وكان أبو عبد الله الكوفى عند مقامه عند أبى عبد الله البريدى يُصغّر[٢] فى نفسه أمر الحضرة ويصف له إدبارها بسوء تدبير ابن مقلة وإبطاله مال واسط والبصرة بابن رائق وبإيقاعه ببنى ياقوت وما دبّر فى أمر الحسن ابن عبد الله بن حمدان وباجتثاثه أصل الخلافة دفعة واحدة وقال فى ذلك وأكثر وقال فى عرض ذلك:

ـ «هو الذى جرّأ الغلمان الحجريّة على ابن ياقوت فهم بعد أشدّ جرأة عليه وأنّ هلاكه ليس يبعد.»

فوقع ذلك من البريدى أحسن موقع واختصّ الكوفى ولم يستكتبه بل كان يشاوره ويكرمه ويعاشره.

فذكر أبو الفرج ابن أبى هشام أنّ أبا عبد الله الكوفى قال له بواسط فى أيّام سيف الدولة:

ـ «ما مرّ لى عيش أطيب من عيشى مع البريدى فإنّى أقمت عنده نحو سنة غير متصرّف ولا داخل تحت تبعة ولا تعب بنظر فى عمل ولقد عاشرنى أجمل عشرة ووصل إلىّ منه عيناً وورقاً ومن [504] قيمة العروض التى أنفذها إلىّ خمسة وثلاثون ألف دينار ولم أخرج من الأهواز إلّا وأنا مستقلّد

---

١. فى مط: الموافقة.

٢. فى مط: يضع، بدل «يصغّر».

كتابة ابن رائق وقد كفيت أمر ابن مقلة بالقبض عليه وكان غير مأمون. والحمد لله الذى لم يخرجه من الدنيا حتّى دمّر عليه كتدميره على الدنيا. ألحق الله ابنه به فإنّه شرّ منه لأنّ ما كان فى أبيه فهو فيه من وقاحة وقساوة وخسّة وكان الأب على عيوبه ربّما رحم وأكرم على حاشيته وأهل داره دون الغرباء ولكنّ هذا ناصر الدولة مجتهد فى أن يغرّه ويحصّله وإن حصل رجوت أن يسمله، فإنّ فى نفسه عليه وعلى ابنه العظائم.»

وأطلق الكوفى لسانه بهذا كلّه فى مجلسه وليس بين يديه غيرى وغير أبى علىّ ابن صفيّة كاتبه النصرانى.

وأظهر أبو عبد الله البريدى بالأهواز كتاباً من أبى علىّ ابن مقلة بخطّه إليه يقول فيه:

ـ «الويل للكوفىّ العاضّ[1] منّى أنفذته ليصلحك لى فأفسدك علىّ وأطمعك وأصغيت بالشره إليه والله لأقطعنّ يديه ورجليه فأمّا أنت فأرجو ألّا تُصرّ على كفر نعمتى وإحسانى إليك وأن تُنيب [505] بك الروية إلى رعاية حقوق اصطناعى لك فترضينى من نفسك وتعيننى فى مثل هذه الحالة الصعبة التى لم يدفع من جلس مجلسى فى دولة من الدول إلى مثلها وأن تجيرنى ممّا قد أظلّنى بمال تحمله فتحفظ به نعمتك التى احداهما فى يدى والأخرى فى يدك إن شاء الله.»

ولمّا انحدر أبو علىّ ابن مقلة من الموصل عاد أبو محمّد عن الزوزان إليها وحارب ماكرد الديلمى وانهزم الحسن بن عبد الله ثمّ عاود محاربته وكانت الوقعة بينهما على باب الروم من أبواب نصيبين فانهزم ماكرد إلى الرقّة وانحدر منها فى الفرات إلى بغداد وانحدر علىّ بن خلف بن طناب وتمكّن

---

١. كذا فى الأصل: العاضّ. فى مد: الغاضّ. وفى مط: العاصى.

الحسن بن عبد الله من الموصل وديار ربيعة وكتب إلى السلطان يسأل الصفح عنه وأن يضمن نواحيه فأجيب إلى ذلك وضمنها.

ووافى التجّار الذين استسلف أبو علىّ مالهم ولم يوفوا الغلّات التى ابتاعوها فطالبوا أبا علىّ بردّ أموالهم عليهم فدفعته الضرورة إلى أن يسبّب لهم على عمّال السواد بعض مالهم ودافعهم ثمّ باع عليهم بالباقى ضياعاً سلطانيّة فلم يحصل لخرجته كبير فائدة بعد الذى ردّ على التجّار [506] وبعد الذى أنفق على سفره والجيش الخارج معه.

اعتراض أبى طاهر القرمطىّ للحاجّ

وفى هذه السنة حجّ الناس فلمّا بلغوا القادسيّة اعترضهم أبو طاهر القرمطى وكان مع الحاجّ من قبل السلطان لؤلؤ غلام المتهشّم. فظنّ لؤلؤ أنّهم أعراب فحاربهم أهل القوافل شيئاً كثيراً وسأل عمر بن يحيى العلوى فيمن دخل القادسيّة فآمنهم ثمّ تسلّلوا من القادسيّة وبطل الحجّ فى هذه السنة. وصار أبو طاهر إلى الكوفة وأقام بها.

انقضاض الكواكب

وفى تلك الليلة بعينها انقضّت الكواكب من أوّل الليل إلى آخره ببغداد والكوفة وما والاهما انقضاضاً مسرفاً جداً لم يعهد مثله ولا ما يقاربهما.

وشغب الجند وصاروا إلى دار الوزير فنقبوا عدّة مواضع ولم يصلوا لأنّ غلمان الوزير دفعوهم ورموهم بالنشّاب من فوق السور.

وفيها مات أبو بكر محمّد بن ياقوت فى الحبس فى دار السلطان بنفث الدمّ فأحضر القاضى أبو الحسين عمر بن محمّد ومعه جماعة وأخرج إليهم

محمّد بن ياقوت حتّى فتّشوه ومدّوا لحيته وعلموا أنّه مات حتف أنفه. ثمّ تسلّم إلى أهله وباع الوزير ضياعه وأملاكه وقبض على أسباب محمّد بن ياقوت كلّهم. [507]

استيمان غلمان مرداويج

وفى هذه السنة قلّد الوزير أعمال الجبل أبا علىّ الحسن بن هارون وخرج إليها فلمّا حصل بها استأمن إليه غلمان مرداويج الأتراك الذين قتلوه فى الحمّام فقبلهم وكانوا ثلاثمائة غلام. فلمّا كان بعد مدّة شغبوا عليه وطالبوه بالأرزاق وقبضوا عليه وقيّدوه ثمّ أطلقوه. ولمّا ورد الخبر بالقبض عليه قلّد الوزير مكانه أبا عبد الله محمّد بن خلف النيرمانى وبلغ ذلك الحسن بن هارون فخافه للعداوة بينهما واستتر وصار إلى بغداد مستتراً وأقام على استتاره مدّة. ثمّ راسل الوزير أبا علىّ وقرّر أمره على مصادرة أوقعها بخمسة عشر ألف دينار فلمّا تقرّر أمره ظهر وأقام محمّد بن خلف فى الجبل مُديدةً(١).

وأقبل غلمان مرداويج وفيهم بجكم إلى جسر النهروان وراسلوا السلطان فأمرهم بدخول الحضرة فدخلوا وعسكروا بالمصلّى. واضطربت الحجريّة وظنّوا أنّها حيلة عليهم فاجتمعوا وطالبوا الوزير أبا علىّ بأن يرضيهم ويردّهم فاستدعى جماعة من وجوههم وواقفهم على أن ينضمّوا إلى محمّد بن علىّ غلام الراشدى ويقلّده الجبل ويطلق لهم أربعة عشر ألف دينار نفقات لهم ثمّ يسبّب مالهم [508] على أعمال الجبل فقالوا:

ـ «ننصرف ونُعلم باقى أصحابنا ذلك.»

---

١. فى الأصل ومط: ومدّ يدَه (بالضبط). وفى مد: مُديدةً وهو الصحيح.

فلمّا انصرفوا لم يقنعوا وكان خبرهم قد اتّصل بأبى بكر ابن رائق بواسط وهو متقلّد أعمال المعاون بها وبالبصرة فكاتبهم فراسلهم واستدعاهم ووعدهم الإحسان. فمالوا إليه واختاروه وساروا إليه فقبلهم وأثبتهم وأسنى لهم بالرزق ورأس عليهم بجكم وسمّاه: بجكم الرائقى، ورفع منه وموّله وأحسن إليه وأفرط فى ذلك وضمّ جميع الغلمان إليه وتقدّم إليه بأن يكاتب كلّ من بالجبل من الأتراك والديلم بالمصير إليه ليثبتهم فصار إليه عدّة وافرة منهم فأثبتهم وضمّهم إلى بجكم.

ودخلت سنة أربع وعشرين وثلاثمائة

عدّة حوادث

وفيها أُطلق المظفّر بن ياقوت من حبسه فى دار السلطان إلى منزله بمسألة الوزير أبى علىّ فيه، وحلف الوزير بالأيمان الغليظة على أنّه يواليه ولا ينحرف عنه ولا يسعى له فى مكروه.

وفيها قُلّد الوزير محمّد بن طغج أعمال المعاون بمصر مضافة إلى ما يتقلّد من أعمال معاون الشام وأدخل الراضى القضاة والعدول حتّى عرّفهم تقليده محمّد بن طغج وأمرهم بمكاتبة أصحابهم وخلطائهم بذلك [509] لئلّا ينازعه أحمد ابن كيغلغ فإنّه كان يتولّى مصر.

وفيها قطع محمّد بن رائق حمل مال ضمانه عن واسط والبصرة إلى الحضرة واحتجّ باجتماع الجيش عنده وحاجته إلى صرف المال إليهم.

وفيها تمّت حيلة المظفّر بن ياقوت حتّى قبض على الوزير أبى علىّ ابن مقلة لأنّه صحّ عنده أنّه هو قتل أخاه وكان السبب فى حبسهما وإزالة أمرهما.

ذكر هذه الحيلة على أبى علىّ ابن مقلة

لم يزل يحبّ التشفّى والأخذ بالثأر منذ أطلقه الوزير ولكنّه يكتم ذلك إلى أن واقف الحجريّة وضرّبهم عليه. وبلغ الوزير ذلك فأخذ يعتضد ببدر الخرشنى صاحب الشرطة فقوى أمر بدر وواقفه[1] على أن يستولى على دار السلطان فيحصل فيها ويمنع الغلمان الحجريّة منها لأنّه بلغه أنّهم قد عملوا على المصير إلى الدار والمقام ففعل بدر ذلك وحصل هو وأصحابه بالسلاح فى الدار ومنع الغلمان الحجريّة من دخولها ولم يظهر الوزير أنّ الذى فعله بدر كان عن رأيه. ثمّ جمع بين الساجيّة وبين بدر حتّى تحالفوا على معاونة بعضهم بعضاً.

فلمّا وقف المظفّر بن ياقوت على ذلك ضعفت نفسه وأشار [510] الحجريّة بالخضوع للوزير والتذلّل له ولم يزالوا يتلطفون للوزير ويتحققون بخدمته إلى أن أنس بهم وسألوه صرف بدر وبذلوا له كلّ ما أراد من الطاعة والموالاة له إلى أن انخدع وصرف بدراً وأصحابه. فلمّا خلت دار السلطان منهم ومن الساجيّة تحالف الحجريّة على أن تكون كلمتهم واحدة فصاروا بأجمعهم إلى دار السلطان وضربوا خيمهم فيها وحولها وملكوها وصار الراضى فى أيديهم وحزبهم. فندم الوزير وعلم أنّ الحيلة تمّت عليه فتقدّم إلى بدر بأن يخرج إلى المصلّى فى أصحابه من غير أن يعلم أحد أنّه فعل ذلك برأى الوزير وأمره فخرج بدر وأثبت زيادة من الرجّالة.

وبلغ ذلك الحجريّة فطالبوا الراضى بالله أن يخرج معهم إلى المسجد الجامع فى داره فيصلّى بالناس ليراه الناس معهم فيعلمون أنّه فى حيّزهم.

---

١. كذا فى الأصل ومط: واقفه. فى مد: وافقه.

فخرج الراضى يوم الجمعة إلى المسجد الجامع الذى فى داره ومشى الغلمان بأسرهم بين يديه وحوله بالسلاح رجّالة وصلّى بالناس وصعد المنبر وخطب وقال فى خطبته:

ـ «اللّهم إنّ هؤلاء الغلمان بطانتى وظهارتي فمن أرادهم بسوء فأرده به ومن كادهم فكده.»

وقلّد بدر الخرشنى دمشق وأمره بالخروج إليها من المصلّى وألّا [511] يدخل البدر.

وكان المظفّر بن ياقوت فى هذا كلّه يُظهر للوزير أنّه مجتهد في الصلح ويُظهر له الخضوع وهو فى الباطن يسعى فى حنقه[١] وقد قوى أمره بما فعله الراضى. ثمّ إنّ الصلح تمّ بين بدر الخرشنى وبين الحجريّة فدخل من المصلّى إلى منزله وأقرّ بدر على الشرطة.

فلمّا انقضت هذه القصّة أشار الوزير على الراضى بالله سرّاً أن يخرج بنفسه ومعه الجيش والحجريّة والساجيّة ليدفع محمّد بن رائق عن واسط والبصرة وقال له:

ـ «قد انغلقت عليك هذه البلدان وهى بلدان المال بما فعله محمّد بن رائق من الإمتناع من حمل مال ضمانه ومتى رأى غيره أنّ ذلك قد تمّ له واحتمل عليه تأسّى به فذهب مال الأهواز فبطلت المملكة. فعمل الراضى على ذلك وتقدّم إليه بالعمل عليه فافتتح الوزير الأمر مع ابن رائق بأن ينفذ إليه ينال الكبير من الحجريّة وماكرد الديلمى من الساجيّة برسالة من الراضى بالله يأمره فيها أن يبعث بالحسين بن علىّ النوبختى ليواقف على ما جرى على يده من ارتفاع واسط والبصرة.

---

١. فى حنقه: كذا فى الأصل. وفى مط: فى حفيته.

فلم يستجب ابن رائق إلى انفاذ الحسين ووهب للرسولين مالاً وأحسن إليهما وسألهما أن يتحمّلا له إلى الخليفة رسالة [512] فى السرّ وهى: أنّه إن استُدعى إلى الحضرة وفوّض إليه التدبير قام بكلّ ما يحتاج إليه من نفقات السلطان وأرزاق الجند ومشّى الأمور أحسن تمشئة وكفى أمير المؤمنين الفكر في شيء من أمره.

فلمّا قدم الرسولان خلوا بالراضى بالله بعد تأدية الرسالة الظاهرة فأدّيا الرسالة السرّية فلم ينشط الراضى لتسليم وزيره وأمسك.

ولمّا رأى الوزير امتناع ابن رائق من تسليم الحسين بن علىّ عمل على أن يكون ظاهر خروجه إلى الأهواز لا إليه ولا لقصده ودبّر أن يُنفذ إليه القاضى أبا الحسين برسالة من الراضى ليعرّفه ذلك وأنّه لم يأمن أن يقع له أنّ الخروج إنّما هو إليه فيستوحش وأنّه أنفذ القاضى ليكشف ما فى نفسه وعزمه، وتوثّق له بما يسكن إليه.

فلمّا كان يوم الإثنين لأربع عشر ليلة بقيت من جمادى الأولى وانحدر الوزير إلى دار الراضى بالله ومعه القاضى أبو الحسين ليوصله فيسمع من الراضى بالله الرسالة فلمّا حصل فى دهليز التسعينى قبل أن يصل إلى الخليفة وثب الغلمان الحجريّة ومعهم المظفّر بن ياقوت به فقبضوا عليه ووجّهوا إلى الراضى بالله يعرّفونه قبضهم [513] عليه إذ كان هو المفسد المضرّب ويسألونه أن يستوزر غيره. فوجّه إليهم يستصوب فعلهم ويعرّفهم أنّهم لو لم يفعلوا ذلك لفعله هو وردّ الخيار إليهم فيمن يستوزره فذكروا[1] علىّ بن عيسى ووصفوه بالأمانة والكفاءة وأنّه ليس فى الزمان مثله. فاستحضره الراضى بالله وخاطبه فى تقلّد الوزارة فامتنع وتكرّه ذلك فراجعه الراضى بالله

١. كذا فى مط: ذكروا. وفى مط: ذكر.

وخاطبه الغلمان فيه وطال الخطب معه فأقام على الإمتناع فقالوا:

- «فنشير بمن تراه.»

فأومأ إلى أخيه عبد الرحمن. فأنفذ الراضى بالله المظفّر بن ياقوت إلى عبد الرحمن فأحضره وأوصله إلى الراضى وعرّفه أنّه قلّده وزارته ودواوينه وخلع عليه وركب فى الخلع ومعه الجيش إلى داره وأُحرقت دار أبى علىّ.

وزارة عبد الرحمن بن عيسى

لمّا تقلّد عبد الرحمن غلب علىّ بن عيسى على التدبير فعلم أبو العبّاس الخصيبى وأبو القاسم سليمان بن الحسن وقد كنّا ذكرنا أمرهما وما كان من نفى[1] علىّ بن مقلة إيّاهما إلى عمان وتقدّمه إلى يوسف بن وجيه صاحب عمان بحبسهما وأنّ يوسف بن وجيه أطلقهما فصارا إلى بغداد واستترا بها إلى أن [514] قُبض أبو علىّ ابن مقلة.

فلمّا كان فى هذا الوقت أكرمهما عبد الرحمن الوزير وكانا يصلان معه إلى الراضى بالله مع أبى جعفر محمّد بن القاسم الكرخى وأبى علىّ الحسن بن هارون وعلىّ بن عيسى لا يتأخّر أيضاً عن الحضور معهم وسُلّم أبو علىّ ابن مقلة إلى الوزير عبد الرحمن فضربه بالمقارع وأخذ خطّه بألف ألف دينار ثمّ سلّمه إلى أبى العبّاس الخصيبى فجرت عليه من المكاره والضرب والرهق أمر عظيم وحضر أبو بكر ابن قرابة بعد مدّة فتوسّط أمره وضمن ما عليه وتسلّمه وكان أدّى إلى الخصيبى نيّفاً وخمسين ألف دينار.

وصرف بدر الخرشنى عن الشرطة لإنحراف الحجريّة عنه وولّى أعمال المعاون بإصبهان وفارس لأنّ الحجريّة كرهوا مقامه بالحضرة فخلع عليه

---

١. كذا فى الأصل ومط: نفى. وفى مد: تفى.

وأخرج مضاربه إلى ميدان الإشنان[١] وأنفذ إليه اللواء وضمّ إليه الحسن بن هارون لتدبير أمر الخراج بهذه النواحي ثمّ توقّف عن إمضاء هذا الرأى فبطل خروجه.

وعجز عبد الرحمن عن تمشية الأمور وضاق المال حتّى استعفى عبد الرحمن عن تمشية الأمور للراضى بالله ومن الوزارة وسأله أن يقرضه عشرة آلاف دينار إذ كانت وجوه المال قد تعذّرت عليه فقبض عليه الراضى فى هذه السنة وقلّد وزارته الكرخى. [515]

ذكر وزارة أبى جعفر محمد بن القاسم الكرخى

لمّا قلّد أبو جعفر الكرخى الوزارة وخُلع عليه وانصرف إلى منزله ومعه الجيش كُلّف مناظرة علىّ بن عيسى وأخيه عبد الرحمن وحُملا إلى داره فصادر علىّ بن عيسى على مائة ألف دينار وصادر أخاه على سبعين ألف دينار وأقاما على حال صيانة وتكرمة إلى أن أدّى علىّ بن عيسى سبعين ألف دينار وأدّى أخوه ثلاثين ألف دينار ثمّ صُرفا إلى منازلهما.

وكان الوزير أبو جعفر الكرخى قصيراً فاحتيج بسبب قصره إلى أن يُنقص من ارتفاع سرير الملك فنُقص منه أربع أصابع مفتوحة.

وفيها قُتل ياقوت بعسكر مكرم.

ذكر مقتل ياقوت

قد ذكرنا أمر ياقوت فى خروجه إلى أرجان لحرب علىّ بن بويه فى قضّه[٢] وقضيضه وديلمه وأتراكه وسائر خيله. وكان معه من الرجّالة السودان

---

١. كذا فى الأصل: الإشنان. وفى مط: الأسنان.

٢. قضّه وقضيضه: جميع خيله وجنوده.

ثلاثة آلاف رجل وانهزم من بين يدى علىّ بن بويه بباب أرجان بعسكره كلّه وكان على الساقة فى الهزيمة لأنّه ثبت وسار علىّ بن بويه خلفه إلى رامهرمز وحصل ياقوت بعسكر مكرم فى غربيّها وقطع الجسر المعقود على المسرقان وأقام علىّ بن بويه برامهرمز إلى أن وقع الصلح بينه [516] وبين السلطان.

وكتب أبو عبد الله البريدى إلى ياقوت أن يقيم بعسكر مكرم إلى أن يستريح ويقع التدبير لأمره من بعد وكان غرضه ألّا يجمعه وإيّاه بلد فقبل ياقوت. وأتاه أبو يوسف البريدى متوجّعاً بما جرى عليه من الهزيمة ومهنّئاً له بالسلامة وتوسّط بينه وبين أخيه أبى عبد الله يعلّل بها عسكره إلى أن يكتب إلى السلطان ويستأمره فيما يطلقه له ولرجاله وعرّفه أنّ الرجال المقيمين بالأهواز فيهم كثرة ويطالبون بمالهم وهم البربر والشفيعية والنازوكيّة واليلبقيّة والهارونيّة وكان أبو علىّ ابن مقلة ميّز هؤلاء وأنفذهم إلى الأهواز لتخفّ مؤونتهم عن الحضرة وتتوفّر أموال الساجيّة والحجريّة. فذكر أبو يوسف أنّ هؤلاء لا يطلقون مالاً يخرج من الأهواز إلى سواهم وأنّهم إن أحسّوا شغبوا فاحتاج أبو عبد الله إلى مفارقة الأهواز إشفاقاً على نفسه منهم. ثمّ تؤول الحال إلى حرب تقع بعد الهزيمة الأرجانيّة ولا يدرى كيف تكون الحال فيها وأنّ السلطان مع ذلك مطالب بحمل مال إليه [517] وقال له:

ـ «إنّ رجالك مع سوء أثرهم وقبح بلائهم وهزيمتهم دفعةً إذا أعطوا اليسير قنعوا به وصبروا عليه.»

فقبل ياقوت ذلك وسبّب له بهذا المال على عسكر مكرم وتُستر فأرضى ببعضه الحجريّة وببعضه وجوه القوّاد وأنفق فى سودانه فى المسجد الجامع بعسكر مكرم ثلاثة دراهم لكلّ رجل ومضى الأمر على ذلك شهوراً.

وأفتتح مال سنة أربع وعشرين وثلاثمائة فضجّ رجاله وطالبوه وقالوا:

ـ «إنّه لا صبر لهم على الضرّ وإنّ المنافسة على خيرات الدنيا فى الطبع والجبلّة لو كانوا أغنياء فكيف بهم مع اختلالهم وأنّهم لا يرضون أن يقبض نظراؤهم بالأهواز على الإدرار ويحرموا هم[1] وأن يتجرّعوا الأسف والحسرات وأنّهم قد سئموا الفقر ومعاناة المجاعة.»

وقد كان استأمن من أصحاب علىّ بن بويه إلى ياقوت طاهر الجيلى وكان ممّن يرشّح نفسه للأمور الكبار ويرى أنّه نظير لشيرج وطبقته واجتمع إليه نحو ثمانمائة رجل من العجم. فشغب على ياقوت ثمّ رحل مع أصحابه وانصرف عنه وقدّر أنّه يملك ماه البصرة وماه[2] الكوفة فكبسه علىّ بن بويه ثمّ سجنه فلجأ بنفسه مع بعض غلمانه [518] وأبو جعفر الصيمرى كاتبه فى الأسر وخلّصه الحنّاط فخرج إلى كرمان فكان سبباً لإقباله واتصاله بالأمير أبى الحسين أحمد بن بويه فضعفت نفس ياقوت بخروج طاهر الجيلى وأصحابه واستطال باقى رجاله عليه وخاف أن يعقدوا لبعض قوّاده الرئاسة وينصرفوا عنه فكاتب أبا عبد الله البريدى بالصورة وأعلمه أنّه كاتبه ومدبّر أمره وأنّه قد فوّض إليه الرأى والتدبير فى رجاله ليمضى عليه وعليهم ما يستصوبه.

ذكر الخديعة التى نفذت على ياقوت

كان ياقوت واثقاً برجل ساقط يُعرف بأبى بكر النيلى يجريه مجرى الأب وينحطّ إلى رأيه وقوله مع ضعة فى النيلى وخساسة فى همّته وقدره. فاستصلحه أبو عبد الله البريدى ووسّع عليه فكان النيلى رسول ياقوت إلى أبى عبد الله بما قد ذكرته فكتب أبو عبد الله البريدى أنّ عسكره قد فسدوا

---

١. كذا فى الأصل: ويحرموا هم. وفى مط ويحرموهم. وهو خطأ.

٢. ماه البصرة وماه الكوفة: كذا فى الأصل. وفى مط: مال البصرة ومال الكوفة. وهو خطأ.

وفيهم من ينبغى أن يُميّز ويخرج لأنّ علىّ بن خلف بن طناب خانه واقتطع أموالاً باسم هؤلاء القوم وزاد قوم زيادات كثيرة وأنّ الصواب أن ينفذوا إليه ليعرّفهم أنّ هذه الزيادات تفوّتهم الأصول السلطانيّة ويشافههم بأنّ الصواب أن يسقطوها ليتوفّر عليهم الأصول [519] وقال:

ـ «إنّما يتمّ هذا بالأهواز لأنّهم يردونها أفواجاً وزمراً فإن أساءوا آدابهم وامتنعوا قُوّموا بالجيش[١] المقيمين بالأهواز وأنّهم إن خوطبوا بهذا الكلام وهم بعسكر مكرم تظاهروا وتضافروا وتعاقدوا فلم يتمّ عليهم ردّهم من الكثير إلى القليل.»

وأكثر فى هذا المعنى حتّى قال:

ـ «يا أبا بكر سبيل العرض أن يقع بحيث الهيبة والخوف لا بحيث الحكم والإستطالة.»

فما قال له النيلى:

ـ «الهيبة حيث يكون الأمير لا أنت ولا كانت له منّة لأن يردّ عليه شيئاً.»

وسأل[٢] أبو عبد الله البريدى أن يُنفذ إليه أبا الفتح ابن أبى طاهر وأبا أحمد الجستانى ليشاورهما فى التقرير ويتعرّف منهما منازل الرجال واستدعى أبا بكر النقيب الذى كان مع أبى طاهر محمّد بن عبد الصمد ليعرف منه أحوالهم. وأنفذ إليه ياقوت من التمس وتقدّم إلى رجاله بالخروج للعرض. فلمّا حصلوا عند البريدى استصلح الرجال لنفسه وانتخب منهم من أراد ووعدهم أن يجريهم مجرى من معه بالأهواز فأجابوه وصاروا إلى عسكره وردّوا الأرذال إلى ياقوت بعد أن أسقط زياداتهم. فلمّا استتمّ العرض

---

١. بالجيش: كذا فى الأصل. وفى مط: بالمجلس. وهو خطأ.
٢. وسأل: كذا فى الأصل. وفى مط: سبيل.

وجد نصف الياقوتيّة قد انحازوا [520] عنه. فقيل لياقوت ذلك ووُبّخ وعُذّل فقال:

ـ «قد اجتمع لى بمقام من أقام بالأهواز خفّة المطالبة عنّى وحصولهم مع كاتبى وليس يصلح ابن البريدى لما أصلح له فأخافه وإن احتجت أو احتيج إلى حرب فالجماعة بالضرورة يعودون إلىّ وهم عُدّة لى عنده.»

وعاد رجال ياقوت إليه فقالوا له:

ـ «ما حصلنا من الغرض إلّا على أن خرج شطرنا وهيض جناحنا وضعفت شوكتنا فاكتب إلى البريدى أن يحمل ما قرره لنا.»

فكتب ياقوت بذلك فأجابه أبو عبد الله بأنّه يحتال ويحمل.

ثم زاد الإلحاح على ياقوت فخرج بنفسه إلى الأهواز فى ثلاثمائة رجل وقلّل العدّة لئلّا يستوحش البريدى وقدّر أنّه إلى كاتبه يمضى. فتلقاه أبو عبد الله البريدى بالسواد الأعظم وأخرج معه كلّ من بالاهواز من الجيش فلمّا رأى ياقوتاً ترجّل[1] له وانكبّ ياقوت عليه حتّى كاد ينزل عن دابّته ثمّ سار وأنزله داره وخدمه بنفسه وقام بين يديه إلى أن طعم وغسل يده فناوله الماورد[2] والمنديل وبخّره بيده فهو فى ذلك قبل أن يفاوضه، إذ ارتفعت ضجّة عظيمة وشغب الجند وقالوا:

ـ «إنّما وافى ياقوت إليه.»

فقال البريدى: [521]

ـ «أيّها الأمير الله الله اخرج وبادر وإلّا قُتلنا جميعاً.»

فخرج ياقوت من وقته خائفاً يترقّب من طريق يخالف طريق المشغّبين وعاد إلى عسكر مكرم كما بدأ منها.

---

١. فى مط: يدخل، بدل «ترجّل».
٢. الماورد: كذا فى الأصل. وفى مط: الماء ورد.

ثمّ ورد عليه كتاب البريدى بأنّ الرجال بالأهواز قد استوحشوا منه وأنّ الوجه أن يخرج إلى تُستر فإنّ بينها وبين الأهواز ستّة عشر فرسخاً. وعسكر مكرم فهى على ثمانية فراسخ وإذا نأت الدار زال الإستيحاش وسبّب له على عامل تستر بخمسين ألف دينار فخرج إليها. فقال له مونس ـوكان مونس هذا تربية ياقوت وثقته ـ:

ـ «أيّها الأمير، إنّ البريدى يحزّ مفاصلنا مفصلاً مفصلاً ويسخر منّا وأنت مغترّ به وقد حاز شطر رجالنا ووجوه قوّادنا إلى نفسه وضمن لنا اليسير من المقرّر وليس يطلق ذلك أيضاً ليستأمن إليه الباقون ثمّ يأتى على أنفسنا وقد اتّصلت كتب الحجريّة إليك بأنّه لم يبق لهم شيخ غيرك. فإمّا دخلت بغداد وجميع من بها يسلّم لك الرئاسة وأوّلهم محمّد بن رائق بالضرورة لسنّك وأنّك نظير أبيه، وإمّا خرجت إلى الأهواز حتّى تطرد البريدى عنها وتقيم أنت بها فإنّا وإن كانت عدّتنا يسيرة دون عدّته فهو كاتب ونحن فى خمسمائة [522] رجل وهو فى عشرة آلاف رجل وقد أحصيت من عندنا فوجدتهم نحو خمسة آلاف رجل وفيهم كفاية والعسكر بصاحبه وأنت أنت. وقد قال عدوّك علىّ ابن بويه: لو كان فى عسكر ياقوت مائة رجل مثله ما قاومته. فالله الله يا مولاى، لم تضيّع نفسك وتضيّعنا؟»

فقال: «سأنظر وأفكر.»

فخرج مونس مغضباً من عنده وركب فى ثلاثة آلاف رجل شاذّاً عن مولاه ياقوت ووافى عسكر مكرم يريد الأهواز وقال لنا:

ـ «لا أعصى مولاى، فإنّه اشترانى وربّانى واصطنعنى ولكنّى أفتح الأهواز وأسلّمها إليه.»

فما استقرّ بعسكر مكرم ثلاث ساعات من النهار حتّى ورد كتاب ياقوت على درك ـوكان والى الشرطة بعسكر مكرمـ يعرّفه أنّ مونساً غلامه خرج

بغير إذنه وشرح له صورته وسأله أن يجتمع معه ويخوّفه الله عزّ وجلّ ويحذّره كفر نعمته ويستوقفه إلى أن يلحق به. فعبر درك من شرقيّ عسكر مكرم إلى غربيّها ووعظ مونساً وعظاً كثيراً وخاطبه خطاباً بليغاً وكان درك شيخاً مقدّماً إلّا أنّ السنّ قد أخذت منه وحضر بحضوره أصحابه. فقال لمونس خادم كان معه مكيناً منه وكان معقّلاً:

ـ «يا مونس إنّ مولاك [523] قبض على ابنيه وهما تاجان ودرّتان فلم يستحلّ أن يعصى مولاه ولا يكفر نعمته[١] وسلّمهما ولم يحارب فيهما ولا طلب بهما أفانت تعصى مولاك فترسل يدك عن طاعته؟ أما تخاف العقوبة؟ وإن تخذل في هذه الحرب ويظفر بك فتخسر الدنيا والآخرة ولا سيّما وقد بذل أن يوافيك ويساعدك على ما تريده. انتظر ريث ورود كتابنا وورود جوابه.»

فأقام مونس لما أخذه العذل والتأنيب من درك وأصحابه ووافى ياقوت في اليوم الثاني واجتمع مع غلمانه. ووافى عسكر البريدي بأسره فنزلوا في صحراء خان طوق[٢] ومعهم غلام البريدي يرؤسهم ومعه القوّاد الكبار وأكبرهم أبو الفتح ابن أبي طاهر. ووقعت المنازلة بين ياقوت وأبي جعفر الجمّال وتثبّت ياقوت بعسكر مكرم عن المسير إلى الأهواز وتهيّب الصورة وقال لمونس:

ـ «السلطان لنا على النيّة التي عرفناها وكان منه إلى ابني[٣] ما لا يجوز أن يصلح لي أبداً وفارس فقد عرفت صورتنا بها ولا مذهب لنا في الدنيا ولا لنا موضع نأويه إلّا هذا البلد والحرب سجال وقد كثر عسكر الرجل فإن

١. والعبارة في مط: فلم تستحلّ أن تعصى مولاك ولا تكفر نعمته.
٢. خان طوق: كذا في الأصل، وفي مط: خان طوف.
٣. ابني: كذا في الأصل ومد. وفي مط: أمر. وفي العبارة غموض.

نحن حاربناه وانهزمنا كنّا بين الأسر والحمل إلى الحضرة وشُهرتُ بها وأركبت الفيل ثمّ يُظنّ أنّى كفرت [524] نعمة مولاى فيلعننى الناس وبين أن أقتل. والوجه المداراة والمقاربة لهذا الرجل وأن نعود إلى تستر ونصير منها إلى الجبل فإن استقام لنا بها أمر وإلّا لحقنا بخراسان.»

وشاع هذا الكلام فضعُفت نفوس أصحابه وطالت الأيّام فى منازلة عسكر البريدى فكان كلّ يوم يستأمن عدّة من أصحابه إلى البريدى فكان مونس يبكّر إليه فى كلّ يوم ويقول له:

- «يا مولاى مضى البارحة من أصحابنا ثلاثمائة أو أكثر أو أقلّ.»

فلا يزيده على أن يقول:

- «إلى كاتبنا يمضون وإذا كانت هذه نيّاتهم لنا فما الانتفاع بهم؟ ولأن يبقى معنا ألف رجل فنمضى بهم إلى حيث نقصد أصلح من جميع هذا اللفيف الذى هم كلّ فى الرخاء وأعداء يوم اللقاء وقد جرّبناهم بباب فارس وباب أرجان.»

فلم يزل كذلك حتّى بقى فى ثمانمائة رجل.

فلمّا علم البريدى أنّه قد استظهر الإستظهار التامّ راسله فى الموادعة بأبى القاسم التنوخى القاضى وقال:

- «إنّى لك على العهد والميثاق.»

وأنّه كاتبه وأنّ الإمارة لا تصلح له وأنّ البلوى والشقاء قد حلّا به وصارت مطالبة الرجال عليه وأنّه يلاقى الموت صباح مساء ويخاف على نفسه منهم وأنّه لا رغبة له فى ارتباطهم [525] وإنّما جرّ سببٌ سبباً حتّى اجتمعوا عنده وأنّه يصاهره حتّى يزداد ثقة به.

ووكّل القاضى فى تزويج ابنته من أبى العباس أحمد بن ياقوت فوافاه القاضى أبو القاسم التنوخى وأدّى إليه الرسالة وقبلها وانعقد الصهر ورحل

للوقت إلى تستر. ووافاه بعقب ذلك غلام للسلطان من الحجريّة ومعه المظفّر ابنه بكتاب إليه يذكر فيه أنّه قد وهب ابنه هذا له ومنّ به عليه. فالتقيا بتستر فأشار عليه ابنه المظفّر بالخروج إلى حضرة السلطان ليشكره على إنفاذه ويقيم بدير العاقول ويستأذنه فى الدخول. فإن أذن له فقد تمّ له ما يحبّ ووجد الحجريّة مسرعين إليه، وإن لم يأذن له تقلّد الموصل وديار ربيعة وخرج إليها، وإن مُنع من ذلك جعل مقصده الشام. فخالف ابنَه ولم يرتض رأيه وقال:

ـ «أنا أتأمّل ما ذكرته فأقم عندى لنتشاور.»

فاستعفاه من ذلك وسأله أن يأذن له فى المقام بعسكر مكرم فأذن له. فأطمع البريدى المظفّر فى أن يجعله اسفهسلار عسكره وأن يتدبّر بتدبيره حتّى فارق أباه واستأمن إليه فحصل فى بستانه المشهور [526] بالأهواز وأحاط بالبستان من يراعيه ويحفظه من حيث لا يعلم.

ولمّا استوثق البريدى لنفسه واستظهر، تخوّف من الياقوتيّة الذين عنده وأن يراسلوه بلون من الألوان المنكرة من التدبير عليه أو أن يتداخلهم التعصّب له فيشغبوا عليه ويدعوا بشعار ياقوت.

وكتب إلى ياقوت بأنّ السلطان قد أمره بالخروج عن تستر إلى الحضرة فى خمسة عشر غلاماً أو النفوذ إلى الجبل متقلّداً لها وبأن يقصده إلى تستر ويخرجه منها قهراً فتحيّر ودعا مونساً غلامه فقال له:

ـ «أيّ شيء ترى؟»

فقال له:

ـ «الآن وقد مضى ما مضى والله لا صحبك إلى الحضرة ولا إلى الجبل أحد ممّن معك ولا لهم نفقات تنهضم. فإن أردت أن تمضى فى عشرين غلاماً إلى السلطان فذاك إليك.»

فأجاب البريدى عن كتابه بأنّه يروى ويذكر له ما عنده بعد أن استمهله شهراً ليتأهّب للسفر الذى يقصده. فعاد إليه من جواسيسه واحد كذبه فأخبره بأنّ الجيش وافى عسكر مكرم ونزلوا الدور وانبسطوا فى المدينة فأحضر غلامه مونساً وقال له:

- «ظفرنا والحمد لله بعدوّنا وكافر نعمتنا فنسير من تستر وقت عتمة ونصبّح عسكر [527] مكرم والقوم غارّون فى الدور فنكبسهم ونشرّدهم ونمتدّ إلى الأهواز فلا يثبت لنا البريدى بل يكون همّه الهرب لوجهه.»

فقال مونس:

- «أرجو أن يكون هذا صواباً.»

وسار ياقوت ووصل إلى عسكر مكرم وقد بدأت الشمس من مطلعها وامتدّ مشتقّاً للبلد[١] إلى ناعورة السبيل ونهر جارود فلم ير لرجال البريدى أثراً فخيّم ونزل عند النهر ومضى يومه إلى آخره وهو متعجّب من الغرور الذى غرّه جاسوسه.

فلمّا كان وقت العصر ظهرت الطلائع ثمّ أقبل العسكر وأميرهم أبو جعفر الجمّال فنزل على فرسخ من ياقوت وحجز الليل بين العسكرين وأصبح فكانت بينهم مناوشة ومبارزة واتّعدوا للحرب فى اليوم الذى يليه لأنّ عسكر البريدى كان منتظراً عسكراً قد سيّره البريدى على طريق دجيل ليدخل من ضفّته كميناً على ياقوت حتّى يصير وراءه. ثمّ أصبحوا فى اليوم الثالث من ورود ياقوت عسكر مكرم فابتدأت الحرب منذ وقت طلوع الشمس إلى وقت الظهر وثبت ياقوت ومعه ممّن نصره مثل مونس وآذريون ومشرق وغيرهم فى دون ألف رجل. فأعيا من بإزائه من أبى جعفر الجمال وغيره

---

١. للبلد: كذا فى مط. وفى الكلمة غموض فى الأصل وهى إلى كونها «للبلد» أقرب منها إلى كونها «المبار» المقروءة فى مد.

على كثرة عددهم حتّى [528] كادت البريديّة تنهزم.

وجاءت[١] الظهر وقد بلغت القلوب الحناجر فطلع الكمين وهم ثلاثة آلاف رجل جامّين[٢]. فأبلس ياقوت وقال:

ـ «لا حول ولا قوّة إلّا بالله العلىّ العظيم.»

وأومأ مونس أن يقصدهم ويكفيه إيّاهم فعدل مونس مع ثلاثمائة رجل إليهم وبقى ياقوت فى خمسمائة رجل فما مضت ساعة حتّى وافى منهزماً فرمى ياقوت نفسه من دابّته ونزع سلاحه وما عليه من ثيابه حتّى بقى بسراويل وقميص سينيزىّ. ثمّ أوى إلى رباط يُعرف برباط الحسين بن دبار فاستند إليه ولو دخل الرباط واستتر فيه لَانْسَتَرَ أمرُه ولَجَنَّهُ الليلُ ولجاز أن يسلم.

فجلس بحيث ذكرتُ وهو بقرب ناعورة السبيل وغطّى وجهه ومدّ يده يسأل ليقدّر فيه أنّه من أرباب النعم افتقر وهو يطلب هديّة[٣] فركب إليه قوم من البربر ورأوه بهذه الصورة فطلبوه بكشف وجهه فامتنع وأومأ إليه أحدهم بمزراق فقال:

ـ «أنا ياقوت احملونى إلى البريدى.»

فاجتمعوا عليه وحزّوا رأسه وانهزم مونس ومشرق وآذريون إلى تستر واتّبعهم الأعراب والبربر فأسروهم وردّوهم. وأطلق أبو جعفر الجمال طائراً بالخبر إلى البريدى يستأذن [529] فى رأس ياقوت. فردّ إليه فى الجواب مع غلام يركض بأن يجمع الرأس والجثّة ويدفن الجميع فى الموضع الذى قُتل فيه.

---

١. وجاءت: كذا فى الأصل ومط.

٢. كذا فى الأصل: جامّين. وفى مط: حامين.

٣. فى مط: صدقة، بدل «هديّة».

طغيان البريدى بعد مقتل ياقوت

وقبض البريدى على المظفّر ابنه مدّة ثمّ أنفذه إلى الحضرة.

وطغى البريدى بعد ذلك وشهّر نفسه بالعصيان وقد كانت نفسه ضعيفة فيما ارتكبه من أمر ياقوت فقوّاها أخوه أبو يوسف حتّى جهّز إليه العساكر وقتله.

فحكى أبو زكريا يحيى بن سعيد السوسى أنّه سمع أبا يوسف البريدى يخاطب أبا عبد الله أخاه فقال أبو عبد الله:

ـ «يا أخى أخاف أن تتعصّب الحجريّة علينا فيقتلونا إن دخلنا الحضرة يوماً وفى العاجل لست آمن على أخى أبى الحسين وهو بالحضرة أن يقتل بثأره.»

فقال أبو يوسف:

ـ «أمّا أبو الحسين فنحن نكتب إليه بالخبر حتّى يأخذ لنفسه ويستظهر، وأمّا الحجريّة ودخولنا الحضرة، بعد أن وُسمنا بمصادرة اثنى عشر ألف ألف درهم، فهيهات من ذلك. أبعد تخلّصنا من القاهر ومن الخصيبى الملعون وسلامة أرواحنا نحدّث أنفسنا بدخول الحضرة؟ بلى ستهدم منازلنا وإلى لعنة الله، ما نعود إلى الحضرة فنحتاج إليها وقد أدبرت[1]. ودع يا أبا عبد الله ما اعتددت فإنك لا ترى مثله مع خلوقة الزمان [530] وإدبار الملك وفقر الخلافة. وقد كنّا نتكسّب من السلطان وهو اليوم مثلنا نحن بل نحن مكسب له يريد أن يجتاحنا ويأخذ مالنا ومتى لم نعتصم بهذه العساكر المجتمعة ونُخرج ياقوتاً منها سقطنا ثمّ يطول علينا أن نجد من أيّامنا يوماً. ووالله ما أشرت عليك بما نسمع إلّا بعد أن استعددت له ما يعيننى عليه وقد واقفتك

---

١. وقد أدبرت: كذا فى الأصل مع غموض فيه. وفى مد: وقد دبُرت. وفى مط: وقد ارتدّت.

على هذا سرّاً وجهراً وأبو زكريا ممّن لا نحتشمه.»

قال أبو زكريا: وإنّما أومأ أبو يوسف بهذا القول إلى مال السوس وجنديسابور فإنّ أبا عبد الله كان أجمّه عنده استظهاراً وأناخ فى النفقات وأرزاق الأولياء وما كان يعلّل به السلطان على أموال كور الأهواز الباقية. وكان يجتذب القطعة فالقطعة منها ويجعل ذلك وراءه ولم يكن له نفقة ولا بذخ حينئذ.

وما وهب قطّ لطارق ولا شاعر ولا ولد نعمة شيئاً وكان عارفاً بورود الأموال وخرجها وجميعها تجرى على يده فإن شذّ منها شيء عنه إلى إسرائيل بن صلح وسهل بن نظير الجهبذين لم يخف عليه مبلغه.

قال: واستخرج أبو عبد الله وأخوه أبو يوسف من كور الأهواز بعد تقليد الراضى إيّاهما لسنى اثنتين وثلاث [531] وأربع وعشرين وثلاثمائة وإلى شعبان من سنة خمس ـ فإن بحكم هزمهم وأخرجهم عنها فى هذا الشهر ـ ثمانية آلاف ألف دينار وجميع ما خرج عنها فى جميع وجوه النفقات دون أربعة آلاف ألف دينار حاصلة.

وسمعت يعقوب الصيرفى اليهودى يقول: سمعت أبا عبد الله يقول:

ـ «نمضى إلى البصرة فإن تمّ لنا بها أمر فقد كُفينا وإن حزبنا أمر[1] لا نطيقه قصدنا عُمان واستجرنا بصاحبها ـ يعنى يوسف بن وجيه ـ فإنّه حرّ ودبّرنا أمرنا فإمّا أن عبرنا إلى فارس واستجرنا بعلىّ بن بويه فإنّ دولة الديلم قوية والحضرة مدبّرة، وإمّا أن عبرنا إلى التيز ومكران وقصدنا صاحب خراسان. فالطريق إليها جدد.»

---

١. حَزَبَهُ غمٌ أو خطب: أصابه واشتدّ عليه.

عود إلى ذكر أخبار الحضرة
وتدبير الوزراء لها

وعدنا إلى ذكر أخبار الحضرة وتدبير الوزراء لها. كان الوزير غير ناهض بالوزارة وما زالت الإضاقة تزيد ومن في يده مال من المعاملين يطمع[١] وقطع ابن رائق الحمل من واسط والبصرة والبريديون من الأهواز وعليّ ابن بويه قد تغلّب على فارس وابن الياس على كرمان فتحيّر أبو جعفر الكرخي واعتدت المطالبات عليه وانقطعت الموادّ عنه ونقصت هيبته فاستتر بعد ثلاثة أشهر [532] ونصف من وقت تقلّده. ووجد في خزانته سفاتج لم تُفضّ[٢] وما يجري هذا المجرى من العجز وقلّة النفاذ في العمل.

وزارة سليمان بن يحيى

ولمّا استتر الكرخي استحضر الراضي سليمان بن الحسن أبا القاسم فقلّده الوزارة والدواوين. فكان في التحيّر وانقطاع المواد عنه على مثل حال الكرخي فدفعت الضرورة الراضي بالله إلى أن راسل أبا بكر محمّد بن رائق وهو بواسط وأذكره بما ضمن من القيام بالنفقات وإزاحة علّة الجيش والحشم ومسألته عمّا عنده من المقام على ذلك أو الإنصراف عنه. فتلقّى أبو بكر محمّد بن رائق الرسول بالجميل ووصله بألف دينار وأجاب عن الكتاب بأنّه مقيم على ما ضمنه.

---

١. يطمع: كذا في الأصل. وفي مط: فطمع.

٢. سفاتج لم تُفضّ: كذا في الأصل. وفي مط: سفايج لم يفص. وهو خطأ.

ذكر استيلاء ابن رائق على الخلافة
وسائر الممالك

فأنفذ إليه الراضى ماكرد الديلمى من الساجيّة وعرّفه أنّه قلّده الإمارة ورئاسة الجيش وجعله أمير الأمراء وردّ إليه تدبير أعمال الخراج والضياع وأعمال المعاون فى جميع النواحى وفوّض إليه تدبير المملكة وأمر بأن يخطب له على جميع المنابر فى الممالك وبأن يُكنّى. وأنفذ إليه الخلع واللواء مع ماكرد الديلمى وخادم من خدم السلطان وانحدر [533] إليه أصحاب الدواوين كلّهم وجميع قوّاد الساجيّة والحسن بن هارون. فلمّا حصلوا بواسط قبض على الساجيّة وعلى الحسن بن هارون قبل أن يصلوا إليه وحُبس الساجيّة ونُهبت رحالاتهم وقيل للحجريّة:

ـ «إنّما فعلنا ذلك بالساجيّة لتتوفّر أموالكم.»

وورد الخبر بذلك إلى بغداد وكان قد بقى من الساجيّة ببغداد خلق فخرجوا إلى الموصل وإلى الشام. واستوحش الحجريّة ببغداد لما جرى على الساجيّة بواسط فقصدوا دار السلطان وأحدقوا بها وضربوا خيمهم حولها ووجّه ابن رائق بمونس الأفلحى وبارس الحاجب إلى بغداد فضربوا خيمهم فى باب الشمّاسيّة وقلّد لؤلؤ الشرطة ببغداد. ثمّ أصعد محمّد بن رائق من واسط يوم الجمعة لعشر بقين من ذى الحجة ومعه بجكم. فرُتّب محمّد بن رائق فوق الوزير وخُلع عليه وركب إلى مضربه فى الحلبة وحمل إليه من دار السلطان الطعام والشراب والفواكه عدّة أيّام وخدمه فى ذلك خدم السلطان.

واجتمع إليه الغلمان الحجريّة وسلّموا عليه وأمرهم بقلع خيمهم من دار السلطان والانصراف إلى منازلهم ففعلوا.

وبطل منذ [534] يومئذ أمر الوزارة فلم يكن الوزير ينظر في شيء من أمر النواحي ولا الدواوين ولا الأعمال ولا كان له غير اسم الوزارة فقط وأن يحضر في أيّام المواكب. وصار ابن رائق وكاتبه ينظران في الأمر كلّه وكذلك كلّ من تقلّد الإمارة[١] بعد ابن رائق إلى هذه الغاية وصارت أموال النواحي تحمل إلى خزائن الأمراء فيأمرون وينهون فيها وينفقون كما يرون ويطلقون لنفقات السلطان ما يريدون وبطلت بيوت الأموال.

وفي هذه السنة ملك ابن الياس كرمان وصفت له بعد حروب جرت له مع جيش خراسان.

إفضاء أمر أحمد بن بويه إلى ملك العراق

وفي هذه السنة جرت الحادثة على أبي الحسين أحمد بن بويه وأصيب بيده ووقع بين القتلى ثمّ تخلّص وأفضى أمره إلى ملك العراق.

ذكر السبب في ذلك

لمّا تمكّن عليّ بن بويه بفارس وتمكّن أخوه الحسن بن بويه بإصبهان نظر في أمر أخيه الأصغر أبي الحسين أحمد بن بويه فتقرّر الأمر بينهما مكاتبةً ومراسلةً على أن يتوجّه إلى كرمان فضمّ إليه عليّ بن بويه عسكراً [535] فيه من كبار الديلم ومذكوريها ألف وخمسمائة رجل ونحو خمسمائة رجل من الأتراك ومن يجري مجراهم.

وكان يكتب لأبي الحسين في ذلك الوقت رجل يُعرف بأبي الحسين أحمد بن محمّد الرازي وكان ممتعاً بإحدى عينيه ويُعرف بكُورْدَفِير[٢] ولم تكن له

---

١. في مط: الأمان، بدل «الأمارة».

٢. كور، أي الأعمى. دفير (=دبير) أي الكاتب، في اللغة الفارسيّة. أي الكاتب الأعمى. وذلك

صناعة ولكنّه كان واسع الصدر شجاعاً. فورد السيرجان واستخرج منها مالاً وأنفقه فى عسكره وكان إبراهيم بن سمجور الدواتى من قبل صاحب خراسان محاصراً لمحمّد بن الياس بن اليسع الصغدى. فلمّا بلغ ابن سمجور خبر الديلم رجع إلى خراسان ونفّس عن خناق محمّد بن الياس فتخلّص وانتهز الفرصة وخرج عن القلعة التى كان فيها إلى مدينة بم وهى على مفازة تتصل بسجستان. فسار أحمد بن بويه إليه فرحل إلى سجستان من غير حرب فانصرف من هناك وتوجّه إلى جيرفت ـ وهى قصبة كرمان ـ واستخلف على بم بعض قوّاده. فلمّا أشرف على جيرفت[١] تلقّاه رسول علىّ بن الزنجى وكان رئيس القُفص[٢] والبلوص وهو المعروف بعلىّ بن كُلُويَهْ[٣]. وكان هو وأسلافه متغلبين على تلك الأعمال إلّا أنّهم يجاملون كلّ سلطان يرد عليهم ويذعنون له ويحملون إليه مالاً [536] معلوماً ولا يطؤون بساطه. فبذل لأحمد بن بويه ذلك المال على الرسم. فأجابه بأنّ الأمر فى هذا إلى أخيه علىّ بن بويه وأنّه لا بدّ له من دخول جيرفت. فإذا دخلها كاتبه وراسله فى ذلك وأمره أن يبعد عن البلد. فاستجاب ورحل إلى نحو عشرة فراسخ من البلد فى موضع وعر صعب المسلك.

وتردّدت المراسلات بينهما إلى أن تقرّر الأمر بينهما على أن يُنفذ إليه رهينته ففعل وقاطعه عن البلد على ألف ألف درهم يحملها فى كلّ سنة وحمل فى الوقت مائة ألف درهم منسوبة إلى الهدية وغير محسوبة من مال

←

حسب التفسير الوارد فى النصّ.

١. فى مط: حتروت. وهو تصحيف.

٢. فى مط: القصص، بدل «القفص».

٣. فى الأصل ومط: بعلى كلويه (دون «بن») فى هذا الموضع فقط.

المقاطعة، وأقام له الخطبة. ثمّ حمل شيئاً من مال التعجيل وسلك سبيل الوفاء معه. فأشار كوردفير الكاتب على أحمد ابن بويه بأن يسرى إليه ناقضاً ما بينهما من العهود فإنّه سيجده غير متحرّز وأصحابه غارّين لسكونهم إلى وقوع الإتفاق وزوال الخلاف فيفوز بأموالهم وذخائرهم ويستولى على ديارهم ويتمّ له ما لا يتمّ لأحد قبله.

ذكر ما كان من عاقبة هذا الغدر والنكث

أصغى أبو الحسين أحمد بن بويه إلى كاتبه ووقع بوفاقه[١] لحداثة سنّه واغتراره [537] فحمل نفسه على مفارقة ما يجب عليه فى الدين والمروءة وجمع صناديد عسكره وخلّف سواده وما يجرى مجراه وأسرى للوقت إلى القوم وذلك عند صلاة العصر ليصبّحهم بياتاً.

وكان علىّ بن كلويه متيقّظاً قد وضع عيونه عليه فسبق إليه الخبر فجمع أصحابه ورتّبهم على مضيق بين جبلين كان الطريق فيه. فلمّا توسّط أبو الحسين فى الليل مع أصحابه ثاروا به من جميع الجوانب فقتلوا وأسروا رجال العسكر فلم يفلت منهم إلّا اليسير. ووقعت بأبى الحسين أحمد بن بويه ضربات كثيرة كانت ظاهرة فيه وطاحت يده اليسرى وبعض أصابع يده اليمنى وأثخن بالضرب فى رأسه وسائر جسده وسقط بين القتلى. وورد الخبر بذلك إلى جيرفت فهرب كاتبه كوردفير ومن تأخّر من أصحابه.

ولمّا أصبح علىّ بن كلويه أمر بتتبّع القتلى والتماس أحمد بن بويه فوجدوه حيّاً. إلّا أنّه قد أشفى على التلف. فحُمل إلى جيرفت وأقبل علىّ بن كلويه على علاجه وخدمته وبلغ فى ذلك كلّ مبلغ واعتذر إليه وأظهر الغمّ

١. بوفاقه: كذا فى الأصل. وفى مط: بوفائه.

بما أصابه. واتّصل الخبر بعليّ بن بويه فاشتدّ غمّه وقبض على كوردفير وأنفذ مكانه [538] أبا العبّاس وخُطلُخ حاجبه فى ألفى رجل ليجمعا ما بقى من سواد معزّ الدولة ـأعنى أحمد بن بويهـ بالسيرجان ويضمّا من بقى من فلّ العسكر.

وأنفذ عليّ بن كلويه رسله وكتبه إلى عليّ بن بويه بالإعتذار ممّا جرى ويوضّح له الصورة ويبذل من نفسه الطاعة ويذكر أنّه ما فارقها ولا خرج عنها. فأنفذ إليه عليّ بن بويه قاضى شيراز وأبا العبّاس الحنّاط وأبا الفضل العبّاس بن فسانجس وجماعة من الوجوه وأجابه بالجميل وبسط عذره وأمضى ما كان قرّره وردّ رهينته وجدّد له عهداً وعقداً. فحينئذ أطلق عليّ ابن كلويه أبا الحسين أحمد بن بويه وأطلق معه اسفهدوست وسائر من كان أسيراً فى يده بعد أن أجمل معاملتهم وخلع عليهم وحمل إليهم آلات وألطافاً. فلمّا وصل أحمد بن بويه إلى السيرجان وجد كاتبه مقبوضاً عليه وقد جرى عليه مكاره عظيمة أشرف منها على التلف فاستنقذه ونصره وبرّأه من الذنب وشفع إلى أخيه فيه فشفّعه وأطلقه.

وتأدّى إلى أبى عليّ ابن الياس ما جرى على أبى الحسين وطمع فيه وسار من سجستان حتّى نزل البلد المعروف بخُناب فتوجّه إليه أبو الحسين [539] واشتدّت الحرب بينهما أيّاماً، إلّا انّ عاقبة الأمر كانت لأبى الحسين. فانهزم ابن الياس وعاد أبو الحسين ظافراً وتتبعت نفسه التشفى من عليّ بن كلويه وطلب الثأر عنده. فتوجّه إليه واستعدّ عليّ بن كلويه واحتشد ثمّ سار إليه فلمّا صار بين العسكرين نحو من فرسخين نزل وعملوا على مباكرة الحرب فأسرى عليّ بن كلويه فى جماعة من أصحابه وهم قوم رجّالة قادرون على العدو والمصابرة فيه فوقع على عسكر أبى الحسين ليلاً.

واتفق أن تغيّمت السماء بمطرٍ جَودٍ واختلط الناس فلم يتعارفوا

إلّاباللعنات[١]. فأثّروا في عسكر أبي الحسين وقتلوا ونهبوا وانصرفوا وبات عسكر أبي الحسين بقية ليلتهم يتحارسون. فلمّا أصبحوا ساروا إلى القوم فأوقعوا بهم وقتلوا منهم عدّة وانهزم عليّ بن كلويه ورجع أبو الحسين وقد نقعَ بعض غلّته إلّا أنّ في صدره بعدُ حزازات.

وكتب إلى أخيه عليّ بن بويه بالبشارة والظفر بابن الياس وانهزامه وبعليّ ابن كلويه وهربه. فورد عليه الجواب بأن يقف حيث انتهى ولا يتجاوزه. وأنفذ إليه المرزبان بن خُسْره الجيلي أحد قوّاده الكبار ليبادر به إلى حضرته ويمنعه [540] التلوّم والمراجعة وكاتب سائر القوّاد بمثل ذلك. فرجع إلى حضرته كارهاً لأنّه ما كان بلغ ما في نفسه من عليّ بن كلويه وأصحابه. فلمّا وصل إلى اصطخر أقام.

ذكر ما اتّفق له من الخروج إلى بلدان العراق حتّى ملكها

واتفق أنّ أبا عبد الله البريدي وافى فارس في البحر لاجئاً إلى عليّ بن بويه وذلك أنّ محمّد بن رائق وبجكم استظهرا عليه في عدّة حروب وانتزعا الأهواز من يده وأشرفا على انتزاع البصرة منه. فخلّف أخاه أبا يوسف وأبا الحسين عليّ بن محمّد بها. فلمّا ورد حضرة عليّ بن بويه مستصرخاً به أكرمه وأحسن ضيافته وبذل له أبو عبد الله ـ إذا ضمّ إليه الرجال ـ أن يمكّنه من أعمال العراق ويصحّح له أموالاً عظيمة من الأهواز ويسلّم إليه ولدين له رهينة.

واستقدم عليّ بن بويه أخاه أبا الحسين من اصطخر فلمّا قرُب منه تلقّاه

١. في مد ومط: باللغات. وما في الأصل يحتمل أن يكون «باللعنات».

فى جميع عسكره وقرّبه ورتّبه فوق ما كان فى نفسه تسلية له عن مصيبته ثمّ أنهضه مع أبى عبد الله البريدى فى عسكر قوىّ وعُدّة تامّة وسار واتّصل خبره بمحمّد بن رائق وبجكم. فأمّا بجكم فإنّه عاد إلى الأهواز وكان مع ابن رائق بعسكر أبى جعفر [541] محاصرين البصرة وأراد أن يمنع الديلم من تورّد الأهواز. وأمّا ابن رائق فعاد إلى واسط والتقى عسكر بجكم وعسكر أبى الحسين بالقرب من رامهرمز وانحاز بجكم إلى عسكر مكرم بعد حروب سنذكرها إن شاء الله فى سنة ستّ وعشرين.

ودخلت سنة خمس وعشرين وثلاثمائة

وفيها أشار أبو بكر محمّد بن رائق على الراضى بالله أن ينحدر معه إلى واسط ليقرب من الأهواز ويراسل البريدى فإن انقاد إلى ما يُراد منه وإلّا...[1] عليه قصده. فاستجاب الراضى إلى ذلك وانحدر يوم السبت غرّة المحرّم واضطربت الحجريّة وقالوا:

ـ «هذه تُعمل علينا ليُعمل بنا ما عمل بالساجيّة ونحن نقيم ببغداد.»

فلم يلتفت ابن رائق إليهم وانحدر بعضهم وتأخّر أكثرهم ثمّ انحدر الجميع. فلمّا صاروا بواسط عرضهم ابن رائق وبدأ بخلفاء الحجّاب وكانوا نحو خمسمائة حاجب فاقتصر منهم على ستين وأسقط الباقين ونقص أرزاق[2] من أقرّ منهم وأخذ يعرض الحجريّة ويسقط منهم الدخلاء والبدلاء والنساء والتجّار ومن لجأ إليهم فاضطربوا من ذلك ولم يستجيبوا إليه. ثمّ استجابوا وعرضهم وأسقط منهم عدداً كثيراً ثمّ اضطربوا [542] وحملوا السلاح

---

١. هنا كلمة شبه مشطوبة لا تقرأ. فى مط: منه والا «قرب» عليه. وغُيّرت العبارة فى مد تصحيحاً هكذا: منه، وإن مرق عليه.

٢. أرزاق: كذا فى الأصل ومط. وفى مد: ابن رائق، بدل «أرزاق» وهو تصحيف لما فى الأصل ومط.

فحاربهم ابن رائق يوم الثلاثاء لخمس بقين من المحرّم حرباً عظيمة فكانت على الحجريّة فقتل بعضهم وأسر بعضهم وانهزم الباقون إلى بغداد. فركب لؤلؤ صاحب الشرطة ببغداد وأوقع بالمنهزمين واستتروا فنهبت دورهم وأحرق بعضها وقُبضت أملاكهم.

فلمّا فرغ ابن رائق من حرب الحجريّة وقهرهم[١] تقدّم بقتل من كان اعتقلهم من الساجيّة فقُتلوا سوى صافي الخازن والحسن بن هارون. فلمّا فرغ من الساجيّة والحجريّة عمل الراضي بالله وأبو بكر بن رائق على الشخوص إلى الأهواز ودفع البريدي عنها وأُخرجت المضارب إلى باذبين[٢] وبلغ البريدي ذلك فقلق قلقاً شديداً وأنفذ إليه أبو جعفر ابن شيرزاد وأبو محمّد الحسن بن إسماعيل الإسكافي برسالة من الراضي بالله ومن ابن رائق يعرّفان أنّه قد أخّر الأموال واستبدّ بها وأفسد الجيوش وحسّن لها المروق وأنّه ليس بطالبيّ يسارع على الملك ولا بجنديّ فيبتغي الإمارة ولا من حملة السلاح فيؤهّل لفتح البلاد المتعلقة وأنّه كان كاتباً صغيراً فرفع بعد خمول وعاملاً من أوسط العمّال فاصطُنع وأهّل لجليل [543] الأعمال فطغى وكفر النعمة وجازى عن الإحسان بالسوء وخلع الطاعة وأنّه إن سلّم الجند وحمل المال أُقرّ على العمالة وإلّا قُصد وعومل بما يستحقّ.

فوافياه وأخبراه بما تحمّلاه ونصحا له فعقد على نفسه كور الأهواز بثلثمائة وستين ألف دينار يحمل منها في كلّ شهر من شهور الأهلّة ثلاثين ألف دينار وأن يسلّم الجيش ممّن يؤمر بتسليمه إليه ممّن يؤمّر عليهم ليخرج بهم إلى فارس للحرب إذ كانوا كارهين للعود إلى الحضرة لضيق الأموال بها

---

١. قهرهم: كذا في الأصل. وفي مط: هزمهم.

٢. باذبين: ما في الأصل مهمل في الأوّل. في مط: بارس. وفي مد: باذبين. وباذَبين قرية كبيرة كالبلدة تحت واسط على ضفّة دجلة (مراصد الاطلاع).

ولاختلاف كلمة الأولياء فيها ولأنّهم لا يأمنون الأتراك والقرامطة.

وكاتبا ابن رائق بذلك فعرضه على الراضي بالله وشاور فيه الحسين بن عليّ النوبختي فأشار بألّا يقبل منه ذلك وأن يتمّم ما شُرع فيه من قصده ما دام قلبه قد نخب وأن يُخرج الأهواز من يده ولا يقارّ بها. وأشار أبو بكر ابن مقاتل بقبول ما بذله وإقراره في ولايته. فمال ابن رائق إلى الهوينا وقبل رأى ابن مقاتل وكان الرأى الصحيح مع النوبختي وكتب إلى ابن شيرزاد وابن إسماعيل وأذن لهما في العقد والإشهار[1] ففعلا وانصرفا.

فأمّا المال فما حمل منه دينار [544] واحد. وأمّا الجيش فإنّه أنفذ جعفر بن ورقاء لتسلّمه والنهوض إلى فارس به فوافى جعفر بن ورقاء الأهواز وتلقّاه أبو عبد الله البريدى في الجيش كلّه كوكبة بعد كوكبة حتّى ملأ الأرض بهم واسودّت منهم حافّين بأبى عبد الله حوله فورد على جعفر بن ورقاء ما حيّره.

ثمّ أُنفذت الخلع السلطانيّة إلى أبى عبد الله البريدى بالولاية وعمالة الأهواز فلبسها في جامع الأهواز وانصرف إلى داره فمشى العسكر قوّادهم وفرسانهم وصميمهم وعبيدهم ورجالتهم بخفافهم ورايـاتهم وأسلحتهم بين يديه. فيئس جعفر بن ورقاء وكان راكباً معه وانخزل وسقطت نفسه. فلمّا بلغ داره احتبسه واحتبس القوّاد معه والناس، وكان يوماً عظيماً.

ثمّ أقام جعفر بن ورقاء أيّاماً فدسّ عليه البريدى الرجال فشغبوا وطالبوه بمال يفرّق فيهم رزقة تامّة للنهوض. فاستتر واستجار بالبريدى فأخرجه وعاد إلى الحضرة.

وعُنى ابن رائق بأبى الحسين البريدى قبل هذه الحال حتّى انحدر من

---

١. ويمكن أيضاً أن يُقرأ ما في النسختين: الإشهاد. وقرئ في مد: الإشهار، كما أثبتناه.

بغداد ولحق بأخويه. ولمّا تقرّر أمر البريدى أصعد الراضى بالله وابن رائق إلى بغداد. ودخل أبو عبد الله الحسين بن علىّ كاتب الأمير ابن رائق بغداد. [545]

ذكر حيلة أبى بكر ابن مقاتل على الحسين بن علىّ النوبختى حتّى عزله عن كتابة ابن رائق

وكان أبو بكر محمّد بن مقاتل متمكّناً من ابن رائق التمكّن المشهور منحرفاً عن الحسين بن علىّ النوبختى بعد المودّة الوكيدة. وكان هو أوصله إلى ابن رائق وأدخله فى كتابته فلهذا ولأنّ الحسين بن علىّ فوقه ومتفرّد بابن رائق -وهو المدبّر للملك والذى بنى لابن رائق تلك الرتبة العظيمة والذى ساق إليه تلك النعمة وجمع له تلك الأموال التى كان مستظهراً بها من ضمان واسط والبصرة- أشار على ابن رائق أن يعتضد بأبى عبد الله البريدى وأن يستكتبه ليتفق الكلمة ويجتمع جيش الأهواز إلى جيشه وقال له:

- «أيّها الأمير لك فى ذلك جمال عظيم لأنّه اليوم كالنظير لك فإذا تواضع وصار تابعاً جاز حكمك عليه وسيُقال لك: إنّ البريدى غدر بالسلطان وبياقوت فكيف تثق به؟ فالجواب عن هذا أنّه ليس يجمعكما أرض فتتمّ حيلته عليك كما تمّت على ياقوت وأنت غير قادر عليه إلّا بحرب وقد يجوز أن تظفر به أو[1] يظهر هو. فإذا كنّا قد انتهينا إلى هذه الحال معه فحطّه من الإمارة إلى الكتابة وتصييره تابعاً ثمّ جذب رجاله [546] وجيشه بالخدعة أو إنفاذه مع بجكم ليفتح لنا فارس وإصبهان أولى من دفعه عمّا

١. ويمكن أن يقرأ «لو» كما قرأه فى مد. لأنّ الكاتب وصل بين الألف والواو، شأنه فى مثل هذه المواضع. ويؤيّد قراءتنا ما فى مط: أو.

سأل وإيحاشه فيحتاط لنفسه ويخبّب الرجال وقد حمل إلى الأمير مع هذا ثلاثين ألف دينار هدية هى فى منزلى.»

وقال له ابن رائق:

ـ «ما كنت لأصرف الحسين بن علىّ مع نصحه لى وتبرّكى به ولو فتح لى فارس وإصبهان وساقهما إلىّ خصوصاً وأهداهما لى دون غيرى.»

قال: «أيّها الأمير فإن كرهت هذا فضمّنه واسطاً والبصرة.»

فقال: «هذا لفعلته إن أشار به أبو عبد الله الحسين بن علىّ.»

قال: «فتكتمه أيّها الأمير خوضنا فى الكتابة ولا تذكرها.»

وحضر أبو عبد الله الحسين بن علىّ بعد ذلك وعرض عليه هذا الرأى فضجّ منه وعدّد مساوئ البريدى وغدره وكفره الصنائع منذ ابتداء أمرهم وإلى أن كاشفوا بالعصيان، وأعاد حديث ياقوت. ثمّ التفت إلى ابن مقاتل فقال:

ـ «ما قضيتَ حقّ هذا الأمير ولا نصحته.»

ثمّ قال:

ـ «أنا عليل أيّها الأمير، فإن عشت وأنا معك فهيهات أن يتمّ عليك وإن مضى فىّ حكم الله فنشدتك[1] الله أن تأنس بالبريدى أو تسكن إليه بشىء من أصناف حيله.»

فدمعت عين ابن رائق وقال:

ـ «بل يحييك الله [547] ويُهلكه.»

وكان الحسين ابن علىّ عليلاً من حمّى وسعال. ثمّ انصرف الحسين بن علىّ وابن مقاتل مغضب. فقال لابن رائق:

---

١. فى مط: فسدل الله، بدل «فنشدتك الله».

ـ «قد حمل الرجل إليك ثلاثين ألف دينار ولا بدّ من أن تعمل به جميلاً. فاقبل أحمد بن عليّ الكوفى خليفة لنا بحضرتك ونائباً عنه إلى أن ترى رأيك.»

فقال: «أمّا هذا فنعم.»

وكتب ابن مقاتل إلى البريدى بما جرى وأنفذ أحمد بن عليّ الكوفى ووافى حضرة أبى بكر محمّد بن رائق بمدينة السلام واختلط به نيابة عن أبى عبد الله البريدى وثقل الحسين بن عليّ النوبختى فتأخّر عن الخدمة أيّاماً. وكان له ابن أخ قد صاهره فهو يخلّفه فى مجلس ابن رائق ويوقّع عنه. فقال ابو بكر ابن مقاتل للأمير ابن رائق:

ـ «حسن العهد من الإيمان وهو من الأمير أحسن لأنّه عائد بالسلامة عليّ ولكن إضاعة الأمور ليس من الحزم والحسين بن عليّ ميّت فانظر لنفسك فإنّ الأمور قد اختلّت.»

فقال: «يا هذا، الساعة والله سألت سنان بن ثابت عنه فقال: قد صلح وخفّ النفث وأنّه أكل الدرّاج.»

فقال: «سنان رجل عاقل ولا يحبّ أن يلقاك فيمن تُعزّ بما تكره[1] ولا سيّما هو وزير الزمان ولكن صهره [548] وابن أخيه خليفته أحضره وحلّفه أن يصدقك.»

قال: «افعل.»

وانصرف ابن مقاتل ودعا عليّ بن أحمد ابن أخى الحسين بن عليّ وقال له:

ـ «قد مهدّت لك كتبة الأمير وواقفته على تقلّدك إيّاها وهى وزارة

---

١. وفى مط: فيمن تعذ احضر بما تكره. (خلط وتصحيف).

الحضرة وعمّك ذاهب فإن سألك فعرّفه أنّه ميّت لا محالة. فإنى أعود إليه وأناجزه فيخلع عليك قبل أن يطمع فيها غيرك.»

فاغترّ[1] علىّ بن أحمد وسأله محمّد بن رائق من غد بعد أن أخلى نفسه عن خبر عمّه. فكان جوابه أن بكى وقال:

ـ «أعظم الله أجرك أيّها الأمير فى أبى عبد الله عُدَّهُ من الأموات.»

ثمّ لطم وجهه. فقال ابن رائق:

ـ «لا حول ولا قوّة إلّا بالله أعزز علىّ به، لو فدى حىّ ميّتاً لفديته بملكى كلّه.»

واستدعى ابن مقاتل فقال له:

ـ «كان الحقّ معك قد يئسنا من الحسين بن علىّ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، فأىّ شىء نعمل؟»

فقال: «هذا أبو عبد الله أحمد بن علىّ الكوفى نظير الحسين بن علىّ وكانا صنيعتى إسحاق بن إسماعيل النوبختى، هو فى نهاية الثقة والعفاف وهو خصيص بأبى عبد الله البريدى وإن أنت استكتبته اجتمعت لك كفاية إلى عفافه واستقصائه وانضاف إلى ذلك كلّه حصول أولئك فى جملتهم وانقطاعهم [549] إليك ونعتدّ على أبى عبد الله أنّا قد أجبناه إلى ما سأل من كتابتك واستخلفنا صاحبه أبا عبد الله الكوفى.»

فقال: «استخر الله وافعل ولكن عهدة أبى عبد الله الكوفى عليك ألّا يغشّنى ويؤثر البريدى فى حال من الأحوال.»

فقال: «أنا الضامن عن أبى عبد الله الكوفى كلّ ما شرطه الأمير.»

فاستكتبه فدبّر الأمور كلّها كما كان يدبّرها الحسين بن علىّ وأسقط من

---

١. وفى مط: اعترف، بدل «اغترّ».

الكتب التى تكتب عن ابن رائق وكتب: «فلان بن فلان». وكان الحسين بن علىّ يكتب ذلك على رسم الوزارة فكانت مدّة تدبير الحسين بن علىّ النوبختى لأمور المملكة ثلاثة أشهر وثمانية أيّام.

وكتب أبو بكر ابن رائق إلى أبى عبد الله البريدى يعتدّ عليه بما احتال له حتّى زحزح الحسين بن علىّ وساق الأمر إليه واستخلف له أبا عبد الله الكوفى فحمل إليه أبو عبد الله البريدى عشرة آلاف دينار وحمل[1] إلى ابن رائق عشرين ألف دينار بعد الثلاثين الألف الدينار التى قدّمنا ذكرها. واستقلّ الحسين بن علىّ النوبختى وصحّ جسمه وعوفى فكتم ذلك عن ابن رائق وتمكّن البريديون حتّى غلبوا على البصرة.

ذكر الخبر عمّا احتالوا به واتفق أيضاً لهم

لمّا مضى[2] شهر من استكتاب ابن رائق أبا عبد الله الكوفى [حتى] شرع لأبى يوسف البريدى فى ضمان [550] البصرة وواسط فأشار علىّ بن رائق بذلك فقال:

- «لا أفعل ولا أثق بهما.»

قال له:

- «ولم أيّها الأمير؟ أمّا واسط فأنا مدبّرها وليس يردُ لهم إليها ولا راجل، وعلىّ توفية مالها. وأمّا البصرة فقد قرّرتُ أمرها على أربعة آلاف ألف درهم على أن يقيم لى بها ضمناء ثقات.»

---

١. سقط من مد من «وحمل» إلى «التى قدّمنا ذكرها».

٢. «لمّا» لا تُقرأ فى الأصل، وإنّما قرأناها فى ضوء ما فى مط. وقرئت الكلمة فى مد «لم» فأصبح الضبط: «لم يمض» كما احتيج إلى زيادة «حتّى» بين المعقوفتين وزيدت فعلاً: «لم يمض شهر... [حتّى]...».

وأشار أبوبكر بن مقاتل بمثل ذلك فأذن ابن رائق فى العقد عليه فقلّد أبو يوسف أبا الحسن ابن أسد أعمال الخراج بالبصرة وكان والى الحرب بها محمّد بن يزداد فخرج أهل البصرة بأجمعهم إلى سوق الأهواز لتهنئة البريدى بالولاية وكان جمعهم عظيماً جداً. وكان أبو الحسين ابن عبد السلام الهاشمى وجيه البصرة قد شذّ عن ابن رائق لأنّه قصّر به وحطّ منه بالبصرة. فقصد أبا عبد الله البريدى وأبا يوسف أخاه فطرح نفسه كلّ مطرح عندهما وأشار إليهما بالغلبة على البصرة وإنفاذ العساكر إليها وذكر طاعة الخول وأهل الأنهار له. فأخذ أبو عبد الله فى بناء الشذاءات والزبازب والطيّارات والاستكثار منها حتّى اجتمعت له مائة قطعة في نهاية الوثاقة والجودة. فحين وافاه أهل البصرة [551] للتهنئة قرّبهم وأكرمهم ورفع منهم وقال:

ـ «قد اطّلع أبو الحسين بن عبد السلام على نيّتى الجميلة فيكم ومحبتى لصلاحكم وإعداد آلة الماء للجيوش الذين أحصّن بهم بلدكم من القرامطة وكنت مستغنياً عن ضمان البصرة إذ لا فائدة لى فيها وإنّما امتعضتُ لكم من ظلم ابن رائق ومحمّد بن يزداد خليفته لكم وتحمّلت فى مالى أربعة آلاف دينار فى كلّ شهر بإزاء ما كان يؤخذ من الشرطة والمآصير والشوك تخفيفاً عنكم وقد أزلت جميعها وهذا خطّى برفعها عنكم.»

ووقّع بذلك توقيعاً وسلّمه إليهم وكثر الدعاء والضجيج بشكره. ثمّ قال لهم:

ـ «إنّه سيبلغ هذا ابن رائق فينكره ويوحشه منّى ويصير سبباً للعداوة بينى وبينه. ووالله ما أبالى أن يعادينى أخواى ابو يوسف وأبو الحسين وابنى أبو القاسم فى صلاحكم. لأنى أعلم أنّ فيكم بنى هاشم وطالبيين وأولاد المهاجرين والأنصار، ومن حرمة الإسلام صيانتكم وأنّى لأُقدّر أنّ الله عزّ وجلّ يغفر لى كلّ ذنب بإزالة الأذيّة عنكم وسيروم ابن رائق ردّ ما قد أزلته

عنكم من هذا الحطام الذى كان يأخذه. فأين السواعد القويّة والنفوس [552] الأبيّة التى حاربت عليّ ابن أبى طالب صلوات الله عليه[١]. فمتى رام ابن رائق نقض ما عملتُ فاضربوا وجهه ووجوه أصحابه بتلك السواعد والسيوف وأنا من وراءكم.»

ثمّ ذكر أهل البصرة بأيامهم مع عبد الرحمن بن الأشعث ومحمّد وإبراهيم إبنى عبد الله بن حسن وقال:

- «لتكن قلوبكم قويّة وآمالكم فسيحة ونفوسكم شديدة فى مجاهدة عدوّكم.»

ثمّ وقّع للمنفقة على المسجد الجامع بالبصرة بألفى دينار وقال:

- «بلغنى أنّه خراب.»

وعُرضت عليه الرقاع بالحاجات فوقّع بحطائط ونظرٍ وصلات وتخفيف فى المعاملات بألفى ألف درهم وانصرفوا عنه وقد صاروا سيوفه. وسيّر إقبالاً غلامه وحاجبه وكانت له نوبة مع أبى جعفر الجمّال[٢] وضمّ إليه ألفى رجل وقال:

- «أقيموا بحصن مهدى إلى أن نكاتب إقبالاً الحاجب بالمسير بهم إلى البصرة.»

واتّصل ذلك بأبن يزداد فقامت قيامته.

وفى هذه السنة قلّد محمّد بن رائق أبا الحسين بجكم الشرطة بمدينة السلام وقلّد الحسين عمر بن محمّد قضاء القضاة مع الأعمال التى إليه. وأمر الغلمان الحجريّة المستترين ببغداد فظهروا وصاروا إليه بالسلاح فعرضهم

---

١. فى مط: عليه السلام. ووضع فى مد علامة التعجّب بعد «صلوات الله عليه» حيث يبدو أنّ سياق الكلام لا يلائم التصلية.

٢. وفى مط: الحمال (بالحاء المهملة).

وأمضى من جملتهم نحو ألفى رجل وأثبتهم برزق مستأنف [553] على ما رآه وأسقط الباقين وأخرج من أمضاه وقرر رزقه إلى الجبل. فلمّا صاروا بطريق خراسان أجمع رأيهم على المضىّ إلى الأهواز فمضوا إلى أبى عبد الله البريدى فقبلهم وأضعف أرزاقهم وخاطبهم بالترثّى لهم ممّا جرى عليهم من ابن رائق والتعجب منه ووعدهم الإحسان التامّ. وأظهر للسلطان وابن رائق أنّه لم يكن به طاقة لمّا صاروا إليه أن يدفعهم وأنّه اضطرّ إلى قبولهم وجعلهم حجّة فى قطع ما كان ووُقف على حمله واحتجّ بأنّهم اجتمعوا مع الجيش ومنعوه من حمل مال البلد وغلب على الأهواز والبصرة.

انقسام الدولة العبّاسيّة إلى دويلات

فصارت الدنيا فى أيدى المتغلّبين وصاروا ملوك الطوائف وكلّ من حصل فى يده بلد ملكه ومنع ماله.

فصارت واسط والبصرة والأهواز فى أيدى البريديين وفارس فى يد علىّ بن بويه وكرمان فى يد أبى علىّ ابن إلياس[1] وإصبهان والرىّ والجبل فى يد أبى علىّ الحسن بن بويه ويد وشمكير يتنازعونها بينهما والموصل وديار ربيعة وديار بكر فى أيدى بنى حمدان ومصر والشام فى يد محمّد بن طُغج والمغرب وافريقية فى يد أبى تميم والأندلس فى يد الأموى وخراسان فى يد نصر بن أحمد واليمامة والبحرين وهجر فى يد أبى طاهر ابن أبى سعيد [554] الجنّابى وطبرستان وجرجان فى يد الديلم. ولم يبق فى يد السلطان وابن رائق غير السواد والعراق.

ولمّا حصلت ديار مضر خالية قد خربت وضاق مالُها عن كفاية السلطان

---

١. سقط من مط قوله: «وكرمان فى يد أبى على بن إلياس».

خرج عنها بدر الخرشني ـ وكان يتولّى الحرب بها ـ وعاد إلى الحضرة. فلمّا خلت من صاحب معونة، قصدها عليّ بن حمدان فغلب عليها. وزاد في مرض أبي عبد الله الحسين بن عليّ النوبختي ما رآه من انتقاض كلّ ما كان نظمه وما تمّ عليه من الحيلة، فآل أمره إلى السلّ.

وفي هذه السنة انكشفت الوحشة بين محمّد بن رائق وبين البريديين

ذكر السبب في ذلك

اتفق أن وافى أبو طاهر القرمطي الكوفة فدخلها في شهر ربيع الآخر من سنة خمس وعشرين. فخرج ابن رائق من بغداد ونزل في بستان ابن أبي الشوارب بقنطرة الياسريّة وأنفذ أبا بكر ابن مقاتل برسالة إلى أبي طاهر الهَجَري. وكان أبو طاهر يطالب بأن يحمل إليه السلطان في كلّ سنة مالاً وطعاماً بنحو مائة وعشرين ألف دينار ليقيم في بلده. وبذل له ابن رائق بأن يجعل ما التمسه رزقاً لأصحابه على أن يكسر لهم السلطان جريدة وينفق فيهم ويدخلوا في الطاعة ويُستخدموا. وجرت خطوب [555] بينهما ومخاطبات انصرف معها أبو طاهر إلى بلده من حيث لم يتقرّر له أمر مع ابن رائق وبلغ ابن رائق إلى قصر ابن هبيرة ثمّ عاد منها إلى واسط وكاشف البريدي واستوزر أبا الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات.

ذكر السبب في ذلك

كان ظنّ ابن رائق أنّه إذا استوزر أبا الفتح جذب له الأموال من مصر والشام. فقدم أبو الفتح من الشام ولزم سليمان بن الحسن منزله وكان حمل

إليه الخلع قبل وصوله إلى بغداد فوصلت إليه وهو بهيت[١] فلبسها. ثمّ دخل بغداد وأقرّ أبا القاسم الكلوذانى على ديوان السواد واستخلف بالحضرة أبا بكر عبد الله بن علىّ النفرى وهو زوج أخته وكتب السلطان فى استيزاره أبا الفتح كتاباً نفذ إلى أصحاب الأطراف.

ولمّا بلغ ابن رائق ما خاطب البريدى به أهل البصرة قلق وتغيّر للكوفى واتّهمه وهمّ بالقبض عليه، فحامى عنه أبو بكر ابن مقاتل، ثمّ رأى أنّه يغالط ابن البريدى بكتاب إليه. فقال للكوفى أنّه بلغنى أنّ صاحبك خاطب أهل البصرة بما أنا معرض عنه فإنّه ربّما وقع التزيّد فى مثله ولكن اكتب إليه:

ـ «إنّ الذى أنكرته قبولك الحجريّة. فأمّا إذا تردهم وإمّا أن تطردهم وإن استأذنوك فى ناحية يقصدونها فاضمم إليهم من رأيت من قوّادك [556] وأنفذهم إلى الجبل وهذا العسكر الذى أنفذته إلى حصن مهدى، فأنا أعلم أنّه لمّا اتّصل ورود الهجرى إلى الكوفة استظهرت بانفاذه ليعين من فيها عليه إن احتيج إلى ذلك وقد استغنى الآن عنهم وفى مقامهم بالحصن مع الإستغناء عنهم تسليط الظنون السيّئة عليك وإيجاد اعداءك سبيلاً إلى التضريب بينى وبينك.

ـ «وبلغنى أنّك قد كنت أنفذت أبا جعفر محمّداً غلامك إلى السوس ـوكان قد أنفذه على الحقيقةـ وأمرته أن يقصد الطيب ويقيم بها إشفاقاً من أن يلحقنى وهن من القرامطة فإن احتيج إليه لحماية واسط كان قريباً وإنّى لمّا وافيتُ كاتبته بالإنصراف فعاد إلى الأهواز، وهذا مشكور. فاعمل فى أمر إقبال ومن أنفذته إلى حصن مهدى كهذا العمل، ثمّ أنا لك على الوفاء.»

١. هِيت: سُمّيت باسم بانيها وهو هيت بن البندى، ويقال: البلندى. بلدة على الفرات فوق الأنبار، ذات نخل كثير وخيرات واسعة (مراصد الإطّلاع).

فكتب الكوفى بهذا كلّه. فكان الجواب:

- «إن جيشه القديم متشبّثون بالحجريّة لأنّهم أقاربهم وبين القوم وصل ورحم وبلديّة ولا يمكن إخراجهم جملة واحدة ولكنّه على الأيّام يفرّق شملهم، وإنّ الأخبار تواترت بأنّ القرمطى لمّا انصرف عن الكوفة قصد البصرة واستجار به أهلها فأنفذ [557] هذا العسكر إشفاقاً عليها وأنّهم قد حصلوا بها.»

وكان البريدى ساعة ورود الخبر عليه بنزول ابن رائق واسط أنفذ إلى من بحصن مهدى بدخول البصرة فدخلوها بعد أن أنفذ من الحجريّة قطعة وافرة لمعاضدتهم على دخولها. وأخرج محمّد بن يزداد تكان[١] الصغدى وتكين -وكانا تركيّين من شحنة البصرة- لحربهم فوقعت بينهم وقعة فى نهر الأمير انهزم بها الرائقيّة. ثمّ زاد محمّد بن يزداد فى عدّتهم بالإثبات[٢] وبغلمان نفسه. فكانت الوقعة الثانية بكسر أبان وبينها وبين الأبلّة فرسخ.

فانهزم الرائقيّة هزيمة ثانية ودخل إقبال وجيش البريدى البصرة.

وأمّا محمّد بن يزداد صاحب ابن رائق فإنّه فتح باب البصرة وهرب على طريق البرّ إلى الكوفة.

وأمّا تكان وتكين ورجال الماء من[٣] الرائقيّة فإنّهم اهتدوا فى زبازبهم إلى واسط.

وورد الخبر على ابن رائق بحصول إقبال غلام البريدى وأصحابه بالبصرة وجواب كتاب الكوفى فى أيّام متقاربة. فأنفذ رسولا إلى البريدى برسالة

---

١. ما فى الأصل هنا: مهمل فى الأول. وفى الأسطر الآتية: يكان (بالياء). وفى مط: تكان (فى كلا الموضعين) وفى مد: مكان (فى كلا الموضعين).

٢. بالإثبات (بكسر الهمزة): كذا فى الأصل ومط.

٣. من: سقط من مد.

قسّمها بين إرغاب وإرهاب ووعد ووعيد فكان من جوابه:

ـ «إنّه لا يمكنه ردّ رجاله من البصرة، لأنّ أهلها قد أنسوا بهم واستوحشوا من قبيح [558] ما عاملهم به ابن يزداد فى أيّامه لأنّ القرمطى طامع فى البلد وليس يأمن متى كاتبهم بالإنصراف أن يدخل القرامطة إلى البصرة ضرورة، لئلّا تعود المعاملة بين أهلها وبين ابن يزداد بعد أن كاشفوه.»

وقد كان لعمرى أهل البصرة فى نهاية الإستيحاش من ابن رائق ومحمّد بن يزداد، فإنّ محمّد بن يزداد سار بهم سيرة سَدوم وظلمهم فى معاملاتهم ظلماً مفرطاً وسامهم الخسف وكانوا قد اعتادوا العزّ وقدّروا بالبريدى خيراً ثمّ رأوا منه ومن أخويه ما ودّوا أنّهم أكلوا الخرشف والخرنوب وصبروا على محمّد بن رائق ومحمّد بن يزداد ومعاملته.

ولمّا عاد الرسول بالجواب كان ابن رائق قد استدعى بدراً الخرشنى وأكرمه وخلع عليه خلعاً سلطانيّة وحمله. وترجّح الرأى فى تسيير الجيوش إلى الأهواز والبصرة ثمّ استقرّ الرأى على أن يقلّد بجكم الأهواز بعد حديث لبجكم فى ذلك مع ابن مقاتل سنذكره فيما بعد إن شاء الله. وخلع عليه ابن رائق لذلك وسيّره وبدراً الخرشنى إلى الأهواز وضمّ إليه ابن أبى عدنان الراسبى دليلاً ومعيناً وأنفذ حاجبه فاتكاً وعبد العزيز الرائقى وأحمد بن نصر القشورى وبرغوثاً وأمرهم أن يقيموا [559] بالجامدة ويحصل جيش البريدى بين حلقتى البطان فبادر بجكم ولم يتوقّف على بدر الخرشنى ونفذ أمامه فوصل إلى السوس وأخرج البريدى محمّداً غلامه المعروف بأبى جعفر الجمّال فى عشرة آلاف رجل بأتمّ آلة وأكمل سلاح للحرب.

فوقعت الحرب بظاهر السوس ومع بجكم مائتان وتسعون غلاماً من الأتراك فانهزم البريديّة يوم نزول بدر بالطيب.

وقال بجكم:

ـ «إنّما بادرت وحملت على نفسى ما حملت ولاقيت هذه العدّة العظيمة بهذه العدّة اليسيرة لئلّا يشركنى بدل فى الفتح.»

وعاد ابو جعفر الجمّال إلى أبى عبد الله البريدى فصفعه بخفّة وقال:

ـ «انهزمت مع عشرة آلاف من بين يدى ثلاثمائة غلام.»

فقال له:

ـ «أنت ظننت أنّك تحارب ياقوتاً المدبر وجيشه المدابير. قد والله جاءك من لَتّ[1] بجكم والأتراك خلاف ما عهدت من سودان باب عمان والمولّدين.»

فقام إليه فلكمه بيده ثمّ قال له:

ـ «قد أنفذت أبا الخليل الديلمي ومن معى من العجم ومن كان يخلّف بالأهواز فى ثلاثة آلاف رجل إلى تستر فانفذ الساعة مع من صحبك إليها حتّى تجتمع معهم وتعاود الحرب.»

فقال: «افعل وسنعود إليك هذه الكرّة بأخزى من الكرّة الأولى لأنّ [560] هيبة بجكم قد تمكّنت فى نفوس أهل العسكر.»

ونفذ للوقت فى ثلاثة آلاف رجل ووافى بجكم إلى نهر تستر فطرح نفسه وغلمانه أنفسهم فى الماء للعبور سباحة وكان الماء قليلاً فانهزم القوم بغير حرب وعادوا إلى أبى عبد الله. فخرج فى الوقت مع أخويه وجلسوا فى طيّار ومعهم حديدى فيه ثلاثمائة ألف دينار كانت فى خزائنهم فغرقت بالنهروان وغرق الطيّار وأخرجهم الغوّاصون وأخرج لبجكم بعض المال. فقال أبو عبد الله:

ـ «ما نجونا والله من الغرق بصالح أعمالنا ولكن لصاعقة يريدها الله بهذه

---

١. اللَتّ: القَدوم. الفأس العظيمة (فارسية). لتّه: دقّه وفتّه وسحقه. وفى مط: ابن (مهملة) بدل «لتّ».

الدنيا.»

فقال له أبو يوسف:

ـ «ويحك، ما تدع التنادر في هذه الحال.»

ثمّ وافوا البصرة ودخل بجكم الأهواز وكتب إلى ابن رائق بالفتح.

ولمّا وصل أبو عبد الله إلى الأبلّة ومعه أخواه أنفذ إقبالاً غلامه إلى مطارا وأقام هو وأخواه في طيّاراتهم وأعدّوا ثلاثة مراكب للهرب منها إلى عمان إن اتفق على إقبال بمطارا من الهزيمة مثل ما تمّ على أبي جعفر بالسوس. وأخرج أبو عبد الله البريدي أبا الحسن ابن عبد السلام لمعاضدة إقبال، فانهزم الرائقيّة وأسر برغوث وحمل به إلى البريدي فأطلقه، وكتب إلى ابن رائق كتاباً يستعطفه [561] فيه وأنفذه إليه مع برغوث ودخل البريديون الثلاثة إلى الدور فنزلوها وسكنوا واطمأنّوا ولم يمكن بجكم أن يسير من الأهواز لخلوّ الأهواز من آلة الماء وشغب رجال بدر عليه فانصرف إلى واسط وملك بجكم الأهواز.

ولمّا عرف ابن رائق ما جرى على رجاله في الماء أنفذ أبا العباس أحمد بن خاقان وجوامرد[١] الرائقي إلى المذار على الظهر لمحاربة البريدي وإخراج أصحابه وسيّر بدراً الخرشني إلى البصرة في الماء في شذاءات مقيّرة بناها بواسط. فانهزم الرائقية من المذار وأسر أبو العبّاس ابن خاقان ورجع جوامرد إلى واسط وأحسن البريدي إلى ابن خاقان واستحلفه ألّا يعود لمحاربته ولا يشايع عليه وأطلقه.

واتّصل خبر هذه الهزيمة بابن رائق فسار بنفسه من واسط إلى البصرة على الظهر وكتب إلى بجكم أن يلحق به إلى عسكر أبي جعفر. فاتفق أن سار

---

١. في مط: جوانمرد (أي: الفتى).

بدر الخرشني في الماء إلى نهر عمر ووافى إلى البصرة وملك شاطئ الكلّا[١] وحصل إقبال غلام البريدي في حدود واسط لمّا عرف خروج ابن رائق عنها وبلغ ابن رائق ذلك فردّ فاتكاً حاجبه إلى واسط ليحفظها.

ولمّا ملك بدر الخرشني الكلّا هرب أبو عبد الله البريدي للوقت إلى جزيرة أُوال[٢] وخرج من كان بالبصرة من الجند لدفع [562] بدر وانضاف إليهم عالم عظيم من العامّة فاضطرّ بدر إلى الإفراج عن شاطىء الكلّا وحصل بالجزيرة التي بإزاءه واستتر أبو يوسف البريدي وركب أخوه أبو الحسين يحض الجند والعامّة ووافى بجكم إلى ابن رائق وهو في عسكر أبي جعفر يوم ورود بدر لكلّا ولمّا كان وقت العصر عبر ابن رائق وبجكم دجلة البصرة ودخلا نهر دبيس وتبعهما أحمد بن نصر القشوري فرمي بالحجارة وغرق زبزبة واجتمع بدر وابن رائق وبجكم في الجزيرة فشاهدوا أمراً عظيماً وخطباً جليلاً من العامّة وتكاثرهم عليهم. فقال بجكم لابن رائق:

ـ «ما الذي عملت بهؤلاء القوم حتّى قد أحوجتهم إلى ما خرجوا إليه؟»

فقال: ـ «لا والله ما أدري.»

وانصرف بجكم وابن رائق إلى عسكر أبي جعفر ولمّا جنّ الليل وجاء المدّ انصرف بدر إليهما.

وبلغ إقبالاً خبر بدر في نفوذه في الماء إلى البصرة من الجامدة ومخالفته إيّاه الطريق فكرّ راجعاً ووافى في اليوم الثاني وقت العصر إلى شاطئ الكلّا ونفذ إلى شاطئ الأبلّة وحال بين ابن رائق وبجكم وبدر وبين الابلّة وصارت الحرب في دجلة وطالت المنازلة.

ونفذ أبو عبد الله البريدي من جزيرة أُوال إلى فارس واستجار بعليّ ابن

---

١. قال في مراصد الإطلاع: الكلّاء (بالمدّ): محلّة مشهورة وسوق بالبصرة.
٢. أُوال: جزيرة بناحية البحرينّ بها نخل وبساتين (مراصد الإطّلاع).

بويه فأنفذ معه [563] أخاه أبا الحسين أحمد بن بويه لفتح الأهواز.

وورد الخبر بذلك على ابن رائق وأصحابه فستقدّم ابن رائق إلى بجكم بالمبادرة إلى الأهواز لحمايتها فقال بجكم:

ـ «لست أحارب الديلم وأدفعهم عن الأهواز إلّا بعد أن تحصل لى أمارتها حرباً وخراجا. وأنت تعلم أنّي ما صبرت لأبى العبّاس الخصيبى لمّا[1] قلّدته الأهواز حتّى صرفته أصبر لعليّ بن خلف بن طناب أن يتحكّم فى بلد أحارب عنه؟»

وكان عليّ بن خلف بالأهواز من قبل الوزير أبى الفتح فضمن ابن رائق بجكم الأهواز وكورها بمائة وثلاثين ألف دينار محمولة فى السنة على أن يوفى رجاله مالهم ويستوفى ما يخصّه وغلمانه، وأقطعه إقطاعاً بخمسين ألف دينار. ولمّا كان بعد شهر أو دونه من نفوذ بجكم إلى الأهواز انصرف ابن رائق أيضاً من عسكر أبى جعفر ومضى إلى الأهواز وأحرق ما بقى من سواده لإتفاق سيّئ اتّفق عليه.

ذكر اتّفاق سيّئ اتّفق على ابن رائق حتّى انهزم إلى الأهواز وأحرق سوادُه

كان طاهر الجيلى وافى إلى واسط مستأمناً إلى ابن رائق فلم يجده بها وقصده إلى عسكر أبى جعفر فتلقّاه فى طريقه كتاب ابنه وجاريته بحصولهما فى يد ابن البريدى، لأنّ أبا عبد الله كان [564] بفارس فقبل ابنه وجمع بينه وبين الجارية فعبر بالليل فى مائتى رجل. وزعق بابن رائق وبدر الخرشنى ووازره جميع أصحاب البريدى من عسكر الماء. فأمّا بدر فإنّه انهزم إلى

---

١. ما فى الأصل: لما (بتخفيف الميم).

واسط. وأمّا ابن رائق فإنّه مضى إلى الأهواز وأكرمه بجكم وخدمه وأشير على بجكم بالقبض عليه فلم يفعل. وأقام أيّاماً حتّى وافاه من واسط فاتك غلامه ثمّ سار إليها وخلّف بجكم بالأهواز.

وأمّا حديث بجكم مع ابن رائق الذى وعدنا به فهو ما حكاه ثابت ابن سنان عن والده سنان.

ذكر حكاية عن بجكم تدلّ على حصافة وبعد غور وكبر همّة

قال ثابت: حدّثنى والدى أنّ بجكم قال له بعد أن ملك الحضرة وأزال أمر ابن رائق فى عرض حديث جرى بينهما:

سبيل الملك إذا حزبه أمر من الأمور أن يكون جميع ما يملك من مال وغيره، أقلّ فى عينه من التراب، وأن تحذف جميعه كما حذفتُ هذه الحصاة فيما يقدر[1] به زوال ما قد أظلّه. فإنّ دولته إذا ثبتت أمكنه أن يستخلف أضعاف ما خرج عن يده وإن هو بخل وشحّت نفسه وتهيّب إخراج ما فى يده ذهب ما بخل به وذهبت معه نفسه.

أذكر وقد قلّدنى ابن رائق الأهواز ولم يكن ما فعله من ذلك برأى أبى بكر ابن [565] مقاتل ولا شاوره فيه. فلمّا بلغ ابن مقاتل الخبر شقّ عليه ذلك جدّاً وبادر إلى ابن رائق وقال له:

- «أىّ شىء عملت، قد عزمت على أن تقلّد بجكم الأهواز؟»

قال ابن رائق:

- «نعم.»

---

١. وفى مط: تقرر، بدل «يقدر».

قال: «قد أخطأت على نفسك نهاية الخطأ. أنت لا تقوى ببنى البريدى وهم كتّاب أصحاب دراريع، ولا يمكنك صرفهم ولا انتزاع المال من أيديهم. تقلّد رجلاً تركيّاً صاحب سيف إنّما صحبك قريباً مثل الأهواز ما هو إلّا أن تحصل الأهواز فى يده ويرى جلالتها وحسنها وكثرة أموالها وما يحصل عنده من الجيش بها حتّى تحدّثه[١] نفسه بالتغلّب عليها. ثمّ لا يقتصر عليها حتّى يطمع في غيرها وتنازعه نفسه إلى أن ينازعك أمرك ويزيلك عن موضعك ويصير هو مكانك ليأمن على ما حصل له ولا يكون له منازع عليه. وأنت الساعة على طمع فى أن تنتزع البلد من يد البريدى. فإن قلّدته بجكم فاحسم طمعك عنها وأخرجها من قلبك واصرف همّتك إلى حفظ ـ غيرها وليته[٢] ينحفظ ـ واحفظ مهجتك فقد عرّضتها للتلف.»

ففتأ رأى ابن رائق وصرفه عمّا عزم عليه فى أمرى ولعمرى لقد صدقه ونصحه وأشار بالرأى الصحيح. [566]

وبلغنى ما جرى بينهما فقامت قيامتى منه ورأيت أنّه يفوتنى ما حدّثت نفسى به من الملك فقلقت وشاورت محمّد بن ينال الترجمان فلم يكن عنده رأى. فأخذ يسلّينى ويقول لى:

ـ «أنت فى نعمة وراحة ومحلّك من هذا الملك محلّ الأخ.»

فقلت له:

ـ «أنت أحمق، امض حتّى تعدّ سميريّة فى هذه الليلة المقبلة.»

وعملت على قصد ابن مقاتل وعلمت أنّه تاجر عامّى صغير النفس وإنّ الدرهم ليعظم في نفوس أمثاله. فلمّا كان الليل ونام الناس حملت معى عشرة آلاف دينار ونزلت إلى السميريّة وأخذت معى محمّد بن ينال وحده

---

١. وفى مط: تخدمه، بدل «تحدّثه».

٢. وفى مط: ابنه، بدل «ليته».

ولم آخذ[١] غلاماً وصرت إلى بابه فوجدته مغلقاً ودققت فخاطبنى بوّابه من وراء الباب وأعلمنى أنّ الرجل نائم وأنّ الأبواب بينى وبينه مغلقة. فقلت له:

ـ «دقّ الباب وأنبهه، فإنّى حضرت فى مهمّ.»

ففعل ودخلت إليه وقد انزعج عن فراشه لحضورى فى مثل ذلك الوقت فقال:

ـ «ما الخبر؟»

فقلت: «خير وأمر أردت أن ألقيه إليك على خلوة، فانتظرت نوم الناس وخلوّ الطريق ولم آخذ معى غير الترجمان. ولو لا أنّى أردته ليترجم بينى وبينك لما أحضرته ولا أطلعته على ما أخاطبك به.»

قال: فقال:

ـ «قل ما تحبّ.»

قلت: «قد علمت ما كان عزم عليه الأمير [567] فى بابى من تقليدى الأهواز، وبلغنى أنّه توقّف عن ذلك ولست أعرف سبب توقّفه وفى إبطاله ما عزم عليه بطلانُ جاهى بعد اشتهاره وغضّ منّى. ولا يشكّ أحد أنّه لسوء رأى وأنا صنيعتك وصنيعته وغرسكما وإن لم أحظ فى أيّامكما فمتى أحظى وأىّ مقدار يكون لى عند الناس. وهذه عشرة آلاف دينار قد حملتها إلى خزائنك، وأنا أعلم أنّه يقبل منك، وأريد أن تشير عليه بإمضاء ما كان عزم عليه.»

فلمّا رأى الدنانير تخريق وقال:

ـ «دعنى وانصرف فى حفظ الله.»

فتركت الدنانير بحضرته وانصرفت وأنا واثق بحصول الأهواز لى. فلمّا

---

١. وفى الأصل: لم أجد، وما أثبتناه هو من مط.

كان بعد ثلاثة أيّام صار ابن مقاتل إلى ابن رائق فقال له:

ـ «أشرت بذلك الرأى على الهاجس وظاهر النظر. فلمّا تأمّلت الحال وجدت الصواب معك لأنّك إن تركت الأهواز فى يد ابن البريدى وأخوته بعد ما حصل لهم من الأموال ازداد كلّ يوم قوّة وطمعاً ومدّوا أيديهم إلى غيرها من أعمالك وبلدانك ودبّ فسادهم إلى عسكرك بكثرة ما يبذل ويعطى ولا يبعد بعد ذلك منازعتهم لك على أمرك هذا. وإن خرجت إليهم بنفسك فهى حرب ولا تدرى كيف تكون، فإن كانت عليك لم تشدّ منها حزاماً[١] أبداً. وإن وجّهت [568] بغير بجكم استُضعف وغُلب وكسر ذلك قلوب أصحابك ولأن تصدمهم بمثل بجكم وهم لا يطمعون فى مقاومته أصلح. فإن حصل له البلد استأصل شافتهم. ثمّ أنت مالك أمرك: إن شئت أقررته وإن شئت صرفته قبل أن يتمكّن وقبل أن يجتمع أمره ويحدّث نفسه بشىء تكرهه[٢]. فاستخر الله وامضِ أمره.»

فقبل رأيه وأمضى أمرى وقلّدنى ولم أستقلّ ولاية الأهواز بذلك المال، وباع ابن مقاتل روحه وروح صاحبه ونعمته بعشرة آلاف دينار واستخلفت أنا مكان الدنانير أضعافها وحصل لى ملك ابن رائق.

شرح حال أبى الحسين أحمد بن بويه وأبى عبد الله البريدى فى قصدهم الأهواز لمحاربة بجكم وذلك فى سنة ستّ وعشرين وثلاثمائة ودخلت سنة ستّ وعشرين وثلاثمائة

قد ذكرنا حال أبى عبد الله البريدى وقصده علىّ بن بويه وأنّه تقدّم إلى

١. وفى مط: حراماً، بدل «حزاماً».

٢. وفى مط: ويحدّث نفسه من يكرهه، بدل «ويحدث نفسه بشىء تكرهه».

أخيه أحمد بن بويه بالمسير إلى الأهواز معه. وخلّف أبو عبد الله البريدى عند عليّ بن بويه ابنيه أبا الحسن محمّداً[١] وأبا جعفر الفيّاض رهينة وسار مع الأمير أبى الحسين أحمد بن بويه إلى الأهواز.

وورد الخبر على بجكم بنزول أحمد بن بويه أرجان. فخرج بجكم لحربه فانهزم من بين يديه وكان أوكد [569] الأسباب فى هزيمته أنّ المطر اتّصل أيّاماً كثيرة فعطّلت القسيّ[٢] ومنع الأتراك أن يرموهم بالنشّاب. فعاد بجكم وأقام بالأهواز وقطع قنطرة أربق وأنفذ محمّد بن ينال الترجمان إلى عسكر مكرم ووقعت النازلة بينه وبين محمّد بن ينال الترجمان ثلاثة عشر يوماً.

ثمّ عبر أحمد بن بويه بخمسة من الخاصّة فى سميريّة إلى مشرعة يعرف بمشرعة الحناس[٣] فهزموا من كان رُتّب فيها وما زال يعبر بقوم بعد قوم حتّى حصل ثلاثمائة رجل فى الجانب الغربى. ثمّ ضربوا بالبوق واشتملوا[٤] فانهزم الترجمان وأخذ إلى تُستَر، وبلغ الخبر بجكم فعبر دجلة الأهواز وقبض على الوجوه بها وفيهم ابن أبى علّان وأبو زكريّا السوسى. وحمل الجميع معه والتقى مع الترجمان بالسوس وسار بجميع عسكره إلى واسط.

ولمّا حصل بالطيب كتب إلى ابن رائق بالخبر وأنّه قد حُرب هو ورجاله فلم يبق لهم حال وأنّ الرجال سيطاولونه وإن كان عنده مائتا ألف دينار ينفقها فيهم فإنّهم فقراء، فالوجه أن يقيم وإن كانت متعذّرة فالصواب أن يصعد إلى بغداد فإنّه لا يأمن أن يقع شغب ولا يدرى عن أيّ شيء ينكشف.

فرهب ابن رائق هذه الحال وبادر وخرج إلى [570] بغداد بعسكره ودخل

---

١. فى الأصل ومط: محمد.
٢. فى مط: أوتار القسيّ.
٣. الكلمة مهملة فى الأصل ومط كليهما.
٤. اشتلموا: تطاير شرارهم من الغضب.

بجكم وأصحابه واسطاً وأقاموا بها واعتقل الأهوازيين وطالبهم بخمسين ألف دينار.

فقال أبو زكريا يحيى بن سعيد: «أردت أن أسبر ما في نفسه من طلب العراق فراسلته وقلت له:

ـ «أيّها الأمير أنت مطالب بملك ومرشّح نفسك لخدمة الخلافة تعتقل قوماً منكوبين قد سُلبوا نعمهم وتطالبهم بمال فى بلد غربة وتأمر بتعذيبهم حتّى جُعل فى أمسنا طشت فيه جمر على بطن سهل بن نظير الجهبذ. أولا تعلم أنّ هذا إذا سُمع به أوحش منك وحاربك وعاداك من لا يعرفك ولا يسمع بخبرك فضلاً عمّن تحقّق فعلك هذا؟ أوما تذكر إنكارك على الأمير ابن رائق بالأمس إيحاشه أهل البصرة وعوامّ بغداد أضعافهم؟ وقد حملت نفسك فى أمرنا على مثل ما كان يعمله مرداويج بأهل الجبل. وهذه بغداد ودار الخلافة لا الريّ وإصبهان ولا تحتمل هذه الأخلاق.»

فلمّا سمع ذلك انحلّ وبعث فحلّ[1] القيود وأزال المطالبة. ثمّ شفّع ابنَ رائق وابن مقاتل والكوفيّ فى يحيى بن سعيد السوسى، فأطلقه واختصّه لعقله ولما تبيّنه من نفاقه على كلّ أحد وشفّع يحيى بن سعيد فى الباقين وكفّل بهم فأطلقهم. ولمّا عرف علىّ بن بويه حصول [571] طاهر الجيلى بالبصرة وفى نفسه عليه ما كان عامله به بأرجان، كتب إلى أخيه أبى الحسين أن يطالب أبا عبد الله البريدى به ويقبض عليه ففعل ذلك وأنفذ إلى فارس ولمّا انهزم الترجمان عبر أحمد بن بويه إلى غربىّ عسكر مكرم وجلس على شاطئ المسرقان ومعه أبو عبد الله البريدى حتّى عقد الجسر الأعلى بها وعبر بباقى رجاله من غد وعاد إليه جواسيسه من سوق الأهواز

١. وبعث فحلّ: فى الأصل طموس. وما أثبتناه هو من مط. فى مد: وأمر بحلّ.

وعرّفوه أنّه لم يبق بها أحد.

ونزل البريدى داراً على شاطئ نهر المسرقان ووافاه أهل الأهواز بأجمعهم مهنّئين وداعين وكان يُحمّ الربع، وفيمن حضره يوحنّا الطبيب وكان متقدّماً فى صناعته.

فقال له أبو عبد الله البريدى:

- «أما ترى يا أبا زكريا حالى؟»

فقال له:

- «خلّط -يعنى فى المأكول- لترمى بالأخلاط.»

فقال له:

- «أكثر بما خلّطت يا أبا زكريا، قد أرهجتُ ما بين فارس والحضرة فإن أقنعك ذلك وإلّا ملت إلى الجانب الآخر وأرهجت إلى خراسان.»

ولمّا كان فى اليوم الخامس رحل أحمد بن بويه إلى الأهواز وخلّف بعسكر مكرم ثلاثة من القوّاد فأقام أبو عبد الله معه خمسة وثلاثين يوماً ثمّ هرب منه فى الماء إلى الباسيان وأقام بها وكاتبه بعتب كثير وتصرّف [572] فى ضروب من القول إقامة لحجّة نفسه فيما استعمله ولم يكره المقام عنده لضيق المال فإنّه كان سلّم إلى أبى علىّ العارض ضمانات وخطوطاً فصحّ[١] فى شهرين بخمسة آلاف ألف درهم وصحّ منها إلى يوم هربه صدر كثير.

ذكر السبب فى هرب البريدى

كان طولب بإحضار عسكره من البصرة على أن ينفذهم إلى إصبهان لمضامّة الأمير أبى علىّ الحسن بن بويه على حرب وشمكير فوافى بأربعة

١. فصحّ: كذا فى الأصل، وفى مط: يصحّ.

آلاف رجل وقال للأمير أبى الحسن أحمد بن بويه:

ـ «إن أقاموا بالأهواز وقعت فتنة عظيمة بينهم وبين الديلم. والرأى أن يخرجوا إلى السوس مع محمّد المعروف بالجمال، حاجبى وأسبّب بمالهم عليها وعلى جنديسابور حتّى يقبضوا وينفذوا على طريق البنيان[1] إلى إصبهان.»

فأجابه إلى ذلك ثمّ طالبه أن يحضر رجال الماء إلى حصن مهدى حتّى يشاهدهم فإذا عاينهم سيّرهم فى الماء إلى واسط وسار أحمد بن بويه بالديلم على طريق السوس إليها فاستوحش البريدى من ذلك استيحاشاً شديداً وظنّ أنّه إنّما يريد أن يفرّق بينه وبين عسكره وقال:

ـ «هكذا عملت بياقوت فإنّى أخذت رجاله ثمّ أهلكته. فلو لم أتعلّم إلّا من نفسى لكفانى استبصارى والله المستعان.» [573]

وكان الديلم أيضاً يستخفّون به ويشتمونه إذا ركب ويزعجونه من فراشه وهو محموم وتلقّى منهم ما لم تجر عادته بمثله. وكانت الكرامة متوفّرة عليه من الأمير أبى الحسين ومن أبى علىّ العارض. فأمّا الباقون فكانوا يهينونه إهانة عظيمة.

ولمّا أراد الهرب قدّم كتابه فى صبيحة الليلة التى خرج فيها وعرّف أبا جعفر الجمّال غلامَه ما عزم عليه وأمره أن يسير إلى الباسيان ومنها إلى نهر تيرى ثمّ إلى الباذاورد والبصرة وتمّ ذلك على ما نظمه، وحصل جيشه بالبصرة موفورين. واتّصلت المراسلات بينه وبين أحمد بن بويه فى الإفراج عن قصبة الأهواز حتّى يردّها ويقوم بما عقده للأمير علىّ بن بويه على نفسه من ضمان الأهواز والبصرة وهى ثمانية عشر ألف ألف درهم لسنة

١. البنيان: ما فى الأصل مهمل تماماً. والمثبت من مط ومد.

خراجية ولإشفاق الأمير أحمد بن بويه من إنكار أخيه عليّ بن بويه هرب البريدى استجاب إلى حكمه.

وانتقل إلى عسكر مكرم وأقام بها فى ظاهر داراباذ[١] وكتب إلى البريدى كتاباً أنّه قد أخلى الأهواز. فانتقل البريدى من الباسيان إلى بناتاذُر وأنفذ إلى سوق الأهواز من يخلفه بها. وكتب إلى الأمير أنّ نفسه لا تسكن إلى أن تقيم فى بلد على ثمانية فراسخ منه. لأنّه لا يأمن [574] كبسه ليلاً وسامه أن ينتقل إلى السوس فتبعد الدار بينهما. فترسّل فى ذلك القاضى أبو القاسم التنوخى وأبو عليّ العارض واستقرّت الحال على أن يحمل البريدى ثلاثين ألف دينار إليه ليُنهضه. فردّ غلامي هذين الرسولين مع غلام له بأربعة عشر ألف دينار وكتب بأنّه يوفيه تتمة الثلاثين الألف الدينار بالسوس فاجتمع دلّان وكان كاتب جيش الأمير أحمد بن بويه وأبو جعفر الصيمرى وكان تابعاً لدلّان وأبو الحسن المافرّوخى وكان يتولّى عسكر مكرم للأمير ويجزف ويأخذ المال من حيث لاح له، فقالوا للأمير أبى الحسين:

ـ «قد سلك معك البريدى طرقه مع ياقوت وأخذ يبعدك إلى السوس ويضايقك حتّى يفلّ الرجال عنك ثمّ يأخذ المعابر إلى نفسه ـ وبين الأهواز وبين عسكر مكرم وتستر وبين السوس دجلة ـ ويحتال فى تحصيلك إن استوى له.»

فاقشعرّ الأمير أبو الحسين من ذلك وامتنع أن يخرج من عسكر مكرم وقال:

ـ «هى على سمت الطريق إلى فارس ولست أبعد عن الأمير الكبير هذا البعد حتّى يقطع بينى وبينه دجلة أوّلاً ثمّ المسرقان.»

---

١. داراباذ: كذا فى الأصل ومط، إلّا أنّ الأخير مهمل فى مط. وفى مد: داراباز.

وعـرف البريدى ذلك فـمنع العارض والتنوخى مـن الرجـوع [575] واستحكمت الوحشة.

واتّصل ذلك ببجكم فأنفذ قائداً من قوّاده يُقال له: بالبا، في ألفي رجـل من الأكراد والأعراب والحشر والاثبات والمولّدين إلى السوس وجنديسابور للغلبة عليها وكاتباً يُعرف بالفيّاضي وأقام البريدى ببناتاذُر غالباً على أسافل الأهواز وتغلّب المخلديّة على تستر وبقي الأمير أحمد بن بويه لا يملك من كور الأهواز إلّا عسكر مكرم قصبها دون ما سواها فإنّ أبا محمّد المـهلّبى ـوكان في هذا الوقت وكيل أبي زكريّا السوسى ـ قطع المعابر وغلب عـلى الحميديّة والمسكول[1] وقتل عاملا كان هناك بيد الأعراب والرجّالة الذيـن أثبتهم. فكانت الصورة فيما دهم أحمد بن بويه غليظة جدّاً واضطرب رجاله وفارقوه بأجمعهم وعملوا عـلى الرجـوع إلى فـارس فـعاضده اسـفهدوست وموسى فياذة حتّى تلافوهم وردّوهم وضمنوا لهم أن يُرضوهم بعد شهر.

وكتب أحمد ابن بويه إلى أخيه بالصورة فأنفذ قائداً من قوّاده كان ساربان حماله[2] عظيم المحلّ من أهل البأس والنجدة ثقة عـنده يُعرف بـبُلّ فـى ثلاثمائة رجل من الديلم ومعه خمسمائة ألف [درهم] ووافى معه كـوردفير لأنّ الأمير أبا الحسين استدعاه لأنّه كان وزيره بكرمان [576] فلمّا حصل عنده كوردفير استكتبه للوقت وخلع عليه وأبو عليّ العارض معتقل ببناتاذر في يد البريدى واتّهمه بمطابقة البريدى على جميع ما عمله أوّلاً وآخراً وكان الأمير مبغضاً له وإنّما ضمّه إليه أخوه الأمير عليّ بن بويه لأنّه كان شاهده وزيراً لماكان الديلمي وكان كبيراً فى نفسه وكان ببجكم مملوكاً له فطلبه منه ماكان فأهداه إليه.

---

١. فى مط: الحمدية والشكوك.

٢. حماله: كذا فى الأصل ومط ومد (بإهمال الأوّل).

وتقرّر الرأى أن يُنفذ بُلّ إلى السوس فى خمسمائة رجل ومعه أبو جعفر الصيمرى عاملاً عليها وينفذ موسى فياذة إلى بناتاذُر فى ثلاثمائة رجل. فهرب بالبا لمّا سمع خبر بُلّ وهرب البريدى إلى البصرة وسار موسى فياذة إلى حصن مهدى فملكها وكانت من أعمال البصرة وصارت الأسافل وراءه ودخل الأمير سوق الأهواز فنزل دار أبى عبد الله البريدى وانتظمت له الأمور وحصل البريدى بالبصرة واستقامت لهم واستقرّ بجكم بواسط ينازع الملك ببغداد وجمع ابن رائق أطرافه وأقام بها.

ولمّا رأى الوزير أبو الفتح اضطراب الأمور بالحضرة وما تؤذن به أحوالها أطمع ابن رائق فى أن يحمل إليه الأموال من مصر والشام ويُمدّه بها [577] وعرّفه أنّ ذلك لا يتمّ له مع بُعده عنها وواقفه على الشخوص وعقد بينه وبينه صهراً بأن زوّج ابنه أبا القاسم بابنة ابن رائق وعقد بين ابن رائق وابن طُغج صهراً وخرج مبادراً إلى الشام على طريق الفرات.

وقلّد أبو بكر ابن رائق علىّ بن خلف بن طناب أعمال الخراج والضياع بكور الأهواز وواقفه[1] على النفوذ إلى عمله وأن يبتدئ بأبى الحسين بجكم ويلطف له حتّى ينفذ معه لمحاربة الأمير أبى الحسين أحمد بن بويه ودفعه عن الأهواز وأن يواقفه[2] على أن يكون عدّته خمسة آلاف رجل على أن يكون ماله ومال رجاله ـ إن أقام بواسط ولم ينفذ إلى الأهواز ـ ثمانمائة ألف دينار فى السنة يأخذها من مال واسط وإن نفذ إلى الأهواز وفتحها، ألف ألف وثلاثمائة ألف دينار فى السنة يأخذها من مال الأهواز.

ولمّا وصل علىّ بن خلف إلى واسط ولقى بجكم، رأى بجكم أن يستكتبه ورأى علىّ بن خلف أن يكتب له. فخلع عليه وأقام عنده بواسط وأخذ جميع

---

١. كذا فى الأصل ومد: وواقفه. فى مط: واقفه.
٢. فى مط: أن يواقفه.

مالها. وسفّر أبو جعفر محمّد بن يحيى بن شيرزاد فى الصلح بين ابن رائق وبنى البريدى فتمّ ذلك وأخذ ابن رائق خطّ الراضى بالله للبريديين بالرضا عنهم [578] وقطعت لهم الخلعة على أن يقيموا الدعوة لابن رائق بالبصرة ويجتهدوا فى فتح الأهواز وضمنوا حمل ثلاثين ألف دينار وأطلقت ضياعهم وكُتب عن الراضى فى هذا المعنى كتاب.

وورد الخبر بمسير جيش البريدى إلى واسط. فخرج إليه بجكم وأوقع بناحية الدرمكان[1] به وهزمه فجلس ابن رائق ببغداد فى داره للتهنئة بذلك وأقام بجكم بموضعه مدّة ثمّ بالمدار مدّة ثمّ عاد إلى واسط.

وكانت نيّة بجكم إذلال البريديين وقطعهم عن ابن رائق ونفسه متعلّقة بالحضرة فأنفذ ثانى يوم الهزيمة علىّ بن يعقوب كاتب الترجمان المتولّى للعرض عليه إلى البريدى يعتذر إليه ممّا جرى ويقول:

ـ «أنت بدأت بمراسلة ابن رائق وتعرّضت لى وهذه كرّتك الثانية فإنّك حملت الديلم إلى الأهواز وأعقبت ذلك بمراسلة ابن رائق وبذلت له مضافرته علىّ وقد عفوتُ وأنا أعاهدك وأعادهك على أن أقلّدك واسطاً إذا ملكتُ الحضرة.»

وجرى فى أثناء ذلك قول فى المصاهرة. قال علىّ بن يعقوب:

ـ «فرأيت أبا عبد الله البريدى وقد سجد شكراً لله تعالىٰ لبجكم علىٰ ما ابتدأه به ثمّ استجاب لكلّ ما أراده منه ولما سمته إيّاه.» [579]

وأحضر القاضيين أبا القاسم التنوخي وأبا القاسم ابن عبد الواحد وحلف بحضرتهما وأشهد على نفسه فى خطّ كتبه بالوفاء بجميع ما عقدتُه معه وبرّنى بثلاثة آلاف دينار وقال لى:

---

١. الدرمكان: كذا فى الأصل. وفى مط: الردمكان، ولعله «الرومكان».

ـ «سأحمل إليه وألاطفه حتّى يعلم أنّى أصلُح لخدمته.»
وعدت إلى بجكم وخبّرته بما جرى فقال لى:
ـ «يا أبا القاسم كلُوتَته على رأسه.»
فقلت: «أيّها الأمير ما معنى هذا وكيف سألتنى عنها؟»
فقال لى:
ـ «إنّى كنت رأيتها فعرّفنى.»
قلت: «نعم قد رأيتها.»
فقال: «يا أبا القاسم هى على رأس شيطان لا على رأس بشر.»
فقلت: «أيّها الأمير أنت ما رأيته فكيف قلت هذا؟»
قال: «بلى رأيته يوم وقعتنا بأرجان وقد تعمّم على كلوتته وعزمت على أن أفوّت[١] إليه سهماً ففطن لما أردته وإنّما لمح طرفى من بعيد فنزع العمامة والكلوتة وجعلها على رأس غيره وتنحّى هو وأقامه مقامه.»
فقلت: «ذلك المسكين بلا ذنب وأفلت هو لعنه الله فإنّه كاذب فى جميع ما قاله وحلف عليه ولكن نقبل ذلك منه لحاجتنا إلى قبوله.»
وانصرف بجكم إلى واسط وأخذ فى التدبير على ابن رائق.

وفى هذه السنة قُطعت يد أبى علىّ ابن مقلة ثمّ لسانه

ذكر السبب فى ذلك [580]

كان ابن رائق لمّا صار إليه تدبير المملكة قبض ضياع أبى علىّ ابن مقلة وابنه. فلمّا صار إلى الحضرة لقيه أبو علىّ ابن مقلة ولقى أبا عبد الله الحسين ابن علىّ النوبختى ثمّ بعده أبا عبد الله الكوفى وأبا بكر ابن مقاتل فاستحيوا

---

١. فى مط: أفوقه.

منه وتذلّل للجماعة وسأل ردّ الضيعة المقبوضة عليه فوعده بذلك ومطل مطلاً متّصلاً. فلمّا رأى أبو عليّ المطل متّصلاً وللوفاء لا يصحّ، أخذ فى السعى على ابن رائق من كلّ جهة. فكتب إلى بجكم يطمعه فى الحضرة وفى موضع ابن رائق وكتب بمثل ذلك إلى وشمكير بالريّ وكتب إلى الراضى بالله يشير عليه بالقبض على ابن رائق وأسبابه ويضمن أنّه متى فعل ذلك استخرج له ثلاثة آلاف ألف دينار ويصحّحها وأشار باستدعاء بجكم ونصبه مكان ابن رائق فإنّه أكثر طاعة وكانت مكاتبته للراضى على يد علىّ بن هارون ابن المنجّم النديم فأطمعه الراضى فى ذلك فكتب ابن مقلة إلى بجكم يعرّفه أنّ الراضى قد استجاب إلى أمره وأنّ الأمر تامّ ويستحثّه على التعجّل.

فلمّا توثّق ابن مقلة عند نفسه من الراضى واقفه على أن ينحدر إليه سرّاً ويقيم عنده إلى أن يتمّ التدبير على ابن رائق.

فركب من داره فى سوق العطش فى [581] سميريّة وعليه طيلسان وخفّ وصار إلى الأزج بباب البستان وركب السميريّة ليلة الإثنين لليلة تبقى من شهر رمضان وإنّما تعمّد تلك الليلة لأنّ القمر تحت الشعاع وهو يختار للأمور المستورة.

فلمّا وصل إلى دار السلطان لم يوصله الراضى إليه واعتقله فى حجرة ووجّه من غد بابن سنجلا إلى ابن رائق وأخبره بما جرى وأنّه احتال على ابن مقلة حتّى حصله عنده وما زال المراسلات تتردّد بين الراضى وبين أبى بكر ابن رائق.

فلمّا كان يوم الخميس لأربع عشرة خلت من شوّال أظهر الراضى بالله أمر ابن مقلة وأخرجه وحضر فاتك حاجب ابن رائق وجماعة من القوّاد فقُطعت يده اليمنى ورُدّ إلى محبسه وانصرف فاتك إلى ابن رائق فأخبره بما شاهد من قطع يد ابن مقلة.

قال ثابت: فلمّا كان فى آخر هذا اليوم استدعانى الراضى وأمرنى بالدخول إليه وعلاجه. فصرت إليه فوجدته فى حجرة مقفلة عليه ففتح الخادم الباب فدخلت فرأيته بحال صعبة فدمعت عينه حين رآنى ووجدت ساعده قد ورم ورماً عظيماً وعلى موضع القطع خرقة غليظة كردوانى كحلية[١] مشدودة بخيط قنب. فحللت [582] الشدّ ونحيت الخرقة فوجدت تحتها على موضع القطع سرجين الدوابّ فنفضته عنه وإذا رأس الساعد أسفل القطع مشدود بخيط قنب قد غاص فى ذراعه لشدّة الورم وابتدأ ساعده يسودّ. فعرّفته أنّ سبيل الخيط أن يحلّ ويجعل موضع السرجين كافور ويطلى ذراعه بالصندل وماء الورد[٢] والكافور قال:

ـ «فافعل.»

فقال الخادم الذى دخل معه:

ـ «حتّى استأذن مولانا.»

ومضى يستأذن ثمّ خرج ومعه مخزنة كافور وقال لى:

ـ «قد أذن مولانا أن تعمل ما ترى وأن ترفق به وتقدّم العناية به وتلزمه إلى أن يهب الله عافيته.»

فحللت الخيط وفرّغت المخزنة فى موضع القطع وطليت ساعده فعاش واستراح وسكن الضربان ولم أفارقه حتّى اغتدى بشىء يسير من فرّوج ثمّ حلف أنّه ليس يسوغ له شىء آخر وشرب ماءً بارداً فرجعت إليه نفسه وانصرفتُ.

ثمّ تردّدت إليه أيّاماً كثيرة إلى أن عوفى. وكنت إذا دخلت إليه يسألنى عن خبر ابنه أبى الحسين فأعرّفه استتاره وسلامته فتطيب نفسه ثمّ ينوح

---

١. كحلية: كذا فى الأصل ومد. وفى مط. كحيلة.

٢. وفى مط: الماورد.

ويبكى على يده ويقول:

ـ «قد خدمت بها الخلافة ثلاث دفعات لثلاثة من الخلفاء وكتبت بها القرآن [583] دفعتين تُقطع كما تُقطع أيدى اللصوص أتذكر وأنت تقول لى: أنت في آخر نكبة وإنّ الفرج قريب؟»

فقلت: «بلى والآن ينبغى أن تتوقّع الفرج فإنّه قد عُمل بك ما لم يُعمل بنظير لك. وهذا انتهاء المكروه وما بعد الإنتهاء إلّا الإنحطاط.»

فقال: «لا تفعل، فإنّ المحنة قد يتشبّث بى كما تشبّثت[1] حُمّى الدّقّ بالأعضاء فلا تفارقنى حتّى تؤدّينى إلى الموت.»

ثمّ تمثّل بهذا البيت:

ـ «إذا ما ماتَ بعضُكَ فَابْكِ بَعضاً فَبَعضُ الشَىءِ مِن بَعضٍ قَريبُ»

فكان الأمر على ما قال.

ومن عجائبه أنّه كان يراسل الراضى من الحبس بعد قطع يده ويطمعه فى المال ويشير بأن يستوزره ويقول:

ـ «إنّ قطع يده ليس ممّا يمنع من استيزاره لأنّه يمكنه أن يحتال ويكتب.»

وكانت تخرج له رقاع بعد قطع يده وقبل التضييق عليه. فيُقال: إنّه كان يشدّ القلم على ساعده الأيمن ويكتب به.

ولمّا قَرب بجكم من بغداد نُقل من ذلك الموضع إلى موضع أغمض منه. فلم يُوقف له على خبر ومُنعت من الدخول إليه.

---

١. وفى مط: قد نشبت بى كما نشبت.

ثمّ قُطع لسانه وبقى مدّة طويلة فى الحبس. ثمّ لحقه [584] ذرب ولم يكن له من يعالجه ولا من يخدمه حتّى بلغنى أنّه كان يستسقى الماء لنفسه من البئر بيده اليسرى وفمه. ولحقه شقاء شديد إلى أن مات ودُفن فى دار السلطان ثمّ سأل بعد مدّة أهله فنُبش وسُلّم إليهم.

وفى هذه السنة دخل بجكم العراق أعنى بغداد ولقى الخليفة وقلّده أمرة الأمراء مكان محمّد ابن رائق

ذكر الخبر عن ذلك

ابتدأ بجكم بالمسير من واسط إلى الحضرة مراغماً لابن رائق فأزال اسمه ومحى أعلامه وتراسه وترك الإنتساب إليه وذاك أنّه كان يكتب عليها:

- «بجكم الرائقى.»

وأخذ ابن رائق يستعدّ للقائه وقتاله وعمل على أن يتحصّن فى دار السلطان. ثمّ رأى أن يبرز إلى ديالى وفتح من النهروان إليه بثقاً ليكثر ماؤه فلا يُخيض[1] وقطع الجسر عليه ليصير خندقاً.

وطالب ابن رائق الراضى أن يكتب إلى بجكم كتاباً يأمره فيه بالرجوع إلى واسط. فكتب وسُلّم إلى ابن رائق فأنفذه مع ابن سرخاب إليه أحد خلفاء الحجّاب. فقرأه ولم يلتفت إليه. وسار إلى بغداد ووافى بجكم وجيشه إلى نهر ديالى وعبر بعض أصحابه سباحة. فانهزم ابن رائق وصار إلى عكبرا وتقطع أصحابه واستتر أبو عبد الله أحمد بن علىّ الكوفى وأبو بكر بن مقاتل [585] ودخل بجكم يوم الإثنين لاثنى عشرة ليلة خلت من ذى القعدة.

ووصل إلى الراضى بالله فأكرمه ورفع منه وخلع عليه وسار بالخلع إلى

---

١. فلا يُخيض: كذا فى الأصل ومد. وفى مط: فلا يخلص.

مضربه بديالى فأقام فيه يوم الإثنين والثلاثاء والأربعاء وأنفذ سرّية فى طلب ابن رائق وكاتب الجيش الذى معه عن الراضى بالتخلية عنه والوصول إلى حضرة السلطان فانفضّ الجيش عنه ورجع ابن رائق إلى بغداد سرّاً واستتر بها.

فلمّا كان يوم الخميس للنصف من ذى القعدة خلع الراضى على بجكم خلعة ثانية وانصرف إلى دار مونس بسوق الثلاثاء وهى التى كان ينزلها ابن رائق. فلمّا كان يوم الخميس لثمان بقين من ذى القعدة خلع الراضى على بجكم خلعة ثالثة وعقد له لواء وجعله أمير الأمراء فكان مدّة إمارة ابن رائق سنة واحدة وعشرة أشهر وكسر.

ولمّا كان يوم الجمعة لسبع بقين من ذى القعدة أنفذ الراضى إلى بجكم خلع منادمة وكنّاه وأنفذ إليه مع الخلع شراباً وطيباً وتحيّات وتمّت له الرئاسة.

تمّت المجلّدة الخامسة من كتاب تجارب الأمم ويتلوها فى المجلّدة السادسة حكاية عن بجكم تدلّ على دهاء ونكر والحمد لله وصلّى الله على محمّد النبى وآله الطيبين الطاهرين أجمعين.

فرغ من انتساخه محمّد بن علىّ أبو طاهر البلخى فى المحرّم سنة ستّ وخمسمائة[١].

---

١. والتاريخ فى مد: ٦٠٥ بدل ٥٠٦ وهو خطأ. هذا وفى مصوّرتنا عبارات فراغ لكاتبين آخرين انمحى أكثر كلماتها وعدمت معناها فلم نثبتها. وهنا ملاحظة أخرى. وهى أنّ فى نشرة «مد» (=أيمدروز) ألحقت ثمان وعشرون صفحة من صفحات الجزء السادس من مخطوطة أيا صوفيا، بالجزء الخامس هذا.



فهرس العناوين


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

MISKAWAYH

(932-1030)

TAJĀRIB AL- UMAM

(Experiences of Nations)

EDITED, ANNOTATED & INTRODUCED

by

A.Emāmi, Ph.D.

vol.5

Soroush Press

Tehran 1998



بها: شمیز ۱۶۰۰۰ ریال
کالینگور ۱۹۵۰۰ ریال

ISBN:964 - 435 - 328 - 5 شابک: ۵ - ۳۲۸ - ۴۳۵ - ۹۶۴

ISBN:964-435-331-5(7Vol SET) شابک: ۵-۳۳۱-۴۳۵-۹۶۴(دوره ۷ جلدی)